سردم العربي

رئيس مجلس الادارة
والمدير المسؤول
شێركۆ بێكەس

مدير التحرير
نوزاد احمد اسود

المستشار الثقافي
محيي الدين زەنگەنە

هيئة التحرير
د. شاهۆ سعيد
دانا احمد

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي الكردي- العربي
تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر
السنة الرابعة- العدد (١٧-١٨) صيف وخريف ٢٠٠٧

موقع المجلة على الإنترنيت
www.sardamco.com

المراسلات
عن طريق مدير التحرير
nawzadaa@yahoo.com
آسيا سيل: ٠٧٧٠١٤٢٠٩٠٩
سانا تيل: ٠٧٣٠١١٨٠١٤٢

الغلاف
قادر ميرخان

التصميم
جمال حسين

مطبعة دار سردم للطباعة والنشر

محتويات العدد

سردم العربي - العدد (١٧-١٨) 2007

دراسات وبحوث

ملف حقوق الاقليات

دراسات تأريخية

دراسات ادبية ونقدية

شعر

قصة

ملف/ الروائي والمسرحي محي الدين زەنگەنە

محتويات العدد

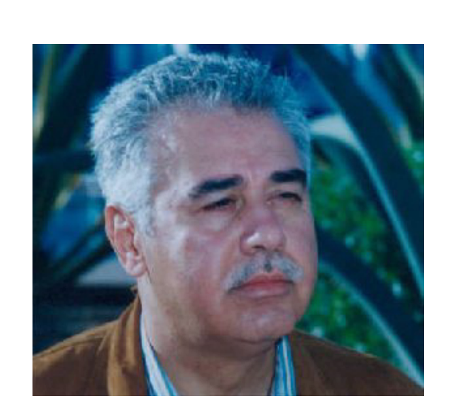
محتويات العدد

سردم العربي - العدد (17-18) 2007

موقعنا الالكتروني الجديد

www.sardamco.com

القضية الكردية، استحقاقات التجربة



د. عبدالحسين شعبان*

بـــرزت القضيـــة الكردية في المنطقـــة منذ مطلع العشرينيات من القرن الماضي، فبعد أن جرى التغاضي عـــن معاهدة ســـيفر ١٩٢٠، وانحياز القـــوى الكبرى إلى جانب تركيا الكمالية، جرى إبرام معاهدة لوزان ١٩٢٣ التي تناســـت الكرد وحقوقهم، وكان ذلك بداية هذه القضية التي أصبحت مصـــدر قلق وتوتر للعديد من دول المنطقـــة وازدادت تعقيداً مـــع مرور الأيام تاركة آثارا سياسية وإنسانية كبيرة وخطيرة.

التقاطع القومي

حظيت القضيـــة الكردية بأهمية لتوزعها على أربع دول في المنطقة وللأهمية الجيوسياسية الإستراتيجية والاقتصادية خصوصاً بوجود النفط، إضافة إلى كونها تحفل بصراعـــات قوميـــة ودينية وبمشـــاكل إثنية وعرقية غير قليلة تؤثر في دول المنطقة وعلى المصالح الإقليمية والدولية.

وخلال النظـــر إلى القضية الكردية بتاريخها يبرز اتجاهان أساسيان: الأول يرجح الحل العسكري، وتعود جذور هذا التيـــار الذي ينتمي إلى المدرســـة القومية التقليديـــة إلى بعـــض النزعات الاســـتعلائية والتنكر لحقوق الشـــعب الكردي. ويقابل هذا الاتجاه أو يكون أحيانـــا رد فعل له ضيـــق الأفق القومـــي لدى بعض التوجهـــات الكردية واســـتعدادها للتحالـــف مع قوى معادية للبلاد (لاســـيما في حالـــة العراق) وفي ظروف ملتبسة على أمل الحصول على بعض المكاسب.

والاتجـــاه الثانـــي هو الذي انتشـــر على المســـتوى الشـــعبي (في العراق بشـــكل خاص) ويدعو إلى اعتماد الحل الســـلمي للقضيـــة الكردية والاعـــتراف بحقوق الشـــعب الكردي وشـــراكته في الوطن سواء عن طريق الحكم الذاتي أو من خلال شكل من أشكال الفيدرالية أو أية صيغة تضمن هذه الحقوق.

وكانت الورقة الكردية جاهزة على الدوام لـ«اللعب والاســـتثمار» من جانب القوى الدوليـــة والإقليمية، ولم يكـــن ذلك بعيـــداً عـــن المخططـــات الإمبريالية

والصهيونية، فالقضية الكردية إضافة إلى كونها نزاعاً داخلياً في تركيا وإيران والعراق بالدرجة الرئيسة فإنها مصدر خلاف وصراع وتحريك بينها، وكانت بالقدر نفسه مصدر اتفاق ومساومة وصفقات بين الحكومات التي يجمعها قاسم مشترك أعظم هو التنكر للحقوق القومية للشعب الكردي وظلت بؤرة ساخنة وعامل قلق دائم.

فبعد فشل الانتفاضة الكردية في العراق إبان الحرب العالمية الثانية انتقل بعض الكرد العراقيين للقتال إلى جانب الكرد الإيرانيين عند قيام جمهورية مهاباد عام ١٩٤٦ ومن المفارقات أن يكون الحكم قد صدر بالإعدام في كل من العراق وإيران على الملا مصطفى البارزاني الذي التجأ إلى الاتحاد السوفياتي، ولم يلغ هذا الحكم عن البارزاني إلا بعد عودته إلى العراق عام ١٩٥٨، واستمر الحكم عليه في إيران حتى عام ١٩٦٨ رغم قيام بعض الاتصالات بين الحركة الكردية في العراق ونظام الشاه قبل هذه الفترة.

وكان لإقرار «شراكة العرب والكرد في الوطن العراقي» وتحقيق بعض المنجزات القانونية والإدارية للشعب الكردي أثره في استنهاض الشعور القومي الكردي في كل من إيران وتركيا. وقد سارعت إيران بعد اندلاع الحركة المسلحة في كردستان العراق إلى الاتصال بقيادتها منذ عام ١٩٦٢ كما تقول وثيقة باسم الحزب الديمقراطي الكردستاني (حدك) أثناء احتدام الخلافات عام ١٩٧٩.

وعند إعلان بيان ١١ مارس/آذار ١٩٧٠ الذي هو بمثابة اتفاق بين الحكومة العراقية والثورة الكردية على إنهاء القتال ووضع أسس حل سلمي، لم تكن إيران مرتاحة من تثبيت بعض الحقوق الكردية خصوصاً أن العلاقات الإيرانية العراقية كانت على درجة عالية من التوتر حيث أقدمت إيران من طرف واحد على إلغاء معاهدة عام ١٩٣٧ العراقية الإيرانية بخصوص تنظيم الحدود خلافاً للقانون الدولي، وهو ما كرره النظام السابق في العراق حين مزق اتفاقية ٦ مارس/ آذار لعام ١٩٧٥ في ١٧ سبتمبر/أيلول ١٩٨٠ عشية الحرب العراقية الإيرانية.

وفي أواسط الثمانينيات خصوصا في ظل الاحتراب الكردي – الكردي العراقي وفي ظروف الحرب العراقية-الإيرانية انقسمت الحركة الكردية العراقية، فالحزب الديمقراطي الكردستاني (حدك) تعاون مع إيران، في حين تعاون الاتحاد الوطني الكردستاني (اوك) مع الحكومة العراقية خصوصا عشية وبُعيد مجزرة بشتاشان ١٩٨٣ ضد الأنصار الشيوعيين في كردستان.

ومن المفارقة إن قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني استعانت بالحكومة العراقية عام ١٩٩٦ لاستعادة أربيل من الاتحاد الوطني الكردستاني الذي كان يتعاون مع إيران في تلك الفترة، بما يؤكد فكرة تلاعب القوى الإقليمية والدولية بالقضية الكردية ومحاولة استغلالها، واضطرار القيادات الكردية، خصوصا بإصرار الحكومات العراقية على عدم تلبية مطالب الشعب الكردي المشروعة، لمثل هذا التعاون الذي يلحق ضرراً بليغاً به وبقضيته وبمستقبل علاقاته بجيرانه وخصوصاً العرب بشكل عام وعرب العراق بشكل خاص.

استغلال القضية

يصح القول استناداً إلى التجربة التاريخية خصوصاً بعد اندلاع القتال بين الحكومة العراقية والحركة الكردية عام ١٩٧٤ إن إيران التي تخلت عن دعم الحركة الكردية عام ١٩٧٥ لم تستهدف من معاونتها للحركة الكردية دعم الشعب الكردي وإنما إضعاف العراق وإشغال جيشه بنزاع داخلي في حين كانت إسرائيل هي المستفيدة الأولى من ذلك.

وعندما اصطدمت مصالح إيران مع الحركة الكردية أقدمت على الفور على قطع المساعدة عنها. يقول تقرير للمستر بايك قدم إلى الكونغرس في ٩ يناير/كانون الثاني ١٩٧٦ إن شاه إيران لم يعتبر مساعدته للحركة القومية الكردية في العراق سوى

«ورقة يلعب بها في النزاع مع جيرانه»، وبالمقابل فإن بغداد بعد انتصار الثورة الإيرانية في فبراير/شباط ١٩٧٩ عمدت إلى استخدام سلاح الشاه في مدّ يد العون إلى كرد «العدو» مشجعةً إياهم على مواجهة السلطة الجديدة وخلق المتاعب في وجهها، مبديةً حرصاً زائفاً على مطالب الشعب الكردي في إيران في حين كانت توغل في اضطهاد الشعب الكردي بالعراق.

وعلى الرغم من دعم طهران للحركة الكردية العراقية في أواخر السبعينيات والثمانينيات فإنها لاحقت الحركة الكردية الإيرانية بل إن هناك اتهامات بضلوعها في اغتيال الدكتور عبد الرحمن قاسملو بالنمسا.

أما في تركيا فإن الموقف من القضية الكردية رغم التطورات التي حصلت على الصعيد العالمي ما زال قاصراً حيث عانى الكرد من سياسة التتريك والحرمان من الحقوق لنحو سدس سكان تركيا الذين كان يطلق عليهم مصطلح «أتراك جبليون»، وعملياً هضمت حقوق أولية للكرد بما فيها حق التعلم بلغتهم ناهيكم عن حقهم في حكم أنفسهم بأنفسهم في حكم ذاتي وكانت إيران تعتبر الحديث عن المسألة القومية، هو بدعة وضلالا لأن المسلمين متساوون «كأسنان المشط» في محاولة للتنكر وعدم الاعتراف بحقوق الكرد.

كما أن القيادة السورية كانت تستقبل القيادات الكردية العراقية وتبدي تعاطفاً مع كرد العراق في حين تمتنع من تلبية بعض الحقوق الكردية بما فيها منح عشرات الآلاف منهم الجنسية.

ودوليا يبرز استغلال الولايات المتحدة للقضية الكردية، فهي كانت حريصة على أن لا يحصل أي اتفاق بين الحركة الكردية وبين الحكومة العراقية في التسعينيات وخلال فترة الحصار الدولي.

وقد عبّرت بعض القيادات الكردية عن ذلك بعد الاتفاق الأولي بينها وبين الحكومة عام ١٩٩١ فأكدت أن هناك ضغوطاً أميركية حالت دون تحقيق الاتفاق مما يؤكد أن هذه القضية التي فشلت الحكومات في حلها سلمياً كانت قد استثمرتها قوى خارجية دافعةً الأمور باتجاه التباعد والصدام وتشجيع النزعات الافتراقية على حساب التعايش والوحدة الوطنية.

وكان الكثير من القيادات الكردية يتذكر مواقف كيسنجر عام ١٩٧٤-١٩٧٥ حين تمت التضحية بالقضية الكردية بتلك المساومة المعروفة، وهو ما كان يردده وزير خارجية الولايات المتحدة آنذاك عن الفارق بين السياسة والأخلاق.

ولعل الموقف من أحداث حلبجة وعمليات الأنفال عام ١٩٨٨ خير دليل على ازدواجية المعايير وانتقائية المواقف بالنسبة للولايات المتحدة التي سكتت عنها أو بررتها في حين عادت إلى استخدامها بعد غزو القوات العراقية للكويت في ٢ أغسطس/آب ١٩٩٠.

الاستحقاقات العراقية

حتى وقت قريب كانت برامج معظم الأحزاب السياسية القومية العربية تخلو من تحديد واضح للمسألة القومية الكردية في العراق خصوصاً عندما تكون قريبة من مواقع السلطة، ولم ينظر التيار الإسلامي بشقيه إلى المسألة القومية الكردية باعتبارها أحد أركان مشكلة الحكم في العراق.

ولهذا لم يبلور حلاً واضحاً بخصوصها سوى الدعوة إلى المساواة من زاوية هي أقرب إلى الأخلاق منها إلى السياسة. وإذا كان اليوم قد جرى تأكيد شعار «الحكم الذاتي» وفيما بعد «قبول الفيدرالية» إرغاماً أو اقتناعا جزئيا في برامج وأنشطة مشتركة خصوصاً مع الأحزاب الكردية، فإن هذه القوى والأحزاب تختلف إلى حدود غير قليلة حول مضمون ودلالات هذا الشعار وما يشمله.

وفي التطبيق العملي فإن التيار الماركسي أيضاً لم يخلُ من التشوش في الموقف من الحركة القومية ومن الحل المطروح وذلك بالقرب أو البعد من مواقع السلطة أيضاً رغم تقدم أطروحاته النظرية بصدد الحل المنشود للقضية الكردية على أساس حق تقرير المصير.

ومــن الحــركات القوميــة العربية التــي اتخذت منــذ وقت مبكر موقفاً متميــزاً من الحركة الكردية وأيــدت فكرة الحكــم الذاتي على أســاس حق تقرير المصير الحركة الاشتراكية العربية بعد مؤتمرها الذي انعقد عام ١٩٦٨.

أما الحزب الاشتراكي وبعض التيارات الناصرية فقد وافقت على فكرة الحكم الذاتي وفيما بعد الفيدرالية بدرجــات متفاوتــة وكان حزب البعــث -قيادة قطر العراق قــد أيّد فكرة الحكم الذاتــي للكرد في المؤتمر القومي الحادي عشر (دمشــق ١٩٧١)، أما حزب البعث في العراق فقد ســاهم في التوصــل إلى بيان ١١ مارس/ آذار ١٩٧٠ للحكم الذاتي وأصدر «قانون الحكم الذاتي» عــام ١٩٧٤ الذي يعتبر رغم نواقصــه وثغراته خطوة متقدمــة في حينهــا، خصوصاً ما تضمنه دســتور ١٦ يوليو/تموز ١٩٧٠.

وبخصــوص الحركة الإســلامية العراقية فإن أول حزب إسلامي وافق على فكرة الحكم الذاتي الحقيقي كان هــو حزب الدعوة الإســلامي في برنامجه الصادر في مارس/آذار ١٩٩٢.

وخلا مشــروع الســيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الذي عرضه في مطلع عام ١٩٩٢ من الإشــارة إلى موضوع الحكم الذاتي. وحين وافقت القــوى الإســلامية في مؤتمرات المعارضــة وخصوصاً مؤتمر صلاح الدين عام ١٩٩٢ على الفيدرالية أردفتها بكلمة «الولايات» ذات الأبعاد الإسلامية.

لكن البرامج الخاصة للأحزاب الإسلامية بما فيها قائمــة الائتلاف الوطني العراقــي اتخذت منحًى آخر بعد احتلال العراق وشروعها في طرح فكرة الفيدرالية للقسم الجنوبي من العراق وفي إطار مناقشات الدستور الدائم الذي تم الاســتفتاء عليه في ١٥ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٥، وهــذا يعني ضمنــاً قبول المبدأ الفيدرالي للمنطقة الكردية ولبقية مناطق العراق وفقاً للرؤية الخاصــة التــي كان قد عرضها الســيد عبــد العزيز الحكيم.

أما الحــزب الإســلامي العراقي وجبهــة التوافق العراقيــة وقوى أخرى فإنهــا -وإن كانت قد تحدثت عن خصوصية القضية الكردية دون تأييد الفيدرالية صراحــة- عارضت بشــدة فكرة الفيدرالية لوســط وجنــوب العراق، واعتبرتها خطوة للتقســيم وهو ما تؤكــد عليه دائمــا حتى عندما وافقــت على دخول الانتخابات الأخيرة في ١٥ ديســمبر/كانون الأول ٢٠٠٥، حيث علقت مسألة مناقشة الدستور الذي تم التصديق عليه إلى ما بعد أربعة أشــهر من إجــراء الانتخابات، وهي تطمح ومعها قوى أخرى إلى التأثير على صياغة موضوع وحدة العراق على أســاس واضح يبعد فكرة الفيدرالية الجنوبية.

أما التيار الماركســي والحزب الشــيوعي فقد تبنى فكرة الاستقلال الذاتي للكرد عام ١٩٥٦ في الكونفرنس الثانــي للحــزب وفي عــام ١٩٧٠ أكد علــى حق تقرير المصير لجميع الأمم صغيرها وكبيرها وحق التحرر من نير الاضطهاد القومي وإنشــاء الكيان القومي المستقل والموحد لكل أمة في معرض حديثه عن الأمة الكردية المجزأة. ومن الجدير بالذكر أن الحزب قد رفع شــعار الفيدرالية منذ عام ١٩٩١ وهو ما أكده مؤتمره الخامس المنعقد في نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩٣.

تدويل القضية

لقــد خرجت القضيــة الكردية في العــراق أو في المنطقــة كلها من الدائرة المحليــة إلى الدائرة الدولية لتصبح مــن ألحّ القضايا الدولية المعقدة التي تتطلب حلولاً عاجلة وسريعة وذلك بالارتباط بحرب الخليج الثانية ومشــاهد الهجرة الجماعية المرعبة للكرد بعد قمع «الانتفاضة».

وإذا ما اســتثنينا القضية الفلســطينية وعدوان إســرائيل المتكرر والبعد الإنســاني والسياسي لقضية اللاجئين فلربما كانــت القضية الكردية من القضايا ذات البعد الإنســاني والسياسي الأكثر سخونة والتهاباً بعــد القضية الفلســطينية، ليس في العراق فحســب

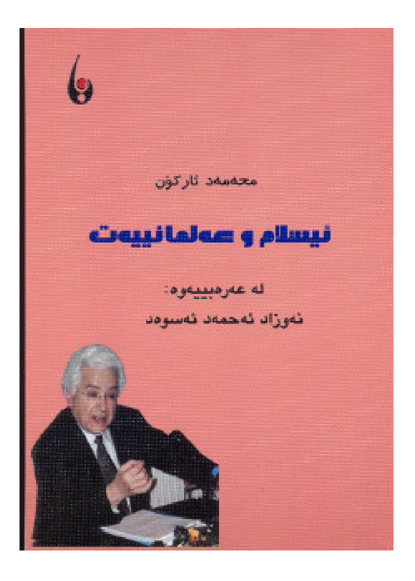
بـل على صعيد الأمة الكرديـة التي تعاني مثل الأمة العربية من التجزئة والتقسيم.

وقـد كان صـدور القرار ٦٨٨ في ٥ أبريل/نيسـان ١٩٩١ مـن مجلس الأمن الدولي عودة جديدة بالقضية الكرديـة إلى الأروقة الدولية وتحديـداً في إطار الأمم المتحدة منذ معاهدة سيفر ١٩٢٠.

ويمكننا القـول إن هذا القرار هـو القرار اليتيم والتائـه الذي ظل منسـيا مـن بين جميـع قرارات مجلس الأمن التي بلغت ما يزيد عن ٦٠ قراراً مجحفاً كلهـا صدرت ضمن الفصل السـابع الخاص بالعقوبات واسـتخدام جميـع الإجراءات بما فيهـا القوة لفرض امتثال الحكومة العراقية لجميع تلك القرارات الجائرة والمذّلة وغير الإنسـانية باسـتثناء هذا القرار الوحيد الذي انتصر للشعب العراقي حين دعا إلى كفالة احترام حقوق الإنسـان والحقوق السياسية لجميع المواطنين ووقـف القمع الـذي تتعرض لـه المنطقـة الكردية وبقية مناطق العراق باعتباره تهديداً للسـلم والأمن الدوليين.

ومن المفارقة أن هذا القرار لم يصدر ضمن الفصل السـابع ولم يصـرّ مجلس الأمن على تطبيقه أسـوة بالقـرارات الدولية الأخرى، كما لـم تضغط الولايات المتحـدة على تنفيـذه دون قيد أو شـرط كما فعلت بالنسـبة لقرارات الحصار الدولـي وكذلك لم توافق عليـه الحكومة العراقيـة، التي وافقـت على جميع القرارات الدولية المجحفة.

*مفكر وباحث في القضايا الإستراتيجية



الاسلام والعلمانية
د. محمد اركون
ترجمة: نوزاد احمد اسود
من مطبوعات نما - ٢٠٠٧



مدخل الى التنوير الاوروبي
د. هاشم صالح
ترجمة: شوان احمد
من مطبوعات رنج- ٢٠٠٧

بنية المجتمع الكردي

د. طاهر حسو الزيباري*

يمكن تعريف المجتمع، بأنه كيان جماعي من البشر، بينهم شبكة من التفاعلات والعلاقات الدائمة والمستقرة نسبياً، والتي تسمح باستمرار هذا الكيان وبقائه وتجدده في الزمان والمكان. وينطبق هذا التعريف على الشعب الكردي بكونه مجتمعاً مثل أي مجتمع بشري آخر، بما يتوفر له من المقومات الأساسية، كالوطن، البيئة، السكان، التنظيم الاجتماعي، مؤسساته التي تفاعلت فيما بينها وبين المجتمعات الأخرى عبر التاريخ.

مظاهر المجتمع الكردي

يقطن الكرد في الشرق الأوسط من آسيا الغربية، وهذه البقعة التي يطلق عليها كردستان منذ القرن الثاني عشر تعد موطنهم التاريخي وإن لم يجر الاعتراف بها كدولة، ويمثل هذا الوطن عنصرا أساسيا لوجود المجتمع الكردي كسائر المجتمعات الأخرى.

ومنطقة كردستان هي عموما جبلية وعرة وقاسية وقد أثرت العوامل الطبيعية على تطور ورقي كردستان، وكان لها أثران: فمن ناحية ساعدت الشعب الكردي على الاحتفاظ بهويته، ولغته وتقاليده وثقافته على مر القرون، رغم كل الغزوات العربية والتركية والفارسية لأراضيه واحتلالها، ومن ناحية أخرى عزلته إلى حد كبير عن المدنية. رغم أنها -أي المدنية- بدأت في كردستان كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين.

ومن الصعب تقدير العدد الدقيق لسكان كردستان إلا أن بعض الدراسات تقدرهم بنحو ٤٠ مليونا، وهؤلاء السكان الموزعون بين أربع دول بصفة أساسية، تطوروا اجتماعيا بفعل عوامل عديدة منها التفاعل مع الطبيعة التي ميزت موطنهم وهي تتوزع على مناطق جبلية، وسهول، وأودية، وهو التنوع الذي أوجد سمات أيكولوجية خاصة في كردستان يمكن إجمالها فيما يأتي:

١.قيام حياة رعوية ارتبطت بشكل مباشر بتأثير الطبيعة وما يرافقها من طغيان الأنماط القبلية

والتنقل والغزو والفروسية، وكذلك الكرم والشجاعة وغيرها من الصفات أو السمات الشخصية فضلا عن الحياة الزراعية الريفية، وحياة حضرية تجارية إدارية في المدن.

٢.تنوع الشعوب والثقافات التي قطنت هذه المنطقة إلى جانب الكرد والتي تمازجت عبر التاريخ من آرية وسامية، وعربية وأرمنية وتركمانية وآشورية وكلدانية، مما أدى إلى تكوين مجتمع تنوعي، وهذا التنوع في حد ذاته قد يكون مصدر ثراء ثقافي للمجتمع، ولكنه قد يكون أيضا مصدر توتر كامن أو ظاهر.

٣.نشوء أقاليم لها مزاياها الخاصة بعد تقسيم كردستان بين العراق وإيران وتركيا وسوريا وأرمينيا، من حيث العادات والتقاليد والأعراف، وتأثرهم بثقافة بلدهم المحتل، ورغم وجود أقاليم عديدة للمجتمع الكردي فإنها امتداد واحد من الناحية الجغرافية.

٤.ظهور ديانات ومذاهب عديدة، منها الديانات التوحيدية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلامية) وظهور مذاهب أخرى غير إسلامية كاليزدية والكاكائية والعلية وغيرها، مما شكل متحفاً اثنوغرافياً.

٥.تزايد أهمية كردستان اقتصادياً وحضارياً وسياسياً خاصة بعد الانتفاضة الربيعية والهجرة المليونية عام ١٩٩١ إلى تركيا وإيران وسوريا إلى حد ما من ناحية، ومن ناحية أخرى بسبب موارده المعدنية كالنفط وغيرها.

العادات والتقاليد

العادات والتقاليد، هي حصيلة التطور التاريخي والحضاري للأفراد والزمر الاجتماعية في البيئة الكردية، وقد استقرت عليها منذ الأزمنة القديمة وحتى الآن، إلا أن هناك اختلافا في بعض نواحيها حسب اختلاف البيئات الجغرافية الكردية . ومن التقاليد التي رصدها المستشرقون والرحالة لدى المجتمع الكردي، وأوردها (تومابوا) احترام العائلات القديمة النبيلة، وفي الواقع فإن ملاحظة هؤلاء المستشرقين صائبة ولم تزل قائمة، إذ ما زال المجتمع الكردي ينظر بإجلال كبير إلى أحفاد رؤساء الأسر التي ناضلت من أجل الشعب الكردي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، رغم أن هؤلاء الأحفاد ربما لم يبذلوا شيئاً يُذكر تجاه قومهم. لكن المجتمع مازال ينظر إليهم كأحفاد لسلالة طيبة، ومثل هذا ينسحب على أحفاد الأسر الدينية أو أحفاد رؤساء العشائر والوجهاء، رغم أن هؤلاء الأحفاد لا ثراء لهم اليوم. إن مثل هذا السلوك يمثل وفاء من الكرد إزاء قادتهم السياسية أو الدينية أو الاجتماعية.

وهناك عادة أخرى في المجتمع الكردي، وهي عادة (الثأر) وإن اختفت كلياً في المدينة، وبقيت إلى حد ما في القرى، فالثأر الكردي هو مظهر من مظاهر الانتقام الذي يلجأ اليه الشخص المعتدي عليه. وخلافاً للثأر العربي أو الثأر العشائري بوجه عام، فإن الثأر الكردي مسؤولية عائلية وليس عشائرية أو نسبية كما في المجتمع العربي، أي أنه مسؤولية الأقرباء الأقربين فقط. ويمكن أن يعزى ذلك إلى تأثير العامل الجغرافي، فالانعزال الجغرافي للقرية والبناء الطبوغرافي الوعر للمنطقة قد جنب مجتمع القرية تبني سياسة الانتقام من أجل الفرد.

أما ظاهرة تعدد الأبناء، فما زالت لها قيمة أساسية في المجتمع الكردي الحضري بصورة عامة وفي المجتمع الريفي بصورة خاصة، وتفضيل الأبناء الذكور على الإناث شائع أيضاً. ولا تستطيع المرأة أن تأخذ وضعها الاجتماعي والنفسي إلا بعد إنجاب الابن الوارث. وتقاس قوة الأسرة عن طريق أبنائها الذكور. وفي إطار سيطرة هذه القيمة خضعت المرأة لهذه القيمة ولديناميات السوق، فقد تؤدي حالتها إلى الطلاق إذا لم تنجب طفلاً ذكراً في كثير من الأحيان.

بين التدين والانفتاح على الغرب

إن القيم التي تتحكم بالعلاقات ضمن العائلة الكردية قد تتحكم إلى حد بعيد بالعلاقات ضمن

المؤسسات الأخـرى في المجتمع، كالمؤسسات الدينية والسياسية والتربية والعمل. وبالرغم من ظهور القيم السلفية والأصولية والقدرية والانغلاق وغيرها، يشهد المجتمع الكردي في مرحلته الانتقالية منذ فترة التسعينيات أو بالأحرى استقلال كردستان عن الحكومة المركزية في بغداد ظهور قيم جديدة في المجتمع الكردي خاصة عند الشباب، كقيم الانفتاح على الغرب، حيث تبنى الشباب الكثير من معتقدات الغرب وأزيائه ومفاهيمه، بما في ذلك ثقافة العولمة والإنـترنـت، حتى أن بعض الشباب المتخرجين في الجامعات الغربية، يحاول التكلم باللغة الإنجليزية والتخلي عن تقاليدها القديمة.

وهكذا تتصارع في المجتمع الكردي المعاصر تيارات عديدة تميل باتجاه السلفية من ناحية والمستقبلية من ناحية أخرى (معاكسة) وخاصة عند الجيل الصاعد من الشباب الكردي الرافض للماضي والتقاليد، ويتجلى هذا الصراع في الحياة اليومية، والحركات السياسية، والاتجاهات الفكرية ومختلف النشاطات الإنسانية.

ومن القيم الاجتماعية التي برزت بشكل واضح أيضاً بعد فـترة التسعينيات من القرن العشرين، بسبب هجرة العمالة والكفـاءة الكردية للخارج وسياسة الانفتاح الاقتصادي، تنامي قيم الاتجاهات الاستهلاكية المفرطة، وسيادة القيم الفردية، والإغراق في تحقيق الطموحات الشخصية القصيرة الأجـل، وسيادة قيمة المال على كل قيمة أخرى، وظهور قيم التعددية السياسية وقبول الرأي الآخر والديمقراطية والمواطنة، وقيم التغرب عن المجتمع.

غالبية الكرد مسلمون، وأكثرهم من أهل السنة والجماعة، وقبل دخولهم الإسلام في القرن السابع الميلادي كان الكرد يعتنقون الديانة الزرداشتية التي لم تعرف إلا بين الأقوام الارية. ولقد تحول الكرد عام (٢٠) للهجرة من الديانة الزرداشتية إلى الإسلام من دون أن يمروا بالمسيحية، وكانت الزرادشتية الديانة المشتركة التي ينتمي إليها جميع الكرد.

وينتمي غالبية الكرد إلى المذهب الشافعي. وقد أختاروا هذا المذهب، لتأكيد اختلافهم عن الأتراك الذين اختاروا المذهب الحنفي، ويعزى الباحثون انتماءهم لهذا المذهب إلى خضوع كردستان المبكر للحكام السُنة، وكذلك نشاط علماء الدين الكرد الذين درسوا العلوم الدينية في المدرسة النظامية ببغداد أثناء الخلافة العباسية التي كانت تتبنى المذهب الشافعي.

وتنتشر بين الكرد الطرق الصوفية التي تختلف عن بعضها اختلافاً بسيطاً، وأكثر الطرق شيوعاً هي الطريقة القادرية، والطريقة النقشبندية، وقد لعب رجل الدين الذي يدعى (ملا) في كردستان دوراً بارزاً وإيجابياً في الحركة الوطنية التحريرية الكردية من حيث الولاء والانخراط فيها.

وبين الكرد، فضلاً عن الدين الإسلامي، اتباع لأديان ومذاهب اخرى، كالمسيحية، والايزدية، والعلي اللاهيين، والعلويين، وأهل الحق، والكاكائية. أما اليهود في كردستان العراق، فقد هاجروا إلى إسرائيل بداية عام ١٩٤٨، وهم معروفون ألآن كجالية كردية يهودية.

الاغتراب الديني

تركت البيئة الطبيعية المتنوعة للمجتمع الكردي تأثيراً على معتقدات الكرد الدينية بحيث جعلتهم أكثر ميلاً للاعتقاد بالأشياء الملموسة أكثر من الإيمان بالرموز المجردة، وربما يفسر هذا الميل الانحرافات الكثيرة عن الإسلام التي تتبناها مجموعات عديدة من الكرد بالانتماء إلى ديانات تحاول أن تترجم الرموز الدينية المجردة إلى معان واقعية ملموسة، كما قد يفسر هذا الميل إيمان الكرد بالأولياء والشيوخ والشخصيات الدينية المرموقة، وقد اتفق على هذا الرأي جميع الكتاب والرحالة الذين درسوا المجتمع الكردي.

إن الدين (إذا عرفناه كواقع اجتماعي وليس كنصوص) لا يستطيع في المرحلة الراهنة التي يمر بها المجتمع الكردي، أن يشكل حركة إنقاذ ثورية في المجتمع كما يؤكد عليها بعض علماء الاجتماع، لأن

المجتمع الكردي بعد الانتفاضة الربيعية عام ١٩٩١ وتشكيل البرلمان الكردي والحكومة عام ١٩٩٢ وحتى الآن تمخض عن ظهور قيم جديدة في المجتمع، والواقع الاجتماعي الحاضر هو واقع طائفي أكثر منه واقع ديني وذلك لانتشار الشعور القومي لدى الكرد بصورة عامة أكثر من أي وقت مضى، بوجود كيان سياسي مستقل لهم، فضلاً عن العامل الإثني (العرقي) وهناك عامل آخر يكرس حالة الاغتراب في الدين، وهو الشعور العام السائد لدى الكرد باحتلال أراضيهم من قبل الحكومات الإسلامية المجاورة على أساس أننا إخوة في الدين ولا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، مما أدى إلى احتلال أراضي الكرد منذ ظهور الدولة الاسلامية باسم الدين حتى اليوم.

ورغم أن المجتمع الكردي محافظ ومتمسك بالمعتقدات الدينية، فإني وجدت في دراسة لي حول التنشئة السياسية الاجتماعية في كردستان العراق أن الدين يأتي بعد الوطن من حيث الأهمية لدى شباب الجامعات الكردية، غير أن تيارات دينية سياسية عدة تنامت في المجتمع الكردي في عقد التسعينيات من القرن الماضي مثل الوهابية والإخوان المسلمين عكست هذا التسلسل ووضعت الولاء الديني قبل الوطني، وتبنت هذا الاتجاه قوى إسلامية كردية مثل الرابطة الإسلامية الكردية، والاتحاد الإسلامي لكردستان العراق، والحركة الإسلامية الكردية، والجماعة الإسلامية.

المرأة والمجتمع

تشكل العائلة واحدة من بين أهم مصادر القيم السائدة في المجتمع الكردي خاصة أنها تشكل وحدة إنتاجية تقتضي التشديد على العضوية والعصبية والتعاون والالتزام الشامل بين أعضائها. ومن بين الاتجاهات القيمية التي تتصل اتصالاً مباشراً بالحياة العائلية، ما يتعلق بدور المرأة في المجتمع الكردي. وهنا يمكن أن نلحظ ظاهرتين متلازمتين، فمن ناحية وكما يؤكد (مينورسكي) فإن الكرد هم أكثر تسامحاً من جميع الشعوب الإسلامية الأخرى المجاورة تجاه المرأة، ويعني بالتسامح هنا حرية التعبير والرأي وإعطاء المرأة مكانتها التي تستحقها. وبذلك فالكرد أكثر تقبلاً لحرية المرأة ومكانتها قياساً بالأقوام الإسلامية (الترك والفرس والعرب) التي بدت (لمينورسكي) غير متسامحة مع المرأة.

ويعزى هذا الاهتمام النسبي بالمرأة الكردية من قبل الرجل الكردي وثقته العالية بها، إلى أسباب أو عوامل تاريخية ودينية وأنثروبولوجية ممتدة إلى عمق التاريخ لا مجال لتحليلها.

وفي الميدان السياسي، يؤكد الرحالة والمستشرقون وجود زعامة للمرأة الكردية على رأس القرية والقبيلة، وتؤكد هذه الظاهرة مع قلة انتشارها، أن المجتمع الكردي يتقبل زعامة المرأة ولا عقد له إزاء ذلك عندما تفرض المرأة وجودها بمبررات منظورة أو غير منظورة، وتعزى أسباب زعامة المرأة إلى الحروب الكثيرة التي خاضتها الأمة الكردية ضد الغزاة، دفاعاً عن وجودها وخيرات مواطنها.

إن موضوع الانفتاح والحرية والتسامح والتعددية والديمقراطية، احتلت موقعاً أساسياً ضمن المشروع النهضوي الكردي الذي شكل منذ بداية عقد التسعينيات من القرن العشرين، وبالتحديد منذ انبثاق البرلمان الكردستاني والحكومة الكردية عام ١٩٩٢، واتخذت قضية المرأة أهميتها في صلب هذا المشروع، في ضوء العلاقة العضوية بين التحول الديمقراطي وتحرير المرأة من ناحية، وبالنظر إلى الدور المؤكد للمرأة في الشأن الكردي العام (تحريراً وتنمية ووحدة) من ناحية أخرى.

وبما أن المرأة الكردية جزء حيوي في المجتمع، وكان لها دور فعال في انتفاضة مارس/آذار عام ١٩٩١، إذ حررت المرأة من الظلم والأشكال المختلفة من العنف والقمع والإرهاب والإهانات الممارسة ضدها من قبل الحكومة المركزية في بغداد، بذلك تولد بالمقابل مناخ من الحرية والتعبير والمطالبة بحقوقها ومشاركتها الفعالة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية. حيث شكلت نسبة

النساء (٥,٧٪) في الدورة الأولى لبرلمان كردستان عام ١٩٩٢، وارتفعت النسبة إلى (٢٧٪) للدورة الثانية عام ٢٠٠٥. وأعتقد أن هذه النسبة تشكل أعلى نسبة للنساء في منطقة الشرق الأوسط، والمرأة رئيسة لعدة لجان في البرلمان الكردي، وأصبحت قاضية لأول مرة عام ١٩٩٧.

إن مشكلة المرأة الكردية هي مشكلة المجتمع الكردي الذي لا يزال يناضل من أجل تقرير المصير وتثبيت كيان سياسي له (أي الدولة الكردية). وهذا هو الرأي السائد للرجال والنساء في المجتمع الكردي في جميع أجزائه.

غير أنه وبرغم هذه الحقائق فإن بعض القيم والعادات المتعلقة بدور المرأة مازالت سائدة وتمثل عقبة رئيسية أمام تحسين مركزها ومشاركتها السياسية ومساهمتها خارج المنزل. ومن أمثلة القيم البارزة في هذا المجال، سيطرة الرجل على المرأة، وخضوع المرأة وطاعتها طاعة مطلقة للرجل، تفضيل الذكور على الإناث، الزواج المبكر وخاصة في المجتمع الريفي، مكانها الطبيعي هو البيت رغم التغير الذي طرأ على دورها في هذا المجال خلال الحقبة الاخيرة، عدم الثقة بها...إلخ.

العلاقة مع الشعوب المجاورة

يرجع تاريخ علاقة الشعب الكردي مع الشعب العربي إلى ما قبل ظهور الإسلام، وتوطدت هذه العلاقة أثناء الفتوحات الإسلامية التي شارك فيها الكرد، ورغم هذه الصلة الوثيقة بين الشعبين العربي والكردي، فإن الرأي العام العربي، سواء رجل الشارع أو معظم المثقفين، لا يعرفون إلا القليل عن الشعب الكردي وعن قضاياه، وعن تأثير حل القضية الكردية على الأمن القومي العربي خاصة، وعلى استقرار المنطقة عامة.

وقد تسبب التعامل السيئ والمتعسف للحكومات المتلاحقة في بغداد، واعتماد الإعلام العربي مرجعيات غير منصفة وغير دقيقة في تناول القضايا الكردية، حتى باتت كردستان توصف عربيا بأنها إسرائيل ثانية في حين أنها فلسطين أخرى. تسبب كل ذلك بتنمية شعور قوي لدى الكرد بأنه لا يوجد فرق بين النظام البعثي ونظام شيعي وسُني آخر في العراق، كما نما شعور آخر بأنه لا أمان ولا استقرار ولا كرامة إلا بوجود دولة كردية مستقلة في العراق، بل إن التعامل العربي الخاطئ مع قضية الشعب الكردي أدى إلى ردة فعل عكسية من قبل الكرد الذين باتوا يرغبون في دراسة اللغة الأجنبية دون العربية. وهناك جيل من الكرد في العراق لا يعرفون العربية ولا يعرفون عاصمة العراق (بغداد) فهو جيل الإنترنت والحاسوب والعولمة وليس أصدقاء الجبال كما كانوا يطلقون على الكرد من قبل الأنظمة العربية والتركية والفارسية المحتلة لأرض كردستان، رغم أن الكرد في الماضي ساهموا مساهمة جادة في تطوير وإغناء اللغة العربية.

*أستاذ علم الاجتماع المساعد- كلية الآداب/ جامعة صلاح الدين/ أربيل

المصادر:

1-Gerhard, Lenski, "Human Societies

٢-د. شاكر خصباك، الأكراد-دراسة جغرافية إثنوغرافية.

٣-د. عبد الرحمن قاسملو، كوردستان والأكراد– دراسة سياسية واقتصادية.

٤-د. حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي.

٥-درية عوني، الأكراد

٦-تومابوا، مع الأكراد

٧-طاهر حسو الزيباري، دور المرأة الكوردية في المشاركة السياسية

٨-طاهر حسو الزيباري، التنشئة السياسية الاجتماعية في كوردستان-العراق مينورسكي، الأكراد، ملاحظات وانطباعات

٩-د. بدرخان السندي، المجتمع الكردي في المنظور الاستشراقي.

جذور المشكلة الكردية

د. عبدالله محمد علي العلياوي*

تعود جذور المشكلة الكردية إلى ما قبل الميلاد بفترة طويلة وإن لم تعرف بهذا الوصف، فقد تسبب سقوط الإمبراطورية الميدية التي أسسها الكرد على يد الفرس الأخمينيين وتعرضهم لاستعباد الأقوام الهندوأوروبية التي نزحت لمنطقة كردستان الحالية، في ظهور شعور مبكر بالظلم واغتصاب الهوية، لم يتخذ ذلك مظاهر قومية في حينه لكنه أسس للمشكلة التي مرت عليها فترات هدوء بعد الفتح الإسلامي الذي أنقذ الكرد ومنحهم حقوقا قومية وحرية تأسيس إمارات عديدة تحكم نفسها بنفسها في إطار الدولة الإسلامية، وذلك قبل أن تبدأ المعالم الحديثة للمشكلة الكردية بالتشكل منذ بدايات القرن السادس عشر.

البدايات

بدأت المشكلة الكردية بصورة واضحة في العصر الحديث عند اصطدام الدولتين الصفوية والعثمانية عام (١٥١٤م) في معركة جالديران التي كانت كبيرة وغير حاسمة، كان من نتائجها تقسيم كردستان عملياً بين الدولتين الصفوية والعثمانية.

كانت كردستان قبل سنة (١٥١٤م) تسود فيها إمارات مستقلة مشغولة بتنظيم شؤونها الداخلية، لكن سوء معاملة الشاه إسماعيل الصفوي إضافةً إلى الاختلاف المذهبي أدى إلى انضمام أكثرية الإمارات إلى جانب الدولة العثمانية فضلاً عن جهود العلامة ملا إدريس البدليسي الذي لعب دوراً كبيراً في استمالة الكرد إلى جانب الدولة العثمانية، وجاءت المعركة المذكورة لتضع أغلبية أراضي كردستان تحت سيطرة العثمانيين.

تقسيم كردستان

في عام (١٥١٥م) قام العلامة إدريس، بعد تفويضه من قبل السلطان العثماني، بعقد اتفاقية مع الأمراء الكرد، يتضمن اعتراف الدولة العثمانية بسيادة تلك الإمارات على كردستان وبقاء الحكم الوراثي فيها

ومساندة الأستانة لها عند تعرضها للغزو أو الاعتداء مقابل أن تدفع الإمارات الكردية رسومات سنوية كرمز لتبعيتها للدولة العثمانية وأن تشارك إلى جانب الجيش العثماني في أية معارك تخوضها الإمبراطورية إضافة إلى ذكر اسم السلطان والدعاء له من على المنابر في خطبة الجمعة.

تضمن هذا الاتفاق اعترافا من الدولة العثمانية بالسلطات الكردية، وهذا الأمر ليس شيئا هيناً، حيث يقدم اعترافاً واضحاً بوجود المشكلة الكردية، يقتضي حلها، حتى لو كان الحل وقتياً!!

وفي عام (١٥٥٥م) عقدت الدولتان الصفوية والعثمانية اتفاقية ثنائية عرفت بـ«أماسيا» وهي أول معاهدة رسمية بين الدولتين. وتم بموجبها تكريس تقسيم كردستان رسمياً وفق وثيقة رسمية نصت على تعيين الحدود بين الدولتين، وخاصة في مناطق شهرزور، وقارص، وبايزيد(وهي مناطق كردية صرفة).

وتبعت تلك المعاهدة، معاهدات واتفاقيات لاحقة منها: معاهدة «زهاو» أو تنظيم الحدود عام (١٦٣٩م) بين الشاه عباس والسلطان مراد الرابع، وتم التأكيد على معاهدة أماسيا بالنسبة لتعيين الحدود، وهذا زاد من تعميق المشكلة الكردية، ثم عقدت بعد ذلك معاهدات أخرى مثل «أرضروم الأولى» (١٨٢٣م) و«أرضروم الثانية» (١٨٤٧م) واتفاقية طهران (١٩١١م) واتفاقية تخطيط الحدود بين الدولتين: الإيرانية والعثمانية عام (١٩١٣م) في الأستانة، وكذلك بروتوكول الأستانة في العام نفسه.

وكرست جميع هذه المعاهدات تقسيم كردستان وشعبها بشكل مجحف، وبسبب ذلك تعقدت المشكلة الكردية يوماً بعد آخر، ولاسيما بعد بدء انتشار الأفكار القومية في الشرق، وبالأخص منذ بداية القرن التاسع عشر، حيث بدأت الدول الأوروبية تحتك بكردستان عن طريق الرحالة الأجانب والإرساليات التبشيرية، وكذلك عن طريق بعض القنصليات وأهمها البريطانية والروسية والفرنسية ثم الأميركية.

ومارست كل هذه الجهات أدوارا مهمةً في تحريض العشائر الكردية ضد الدولة العثمانية خاصةً، ثم الإيرانية، لكي يأخذوا الامتيازات، أو يزداد نفوذهم في الدولة العثمانية خاصة. وبالرغم من هذا، فإن الدولتين العثمانية والإيرانية، لم تتمكنا من بسط سيطرتهما على كردستان لأسباب عدة، منها طبوغرافية كردستان المعقدة، ودفاع الكرد عن أراضيهم ببسالة.

تدويل القضية

ويمكننا القول إن اشتداد الصراع الدولي في الشرق، وخاصة بين القوتين البريطانية والروسية أثّر بشكل سلبي في مستقبل الشعب الكردي، وأخرج المشكلة الكردية من الطابع الإقليمي إلى الطابع الدولي، كما يتضح من خلال النقاط الآتية:

الاولى: الاتصال المبكر بالكرد من قبل روسيا، ثم بريطانيا، حيث كانت الحكومة الروسية شديدة الاهتمام بأوضاع البلدان والشعوب المتاخمة لحدودها، ونظرت الحكومة البريطانية بقلق إلى المطامح الروسية خوفاً من أن يمتد الروس إلى بلاد ما بين النهرين. وكانت شركة الهند الشرقية من أهم بؤر التجسس في المنطقة، كما كانت هناك محاولات فرنسية للتغلغل في كردستان عن طريق الإرساليات التبشيرية.

ويمكن القول إن أميركا كانت موجودة في المنطقة على عكس ما كان شائعاً من تطبيقها لمبدأ «مونرو» الذي يؤكد على عدم التورط في المشاكل السياسية خارج أميركا.

الثانية: محاولات الكرد أنفسهم للتقرب من الأجانب، وخاصة البريطانيين في بداية القرن العشرين، حيث كانت جهود الدبلوماسي الكردي شريف باشا واضحة في هذا المجال، إذ حاول الاتصال بالإنجليز عام (١٩١٤) لكي يعرض خدماته، لكن الحكومة البريطانية لم تستجب له، وبحلول عام (١٩١٨) وعند احتلال

بريطانيا للعراق طلبت وزارة الخارجية البريطانية من السفير برسي كوكس أن يلتقي بشريف باشا في مدينة مرسيليا الفرنسية للاستماع إلى أقواله فقط!

الثالثة: اتفاقية سايكس بيكو عام (١٩١٦) حيث اجتمع وزراء الخارجية الروسية والبريطانية والفرنسية، ودارت بينهم مباحثات سرية حول الترتيبات المقبلة للشرق الأوسط، بعد أن أصبحت هزيمة ألمانيا وحليفتها الدولة العثمانية وشيكة، وتضمنت الاتفاقية تقسيم تركة الدولة العثمانية، وبما أن القسم الأكبر من كردستان كان تحت السيطرة العثمانية، فقد شملها التقسيم، وهذا الوضع الجديد عمق بشكل فعّال من تعقيد المشكلة الكردية، وأخرجها من الطابع الإقليمي إلى الطابع الدولي، حيث تعد معاهدة سايكس بيكو أول معاهدة دولية اشتركت فيها ثلاث دول كبرى، وحطمت الآمال الكردية في تحقيق حقهم المشروع في تقرير المصير.

ما بعد الحرب

برزت إمكانية حل المشكلة الكردية إلى الوجود لأول مرة في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ولعل سببها إيجاد منطقة عازلة بين أتراك الأناضول والأقوام التي تتكلم اللغة التركية في آسيا الوسطى والقفقاس وبصورة خاصة في أذربيجان.

وقد تحرك الكرد وبذلوا جهوداً مضنية لإيصال صوتهم إلى مؤتمر الصلح في باريس عام (١٩١٩) على أمل أن ينالوا حقوقهم المشروعة، ولاسيما بعد أن صرح رئيس الولايات المتحدة الأميركية ويدرو ويلسن بحق الشعوب في تقرير مصيرها في بنوده الأربعة عشر المشهورة، ولم يكن للكرد كيان سياسي مستقل حتى يشارك وفدهم رسمياً في ذلك المؤتمر، شأنهم شأن القوميات والشعوب المضطهدة الأخرى، ولذلك خول الشعب الكردي من خلال العشائر والجمعيات السياسية شريف باشا لتمثيلهم والمطالبة بالمطالب الكردية المشروعة.

وأصدر الحلفاء بعد استكمال تحضيراتهم للمؤتمر قراراً في شهر يناير/كانون الثاني ١٩١٩ نص على ما يأتي: «... إن الحلفاء والدول التابعة لهم قد اتفقوا على أن أرمينيا وبلاد الرافدين وكردستان وفلسطين والبلاد العربية يجب انتزاعها بكاملها من الإمبراطورية العثمانية».

وانطلاقاً من هذا القرار قدم الممثل الكردي شريف باشا مذكرتين مع خريطتين لكردستان إلى المؤتمر، إحداهما بتاريخ (١٩١٩/٣/٢١م) والأخرى يوم (١٩٢٠/٣/١). كما طلب من القائمين على شؤون المؤتمر تشكيل لجنة دولية تتولى تخطيط الحدود بموجب مبدأ القوميات، لتصبح كردستان المناطق التي تسكن فيها الغالبية الكردية، وإضافة إلى ذلك فقد جاء في المذكرة الأولى «ان تجزئة كردستان لا تخدم السلم في الشرق...».

كما جاء في المذكرة الثانية «إن الترك يتظاهرون علناً بأنهم مع المطالب الكردية، وانهم متسامحون معهم، لكن الواقع لا يدل على ذلك مطلقاً...» كما طالب شريف باشا رسمياً من رئيس المؤتمر جورج كليمنصو أن يمارس نفوذه مع حكومة الأستانة لمنع اضطهاد الشعب الكردي، وجاء في رسالته إلى رئيس المؤتمر: انه منذ أن تسلمت جماعة الاتحاد والترقي السلطة فإن جميع الذين يحملون آمال الحرية القومية قد تعرضوا للاضطهاد المستمر.. وانه من الواجب الإنساني في المجلس الأعلى أن يمنع إراقة الدماء مجدداً، وإن السبيل لضمان السلم في كردستان هو التخلي عن مشروع تقسيم هذه البلاد (أي كردستان)..

ودل كل ذلك على أن المشكلة الكردية تقدمت خطوة كبيرة إلى الأمام في أعقاب الحرب. وما تصريح كليمنصو عندما أعلن على الملأ في مؤتمر الصلح إلا إحدى العلامات حيث قال «إن الحكومة التركية ليست قادرة وكفوءة لإدارة الأمم الأخرى، لذلك لا يوثق بها ولا يجوز أن تعاد إلى سيطرة الأتراك قومية عانت من مظالم الأتراك واستبدادهم».

وعندما رأى شريف باشا أن تعاطف الدول الأوروبية كثير للقضية الأرمنية -ربما بسبب الانتماء الديني للأرمن- بادر إلى عقد اتفاقية مع ممثل الأرمن بوغوص نوبار وبحضور الرئيس المؤقت لوفد جمهورية أرمينيا أوهانجيان. ووقع الجانبان –باسم الشعبين- الاتفاقية، مؤكدين فيها على أن للكرد والأرمن مصالح وأهدافا مشتركة هي: الاستقلال، والتخلص من السيطرة العثمانية.. وقدما نص الاتفاقية بمذكرة رسمية إلى المجلس الأعلى للمؤتمر، ووافق المجلس مبدئياً على المذكرة، ووصف المندوب السياسي البريطاني في الأستانة الاتفاقية بأنها من أسعد البشائر.

معاهدة سيفر (١٩٢٠)

نجح شريف باشا في إدخال ثلاثة بنود تتعلق بالقضية الكردية في معاهدة سيفر التي أبرمها الحلفاء بباريس في أغسطس /آب ١٩٢٠، وقد كرس ذلك عملية تدويل القضية الكردية بصورة رسمية، رغم أن الدولة العثمانية حاولت مراراً أن تصف القضية الكردية بأنها قضية داخلية تستطيع الدولة حلها.

وتعد معاهدة سيفر وثيقة فريدة في تاريخ القضية الكردية، حيث نصت على تحقيق حل المشكلة الكردية بمراحل، وإذا اجتاز الكرد هذه المراحل، وطالبوا بالاستقلال، ورأت دول الحلفاء أهلية الكرد لذلك يصبح الاستقلال أمرا واقعياً، وعلى الحكومة التركية الاعتراف بذلك... ويعد هذا أول اعتراف رسمي دولي بحقوق الشعب الكردي، ولاسيما حق تقرير المصير، حيث طرحت المسألة في العرف القانوني للمعاهدات الدولية، وقد وصف كمال أتاتورك المعاهدة بأنها بمثابة حكم الإعدام على تركيا، وحاول بمختلف الوسائل وضع العراقيل لمنع تطبيق المعاهدة... ولذلك بقيت معاهدة سيفر حبراً على ورق، إلا أن هذا الورق أصبح وقوداً لنضال الحركة القومية الكردية فيما بعد.

انتهاك الوعود

ولم تر معاهدة سيفر النور، وذلك –حسب رأيي- للأسباب الآتية:

أولاً: صعود نجم «مصطفى أتاتورك» والحركة الكمالية، وتوسيع مناطق نفوذها، إضافة إلى تأسيس المجلس الوطني الكبير في أنقرة بديلاً لسلطة الأستانة.

ثانياً: خوف الدول الأوروبية، وبالأخص بريطانيا، من استغلال الشيوعيين في الاتحاد السوفياتي الصراع الكمالي-الأوروبي لصالح نفوذهم في المنطقة.

ثالثاً: ذكاء مصطفى كمال باستغلاله الصراع الدولي لإلغاء معاهدة سيفر واقبارها.

لذلك لم يمر عام ونصف على توقيع معاهدة سيفر حتى طرحت فكرة إعادة النظر فيها، وجاءت هذه المواقف من قبل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، واتخذ المجلس الأعلى للحلفاء قراراً بهذا الشأن يوم (٢٥ يناير ١٩٢١) إضافة إلى توجيه الدعوة إلى وفد حكومة أنقرة لحضور المؤتمر القادم، الأمر الذي دلّ على اعتراف الحلفاء بالواقع الجديد في تركيا.

مؤتمر لندن (١٩٢١)

عقد مؤتمر بلندن في فبراير/ شباط ١٩٢١ لبحث المشاكل العالقة، ومن ضمنها المشكلة الكردية، حيث اعتزم الحلفاء إعطاء تنازلات مهمة في هذه القضية، لكن الحكومة التركية أصرت على أن المسألة داخلية، يمكن حلها داخلياً، ولاسيما أن الكرد لهم الرغبة في العيش مع إخوانهم الأتراك حسب ما زعمت آنذاك، وأثناء انعقاد مؤتمر لندن، عقدت حكومة أنقرة عدداً من الاتفاقيات الدولية التي كرست الشرعية الدولية القانونية للنظام الجديد في تركيا... ثم قامت الحكومة الجديدة بإلغاء جميع الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمتها حكومة الأستانة ومن ضمنها معاهدة سيفر. كل ذلك أدى إلى تعزيز مكانة الحكومة التركية الجديدة.. وبذلك فشل مؤتمر لندن لتوجه ضربة

إضافية للآمال القومية الكردية.

معاهدة لوزان (١٩٢٣)

جاءت فكرة عقد معاهدة لوزان بعد الانتصارات الكبيرة التي حققتها الحكومة التركية الجديدة على الجيش اليوناني، وبذلك ظهرت تركيا كدولة فتية قوية لأول مرة بعد قرنين، وقامت الحكومة الجديدة بتحسين العلاقة مع جارها الاتحاد السوفياتي، وعقدت مباحثات المعاهدة على فترتين: استمرت الأولى نحو ثلاثة أشهر بين نهاية العام ١٩٢٢ وبداية العام ١٩٢٣، والفترة الثانية استمرت الفترة ذاتها ما بين ربيع وصيف عام ١٩٢٣.

ونصت معاهدة لوزان على أن تتعهد أنقرة بمنح معظم سكان تركيا الحماية التامة والكاملة، ومنح الحريات دون تمييز، من غير أن ترد أية إشارة للكرد فيها، كما لم تجر الإشارة إلى معاهدة سيفر، وعدّ الكرد هذه المعاهدة ضربة قاسية ضد مستقبلهم ومحطمة لآمالهم... وبذلك يتحمل الحلفاء المسؤولية الأخلاقية الكاملة تجاه الشعب الكردي ولاسيما الحكومة البريطانية التي ألحقت فيما بعد ولاية الموصل -التي يشكل الكرد فيها الأغلبية المطلقة- بالعراق.

وأدى كل ذلك إلى ازدياد المشكلة الكردية تعقيداً بعد أن أصبح الشعب الكردي موزعا عمليا وقانونيا بين أربع دول بدل دولتين، لتزداد معاناته وليبدأ فصل جديد من فصول علاقته بالدول الجديدة طغى عليها التوتر والعنف الذي لم يجد حتى اليوم حلولا عادلة، فيما بدأت الأحزاب والقوى القومية الكردية تتشكل لكي تقود النضال والكفاح من أجل حق تقرير المصير.

*أستاذ التاريخ الحديث المساعد، جامعة صلاح الدين/ أربيل

المصادر

١-طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة.
محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكردية
باسيل نيكتين، الكرد.
٢-عبد الله محمد علي، كردستان في عهد الدولة العثمانية.
٣-سعدي عثمان، كردستان والإمبراطورية العثمانية (١٥١٤-١٨٥١).
٤- نجاتى عبد الله، كردستانو كێشەى سنوورى عوسمانى-فارسى (١٦٣٩-١٨٤٧).
٥- د.إبراهيم خليل وخليل علي مراد، إيران وتوركيا.
٦- منذر الموصلي، الحياة الحزبية في كوردستان.
٧- لازاريف، المسألة الكردية (١٩١٧-١٩٢٣).
٨- محسن محمد المتولي، كرد العراق (١٩١٤-١٩٥٨).
٩- روبرت أولسن، المسألة الكردية في العلاقات التركية الإيرانية.
١٠- د.أحمد عثمان أبو بكر، كردستان في لجنة كينغ كراين.
١١- د.عبد الستار طاهر شريف، الجمعيات والمنظمات والأحزاب الكردية في نصف قرن (١٩٠٨-١٩٥٨).
١٢- د.نوري طالباني، مذكرة جنرال شريف باشا إلى مؤتمر فرنسا.
١٣- محمود درّة، القضية الكردية.
١٤- د.أحمد عثمان أبو بكر.
١٥- كاظم حيدر، الأكراد من هم وإلى أين؟

الكورد في عالم بلا جدران

صباح آرام



الفصل الاول
تساقط الجدران

ومــاذا عن الكرد في الزمن الجديد؟هذا التســاؤل برز بشكل حاد في الشــارع الكردي، بعد نشر تقرير لجنة البحث في اوضاع العراق، لجنة بيكر/هاملتون، نعم مــاذا عن الكــرد وبقية الشــعوب المضطهدة في زمن العولمة؟بعد سقوط جدار برلين السيئ الصيت، وانهيار المعسكر الاشتراكي، وبروز القطبية الاحادية، وتحول هذا العالم الكبير الى قرية صغيرة او الى عالم مســطح كما يقول توماس فريدمان، عندما يتسطح العالم وتقصر المســافات ويصبح الكل في مدى الرؤيا، يصبح التهرب من الاســتحقاقات الدولية أمرا قابلا للمســاءلة، في العقد الاخير من القــرن الماضي أصبح الشرق العتيد تحت الاضواء أكثر من أي وقت مضى، هذا الشــرق الــذي ظل عصيــا على الانفتــاح على المتغييرات، الشــرق الذي لايزال يرنو الى الماضي أكثر من التطلع الى المســتقبل، هذا الشــرق العاشق للقلاع والحصــون، والذي ينــام رجاله في أحضان أســاطير ألف ليلة وليلة، وجد نفســه فجــأة بقادته وأنظمته وشــعوبه تحت الانوار. ووجد نفســه أمام تحد كبير وخطير، ها هــو اليوم بقيمه وتقاليــده وحضاراته أمام المجهر، مجهر غير مرغوب فيه لأكثر من سبب! وغدت شــعوب المنطقــه أمام امتحان، هل تســتقبل هذه الضيافة الثقيلة؟ هــل يمكن القبول بالمتغيرات كما هي؟هل بالامكان رفضها؟أصبح الشــرق الان أمام جملة تســاؤلات، ويبــدو أن الجواب لن يكون ســهلا أبدا!وما تعيشــه النخب العربية مــن تجاذبات دليل على صعوبة اتخاذ الموقــف!ان التعامل مع عالم غير تقليدي لــم يكن من خيارات الجيــل الحالي، حيث لايوجد اســتعداد نفســي ومادي أو استعداد سياسي واجتماعي لهذا التعامل، والاستعداد الاقتصادي يكاد يكون كارثيا! ففي حــين تتهافت التكتلات الثقافية والرأســمالية في جنوب شرق آسيا والهند على احراز

قصب السبق دون تحفظات لافته، نجد في الشرق وخاصة في العالمين العربي والاسلامي، وضمن هذا الاستثناء كوردستان أيضا، التردد والتحفظ، وتتسم المواقف هنا بسمتين:

الاولى: سمة اللامبالاة والتي تظهر بوضوح في مواقف الغالبية من السياسيين والمثقفين الذين يتبارون جهلا أو عمدا في دعوات التحصن في القلاع وصيانة الاصالة، والتشبث بلحظات الحاضر وقرون الماضي التليد، وكأن كل الوافد شر مستطير وكل الماضي خير مستفيض، وبدأ البعض منهم بأشهار الايدولوجية الدينية والبعض الاخر يتحصن في خندق التقاليد والاعراف وحتى اللجوء الى السيف! وهذا الموقف ليس فيه جديد.

الثانية: موقف النخبة من المفكرين والمثقفين المنفتحين على احتمالات الحوار والاستماع، ودليل البعض منهم، حتى لو استتبع الغزو العولمي مظاهر من الاستعمار، فما جلبه الاستعمار الفرنسي لمصر أواخر القرن الثامن عشر لم يكن شرا كله. فما الضير في التعامل العقلاني مع موجة العولمة وحتى التعاطي معه، وهؤلاء لايرون في الموقف النعامي الا هروبا متخاذلا نحو الوراء، ومنطق السيف ليس الا تقليدا سلفيا غير مفيد. لان الشفافية مطلوبة الان أكثر من أي وقت آخر، فالكثيرمن المصادر أخبرتنا ان (فولتير) كان مستعدا للدفاع عن حرية التفكير، ولكن قلة منها تخبرنا بأن (فولتير) وصف الشعب يوما ما بأنهم (أغبياء وثيران)، واليوم حيث الجدران تتساقط وحيث الانظمة الشمولية في انحسار وحيث الموجة العولمية الوافدة تمد أذرعها، واذا كان ساسة الشرق وهم يمارسون اللعبة في ساحاتهم الصغيرة، نادرا ما يصيبون الهدف! كيف بهم والساحة تتسع على اللاعبين!!ما هي الخيارات المتاحة؟

وقبل الخوض في مجال الخيارات نتصفح بعض ما يقال في العولمة.

العولمة كما يراها العديد من الموالين والمناهضين:

يعرف قاموس ويبستر العولمة (بأنها عملية تجعل عدة نشاطات وتطلعات عالمية في اتساعها أو تطبيقها)(١)، وفي تعريف آخر (ان العولمة في اطارها النظري الذي يدعو الى تزايد التبادل وتحقيق الاعتماد المتبادل على مستوى الكوكب، وادارة المصالح المشتركة للبشرية ولصالح البشرية، تبدو وكأنها أصبحت ضرورة لاغنى عنها للتعامل مع كثير من قضايا حقوق الانسان، بعد أن اتسعت هذه الحقوق)(٢) (والعولمة هي أتجاه متعاظم نحو تخطي الحدود، أي التعامل دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية أو الانتماء الى وطن محدد أو دولة معينة، ودون الحاجة الى اجراءات حكومية)(٣). والعولمة أيضا (تجتمع في الاخير حول هدف واحد: رفع كل الحواجز التي تعيق حرية تنقل الرأسمال، استثماره أينما شاء، سحبه وقتما شاء، فكل ما من شأنه اعاقة حرية الرأسمال يوضع خارج القانون وينعت بغير الفعال والمعيق للاقتصاد)(٤). (تتشابك العلاقة بين حقوق الانسان والعولمة بشكل كبير، حيث تؤثر العولمة بتجلياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية تأثيرا عميقا على حقوق الانسان في كل هذه المجالات)(٥)، (ومنذ ظهور التعبير للمرة الاولى عام ١٩٦٢، تحولت كلمة العولمة من لغو الى تعبير او صيغة، وقد وصفتها مجلة الايكونوميست، بأنها أكثر تعبير أسيء استخدامه في القرن الحادي والعشرين، وبالتأكيد لم تعن كلمة في الذاكرة الحديثة كل هذه المعاني لاناس مختلفين ولم تثر كلمة أخرى هذا النصيب من العاطفة.فالبعض يراها سعادة قصوى وحالة مباركة من السلام الكوني والازدهار، بينما يراها البعض الاخر شكلا جديدا من أشكال الفوضى)(٦). ويعرف د.برهان غليون العولمة:بأنها اندماج للفضاءات الاقتصادية والثقافية والاعلامية في شبكة لها ناظم مركزي واحد ويضيف قائلا)ان المضمون الرئيس للعولمة كما نعرفها اليوم هو أن المجتمعات البشرية التي كانت تعيش كل واحدة في تاريخيتها الخاصة، وحسب تراثها الخاص

ووتيرة تطورها ونموها المستقلة نسبيا، على الرغم من ارتباطها بالتاريخ العالمي، قد أصبحت تعيش في تاريخية واحدة وليس في تاريخ واحد)[٧]. هذه هي العولمة باختصار بين الموالين والمناهضين، والعولمة في مفهومها العام اختراق للحدود وسقوط للقلاع، وهي طرق حاد على الابواب المغلقة.

في هذا العالم الصغير أو المسطح أو القرية الصغيرة كيف تسير الامور في القرى والقصبات المغلقة؟ التي غدت فجأة تحت الاضواء، حين تهاوت الجدران وانكشف الغطاء عن الخفايا، وظهرت بوادر اندماج قسري مع الاخرين، العولمة قادمة بحلوها ومرها، وكأية ظاهرة أوموجة عاتية تجلب المنافع والمزايا كما تجلب المساوئ والسلبيات، فالعولمة ليست دينا جديدا كما انها ليست أيديولوجيا عقائدية، بل هي في الجوهر (ثورة تكنولوجية هائلة مستندة الى مؤسسات اقتصادية عالمية القدرات، ينتج عنها الكم الكبير من المؤثرات الاجتماعية والسياسية والثقافية). لذا ليس من السهل تجاوزها كما أن مجابهتها تحتاج الى الكثير من الموضوعية.

حقوق الانسان وعالم المتغيرات:

(وقد اتسعت دائرة حقوق الانسان لتشمل قضايا لايمكن معالجتها في نطاق اقليمي محدود، وانما يكون ذلك على مستوى الكوكب، مثل الحق في السلام الذي أصبح يحتاج الى ترتيبات أوسع من الدول المتنازعة)[٨]. اذن ستكون حقوق الانسان المدخل الى العالم العولمي وخاصة بالنسبة للشعوب المضطهدة التي عانت من الانظمة الشمولية وحدودها المغلقة، الكثير، وهي ترى في العولمة بوابة نحو المتغيرات والكف عن مصادرة استحقاقاتها التي تعرضت الى الغبن تحت مسميات السيادة الوطنية التي لم تكن تعني في أحسن الاحوال غير المحافظة على مصالح النخبة الحاكمة، ولكن حتى هذه الشعوب اذا تجاوزت مرحلة القهر السياسي ربما كان لها مع العولمة شأن اخر، وقد لايكون هذا الشأن ارتداديا ولكنه لن يكون توافقيا كما يفكر البعض. لان مجرد ترديد النصوص والقيم رغم أهميتها وقدسيتها إذا لم تطبق لن يعني الكثير، يقول الباحث د، فؤاد زكريا "ولكن ماقيمة تأكيدنا والحاحنا على أن الانسان خليفة الله في الارض، وأن الله كرمه من دون سائر المخلوقات، اذا كان الانسان في الدولة الاسلامية يجلد علنا لمجرد ابدائه ر أيا يخالف الحاكم؟وما قيمة الاستشهاد الدائم بالنصوص الدينية التي تنطوي على معان سامية، أذا كانت أنتهاكات أهم الحقوق الانسانية في البلاد الاسلامية بالذات تشغل فصولا من تقارير المنظمات الدولية التي تتابع موضوع حقوق الانسان؟"[٩].

والان (ومع التطور المذهل في العلم واختصار عوامل المسافة والزمن وتملك الانسان لمقدرات مجاله الحيوي، قد بلغنا درجة لايمكن معها التهرب من ضرورة ادارة كل من فضاء البحار والتجارة وأنشطة الانتاج والاستهلاك لصالح الانسان وبمفاهيم تعلي من قيمة الانسان، قبل أن ندمر أنفسنا وندمر الكوكب الذي يجمعنا بعد أن انطلقت طاقات المعرفة والعلم والتكنولوجيا، وظهرت الحاجة الملحة لترشيد المعرفة والعلم والتكنولوجيا، لتكون في خدمة الانسانية كلها وفي خدمة كل الاجيال، حتى لاتنتصر التكنولوجيا على حساب الانسان والانسانية، أو لحساب جيل على حساب الاجيال الاخرى.). يقول فرنسيس فوكو ياما (خلال نصف القرن الماضي قامت الولايات المتحدة الامريكية والدول الصناعية الاخرى، بالانتقال التدريجي الى ما أصبح يعرف بـ(مجتمع المعلوماتية) أو (عصر المعلوماتية) أو مابعد العصر الصناعي، وقد أطلق الباحث –ألفن توفلر- المعني بالدراسات المستقبلية اسم (الموجة الثالثة) على هذا التحول، مؤكدا أن هذه الموجة ستكون بنفس أهمية التحولين السابقين في تاريخ البشرية من مجتمع جمع الطرائد الى مجتمع الزراعة، ثم من مجتمع الزراعة الى مجتمع الصناعة)[١١]. ان الصلة بين العولمة الوافدة والعصر

المعلوماتـــي صلة متينة جـــدا، فالتقنيـــات المتطورة هي التي قلصت المســـافات وحدت من هدريات الوقت وأضعفت من قبضة الفعاليات الســـلطوية في الحصون المنطوية، وتحولت في ظلها المنظمات السرية الى شبكات هشة، وجعلت (المتغيرات الحاصلة) ممكنة الحصول في كل بقاع هذا الكوكب. حتى أقصى المجتمعات، من مثال مجتمع (ميانمار) بأمكانه أن يثير حفيظة الروس أو الصين ودفعهما لاســـتخدام حق (الفيتو)، والمعلوماتية المعاصرة جعلـــت بإمكان الصغار والمهمشـــين الاطلاع على أسرار الكبار والتعرف على أصول اللعبة وخاصة في المضمار السياســـي، هذه هي احدى مميزات العولمة، ولن تكون المضامير الاخرى، الاجتماعية والاقتصادية والثقافيـــة، أقل تعرضا للانكشـــاف والفضول. في هذا المجال يقول (فوكو ياما) (هناك اذن مشكلة في الرسالة التـــي تحمل فكـــرة – بلاحدود- فنحن نريد كســـر القوانـــين التي نجدها غير عادلة وغـــير منصفة أولا علاقـــة لها بالظروف الحالية، أو نجدها قوانين بالية، ونســـعى الى الحصول علـــى الحد الاعلى مـــن الحرية الشخصية.لكننا أيضا بحاجة دائمة الى قوانين جديدة بأشـــكال جديدة من العلاقات ولتمكننا من الشـــعور بالارتباط مع بعضنـــا البعض في مجموعات مترابطة، وهذه القوانين تستلزم تحديد الحرية الفردية)[١٢]. في فضاء المتغييرات تتســـع مســـاحة الحريات وفي مختلف المجالات حتى يغدو المجتمع حضانة للفردية المفرطة، وهي الفردية التي تتصادم حدودها مع حدود مايعرف بالمصالـــح المجتمعية العليا، وهذا مانشـــاهده اليوم في المجتمعـــات الاكثر تطورا، ففي خـــلال البرامج الاكثر شـــعبية في الولايات المتحدة تتصدر اشكالات الحريات الفردية المفرطة قائمة اهتمامات العوائل والمشاهدين، هذه الحريات التـــي أفرزت المزيد من مظاهر التغيير، من هنـــا يبـــدو ان للتغيير صفة تراكميـــة، وتضيف تراكمية المتغـــيرات عبئا جديدا على كاهل المجتمعات الحديثة الاندماج أو الاســـتقبال وهي في الغالب ليست على استعداد لاستيعاب هكذا عبء، مما يجعل التوازن بين ما هـــو مقبول وممكن وماهو غـــير وارد للقبول يتجاوز قدراتها وبالتالي تضيق مساحة المناورة أمامها ممـــا يجعلها تنجرف مع تيار التغيير دون القدرة على صياغـــة أي قانـــون أو قوانين تكون قابلـــة للصمود. وفي المجتمـــع الكردي – كردســـتان/العراق – نموذجا، لتمتعه ببعض ملامح الاســـتقلال والخصوصية التي تجـــذرت بفعل عوامـــل تاريخيـــة واجتماعية في هذا المجتمع تجعله أكثر انفتاحا على الاخرين وما يأتون به وهو أنفتاح ليس مطلقا كما يبدو أحيانا بل يوجد في مجتمعنا الكردستاني العديد من العوائق التي تمثل اشكاليات نحاول التعرض لها، ونحاول في دراستنا هذه استكشـــاف قدرات هذا المجتمع علـــى التعايش في هذا العالم الصغير والمتغير دوما.

الفصل الثاني
نحن نعيش الحداثة دوما

يقـــول (كريـــن برينتون)(عاش النـــاس دائما في عصـــور حديثة، ولكنهم لم يتأثـــروا بهذا الواقع أبدا على نحـــو ما هو حـــادث الان)[١]. كل لحظة هي (آن) الانســـان، هي حداثة نســـبوية، الذين عاشـــوا عصر هارون الرشـــيد، عاشـــوا متغيرات الســـلطة البرمكية، وهـــم في زمنهم ذاك عايشـــوا أمورا حديثة، وشـــؤونا أحدث من التي عاشـــها وعايشـــها أناس عصر الخليفة (الهادي)أوالخليفـــة (أبـــي جعفر المنصـــور)، والآنية المســـجلة للفرد في عصره تعني معاصرة تفاصيل تلك اللحظات، من سياسة واجتماع وفن وأدب، فالفرد الذي أدرك حداثات عصر الرشـــيد، شـــاهد من المتغيرات ما لم يشـــاهدها الفرد الذي عاصر الحجاج، ونحن اليوم نعيـــش العديد من المحدثات غيرالتي عاشـــها الكرد في الحقبـــة المعاصرة لحكم امارة آل بابان، والســـؤال هو: كيـــف يتأثر الفرد بالواقع المعاش؟ وهل هناك فرق في هذا التأثير من حقبة لاخرى؟

هناك فرق في التأثير والتأثر بالمتغيرات من عصر

الى آخـر، وهذا التأثير والتأثر مشـدود بشـكل كبير بأدوات العصر وآلياته، فبعـد النتائج الباهرة للثورة الصناعيـة في القرن الثامن عشـر، تركـت التقنيات المتطورة الناجمة عن الثـورة التكنولوجية المعاصرة العالـم أسـير شـبكة معقدة مـن وسـائل الارتباط والمواصلات، فمـن خلال الصوت والصـورة ازدحمت يوميـات الانسـان العـادي بشـكل مثـير، فالكوارث الطبيعيـة التي كانت تحـدث في كل العصور والقرون وفي مناطـق متفرقة من العالم، ظلت آثارها محدودة ضمن مناطق الحـدث فقط! ولكن معاصرا وفي كارثة (تسـونامي) ظلت الغالبية العظمى من سـكان العالم مشـدودة بحيثيات الحدث الكبـير، وبينما كان تأثير تغيير الانظمة السياسـية للبلدان في القرون السـابقة كان محـدودا بالحدود السياسـية لتلـك البلدان، لولا جحافل جيوش نابليون في نهاية القرن الثامن عشـر التي غزت مصر لتأخر خبر أحداث الثورة الفرنسـية العظمى عن الشـرق لعقود عديـدة، أما اليوم فيتابع الانسـان العادي أخبار الانتخابات الامريكية بشـغف ملحوظ، اذن التأثر بالواقع المعاش اليوم يتوجه عالميا، فها هو الانسان العراقي والسوري، يتابع أخبار أنفلونزا الطيور في أندنوسـيا، بل يؤثر هذا الحدث حتى على سلوكياته المعتادة يوميا!

واليوم مع هذه النقلة التي يسـميها (ألفن توفلر) بـ(الموجة الثالثة) (والتـي تتألف عناصرها المترابطة مـع بعضها.ففي الاقتصاد، احتلت الخدمات وبشـكل متزايد، مـكان التصنيـع كمصدر للثـروة، فالعامل التقليدي في مجتمع المعلوماتية صار يعمل في المصرف، أو في شـركة حاسـبات، أومطعم أوجامعة، أو في وكالة للخدمات الاجتماعية، بدل العمل في مصنع للسـيارات أومعمل للحديد، لقد تعاظـم دور المعلومات والبراعة الذكيـة، التي يمتلكها الاشـخاص والمكائـن المتقدمة باطـراد، واحتل الجهد الفكري مـكان الجهد البدني، وأصبـح الانتـاج معولما بعـد أن فتحـت تكنولوجيا المعلومات الرخيصة طرق انتقال المعلومات عبر الحدود القومية، بينما ألغت طرق الاتصال السـريعة بواسطة التلفزيـون والراديـو والفاكس والبريـد الالكتروني، الحدود التي كانت قائمة لحقب طويلة أمام مجتمعات حضارية عدة)[٢]. اليـوم وتحت تأثير الكم الهائل من وسـائل الاتصـالات المعاصرة يبرز هذا السـؤال: كيف تتشـكل ذهنية الانسـان المعاصر؟ حتما ليس الانسان نسـيج المكونات الداخلية فقـط، دوما كانت المؤثرات الخارجية هي الاكثر قدرة في تفعيل ذهنية الانسـان وديناميكيتـه، ومـا تتضمنـه البيئـة المعاصرة من مؤثرات هي الاكثر تغـيرا في القرن وهي الاكبر تأثيرا مما كان سـائدا منذ قرون حتى غدا الانسان المعاصر واقعا تحت هذا الكم الهائـل من المؤثرات ضمن بيئة خارجية هي الاكثر امتدادا منذ قرون، بعد المعايشـة الانسانية في (جوف كهف) والمغادرة الى الاودية والسهول ومن ثم مواكبة حياة شـبه اجتماعية في أولى القرى الزراعية، الى هذا الحد كانت البيئة الخارجية للانسان محصورة بدوائر صغيرة من المؤثرات وبعدد قليل من عناصر الاحتكاك، وقد امتد عمر هذه المرحلة لملايين الاعـوام ظلت خلالها فقاعات التأثير والتأثر الخارجي لاتتجـاوز أصابع اليدين! لقـد كان الانجاز الحضاري للانسـان في هذه المرحلة الطويلة مشتملا على ادوات الزراعة والحصاد البدائيتين وأسـلحة الدفاع الذاتية والاوانـي الفخاريـة والعجلات الدائريـة، وهو انجاز حازته حضـارة وادي الرافدين ووادي النيل وحوض النهر الاصفـر والبنجاب وحتى وديـان الامريكيتين الخصبـة توصلـت الى الانجـازات نفسـها. وفي عصر المدن التـي كانت الابكر في وديـان وضفاف الانهار في القـارة القديمة تكثفت عوامل الاحتـكاك وزاد معها عمق التأثير الخـارج وبدأ الصراع العتيد حول اقتناء المزيـد من الارض، وهـو صراع بدأ أصـلا مع تزايد حاجة الانسـان الى الرفاهية الغذائيـة بل الصراع في بعض البقع القليلة الانتاج حتى الاستماتة وهذا مابدا جليـا في عصر دويـلات المـدن في وادي الرافدين وفي عصر السلالات في وادي النيل وفي وديان أوروبا دخلت

الموجـات البربرية وزحوف الغوط والسكسـون دائرة المزيـد من الاحتـكاكات، ومعها فقد الانسـان عنصر الامان عندما كان امتـداد البيئة الخارجية محدودا، وفي مسـاحات التغيير الواسعة المدى هذه، كان الانسان يعيـش حداثات طويلة الاجل نسـبيا، وفي رحم هذا الزمن القياسـي طولا ورغم افتقاد الانسـان لعناصر الامان وخاصـة في النهايات الحادة لازمنة التغيير فان محـددات التأثر بالواقع لم تصل الى ماهو عليه الحال منـذ زمن الثـورة الصناعية الكبرى، أفـرزت الثورة الصناعية المزيد من الادوات لمظاهر حركة الرينسانس للوصول الى مديات بعيـدة، وضربت جدران الانظمة المغلقة بعنف، الانظمة السـلطانية التي وجدت الامان على بنياتها التي اكسبتها القدسية في قلاعها وحصونها، وحاولت النوم على وسـادة الثوابت الازلية، مستفيدة من الايدولوجيات الدينية، كمـا فعلت أنظمة القلاع في دويلات المدن الاوربية طيلة العصور الوسطى، هذا الامان المزيف لم يلبث أن تهاوت أسسـه، فالشرق الذي ظل شـرقا أصيلا، سـرعان ما ولجه فرسان نابليون ومعهـم كل معالـم الثورتين الصناعية والفرنسـية السياسـية، واهتز سلاطين الشـرق الذين حلموا بعد نهايـة الحـروب الصليبية باسـترداد العافيـة، ولكن الامتدادات الحاصلة هذه المرة لم تكن نتاج أيدولوجيات دينية بل نتاج ثورة علمية بعيدة الاثر، هذه المرة لن يظل الشرق شرقا أبدا، ولا الغرب محصنا، لأن افرازات الثورة الصناعية كانت الاقوى ومن أقواها الانبهار الذي طبع قلوب النخبة الواعية في الشـرق بأممه المتعددة التي انفلتت من حظيرة السـلطان المغلقة والخاوية في الوقت نفسه، الى عالم أوسع مدى، عالم بعيد الغور بدأ الاوربيون ينقبون فيه ولكنهم حائرون في تعقيداته، لذا قد يكون من المصلحة استدعاء الاخرين للمساهمة، خاصـة بعـد الانفجار الكبـير في عالـم التكنولوجيا اللامتناه، وهـو العصر الذي يطلق عليـه كما نوهنا (الفن توفلر) المعني بالدراسـات المسقبلية اسم(الموجة الثالثة)ومؤكدا أن هذه الموجة سـتكون بنفس أهمية التحولـين السـابقين في تاريخ البشـرية من مجتمع الطرائد الى مجتمـع الزراعة، ثم من مجتمع الزراعة الى مجتمـع الصناعـة)[٣]. في هذا العالـم الحديث كل الجدة، تتسارع وتائر الحداثة بشكل مثير، حتى يصح القول (نحن نعيش الحداثة يوميا!)

هل ستقلص هذه الحداثة دور الدولة؟

منذ نشوء سـلطة دويلات المدن، بدأ الصراع بين المتسـلطين وأدواتهم وبين الشرائح التي تمارس عليها السـلطة، حيث بدأت وتيرة (الاسـتحواذ السـلطوي) بالتصاعد، وكانت الارض والثروات هي المواد الرئيسة لهذه الرغبة الاسـتحواذية، وتحولت الدويلات نتيجة هذه الاسـتحواذية الى دول ومـن ثم الى امبراطوريات تضم الممتلكات الزراعية أو ما يمكن تسميتها بممالك الاقطاع، ومنحت الثورة الصناعية سـادة الاسـتحواذ المزيد من أدوات السـيطرة والتوسـع، وهذا ما يمكن أن نسـميه (الاستعمار) بنوعيه القديم والحديث.لكن الموجـة الثالثة تأتي بأدوات مغايرة تماما، وهي أدوات ليسـت محصورة بيد الاسـتحواذيين هـذه المرة، بل أصبحت في متناول الجميع، وهي أدوات سهلة الاستعمال ومن خلالها بامكان الانسـان تجاوز الحدود السياسية وعبور القارات دون الاسـتئذان من السـلطة وأدواتها، فمـن خلال القنـوات الفضائية التـي تغطي مختلف جوانب الحياة وشبكات الانترنيت التي فتحت الابواب والنوافذ بشـكل تحطم معها جميع الحصون والقلاع! فهاهم المهندسـون الهنود يقتحمون قلاع التكنولوجيا الامريكيـة، يقول تومـاس فريدمـان (أثناء تصوير البرنامج الوثائقي حول التلزيـم الى الخارج، أمضيت أنا والطاقم التلفزيوني ليلة في مركز الاتصال الهندي "كستمر٧/٢٤" في بنغالور. ومركز الاتصالات مزيج بين زملاء في بيت لاحدى أخويات الكليات ومصرف هاتفي يجمـع مالا لمحطة التلفزيون العامـة المحلية. وهناك عدة طوابق ذات غرف مليئة بشـبان في العشرينيات مـن العمر -مجموعهم نحو ٢٥٠٠- يشـغلون الهواتف.

يسمى بعضهم المشغلين "الخارجيين "وهم يبيعون كل شيء من بطاقات الائتمان الى دقائق المخابرة، ويتعامل الاخرون مع الاتصالات الداخلية، كل شيء من متابعة الامتعة المفقودة للمسافرين الجويين الامريكيين والاوربيين الى حل مشكلات الحاسوب للمستهلكين الامريكيين المشوشين، وتحول الاتصالات هنا عبر الاقمار الاصطناعية وأسلاك الالياف الضوئية تحت البحر.ويشمل كل طابق من الطوابق الواسعة لاي مركز اتصال مجموعات من المقصورات.ويعمل الشبان في فرق صغيرة تحت شعار الشركة التي يقدمون دعمها الهاتفي.لذلك قد تكون احدى الزوايا مجموعة دل، وقد ترفع أخرى علم ميكروسوفت.وتبدو شروط عملهم كتلك التي في شركة التأمين المتوسطة الخاصة بك.وعلى الرغم من أنني متأكد بأن هناك مراكز اتصال تعمل مثل المعامل الاستغلالية، فان" ٧/٢٤" ليس احداها)(٤)لتوماس فريدمان في كتابه (العالم مسطح)نظرية جديرة بالحسبان، حول العوامل التي ساعدت على تقليص المسافات وتصغير العالم المعاصر، تحت عنوان (القوى العشرة التي سطحت العالم).

العامل الاول:عندما تهدمت جدر وارتفعت نوافذ. يورد فريدمان مايلي: "حدث ذلك في كانون الاول /ديسمبر ١٩٩٠، وكنت مسافرا الى برلين مع المراسلين الذين يغطون زيارة وزير الخارجية جيمس أ.بيكرالثالث، وكان جدار برلين قد خرق في السنة السابقة، في ٩ تشرين الثانى /نوفمبر ١٩٨٩.نعم، في مصادفة سحرية رائعة للتواريخ، سقط جدار برلين في ٩/١١ (يقارن فريدمان هنا مع ٩/١١، تاريخ الهجمات على نيويورك وواشنطن –المترجم) وكان الجدار، حتى في حالته المهدمة والمنخورة، لايزال يشكل ندبة قبيحة عبر برلين.كان الوزير بيكر يقوم بزيارته الاولى لرؤية هذا النصب المنهار للشيوعية السوفياتية، وكنت أقف بجانبه مع مجموعة صغيرة من المراسلين. كان يوما غائما وضبابيا، كما يذكر في مذكراته "سياسة الدبلوماسية " وشعرت وأنا أرتدي معطفي الواقي من المطروء، أنني كشخصية في رواية لجون لوكاريه.لكن حين نظرت عبر شق في الحائط "قرب الرايخستاغ"ورأيت الكآبة الواضحة العالية التي تميز برلين الشرقية، أدركت أن الرجال والنساء العاديين في أمانيا، تولوا زمام الامور بأيديهم بسلام وباصرار. كانت هذه ثورتهم." لتقدير تأثيرات التسطح البعيد الاثر لسقوط جدار برلين، يضيف، فريدمان قائلا: من الافضل أن تتكلم مع غير الالمان أوغير الروس. كان تارون داس يترأس اتحاد الصناعة الهندية عندما سقط جدار برلين، وشعر بتأثير تموجاته وصولا الى الهند."كانت لدينا تلك المجموعة الكبيرة الضخمة من الضوابط والزواجر والبيروقراطية "قال متذكرا "لقد وصل نهرو الى السلطة -بعد نهاية الحكم الاستعماري- وكانت لديه بلاد ضخمة عليه أن يديرها، ولم يملك خبرة في ادارة أي بلد.وكانت الولايات المتحدة مشغولة بأوروبا واليابان ومشروع مارشال. لذلك نظر نهرو شمالا، عبر جبال همالايا، وأرسل فريقا من الاقتصاديين الى موسكو. رجعوا وقالوا: ان ذلك البلد مدهش، هم يوزعون الموارد، ويمنحون الرخص، وهناك لجنة تخطيط تقرر كل شيء، والبلاد تتحرك.لذلك أخذنا ذلك النموذج ونسينا أن لدينا قطاعا خاصا..لقد وضع ذلك القطاع الخاص تحت هذا الجدار من التنظيم. وبحلول العام ١٩٩١، كان القطاع الخاص قائما، لكن تحت أغلفة، وكان هناك انعدام ثقة في قطاع الاعمال، لقد حققوا الارباح!كانت البنية التحتية بأكملها من العام ١٩٤٧\١٩٩١ حكومية.. وكاد عبء ملكية الدولة يفلس البلاد. لم نكن قادرين على تسديد ديوننا، وكشعب، لم يكن لدينا ثقة بالنفس.صحيح أننا ربما ربحنا حربين مع باكستان، لكن ذلك لم يمنح الامة الثقة. وفي العام ١٩٩١ مع استنفاد الهند العملة الصعبة، قرر منموهان سينغ، وزير المالية في ذلك الوقت، أن على الهند أن تفتح اقتصادها، ويقول داس "لقد سقط جدار برلين القائم عندنا.وذلك شبيه بأطلاق العنان لنمر محبوس"(٥).

العامــل الثاني:عندمــا أصبح نتســكيب للعامة: مع حلول منتصف التسـعينيات، وصلت ثورة شــبكة الحاسـوب الشـخصي -ويندوز الى حدودها. فاذا كان العالم سـيصبح مترابطا حقا، ويبدأ بالتسطح، يجب أن تنتقــل الثورة الى المرحلة التاليــة وهي كما يذكر مونــدي من ميكروســوفت "تتمثــل في الانتقال من منصة الحوســبة القائمة على الحاسـوب الشخصي الى منصة قائمة على الانترنيت "لكن التطبيقات الرائعة التي قادت هذه المرحلة الجديدة هي تصفح الانترنيت والبريــد الالكترونــي.وكان هــذا منطلقــا لبرنامــج تصفح الوب وهنا حققت شــركة صغيرة وهي شركة "نتســكيب"نجاحا خياليا بطرحهــا لبرنامج التصفح الســائد حاليا والذي جعل ثقافــة التصفح في متناول عامة الناس.

العامــل الثالث: برمجيات تدفــق العمل: "عندما انهارت الجدر ومكن الحاسـوب الشـخصي، وويندوز، ومتصفح نتسكيب الناس من الارتباط بالاخرين كما لــم يحصل من قبــل، لم تمض فــترة طويلة قبل أن يطلب كل هؤلاء الناس الذين كانوا يتصلون بالشــبكة أكثــر مــن مجــرد التصفح وارســال رســائل البريد الالكتروني، والرسائل الفورية والصور، والموسيقا على منصــة الانترنيت هذه، لقد أرادوا تشــكيل الاشــياء، وتصميمها، وانشائها، والبيع والشراء، ومتابعة الجرد، وحساب الضرائب لشــخص آخر، وقراءة صور الاشعة لشــخص آخر من المقلب الاخر للعالم.وهم يريدون أن يكونوا قادرين على عمل أي من هذه الاشــياء من أي مكان والى أي مكان ومن أي حاســوب والى أي حاسوب، من دون انقطاع". "وباختصار كان لابد أن ننتقل من أنترنيت تصل فقط الاشخاص بالاشخاص، والاشخاص بتطبيقاتهــم الخاصــة، الى أنترنيت يمكن أن تصل أيا من برمجياتى بأي من برمجياتك، عندها فقط يمكن أن نعمل معا"[٦].

العامل الرابع: فتح المصــادر، مجموعات التنظيم الذاتــي التعاونيــة: "أن المصــادر المفتوحــة عامــل تســطيح مهم لانها توفر مجانا العديــد من الادوات، من البرمجيات الى الموسوعات، التي كان ملايين الناس حول العالم سيضطرون لشرائها لكي يستعملوها، ولأن جمعية شــبكة المصادر المفتوحــة ومقاربتها القائمة على العمل على أي شــيء -يمكــن أن تتحدى الهياكل الهرمية بنموذج أفقي من الابداع يعمل بشكل واضح في عدد متزايد من المجالات.وقد ساعد كل من اباتشي ولينوكس على تخفيض تكلفة اســتعمال الحواســيب والانترنيــت بطرق تعمق التســطح. لــن ترحل هذه الحركة بل أنها قد تكون في بداياتها فحسب -مع شهية ضخمــة متزايــدة يمكن أن تنطبق علــى العديد من القطاعات"[٧].

العامــل الخامس:تلزيم الاعمال الى الخارج: أنشــأ (جواهــر لال نهرو) رئيــس وزراء الهنــد الاول، أول المعاهــد التكنولوجيــا الهنديــة الســبعة (آي آي تي) في مدينة كاراغبور الشــرقية، وهو ما منحه ســمعة طيبة دائمة، وفي الســنوات الخمسين منذ ذلك الحين تنافــس مئات الالاف من الهنود على الدخول ومن ثم التخرج من هذه المعاهد. يقول فريدمان "كانت معاهد التكنولوجيا الهندية، في أغلب سنواتها الخمسين الاولى، احــدى أعظم المقايضــات التي نالتها أمريــكا، كما أن شخصا ما ركب خزان عقول يملأ في نيو دلهي ويفرغ في بالــو ألتو"[٨]. وبفضل الامكانيــات العقلية والفنية الهنديــة وبعد ظهور (كبل الاليــاف الضوئية) أصبح في متناول الادمغة الهندية أن تســاهم بالعمل وهي في الهند، "بدأت ثورة تكنلوجيا المعلومات الهندية (تلزيم الاعمال) بمجــيء جنرال ألكتريك، أننــا نتحدث عن أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات في ذلك الوقت، كانت تكساس أنسترومنتس تنجز بعض أعمال تصميم الرقاقــات في الهند، وكان بعض مصميهم الرئيســين في أمريــكا هنودا، وقد أتاحوا لهــم العودة الى بلادهم والعمل من هناك"[٩]، يقول "فيفك بول:ازدهر التلزيم من أمريكا الى الهند، كشكل جديد من أشكال التعاون. فمبجــرد مد خط ألياف ضوئيــة من محطة عمل في

بنغالور الى الحاسوب الكبير في شركتي، يمكن لشركات تكنولوجيا المعلومات الهندية مثل ويبرو وانفوسيس، وتاتا كونسلتينغ سيرفيسز أن تدير تطبيقات حاسوبي الكبير وتجارتي الالكترونية"(١٠).

العامل السادس: نقل الاعمال: يقول فريدمان "ان نقـل الاعمـال، الرائج منذ عدة عقـود، مختلف عن تلزيـم الاعمال، فالتلزيم يعنـي أخذ وظيفة معينة، لكن محدودة، كانت شـركتك تؤديهـا بداخلها -مثل البحث، أو مركز الاتصال، أو الحسابات الدائنة- وجعل شـركة اخرى تؤدي تلك الوظيفة نفسـها تماما عنك وبعد ذلك تعيد دمج عملها في عمليتك العامة.أما نقل الاعمال فهو حين تأخذ شركة أحد مصانعها العاملة في كانتون بولاية أوهايو وتنقل المصنع بأكمله الى كانتون في الصين هناك ينتج الشـيء نفسـه تماما بالطريقة نفسـها تماما، وانما بعمالة أرخـص، وبضرائب أدنى وطاقة مدعومة، وتكاليف رعاية صحية أدنى، ومثلما نقلت مشـكلة العـام ٢٠٠٠ الهند والعالم الى مسـتوى جديد كليا من التلزيم، نقل انضمام الصين الى منظمة التجارة العالمية بيجنغ والعالم الى مسـتوى جديد كليا من نقـل الاعمال -حيث أخذت مزيد من الشـركات تنقل الانتاج الى الخارج وبعد ذلك تدمجه مع سلاسل التوريد العالمية التابعة لها"(١١).

العامل السـابع: سلاسـل التوريد: يقول فريدمان "لم يسـبق لي أن رأيـت كيف تبدو سلسـلة التوريد حتى زرت مقر وال مارت في بنتونفيل، أركنساو، وقد أخذني مضيفـي في وال مارت الى مركز التوزيع الذي تبلغ مساحته ١,٢ مليون قدم مربعة، حيث ارتقينا الى مقعـد مرتفع وراقبنا العرض، في أحد جوانب المبنى، كانـت أعداد كبيرة من الشـاحنات، المقطورة البيضاء التابعة لـوال مارت تقوم بتسـليم صناديق البضاعة القادمـة من الاف الموردين المختلفين، وكانت صناديق كبيرة وصغيرة توضع على سـير ناقل كبير، كما تصب الجـداول في نهر هادر، أربع وعشـرين سـاعة يوميا، سـبعة أيام في الاسبوع،.... هناك سيرفع مستهلك أحد هذه المنتجات عن الرف، وسـيمرره مسؤول الصندوق أمام الماسـحة الضوئية، فتولد اشـارة في تلك اللحظة تماما.وسـتخرج تلك الاشارة عبر شبكة وال مارت الى مورد ذلك المنتج- سـواء أكان مصنع المورد في سـاحل الصين أوسـاحل ماين"، "ثمة شـركة واحدة هيوليد بـاكارد، تبيع أربعمئـة ألف حاسـوب في متاجر وال مارت الاربعة الاف المنتشـرة في جميع أنحاء العالم في يوم واحد"(١٢). ان سلاسـل التوريد في النهاية تصب في صالح المسـتهلك لانها تسـلمه كل أنواع السلع بأسعار متناقصة.

العامـل الثامن: جلـب المصادر:في اعلان لشـركة "يـو بي اس" جاء مايأتي "لقـد أصبح عالمك متزامنا " يقـول فريدمـان: "فكر فيما يأتـي: أذا كنت تملك حاسـوبا محمولا من توشـيبا لاتزال كفالته صالحة وتعطل واتصلت بتوشـيبا لاصلاحه، سـتطلب منك توشـيبا أن توصله الى مخزن لـ «يو بي اس»، ليشحن الى توشـيبا، وسـوف يصلح ويعاد شـحنه اليك.لكن ألأيك مالايقولونه لك: لاتتسـلم يو بي اس حاسـوب توشـيبا المحمول وتسـلمه فقط، بل أن يـو بي اس، تصلح الحاسـوب في ورشة بادارة يو بي اس، مخصصة لاعمال تصليح الحواسـيب في محورهـا في ليوزفيل". لقد طلبت توشيبا من يو بي اس أن تقوم هي بأعمال التصليح بعد أن سـاءت سمعة توشيبا في هذا المجال "، وهكذا أصبح بامكان الشـركات العملاقة أن تحل محل الشـركات المصنعة وبكفاءة تطمئن لها حتى الشركات الام.

العامل التاسع: جلب المعلومات: البحث عن مواقع الوب بواسطة غوغل وياهو وأم اس أن: يقول المؤسس المشـارك لغوغل الروسي المولد "سيرغي برن": اذا كان يوجد لدى شخص نطاق عريض أو اتصال بالانترنيت عبر الهاتف، أو عبر أحد مقاهي الانترنيت، سـواء كان شـابا من كمبوديا أو أسـتاذ جامعة، أم أنا الذي أدير محرك البحث هذا، تكون لدى الجميع فرصة الوصول الاساسـي نفسها الى معلومات البحث كأي شخص آخر.

انه معـادل كلي، يختلف ذلك تمامـا عن الزمن الذي كـبرت فيه، كانت أفضل فـرص وصولي الى المعلومات مكتبـة ما، ولم تكن لدي كل تلك المواد الكثيرة، وكان لابـد أن تتمنى حـدوث معجزة أو تبحث عن شـيء بسيط جدا أو شيء حديث جدا، وأضاف برن، عندما جـاء غوغل، فجـأة أصبحت لدى ذلك الشـاب فرصة وصول شاملة الى المعلومات في المكتبات العامة في جميع أنحاء العالم(١٤).

العامل العاشر: المنشطات: رقمية ومحمولة وشخصية وافتراضية: "أنني على متن القطار السريع الذي ينتقل من المنطقة الجنوبية الغربية من طوكيو الى ميشـيما، المنظر مدهش: قرى صيد السـمك على يساري وجبل فوجي على يميني، زميلـى جيم بروك، مدير مكتب نيويـورك تايمز في طوكيو، يجلس عند الممر ولايبدي أهتماما بالمنظر، أنه منكب على حاسـوبه، وكذلك أنا، لكنـه متصـل بالانترنيت بوصلة لاسـلكية، وأنا فقط أكتب على عمود على حاسـوبي المحمـول غير المتصل بالانترنيت"، "أنني معجب بالدرجة المدهشـة لانتشار اللاسـلكي والاتصال مـن خلال ياهـوو في اليابان"(١٥).

"كانـت فيورينـا تعنـي بكلمـة" رقمي "أنـه بفضل ثورات الحاسوب الشـخصي -ويندوز- نتسكيب- تدفق العمل، أخذ كل المضمون والعمليات القياسـية -كل شئ مـن التصوير الفوتوغرافي الى التسـلية الى الاتصال الى معالجـة النصوص الى التصميم المعماري الى ادارة نظام رش العشـب في بيتي- يتحـول الى "رقمي لذلك يمكن أن يشـكل ويعالج ويرسل عبر الحواسيب أو الانترنيت، أو الاقمار الصناعية، أو أسلاك الالياف الضوئية.وعنت بكلمة" أفتراضي "أن عملية تشكيل هذا المضمون الرقمي ومعالجته، وأرسـاله يمكن أن تعمل بسرعة عالية جدا وبسـهولة كلية،.... وعنت بكلمة" محمول "أنه بفضل تكنلوجيا اللاسلكي، يمكن القيام بكل ذلك من أي مكان، من قبل أي شـخص، وعبر أداة، ويمكن أن يؤخذ الى أي مكان، وعنت بكلمة"شـخصي"أنه يمكنك أنت أن تقوم بذلك، ومن أجلك فقط، وعلى جهازك الخاص"(١٦).

كيـف سـيبدو العالم المسـطح حـين تأخذ هذه الاشـكال الجديدة للتعاون وتعززهـا بهذه الطريقة؟ يتسـاءل فريدمان! ونتساءل نحن هل سيبقى للدولة نفس الدور الريادي الـذي ظلت تلعبه لقرون؟ "فقد أصبح واضحا أن المفهوم التقليدي لسـيادة الدولة بدأ يتعـرض الى نقض وتقويض... كمـا ويظهر جليا أن المجال المحلي الـذي أرتبط ببروز الدولة القومية قبل مـا يقارب الثلاثة قرون بدأ يتأثر كثيرا بفعل عوامل متعددة و منها:

بروز قوى أقليمية ودولية خلال عقد التسعينات من القرن الحالي أصبحت تنافس الدولة، سـواء كانت المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية بمختلف مجالاتها وأختصاصاتها أو المؤسسـات المالية والتجارية والاقتصادية الاقليمية والعالمية وفي مقدمتها الشركات العابرة للحـدود أو منظمة التجارة العالمية الى جانب صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، أو بفعل التطور الهائل الذي حصل في وسائل الاعلام وتقنية المعلومات. هـذا يعنـي أن الدولة لم تزل اللاعـب الوحيد الذي يلعب دورا في العلاقات الدولية، كما لم تعد مسـؤولة مسـؤولية كاملة عـن مواطنيها وأمنهـا واقتصادها ومصيرها، بـل أصبحت القوى المشـار اليهـا كمراكز جديدة تنافس الدولة"(١٧).

والان وقـد زادت أحتمالات التسـطح وتتشـابك خيـوط الاتصـال! هل سـتبقى الدولة ومؤسسـاتها محصنـة أو غير قابلة للأختراق؟ كل المؤشـرات تدل على أن الكثير من مؤسسـات المجتمع المدني والشركات التجاريـة صاربأمكانها أخـتراق الحـدود الجغرافية والسياسـية دون الترخيص من المؤسسـات الرسـمية للدولة! فـأذا كان التبادل المعلوماتي السياسـي وغير السياسـي والتجـاري وغير التجـاري وكل المعلوماتية الاخـرى الثقافيـة والاجتماعية غـدت خارجة عن الضوابـط الرسـمية، أصبحـت الـدول والمؤسسـات الرسمية لاحول لها في هذا المجال، كما لاتوجد حوائل متاحـة حتى الان لمنع التواصل عبر هذه القنوات، بل

ستقدم التكنلوجيا الحديثة المزيد من أدوات التواصل والتشابك، وهذا الجهد المبذول من قبل الحضارات التي لهـا اليد العليا اليوم في العالم سيستمر مادام الهدف يفضي في النهاية الى فتح الاسـواق وتحطيم الحواجز عـن البلدان التي تحوي الكثير مـن المواد الاولية، لأن المرحلتين السـابقتين من الاسـتعمار ولتا ولن تقبل الشـعوب بصيغ الخضوع المباشـر لأية قـوة أجنبية، ولا نريـد هنا أختزال هـذه المنجـزات الحضارية في بوتقة السيطرة والتسلط، وقد يكون هذا تجاوزا على منجـزات الكثيرين مـن أصحاب الفكـر والقيم، ولأن الكثير من هـذه المنجزات الحضارية غدت ودون جهد كبير في متناول الكثير من شـرائح المجتمع وفي العديد من مناطق العالم.ولكـن الصراع لم ينته ولن ينتهي رغم طروحات (نهاية التاريخ) لفوكوياما والاخرين، ولكـن الكل سيسـعى للاسـتفادة من هـذه المنجزات كل علـى طريقته، فالمنشـطات الرقمية والافتراضية والمحمول والانترنيت وأدوات التواصل الأخرى تحتوي المزيد من النفع لمن هو أحسـن أطلاعـا على مزاياه، وقـد تضر كثيرا بالذيـن يسـيئون التعامل مع هذه التقنيات البالغة الفائدة والبالغة الضرر كما هو الحال في المجتمعـات المتخلفة التي لها من التعليم القليل من النصيب والكثير من المحرومية!وقد يزيد هذا التطور الحسـاس في هذه المرحلة من حجم مشـكلات الشرق الاوسـط وفي المحتوى منه المجتمع الكردسـتاني الذي يعانـي العديد من عوامل التخلـف تماما كالمجتمعات الشـرقية الاخرى التي تتعامل مع كل جديد بمزيد مـن الحـذر ومزيـد مـن الشـكوك.وافرازات أدوات وتقنيات التطور والتقدم هذه لن تقتصر على جانب بعينه، بل سـتتجاوزه الى العديد مـن جوانب الحياة نفسـها نحن اليوم نعاني من سوء استخدام (الخلوي) ومواقـع الانترنيت، وقد ندفـع الكثير من التضحيات لحـين التوصل الى أفضـل طرق الاسـتفادة من هذه المتغيرات، وسيحتاج الشـرق عموما والكرد تخصيصا الى المزيد من الوقت لاستيعاب النتائج الايجابية لمنافع الاقتبـاس الصحيح من جهة ومن السـعي الواعي مع المنظمـات الدوليةلتعميم الافادة من ايجابيات العولمة أو كيفيـة تحويل مسـار هـذا التيار العالمي بشـكل يصب في مصلحة الشـعوب النامية أيضا ، والاهم كيف سيقلب التعامل مع أدوات الثورة العالمية هذه المعادلات اليومية في الحيوات الاجتماعية والسياسية والثقافية؟ من سـيتصدى للتغيير ولماذا؟ ومن سيتعامل مع هذه المتغـيرات بمرونة العالم بجدوى الوافد الجديد؟ ومن يمتلك التأثير على مناشئ العولمة من المنظمات الدولية الفاعلة لغرض الخروج من محيط الاحتكارات الضارة بمصلحة الشعوب واذا كانت هذه الثورة العالمية أفرزت تصدعا عظيمـا في أصل البدان المنشـأ، فكيف ياترى سـيكون الموقف في البلدان الناميـة التي تعاني أصلا من افرازات المراحل السـابقة دون أن تتدارك الحلول الناجعة؟

الفصل الثالث
السلفيات وإمكانيات الاندماج

فالسـلفيات هنـا متعـددة الخلفيـات والمقاصد، واطلاق السـلفية هنـا ليس بقصـد التقليل من كل ما مضى عليه قرون أو عقود من الزمن، والسـلفيات هنا تشـمل كل الموروث الدينـي والاجتماعي والثقافي والسياسـي والاقتصادي. فأذا كانت السلفيات الدينية قد اكتسبت القدسية من مصادرها السماوية في بعض الاوجه، فأن السلفيات الاجتماعية قد أكسبت الموروث مـن تقاليدها القدسـية من خلال التقبـل التراكمي وعبر العصورحتى اختلط المقدس الاجتماعي في بعض المجتمعات بالمقدس الديني عند شـرائح عريضة من تلك المجتمعات.وتحاول النخب السياسـية هي الاخرى وبالاسـتفادة من العقلية الشرقية الحاضنة لموروثات ثابتة أن تلبس جلباب القدسية، وعندما تكون النخبة الثقافيـة وليدة هـذه البيئات المحصنـة بالموروثات والثوابت تبدأ أشكالية الاندماج وتقبل التغيير.

هذه الاشكالية هي التي تنزل تحت عنوان (الصراع بين القديم والحديث) والصراع بين ما هو(وافد وماهو محلي)، وحين تهاجم العولمة بأسلحة جديدة كل الجدة، فأن السلفيات ستبرز أسلحتها التقليدية للمقاومة لمواجهة كل وافد طارئ، يتضمن في الحيثيات ما يمكن أن يمس أساسيات الاصالة وواجهاتها.

١- **دينيا:**

وتأتي الايدولوجية الدينية في مقدمة السلفيات المؤهلة للعب دور المقاومةفي الشرق والمجتمع العراقي عامة والمجتمع الكردستاني خاصة، ففي هذه المنطقة ظهرت الاديان السماوية الثلاث وفيها نشأت العشرات من العقائد والمذاهب الدينية، أما العراق فقد كان مهدا لحضارة بلاد المسيوبوتميا العملاقة، حضارة أولت منذ نشوئها القدر الكبير من الاهتمام بالغيبيات ومسائل الحياة والموت، ومنذ أن تحدى جلجامش الصعاب لنيل أسباب الخلود وبعد نموالعديد من العقائد الدينية في هذا البد الذي دخلت المعتقدات الدينية جميع تفاصيل حياة ويوميات الافراد، حيث عرف العراقيون والكرد أيضا اليهودية والمسيحية والاسلام كما أعتنق القدماء منهم الزردشتية والايزدية وتفرعت من المسيحية العقائد النسطورية واليعقوبية ومن خلال معتقدات الاشوريين والكلدان نطلع على أصول العديد من مختلف العقائد والمذاهب القائمة أساسا على الغيبيات التي كانت الارضية المناسبة منذ القديم لبروز التنوع الكبير في الفكر الديني الى حين بروز الدين الاسلامي الذي ومع عملية الفتوحات المتسلسلة عبر العصرين الراشدي والاموي طوى هذا الدين الجديد صفحة العديد من هذه المعتقدات والاديان القديمة التي تحولت بمرور الزمن الى أقليات غير مؤثرة. ولكن الاختلاف المذهبي الذي برز مع وفاة الرسول (محمد) والصراع الذي بدا جليا على استحقاقيات الخلافة والسلطة وصار فيما بعد القاعدة الراسخة للتنافس المستديم بين المذهبين الرئيسين في الاسلام وهما (السنة) والشيعة)، وهو صراع يخبو لدهور ثم يبرز دهرا، ففي حين بلغ هذا الصراع المذهبي ذروته أيام البروز الصفوي والتوسع العثماني وفي الغالب كان العراق الساحة المثلى لهذا الصراع حيث تواجد العتبات المقدسة عند الشيعة وبفعل الجذر التاريخي للتشيع وتحول أيران الى حاضنة رئيسية للتشيع وأدواته أمتد هذا الصراع الى كردستان أو اثر فيها بشكل كبير حيث سارت الغزوات والغزوات المضادة عبر أراضي هذه البلاد تاركة فيها بصماتها.وقد خرج هذا الصراع في الكثير من الفترات من دائرة الحوار الديني والنقاش الفلسفي وتحول الى واجهات للرغبات المتناقضة للسياسيين والمتسلطين من الطرفين وخلق المزيد من بؤر الاحتقان التي كانت السبب في الكثير من الاوقات في أفقار المنطقة وتحولها الى أرضيات حاضنة للعنف وقد أكسب الجذر التاريخي المنطقة طابعا دينيا يغلب عليه التطرف، وفي القرن العشرين مع بروز الدولة القومية ذات الطابع العلماني في العراق خفت العامل الديني في الساحة السياسية لعدة عقود، لكن بروز الكتلة الاشتراكية وما أعقب ذلك من الحرب الباردة أدى الى بروز العامل الديني في الساحة كقوة مؤثرة ، يقول أحدهم"أنه لجلي أن ظاهرتي عودة الدين والعولمة قد تزامنتا، ولم يمض على عمرهما غير عقدين.هل هناك تأثير متبادل بين العولمة والصحوة الدينية؟ هل الصحوة الدينية في وجه من وجوهها هي أحد مظاهر العولمة أو مقاومة العولمة؟أم أن التزامن هو مجرد صدفة؟"[١]. بالتأكيد هذا التزامن ليس صدفة.لأن العولمة كظاهرة عالمية لها العديد من الافرازات ومنها التحديات التي تواجه الاديان التي لها ثوابتها التي تتناقض في العديد من الاوجة مع تلك الافرازات.وجاء في منتدى "حوارات الفاخرية " حول موضوع العولمة "أما الكتب التي عنت بهذا الموضوع الصادرة باللغة العربية فهي قليلة، وأغلبها يتصف بالنفس الهجومي فيرفض العولمة بشكل قاطع معتبرا أنها تشكل خطرا على الاديان والاوطان والبشر"[٢]. ولكن رغم هذا التطرف في الانحياز عند

البعض ضد ظاهرة العولمة، يلاحظ التهافت المتزايد من الواجهات الدينية وحتى الدينية البحتة على الاستفادة من أدوات العولمة ذاتها، فهاهي العشرات من الفضائيات الدينية بدأت البث وعبر العديد من الاقمار الصناعية واستغلت تلك الجهات وبنجاح التسهيلات البانكية وعبر القارات للترويج لدعاواها الدينية ومذاهبها المتعددة، كما أستفادت من الشبكات العالمية للأنترنيت لتأسيس العديد من المواقع التي سهلت لها ولوج جميع أنحاء كوكب الارض، هنا يبرز التساؤل التالي:الى أي حد يمكن للمستفيدين من أدوات العولمة العديدة ومن مستعملي وسائلها الانخراط في صفوف هذه الظاهرة والاستمرار في مواجهتها؟لقد واجهت الفضائيات في مقبل ظهورها في المجتمع الكوردستاني معارضة شديدة، كانت جذورها في الغالب نابعة من الايدولوجيا الدينية التي رأت في هذا الطارئ ضيفا ثقيلا غير مرغوب فيه، ولعلها فكرت في خطورتها البالغة على الموروث الديني وتقاليده.ولكن بمرور الوقت خفت هذه المعارضة ونمت الصحون (الدش) على سطوح الجميع كالفطر تماما.وتكرر الوضع ذاته في مواجهة أجهزة الكومبيوتر وشبكات الانترنيت، ولكن قنوات الاتصال هذه مضافا اليها الهاتف الخلوي بدأ يجد المزيد من القبول في الكثير من المجتمعات الشرقية. أن هذه المؤشرات لهي الدليل على توسع مساحة القبول للمتغيرات التي بدأت تلج كل بيت وكل أسرة!وهذا القبول مؤشر على مغالبة المنطق عند جميع الشرائح والاطراف في عملية الموازنة بين الربح والخسارة في ولوج الفضاء الجديد الذي تلعب العولمة دورا بارزا في أستحداثه وتهيئته! وهذا مؤشر في نفس الوقت على نجاح العولمة في أختراق الحصون والقلاع ولكنها ليس مؤشرا على الانتصار، أن كان في هذا السباق شئ أسمه غالب أو مغلوب.لكن الامر لن يكون بهذه البساطة.لان السباق يتجاوز الادوات الى مضامين أكثر حساسية وخاصة فيما يتعلق بمفاهيم القيم والاخلاق!! ويبدو معلم هذا التناقض في الصراع المتمثل بين الدين والعلمانية التي ستطل برأسها في هذا المجال بقوة، عندما تعتبر الايدولوجيا الدينية العولمة رديفة للعلمانية ونصيرة لها! وخاصة مع "تحول العلم مع الوقت الى مذهب ومعتقد في ذاته، وصارت العلوم الطبيعية هي علوم سيطرة الانسان على الكون والطبيعة، وهذا جوهر وغاية العقلانية والعلمنة"[٣]. أن العولمة وركائزها الاتصالاتية المتقدمة وأمكانياتها المالية والاقتصادية الهائلة لن توقفها السلفيات ولكن ستعيق أمتداداتها وهي أعاقة غير محسوبة النتائج! أي ربما حققت هذه الاعاقة أنغلاقا أمام المستجدات الايجابية التي قد تصب في مصلحة الجهات المقاومة، بعبارة آخرى تكون قد أضرت نفسها بدل أن تنفعها.وكثيرا ماعملت السلفيات العاملة ضمن الادلجة الدينية، على منع أمتداد المظاهر الوافدة من الغرب بحجة مناشئها غير الدينية، ولكنها بعد حين أفتت بجواز الافادة منها، أبتداء من شرب القهوة الى أجهزة الراديو الى الصحون والستلايت. وهي انغلاقات غير محسوبة النتائج عاد بالضرر على المفتين بها، حيث دخلت كل التكنلوجيا الحديثة وبأدواتها بيوت المتنفذين في المجتمعات الشرقية الاسلامية منها وغير الاسلامية، وتساعد أدوات الاتصالات الحديثة هذه السلفية الدينية عموما في أمتلاك منابر الكلام والمزيد من الوسائل الوعظية المتطورة، التي تمكنها من الوصول الى أكبر عدد من المتلقين والمشاهدين.ولكنها في الوقت نفسه يمكن الاخرين من توسيع مساحات التحدي للمقدسات السلفية، وذلك بطريقتين هما:

الاولى:من خلال دعوات الاصلاح والمعاصرة، ولعل دعوات الاقتداء بـ(جمال الدين الافغاني والامام محمد عبدة) التي بدأت بالتردد بين النخب الحداثوية دليل على هذا الاتجاه.وهوأتجاه يتلاءم مع تطلعات النخبات المثقفة الداعية الى الاندماج في عالم القرن الواحد والعشرين.

الثانية:من خلال المغالاة التي ضيقت من مساحات الحريات المتاحة حينا وحتى الشعوذة حينا آخر. وهذا

الاتجاه يحارب العلمانية في التسلط السياسي وأجهزة أدارة الدولة وتدعو الى الانكفاء والانعزال بدعوى عقم الوفد من الغرب وما يتصل به.

أن الاستجابة لدواعي التغيير وولوج بوابة المستجدات وبعيدا عن بوابة الثوابت الدينية المتفق عليها تؤدي الى بروز العديد من نقاط الالتقاء مع الوجهة الاولى، أي دعاة الحداثة.والبعض من المفكرين يطرح استراتيجيات في التعامل مع العولمة "يمكن حصر الاستراتيجيات المطروحة أمام العالم الاسلامي للتعامل مع العولمة وكالآتي:

١-فك الارتباط مع الغرب، والاعتماد على الذات، ثم الاعتماد الجماعي على الذات.

٢- الاندماج الكلي مع العولمة.

٣- التفاعل الايجابي الرشيد.

ويقصد بالاستراتيجية الاولى الفكاك من قبضة النظام الرأسمالي العالمي بالتركيز على تنمية الموارد الذاتية لكل دولة، مع تطوير أشكال للتعاون الاقليمي بين الدول الاسلامية.

أما الاستراتيجية الثانية فهي تشير الى القبول بشروط هذا النظام ومحاولة الحصول على أقصى مكاسب بطرحها، مع النظر الى الخسائر المحتملة على أنه مكاسب في المدى البعيد.

وأخيرا تطرح الاستراتيجية الثالثة نظرة تركيبية للعولمة، فتؤكد أنه من المهم أتباع استراتيجيات متعددة المستويات تقوم على التفاعل مع العولمة في الوقت الذي يتم فيه الدخول في مساومات معقدة مع قوى العولمة لتحسين الشروط وتحقيق التكامل الاقليمي بين الدول الاسلامية لتقوية مركزها التفاوضي.

وفي الحقيقة فأن الخيار الاكثر واقعية أمام الدول الاسلامية يدور حول التعامل الايجابي مع العولمة بهدف فهم مضمنها، وتحجيم الخسائر المتوقعة، والحصول على أكبر المكاسب الممكنة.فالدول الاسلامية لاتملك رفاهية الرفض المطلق للعولمة، حتى أن كانت تنظر الى العولمة من منظورالانتقاد والتحفظ.

والمثال على ذلك هو ماليزيا، حيث أنه رغم أن تلك الدولة تتشكك في العولمة فأنها تبنت مجموعة من السياسات التكنولوجية والاقتصادية التي أدت الى أستفادتها من العولمة وتحولها الى نمر آسيوي"[٤]. وهذا يعني أن الجميع يدرك بشكل أو آخر أهمية التعامل مع العولمة.

وفي مجتمع كالمجتمع الكردي لن نجد صعوبة في تفهم الوعي بأستقبال المتغيرات. أي التعامل مع الاتجاه الاول بمرونة بسبب الظروف القمعية التي مر بها هذا المجتمع لقرون عدة شرط عدم التجاوز على الاطار العام لهذا المجتمع الاسلامي الدين والطابع. وفي نفس الوقت قد يؤدي التسارع في وتيرة استقبال المتغيرات الى آثار أجتماعية وسياسية واقتصادية قد لايكون بأمكان السلفيات عموما أحتواؤها بشكل يحقق التوازن بين معاييرها ومتطلبات التغيير التي لايمكن الاستغناء عنها بأية ذريعة كانت.ونورد هنا مثال الهاتف الخلوي الذي تحفظ البعض في البدء على قبوله ولكن سرعان ما دخل كل بيت! وقد كان للتحفظ بعض مبرراته التي برزت بشكل خاص في سوء استغلال هذا المبتكر الهائل نتيجة ضعف الوعي وحالة التخلف التي تعاني منها شرائح عريضة من الجتمعات الشرقية ومنها المجتمع الكردي.وسوء الاستغلال هذا رافق حتى التلفونات السلكية في بداية قدومها. من هنا يمكن الاستنتاج أن أدوات الثورة التكنولوجية الحديثة ستدخل بوابة هذه المجتمعات رغما عن السلفيات ورغم أنف الدولة التي وكما ألمحنا سابقا ستتعرض الى ثلم في عناوين سيادتها التي كانت حريصة سابقا على عدم المس بها ولكن هذا الحرص سوف لن يحول دون أختراق هذه السيادة وبأساليب متعددة وكذلك الحال بالنسبة لكل الحواجز الاخرى التي تتشكل من قبل السلفيات المعارضة. غير أن السلفيات المرتبطة بالايدولوجيات الدينية ستلتقي هنا في المصالح مع السلفية الاجتماعية وفي العديد من النقاط، حيث لن تكون الاعراف والتقاليد بعيدة عن هذا الصراع.كما لن تستطيع الوقوف على

الحيـــاد والتفرج لأن هذا الموقف ســيكلفها البعض من مكتســباتها.وهنا تجدر الاشــارة الى رأي البعض حول محوريــة الحس الديني في مجــال التغيير".. ولكن الا يعني هــذا أن الاعتماد على الحس الديني وحده غير كاف! أن الله كرم الانســان وجعله خليفة، هذا صحيح، ولكن هل يكفي ذلك لردع الحاكم أو ألزامه بالاعتراف بحقوق الانســان؟أن التاريخ نفسه خير شاهد على أن ذلك لم يكن كافيا.فالضمان الوحيد لحقوق الانســان يصبــح عندئذ ضمانــا الهيا، فأذا تخلــى الحاكم عن التقوى الشــاملة الكاملة، وتملكته الاطماع البشــرية المألوفــة، أصبحــت حقوق الانســان بــلا دعامة، بلا أساس، بلا ضمان.ولو قيل للحاكم -لاتضطهد رعاياك لان فيهــم روح الله مثلك – أو –لاتســلبهم حياتهم أو حرياتهم حتى لاتغضب الله – فلن يرتدع، لانه أبتعد منذ البداية عن طريــق الايمان وأتخذت أفعاله خطا دنيويا بحتا –بغض النظر عن شكليات أداء الشعائر"[٥].

وهذا يعني أن العامل الديني ســيتأثر ســلبا أو أيجابا بالتطبيقات وليس بمجــرد ترتيد النصوص والتعلق بالشــعائر دون التمكن العملي للشــرائح العريضة من هذه المجتمعات الاســلامية من الاستفادة الواقعية من المعاني السامية لتلك النصوص ودلالاتها.

٢- إجتماعيا:

وكما أسلفنا تلتقي السلفيات الدينية والاجتماعية في بعــض الاوجه لغرض حماية الــذات مما قد يعتبر أخلالا بالتوازن، وخاصة في مســألة القيم.وهي مسألة بالغة الحساســية وقــد ضربت جذورهــا في البعدين الزمني والمكاني في الشرق، والمجتمعات الشرقية هي من خير الحاضنات لمفهوم عتيد من القيم غطت مساحات واســعة من التراث الاجتماعــي والثقافي، لن يكون من الســهل التخلي عنها لصالح مفردات العولمة حتى وأن أمتلكــت هــذه الادوات الجبــارة، لان مفهومي التراث والاصالة يدخــلان ضمن مفردات الحياة اليومية، لذا ما أن ظهرت بوادر المســتحدثات الحالية حتى أنطلق السلفيون الاجتماعيون نحو أطلاق صرخات التحذير وأنذارات الانتباه مــن الوافد الجديد. جاء في مقال في شــبكة (مصر للجميع) "الغزو الفكــري والثقافي الذي تتعرض له الامة بخطط منظمة تتستر خلف حقوق المرأة والشباب والطفل لفرض القيم الغربية المنحرفة على شــعوب العالم، وهذا الثلاثي المستهدف في البلاد الاســلامية والعالم العربي بشكل خاص لما يمثله من عقائــد دينية وعادات وتقاليد وثقافة خاصة تضبط الحريــات في العلاقة بين الرجــل والمرأةوتنظيمها في اطــار العلاقة الزوجية والاســريةفي اطار صحيح"[٦].

وهــذا جانب مهم من القلق الذي يشــعر به الكثيرون من دعاة الســلفية حيث يشعرون وكأن القيم الاصيلة مستهدفة في الصميم وخاصة مع بروز مؤشرات ضعف وانهيار مؤسسة الاسرة في المجتمعات الغربية، في ظاهرة الاطفال غير الشرعيين يورد (فوكوياما)"تزداد نسبة الاطفال الذين يولدون خارج رباط الزوجية بأطراد، لقد أرتفعت نسبة الولادات لأمهات غير متزوجات من أقل من (٥) بالمئة من المواليد الى ٣١ بالمئة من سنة١٩٤٠-١٩٩٣-في الولايات المتحدة.ويضيف، أن حالة عدم وجود الوالــد هي حالة أكثرية كبيرة من الامريكان الســود. ويــورد –فوكوياما –أيضــا:أن حالة الاطفــال الذين يعيشــون في عوائل مكونة مــن أحد ألابوين فقط هو نتيجة لعوامل عدة منها، نســبة الاطفــال المولودين خــارج ربــاط الزوجيــة ونســبة التعايش، ونســبة الطلاق، ونسبة أنفصام التعايش ونسبة الزواج الثاني والتعايش الثانــي"[٧]. وفي التصدع العظيم لفوكوياما "من أهم التحولات المفاجئة في السلوكيات الاجتماعية التي تشكل –التصدع العظيم- هي تلك التحولات التي تتعلق بالانجاب والعائلةوالعلاقات بين الجنســين، لقد تركت الثورة الجنسية وتصاعد حركة تحرير المرأةفي الستينات والســبعينات من القرن العشرين، بصماتها على كل شــئ في الغرب"[٨]. هــذه الارقام التي صدعت تلــك المجتمعات الغربية المنتجة لاســبابها من الثورة التكنلوجيــة والــدورات الاقتصادية الهائلــة التأثير،

تخيف حتــى المتفائلين فكيف بألســلفيات المتحفظة على مســألة التغــير أساســا، وبعبارة أخــرى أذا كان أصحاب المنشــأفي عملية التغير والموجة الثالثة في شك كبير من نتائج التطورات في بلدان المنشأ، وهم يعانون المزيــد من الضغوط تحت وطأة المشــاكل التي تركتها عملية الطفرة المتغيراتية تلك سيصبح واردا للأخرين التردد وخاصة وكما أوردنا في مســألة أصبح ما يعرف اليــوم بالقيم. وبالمقابل فــأن الايجابيات الناتجة من موجة العولمة ليســت بالقدر الذي يستوجب التضحية بجانب من تلك القيم في ســبيلها حيث ورد في تقرير لــ(أدارة التنمية الاجتماعية في لجنــة الامم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا-الآســكوا) مايلي "وحذر الامين العام للامم المتحدة الســيد كوفي أنان في كلمتــه أمام -اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمــة- عام ٢٠٠٤، مــن أن المجتمع الدولي قد أصبح على مفترق طرق، وفي تقريرها نظرت اللجنة العالمية الى العولمــة من منظار الناس واحتياجاتهم، ودعت الى العولمة العادلة، كما دعا التقرير الى التحول من الاهتمام الضيق بالاسواق الى الاهتمام بالانسان.وأذ أشار التقرير الى أن العولمة قد لعبت دورا رئيسيا في حث المجتمعات والاقتصاديــات علــى الانفتاح، فأنه لفــت الانظار الى القلق المتزايد حول الاتجاهات الحالية للعولمة.فمنافعها بعيدة المنال بالنســبة للكثيرين بينما المخاطر الناتجة عنهــا حقيقية وآنية.ما تم التأكيد عليه في المســتوى الدولي كان ضرورؤة أن يكون الانسان محور النشاطات العالمية.ومــن الواضح أن المجتمع الدولي ذهب الى أبعد مــن الاقتصاديات الماديــة، معترفا بضــرورة تحقيق عولمة ذات أبعاد أجتماعية، عولمة تدعم وتصون القيم البشرية وتعزز مســتوى الرفاه للشعوب بهدف توفير عمل لائق للنساء والرجال وأشباع حاجاتهم الاساسية من غذاء وماء وصحــة وتعليم ومأوى وبيئة ملائمة للعيش الكريم. بدون هذه الابعاد الاجتماعية سيستمر العديد مــن الناس بالنظر الى العولمة على أنه شــكل جديد من أشكال الهيمنة والتسلط والاستغلال"[٩]. أن هذا الجانب الايجابي من العولمة التي تشــير اليه الامم المتحــدة هو الذي بأمكانه أحــداث خلخلة في قناعات المترددين وتحويلهــم تدريجا الى صــف القبول، لكن الواقــع هو غير مــا تتأمله الامم المتحــدة، ففي حين تأمل الامم المتحدة، أن يكون الانسان محور النشاطات العالميــة، فأن الالة الهائلة للعولمة ستســتمر في تطلعها الى الاســواق كعامل جذب رئيسي بينما على الاخرين البحــث عن وســائل وأدوات التجانس والانســجام مع المستجدات في كل جوانب الحياة.

أن مسألتي الاصالة والقيم ستكون في المحك ولكنهما لن تقفا حجر عثرة سرمدية في هذا المجال.لأن العديد من الشــعوب أســتطاعت الولوج الحقيقــي في ميدان الانتفاع من العولمة وحتى الاندماج معها مع الاحتفاظ بالقدر المســتطاع من عناصــر الاصالة التي تحمي لها القدر الكافي من الخصوصية."في مطلع التسعينات، طرح -لي كوان يو- رئيس وزراء سنغافورة الاسبق، موضوع تميز – القيم الاسيوية –لشرح ماتحقق حينذاك من نجاح آســيوي مذهل، ولتبرير ســلطاته الابوية التي كان يمارســها علــى البلاد، ولقد أكــد -لي كوان يو- في طروحاتــه على أن الحضارة الاســيوية التي تركز علــى أطاعة نفوذ الجماعة، وقدســية العمل والعائلة والادخــار والعائلة والتعليم، لاتتماشــى ولا تتفق مع النمو الاقتصادي غير المسبوق والذي حدث بعد الحرب في آسيا. ويؤكد بأن تلك القيم لها جانب سياسي يتجلى في الانظمة الحاكمة في جنوب شرقي آسيا، وهي تفسر وتــبرر غياب الشــكل الغربــي للديمقراطية في بلدان مثل ســنغافورة وماليزيا وأندنوسيا.ويرى -لي كوان يو –أن انعكاســات نفس هذه القيم تظهر في أنخفاض معدلات الجريمة." "ولكن في أعقاب الازمة الاقتصادية الاســيوية التي بــدأت عام ١٩٧٧، فقــدت حجة القيم الاسيوية الكثير من قوتها، على جانبي المحيط الهادي، حيث أن هذه القيم لم تستطع أن تمنع بلدان المنطقة من ارتــكاب الاخطاء المتعلقة بالسياســة الاقتصادية المعاصــرة"[١٠]. وهــذا يعنــي أن القيم رغــم أهميتها

القصوى في المجتمعات الشـرقية، الا أنها لن تسـتطيع الصمود طويلا في مراهنات الساحة الاقتصادية.ولكن هذا لايعني الانجراف في تيار التشاؤم وكأن الاخرين لن يستطيعوا الاندماج في النشاطات العالمية المعاصرة لان تلك الدول نفسـها في جنوب شرق آسيا حققت المزيد مـن التطور والاندماج بل دخـل البعض منها ميدان التنافـس الحقيقي مع الغرب، مـع الاحتفاظ بالكثير من رأسمالها الاجتماعي. "ونجد نفس الشئ بخصوص اسـتقرار وثبات العائلـة النووية.ونجـد أن معدلات الطلاق قد ارتفعت في كل من اليابان وكوريا، ولكن لم يشهد أي من البلدين المذكورين تلك الزيادة الانفجارية في الانهيار العائلي التـي حدثت في الدول الغربية"[11]. وأذا كانـت المجتمعات الكوريـة واليابانية امكنت من الاحتفاظ بتماسكها الاجتماعي فأن هذا التماسك ظل بمقدار أكبر في أندنوسـيا وماليزيا وسنغافورة، حيث الاغلبيات الاسـلامية المحافظة على معايير القيم.من هنا يمكننا القـول أنه ورغم التخوف عند المحافظين في هـذا المجـال، أي المديات التي يمكـن تنجرف معها جملة العادات والتقاليد في مسايرتها لافرازات التطور الاقتصـادي وكل مظاهر الثورة التكنلوجية عموما في المجتمع الكردي سوف تكون تحت السيطرة في الجانب الاجتماعي من المسـألة.مع توقـع المزيد من الانفتاح على المظاهر المواكبة لعملية التنمية الاقتصادية، واذا كانت قيادة السـيارات من قبل النساء في مجتمع مثل المجتمع السـعودي تعد من المحرمات في الوقت الحاضر فأن هـذا الامر يلقـى المزيد من القبـول في المجتمع الكـردي وقس على ذلك العديـد من مظاهر التنمية التي تؤثر بشـكل أو آخر علـى المفاهيم الاجتماعية. ولكن هل يعني هذا أن القيم الاجتماعية تتلقى الكثير من التهديد من عملية التنمية الاقتصادية؟ ولايخفى على أحد اليـوم حجم التحديـات الاقتصادية والتي تلعب الدور الرئيس في دفع مجمل التغيير نحوم آفاق تثبت مالها من يد عليا.

٣- إقتصاديا:

ويمثل الجانب الاقتصادي التحدي الاكبر في مجال الاندماج مع العالم الجديد ومسـتلزماته، ويعود ذلك الى التفاوت الكبير في القدرات الاقتصادية بين الجهات المصدرة لأدوات التطـور والعولمة، يقابلها حجم صغير من القدرات في المجتمعات النامية ومنها الشرقية التي تعاني شـرائح عريضـه منها من الفقـر، بل تعيش أعداد كبيرة من هذه الشرائح تحت خط الفقر المدقع وهذا يقلل الى حد كبير من قدرات المجتمعات النامية على المناورة وأسـتيعاب التغيرات حتى وأن وصلت الى حـد القبول بالوافد من الامورو‌هذا ما نلاحظه اليوم في المجتمع الكردي فأن مستويات القبول وأحتواء الكم الهائل مـن عوامل التداخل ليس بالسـهولة التي قد يبـدو للوهلـة الاولى، لأن أفرازات الوضـع الراهن وفي كافة مجـالات الحياة اليومية تحدث اختراقات يومية في تفاصيل الحيـاة الاجتماعية وحتـى التقاطع مع الاعراف والتقاليد الدينية وغدت المفاهيم التقليدية للـزواج من مثـل زواج الشـغار وزواج الاخت الكبيرة قبـل الاخريات من أخواتها ومسـائل المهر ووسـياقة السيارات ودخول النسـاء مختلف مجالات العمل مثل العمل في المنظمات النسـائية والمستشـفيات وشركات القطـاع الخاص وهي مجالات عمل تثير في العديد من العوائل الكثير من التحفـظ وعند البعض منها حتى عدم القبـول. ولازال الكثير من العوائل تتحفظ على أقتنـاء بناتها لاجهـزة المو بايل وعنـد البعض منها تتعرض الفتيات للكثير من وسائل المراقبة.وقد ساهم الاسـتعمال السـئ لاجهزة الهاتف الخلـوي على خلق العديد من المشـاكل الاجتماعيـة أدى البعض منها الى مآسـي أجتماعية كبيرة وحـوادث قتل وانتقام، وهنا يثـار العديـد من التسـاؤلات حول جديـة العمل في أتجاه حقوق المرأة والمديات الحقيقية لتطبيقات هذه الحقـوق في المجتمع لأن جديـة العمل بمبادئ حقوق المرأة تكون على المحك مع زيادة ردات الفعل العكسـية عند دخـول مؤثرات التكنلوجيـا المعاصرة تفاصيل

الحيـــاة اليومية وتترك هذه الارتدادات بصماتها حتى في أجهزة القضاء ومدى مسايرة أحكامها لروح العصر والمستجدات في الوضع الاجتماعي وموقفها الجدي من مكانـــة المرأة ومعاناتها مع التطبيقات الخاطئة لبعض مســـتوردات النشاط العولمي والموقف من أحتكاك المرأة مـــن هذه الادوات التكنلوجيـــة الحديثة وهي تتعامل معهـــا بكـــم العمل الذي غـــدا ضروريا لجميـــع أفراد العائلة مع زيادة أعباء الحياة الاقتصادية التي أوجبت مســـاهمة أفراد العائلة في تحملها حيـــث يجبر الواقع الجديـــد أعضاء المجتمـــع على القبـــول بوضع جديد للمرأة ومنحهافرصتهـــا الحقيقية في العائلة، والمجتمع مع تزايد مسؤوليتها ومســـاهمتها في بناء الحياة وهو دور لـــم يكن متاحا للمرأة في العصور الســـابقة بفعل العديد من العوامل وفي مقدمتها بســـاطة الحياة وقلة تكاليفها اليومية. وجملة التقاليد البالية التي لاتزال تتحكم في ذهنيات حتى النخب السلطوية التي تتدعي وتتظاهر بتفهمها لوضع المرأة الانســـاني حيث القيود الاجتماعية المتعددة من مثل منعها في العمل في بعض المجالات و قتل المرأة على مجرد الظن يسطر في الغالب تحت عنوان غسل العار، وكم هي ياترى حالات القتل التي تتم دون التثبـــت حتى من أدنى الادلة ومن ثم مـــن هم القائمون بتطبيق الحـــدود في عصر يفترض فيه أن يســـود القانون وهيبة الســـلطة لما في ذلك من مـــردودات على الحيـــاة اليومية ولانقـــع في وهم أذا ذكرنا أن حقيقة هذا المبدأ مخالفة لاصول الشـــريعة نفســـها التي تطالب في أوضاع كهذه بأربعة من الشهود العادلـــين ودون الالتزام حتى بالنصـــوص الدالة على نوع ومقـــدار الحد في هذه الحـــالات، فظاهرة التغيير شـــمولية المؤثـــرات، وهي لاتقتصر علـــى جانب دون آخر، والســـلفيات المعارضة لمجمـــل الطارئ من الوضع الجديد سيكون في مأزق حقيقي في حالة عدم التكيف مـــع المتغيرات لان قوة الدوافـــع الحياتية تدفع بأتجاه مغاير للتوجهات المتقهقرة نحو الوراء وما لم يقبل به الجيل السابق ســـيقبل به الجيل اللاحق وهو محكوم بفعل ضرورات حياتية لن تســـتطيع الصمود طويلا لذا تتحمل عناصر التكيف مع الوضع الجديد مواقف وســـطية وتضحية بقضايا قد تكون مقبولة في نهاية المطاف. أن دورة القبول والرفض ليست عملية طارئة حيث يـــرد في التاريخ المعاصر العديد من المؤشـــرات على تأرجح المجتمع الشـــرقي بـــين القبول والرفض. فقد انطلق الرافضون للوجود الفرنسي في مصر نهاية القرن الثامن عشـــر ومطلع القرن التاســـع عشـــرمن دوافع دينية وأجتماعية وأتخذوا من المســـاجد منابر للمقاومـــة ضد الطارئ الجديد ولكن بروز شـــخصية محمد علي على مسرح الاحداث ودفعه لاصحاب الفكر من المتنورين من أمثال رفاعة رافع الطهطاوي وغيره نحو ضرورة الوعي بمتطلبات المرحلة والاخذ بمكامن القوة في العصر الحديث دفع في النهاية حتى المعارضين الى الرضـــا بفائدة الطـــارئ من المتغيرات الفرنســـية المنشـــأ وتتكرر حالة الرفض والقبول في مركز الدولة العثمانية ذاتها بصدد المقتبســـات من أدوات الحضارة الغربيـــة ويبدو هذا الموقف جليا في مقولة الســـلطان عبدالعزيز الذي ســـئل بعد زيارة لـــه الى باريس عن مشاهداته فأجاب "لقد شـــاهدتهم هناك – أي الحكام وهم يسعون لخدمة الشـــعب، أما نحن فقد تعودنا أن يخدمنا الشـــعب " ولكن الغلبـــة في النهاية هي لعوامل التحديث ورغم الفـــارق في الظرف الراهن مع ما كان ســـائدا آنذاك، حيث يكمن الفارق الكبير في أن عناصر التغيير المعاصرة تدخل الدار دون أستئذان من النخب المتسلطة ولا من القيم والاعراف الدارجة، وكما ألمحنا ســـابقا أن هذه الموجة ليست كسابقاتها، حيث تكتسح أدوات التســـطيح العالم الراهن بسرعات قياسية وهي تجتـــاز الحدود السياســـية والجغرافيـــة عبر طاقيات أخفاء لن يتمكن السلاطين المعاصرون من الامساك بها أو أخضاعها لاجنداتها الا من خلال التعامل بشـــفافية وذكاء لان الادوات الحديثة قلصت وستقلص من قدرة أدوات الســـلاطين في تحجيم الوافد من مبادئ حقوق الانسان وفوائد ومضار الثورة الاقتصادية والمعلوماتية

الهادرة والكم الهائل من تراكميات الافرازات العولمية. ان الحفاظ على الاصالات لن تتم عبر دفن الرؤوس في الرمال، بل بالتعامل الموضوعي مع الوتائر الجديدة للتغيير ووضع الاوراق على الطاولة دون تردد والادراك بأن مفهوم الاصالة سيختلف من مجتمع الى آخر حتى مع وجود وحدة العقيدة الدينية ، لان البقاء في دائرة مغلقة من الاجندات المطروحة ستقلل من مساحة المناورة وبالتالي ستفقد الفئات الشبابية في هذه المجتمعات الثقة بالكثير من الموروث وسوف تضيع في متاهات الكثير من المستحدثات وهذا ما يلاحظ اليوم حيث الكم الكبير من مشاكل الشباب التي بدأت بالتفاقم نتيجة الابتعاد عن الاستفادة من المسافات الوسطية التي تتوفر في كل زمان ومكان.ويضم المجتمع الكردستاني في أحشائه جميع أشكاليات المجتمعات الشرقية الحاضنة للسلفيات لذا سيكون من الصعب على هذا المجتمع التعامل مع الراهن من المستجدات دون التعرض للعديد من الهزات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.فالطابع القبلي لهذا المجتمع ومايتبع ذلك من موروثات من الاعراف والتقاليد القبلية ومن دون وجود كيان سياسي مستقل ومعتمد على الذات يجعل أمر الولوج الى النشاطات العولمية محكوما بأرادات غير راسخة. مازال مجتمعنا الكردستاني يعاني اقتصادا ريفيا متخلفا وقد عمل الحصارالاقتصادي المفروض على العراق نهاية القرن الماضي على جعل الاوضاع أكثر سوأ. وهذا سيؤدي حتما الى تفاوت كبير في مستويات التأثر (بمظاهر العولمة) لان المتاح للبعض من الفرص والثروات سوف يؤثر حتما على قدرات المنتفعين (خاصة بين الريف والمدينة)، واذا كانت المدينة أكثر استعدادا للقبول واكثر قدرتا على الاندماج فأن الريف سيكون ضئيل القابلية في هذا المجال وهذا التفاوت في الاستعداد والقبول سيثير اشكالية في طريق الاندماج حتى داخل المجتمع الواحد.وتضاف هذه الاشكالية الى مجمل الاشكاليات الاخرى الموجودة اصلا في جسد الخصوصيةالكردية التي تعاني عقدة تشكل تراكميات الاقطاع والقبلية وخاصة في مجال الاخذ بأ نماط أقتصادية غير زراعية التي نشأت في رحم هذا المجتمع ونشأالمجتمع معها، حتى اللغة والثقافة المجتمعية مخصبة بالمفردات الزراعية. أن المجتمع الريفي الكردي ورغم تقارب المسافة بينه وبين المجتمع المدني الكردي لايزال ينقل طابعه الى ضواحى تلك المدن في خلق فوضوي للمزيد من اشكاليات الاندماج حيث يلاحظ سقوط الضحايا واكثرهم من النساء في محيط الريف والمندمج الريفي نتيجة عدم الفهم الواضح للتربية الحديثة وكيفية استقبال العائلة للقنوات المتزايدة من المعلوماتية من خلال أجهزة التلفزيون والانترنيت وقد يساهم هذا الكم من التنوع في مصادر التلقي الارباك للاباء والامهات من خلال صعوبة التميز بين المفيد والضار من الطروحات التي تتسم الغالبية منها بالذكاء في استدراج الشرائح الشابة ومن ثم الاخلال بالسلطة الابوية الايلة للضعف والسقوط، ويظهر هذا الامر بوضوح في التفاوت بين ما يريده الاباء والامهات وبينماينشأعليه الابناء في الوقت الراهن. ويظهر التفاوت جليا في دعوات الكثير من الشباب الى تحدي السلطة الابوية التي أضحت عند البعض من الشباب غير ضرورية في ظل الحصول السريع والسهل على مصادر آخرى من قنوات التربية الغير المسيطر عليها من الجيل السابق وهي قنوات شديدة الجاذبية للجيل الجديد كونها قريبة من مخاطبة رغباتهم وقد لاتكون مساندة لتنمية المواهب والقدرات ولكنها تبقى نقطة استقطاب مهمة للجيل الشبابي ومن ثم عامل ابراز للمزيد من التناقض بين الجيلين.

هوامش الفصل الاول:

١/مركز يال لدراسة العولمة، بقلم ناديان تشاندا، ٢٠٠٦ (عبر الانترنيت)

٢/مجلة (منبر ابن رشد للفكر الحر) كلمة محمد فائق، أمين عام المنظمة العربية لحقوق الانسان، ٢٤

مايس ٢٠٠٠، عبر الانترنيت

٣/منبر ابن رشد، ن، م السابق.

٤/ميشـيل هوسون، عشرة أسباب لمناهضة العولمة، (موقع من أجل عالم أفضل) (عبر الانترنيت)

٥/منبر ابن رشد، ن، م السابق

٦/مركز يال، ن، م السابق

٧/الصـوت العربي الحر ننقد برنامج التكيف مع العولمة، د، ابراهيم ناجي علوش، (الانترنيت)

٨/منبر ابن رشد، ن، م السابق

٩/د.فـؤاد زكريا.الصحـوة في ميـزان العقل.ط١ الاسكندرية ص ١١٠

١٠/ابن رشد، ن، م السابق

١١/ فرانسـيس فوكو ياما، التصدع العظيم، ت: عزة حسين، بغداد ٢٠٠٤

١٢/فوكو ياما، ن، م السابق.

هوامش الفصل الثاني

١/ تشـكيل العقل الحديث، كريـن برينتون، ت: شوقي جلال، القاهرة، ص ١٦

٢/التصـدع العظيـم، فوكو ياما، ت:عزة حسـين كبة، بغداد ٢٠٠٤، ص ٧

٣/التصدع العظيم، ص ٧

٤/تومـاس فريدمان، العالم مسـطح، بيروت، ت: عمر الايوبي، ٢٠٠٦ ص٢٩

٥/ فريدمان ن، م، ص ٥٩/٥٨

٦/فريدمان، ن، م، ص٨٥/٨٤

٧/فريدمان، ن، م، ص١١٧

٨/فريدمان، ن، م، ص١١٩

٩/فريدمان، ن، م ص ١٢٠

١٠/فريدمان، ن، م، ص١٢٥

١١/فريدمان، ن، م، ص١٣١

١٢/فريدمان، ن، م، ص١٤٦

١٣/فريدمان ن، م، ص ١٦٢

١٤/فريدمان، ن، م، ص١٧٣

١٥/ فريدمان، ن، م، ص ١٨١

١٦/فريدمان، ن، م ص ١٨٣

١٧/ ميخائيـل بنيامـين داود، الاثنيـات في ظل العولمة، الانترنيت، موقع أثرا.

هوامش الفصل الثالث

١/عبر الانترنيت، العولمة والصحوة الدينية، طارق متري

٢/عـبر الانترنيـت، حـوارات الفاخريـة، عرض للمنتدى حول موضوع الدين والعولمة.

٣/الانترنيـت، اسـلام اويـن، العقل بـين الدين والعلمانية، هبة رؤوف عزت.

٤/الانترنيت، اسـلام أوين، العولمة واسـتراتيجيات الدول الاسلامية، محمد السيد سليم.

٥/د.فـؤاد زكريـا، الصحوة الاسـلامية في ميزان العقل، ص١٠٠

٦/الانترنيـت، شـبكة مصـر للجميع، هـل المرأة شيطانة؟

٧/فوكو ياما، التصدع العظيم، ص٥٢

٨/فوكو ياما، ن، م.ص٤٥

٩/الانترنيـت، برنامج الامم المتحدة، تأثير العولمة على الوضع الاجتماعي.

١٠/فوكو ياما، ن، م، ص١٤٨

١١/فوكو ياما، ن، م، ص١٤٩

*ثلاثة فصول من كتاب بالعنوان نفسه، سيصدر قريبا.

الكورد في بلاد مصر

١-٣



د. محمد علي الصويركي
عمان- اتحاد الكتاب والادباء الاردنيين

تمهيد:

تعد مصر من اكثر البلدان العربية التي كانت لها علاقات وثيقة وقديمة بالكرد، فوجدت علاقات قديمة بين الميتانيين الكرد والملوك الفراعنة منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، برزت من خلال زواج بعض الأميرات الميتانيات من الملوك المصريين أمثال الملكة الجميلة نفرتيتي التي حكمت عرش مصر، ورغم قلة المصادر التي توضح لنا صور وأشكال تلك العلاقات بينهما في ذلك الحين، لكن نستطيع رصدها بشكل واضح بعد الفتح الإسلامي لكردستان ودخول الكرد كمكون جديد للأمة الإسلامية، ساهموا مع اخوانهم من المسلمين في صنع الحضارة الإسلامية الزاهية، وأخذ الكرد يتوافدون على مصر على هيئة رجال حكم وادارة وقادة عسكريين وجنوداً وتجاراً وطلبة علم طوال الحقبة الإسلامية الممتدة عبر خمسة عشر قرنا من الزمان، ومن هؤلاء من استقر بمصر واتخذها دار سكن واقامه، ومع الزمن اندمجوا مع السكان الأصليين وانقطعت جذورهم مع موطنهم الأول، ولم يبق لهم من تلك الصلة سوى الاسم، ومن صلبهم نبغ العديد من القادة العسكريين ورجال الإدارة والأدباء والشعراء والفقهاء والمحدثين والفنانين، وأسدوا خدمات جلى لوطنهم مصر، ومع ذلك لم ينكروا كرديتهم .

وفي مصر أيضاً شكل الكرد لهم فيها دولتين عظيمتين، الأولى الدولة الأيوبية التي أسسها صلاح الدين الأيوبي، وأسهمت في رد الغزو الصليبي عن المنطقة، وساهمت في بناء نهضة اقتصادية وعمرانية وثقافية كبيرة يشهد لها التاريخ، مع إعادة نشر المذهب السني ونشره في مصر وبلاد الشام.

أما الدولة الثانية فهي التي انشاها محمد علي باشا الكبير – اصله من كرد ديار بكر – في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، واعتبر بحق مؤسس مصر الحديثة وصانع نهضتها العلمية والزراعية والعسكرية والصناعية.

كمــا نبغ في مصر طوال القرن العشــرين عباقرة وقامات كردية كانوا من رواد حركة الإصلاح والتحرر والفكــر والأدب والفن في مصر والعالم العربي، أمثال: الإمام المصلح محمد عبده، ومحرر المرأة قاســم أمين، والأديــب عباس محمود العقاد، وأمير الشــعراء احمد شوقي، والشاعرة عائشــة التيمورية، والقاص محمود تيمور، والشــيخ عبد الباســط محمد عبــد الصمد، والباحث حسن ظاظا، والفنانة سعاد حسني، والمخرج الســينمائي احمد بدرخان وابنه علي.. والكثير الكثير من الرموز الكردية التي ساهمت في صنع نهضة مصر الحديثة. وفي هذا المقال المطول نسلط فيه الضوء على طبيعة العلاقة التاريخية بين الكرد ومصر منذ القدم وحتى اليوم.

أن اقــدم علاقــة تاريخيــة ســجلت بــين الكرد والفراعنة المصريين ترجع إلى الميتانيين (الحوريون) – أجــداد الكــرد - الذين شــكلوا مملكــة ميتاني في القرن السادس عشر حوالي سنة ١٥٠٠ق.م، وعاصمتها (واشــوكاني) على نهر الخابــور، وامتد نفوذها على جميع كردســتان ، وعرفهم المصريون باســم نهارين، وشــكلوا طبقة أرستقراطية كانت مسؤولة عن إدخال الحصان والعربة إلى المنطقــة. وانتهت هذه المملكة في عهد الملك الآشوري (آشور ناصربال) سنة ١٣٣٥ق.م.

وقــد تعرضــت مملكتهم للغزو المصــري بزعامة تحتمــس الأول، لكــن الميتانيين اســتطاعوا التخلص من التبعية المصريــة باتفاقهم مع الحثيين في أواخر القرن الثالث عشــر قبــل الميلاد واصبحــوا يملكون قرارهم بنفســهم، لكن في المقابل كانت هناك علاقات وطيــدة بين الطرفين ترســخت في عهد الملك الميتاني (توشرتا نحو ١٣٩٠ق. م) الذي وصفته الوثائق المصرية بالصديق الموالي لمصر، وكانت بينه وبين ملوك مصر رابطــة مصاهرة ونســب، وله مراســلات مطولة مع امنحوتب الثالث (توفي ١٣٧٥ق. م). وامنحوتب الرابع (تــوفي ١٣٥٨ق.م). ووجــدت بعض من هذه الرســائل المتبادلــة في تل العمارنة مكتوبــة باللغة الميتانية في نحو ســتمائة ســطر. وكانت إحدى شقيقاته من بين زوجــات امنحوتب الثالث، كما أن إحدى بناته المدعوة (نفرتيتــي) كانت زوجة امنحوتب الثالث ومن بعده امنحوتب الرابع.

وفي إحدى رســائل هذا الملك الميتانــي التي كتبها لزوج أخته الفرعون المصــري امنحوتب الثالث(توفي ١٣٧٥ ق.م) يخاطبه بهذه العبارات:

إلى ميمّوريا الملك العظيم، ملك مصر، أخي،
صهري الذي يحبني والذي أحبه،
هكذا يقول توشراتا الملك العظيم ، حموك،
الذي يحبك، ملك ميتاني، أخوك:
أننــي في حالة حســنة، عســى أن تكــون في حالة حسنة!
وبيتك، وشقيقتي وسائر نسائك وأولادك،
ومركباتك وخيولك وجيشك،
وبلادك وجميع ممتلكاتك.
ليكثر السلام عليك![1]

كمــا تأثر المصريــون القدماء بالديانــة الحورية في عهــد ملكهم أمنحوتــب الرابع ما بين عــام (١٣٧١ – ١٣٥٨ ق.م)، وشــاركت العديد من الأميرات الميتانيات مــع أزواجهــن في حكم مصــر أمثال الملكة المشــهورة (نفرتيتي).

نفرتيتي الميتانية على عرش مصر

نفرتيتي تلك الملكة الميتانية الجميلة التي حكمت مصــر في ظل ديانة التوحيــد (١٣٦٩ ق.م) هي زوجة الملك أمنحوتب الرابع الشــهير بأخناتــون (١٣٦٩-١٣٥٣ ق.م) عاشــر فراعنة مصر من الأســرة الثالثة عشر، وأول من أعلن ديانة التوحيد بطريقة رسمية، ونادى بوحدانيــة الله الواحــد الأحد، وكان يــراه في قرص الشمس، وحطم الأصنام، وأعلن زهده.

واســمها (نفرتيتي) يعني الجميلــة المقبلة، كانت شــريكة زوجها في إعلان التوحيد، وعاشت معه حياة وردية رقيقة، أنجبت له ســت بنات، وشــاء القدر أن

يحرمها من إنجاب من يرث العرش.

وصفها زوجها بقوله: «مليحة المحيا، بهيجة بتاجها ذي الريشتين، تلك التي إذا ما أصغى إليها الإنسان طرب، سيدة الرشاقة، ذات الحب العظيم، تلك التي يسّر رب الأرضين صنعها». كما وصفها في مناسبات أخرى: «الجديرة بالمرح، ذات الحسن، حلوة الحب، جميلة الوجه، زائدة الجمال التي يحبها الملك، سيدة السعادة، سيدة جميع النساء». لذلك تميزت بجمالها وجاذبيتها، وشخصيتها القوية على زوجها وانعكاساتها على عصرها.

تولت عرش مصر لفترة محدودة، ومنحت ألقاباً عديدة منها « الزوجة الملكة العظمى»، و «سيدة مصر العليا والسفلى، سيدة الأرضين». ثم وقعت في محنة الردة التي شقيت بنتائجها بعد وفاة زوجها، انتهت حياتها بمأساة، لها تماثيل نصفية خلدت جمالها الرائع موجودة اليوم في متحفي برلين والقاهرة[٢].

العصر الإسلامي

أما في العصور الإسلامية فقد ذهب الكثير من رجالات الكرد إلى مصر والقاهرة على شكل جنود وقادة عسكريين وطلبة علم لتلقي المعرفة من الجامع الأزهر، ومن الشخصيات الكردية التي برزت في مصر في العصر الفاطمي احمد بن ضحاك أحد الأمراء الكرد الذي تولى في عهد الخليفة الفاطمي القادر بالله مناصب هامة في الجيش المصري، واتفق أن جردت حكومة روما الشرقية جيشا على قلعة (آفاميا) بالقرب من نهر العاصي تحت قياد القادة دوقس (داميانوس ـ دهلاسينوس)، واحتدمت المعارك بين الجيش الرومي والجيش المصري الذي كان بقيادة القائد (جيش بن محمد بن الصمصامة)، وأسفرت عن اندحار الجيش المصري الذي لم يبق منه سوى خمسمائة خيال، في حين كان قائدة الجيش المنتصر يتمتع بنشوة الظفر من فوق ربوة عالية.

فلم يتمالك القائد الكردي احمد بن ضحاك من الاندفاع نحو القائدة الرومي فهجم عليه بمفرده وأراده قتيلا. وصاح عندئذ بصوت جهوري قائلا : «أن عدو الله قد قضى نحبه »، فأثر ذلك على معنوية الجيش المصري المدحور وعاد إلى ميدان النضال فهزم الجيش الرومي، فكتب النصر بذلك للجيش الفاطمي[٣].

وبرز أيضاً الملك العادل أبو الحسن سيف الدين علي بن سالار، وزير الظافر العبيدي صاحب مصر. وكان كرديا من عشيرة (زرزائي) الساكنة في إيران، وقد ربي في القصر بالقاهرة، وتقلبت به الأحوال في الولايات بالصعيد، فعين والياً على الإسكندرية، وتولى الوزارة للظافر في القاهرة في رجب سنة (٥٤٣ هـ)، ونعت بالعادل أمير الجيوش. واستمر في الوزارة إلى أن قتل بيد حفيد امرأته أم عباس (نصر بن عباس) في سنة(٥٤٨ هـ/ ١١٥٢م). بعد أن كان شهما مقداما ذا سطوة مع صحبته لأصحاب العلم والإصلاح. وعمر بالقاهرة المساجد، وبنى مدرسة في الإسكندرية للشافعية[٤].

الكرد يؤسسون الدولة الأيوبية في مصر

من أرض مصر استطاع البطل الكردي الخالد صلاح الدين الأيوبي (١١٣٧-١١٩٣م) تأسيس دولته العظيمة التي استمرت اكثر من مائة عام، ومن القاهرة انطلق إلى الشرق لتوحيد بلاد الشام، ومن هناك قاد الجيوش الإسلامية لمقارعة الصليبين ودك معاقلهم واستطاع هزيمتهم وكسر شوكتهم عقب معركة حطين الشهيرة ١١٨٧م، والتي مهدت السبيل لاسترجاع القدس وتحرير المنطقة من الغزو الصليبي.

يعد الملك المنصور أسد الدين شيركوه أول من ولي مصر من الأكراد الأيوبيين. وهو أخو نجم الدين أيوب. وعمّ السلطان صلاح الدين. وكان من كبار القواد في جيش نور الدين زنكي بدمشق، وقد أرسله على رأس جيش إلى مصر (سنة ٥٥٨هـ) لنجدة شاور بن مجير السعدي الوزير الفاطمي في مصر، واشتبك مع جيش ضرغام في بلبيس وانتصر عليه وحاصره في القاهرة،

ومن ثم وقعت الفسطاط في يده، وتسلم القاهرة وقتل ضرغام. وبعد ذلك نبذ شاور صداقة شيركوه ومنعه من دخول القاهرة. وعلى اثر ذلك أرسل شيركوه الأمير صلاح الدين لاحتلال بلبيس والشرقية، فلما علم شاور بالأمر استعان بملك القدس الصليبي وطلب مساعدته. وأرسل له جيشا قوياً ووجهه إلى بلبيس، ودافع شيركوه عن بلبيس ثلاثة اشهر دفاع الإبطال وانتهى الأمر باتفاق ملك القدس مع شيركوه وأخلى الاثنان مصر سنة ٥٥٨هـ .

رجع شيركوه مع جيشه إلى الشام. ولكن جيش ملك القدس خلافا للمعاهدة وبدسيسة من شاور بقي في مصر، وعلى اثر ذلك قرر السلطان نور الدين زنكي مع شيركوه احتلال مصر. وبعد ثلاث سنوات من الحملة الأولى قام شيركوه على جيش يربو على ألفي محارب وتوجه إلى مصر بقصد احتلالها سنة ٥٦٢هـ، وبعد متاعب كثيرة وصل إلى الجيزة وتقابل مع جيش القدس الإفرنجي على الضفة اليسرى من نهر النيل، وعلى حين غرة هجم جيش القدس ولولا قيادة وحزم شيركوه لانتصروا عليه، ولكنه لم يقبل بالمصادمة وتوجه إلى الصعيد واشتبك في الحرب معه بالقرب من البابين وانتصر، واحتل الإسكندرية ونصب الأمير صلاح الدين قائدا عليها وترك نصف جيشه هناك، واخذ الباقي وتوجه إلى الصعيد. أما ملك القدس فقد انسحب بعد خذلانه إلى القاهرة واخذ معه جيش مصر وحاصر الإسكندرية وعلاوة على ذلك أرسل أسطوله لمحاصرة القلعة بحرا. فدافع الأمير صلاح الدين مقابل تلك القوة البحرية والبرية سبعين يوما دفاعا لا نظير له.

أما شيركوه فانه تقدم بالقسم الباقي من جيشه وحاصر مصر. فإدارة شيركوه الحازمة وبطولة الأمير صلاح الدين ادخل الذعر إلى قلوب الأعداء واضطرهم إلى طلب الصلح، فلم يقبل شيركوه الصلح إلا على شرط إخلاء مصر من قبل الطرفين.

وفي الواقع أخليت مصر ورجع شيركوه إلى الشام، ولكن بعد فترة قصيرة أرسل ملك القدس جيشا إلى بلبيس بقصد الاستيلاء على مصر وقام بافضع الأعمال فيها مما اجبر الحكومة الفاطمية نفسها أن ترسل هيئة من قبلها حاملة كتاباً وفي طيه جدائل نساء القصر تستغيث بالسلطان نور الدين زنكي. فأرسل السلطان شيركوه للمرة الثالثة على رأس جيش كبير إلى مصر قدر بحوالي سبعين ألفا. فلما وصل خبر جيش الشام إلى ملك القدس خاف عواقب عمله وعاد إلى القدس في سنة ٥٦٤هـ.

وصل شيركوه إلى القاهرة واستقبله أهلها استقبالا حارا ورحبوا به، وعلم بان شاور بن مجير يأتمر به لقتله هو ومن ومعه من كبار القواد. فتعاون مع صلاح الدين على قتل شاور وأرسل رأسه إلى الخليفة «العاضد». الذي خلع عليه السلطنة ولقبه بالملك المنصور أمير الجيوش، وولاه الوزارة سنة ٥٦٤هـ. ولم يقم غير شهرين وخمسة أيام . فتوفي فجأة سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م. ودفن بالقاهرة. ثم نقل مع أخيه نجم الدين أيوب إلى المدينة المنورة ودفنا هناك، وقلد العاضد منصبه إلى ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي ولقبه بالملك الناصر[٥].

تولى صلاح الدين الوزارة وقيادة الجيش ولقب بالملك الناصر، ثم أنهى حكم الفاطميين وأصبح صاحب السلطة في مصر واستقل بها.

بعد وفاة نور الدين زنكي شهدت الشام اضطرابات دعي صلاح الدين إلى ضبطها، فقام هناك بتهدئة الأوضاع وتوحيد البلدان حولها وبدأ إصلاحات فيها وكذلك في مصر التي بنى قلعتها الشهيرة (قلعة الجبل) والعديد من المدارس والمستشفيات والمساجد والطرق، وحافظ على المذهب السني وأعاد نشره من مخالب التشيع الخطير آنذاك، وتتابعت إنجازاته حتى دانت له البلاد وأصبحت دولته الأيوبية تمتد من النوبة في أقصى جنوب مصر إلى بلاد الأرمن شمالا والجزيرة والموصل شرقا إلى برقة غربا، وحينها بدأ يكرس جهده لمواجهة حملات الصليبيين وغاراتهم.

تمكن صلاح الدين من توحيد شـتات المسـلمين بعـد تفرقهم في دويلات متناحـرة هيأت للصليبيين السـيطرة علـى أراضيهم ومنها بيت المقدس سـنين طويلة، وكان رجل سياسـة وحـرب بعيد النظر، كما عرف بعطائه وإنفاقه في سبيل الله حتى إنه لم يدخر لنفسـه مالا ولا عقـارا، وكان يهتم بإصلاح الشـؤون العامة من عمران، ومجالس علم، وحلقات أدب.

كمـا يسـجل لصلاح الديـن حماية المسـيحيين الشرقيين وبالأخص أقباط مصر الذين أحبوه ووضعوا صورته في كنائسـهم وأديرتهـم، فصورة صلاح الدين المنشورة اليوم في جميع أرجاء العالم منقولة من كتاب روسـي مأخوذ من دير قديم بمصـر. ويدل البيتان الآتيان لحكيم الزمان عبد المنعم الأندلسي الذي هبط مصـر في عهد صلاح الدين ونظـم قصائد في مدحه، على أن المسيحيين في ذلك العهد رسموه ووضعوا رسمه في الكنائس فهو يقول :

فحطوا بأرجاء الكنائس صورة
لك اعتقدوها كاعتقاد الأقانم
يدين لها قس ويرقى بوصفها
ويكتبه يشفي به في التمائـم

وعن هذا الموضوع كتب احمد زكي باشـا المصري مقالة في مجلة «رعمسيس» يقول فيها: « كان القبط يحبون هذا الملـك العظيم صلاح الدين، الذي حماهم ورعاهم، وعرفوا في كل أيامه السعادة والهنا، وأي دليل على هذا اكـبر من وضع صورتـه إلى جانب الأيقونة المقدسة».

كان صلاح الدين بطلا عربيا إسلاميا كرديا عالميا، ومن أهم الشـخصيات في التاريخ الإسـلامي، شهد له بذلك الشرق والغرب معا، ودخل الحروب وخرج منها مرفوع الرأس، مخالفا سـير العظماء أمثال الاسـكندر المكدونـي ونابليـون وغيرهما، فالاسـكندر انتصر في البدايـة لكنه اندحر في النهايـة ومات قتيلا على يد عبيده، ونابليون دوخ العالم لكنه مات منفيا مسموما في إحـدى الجزر النائية... نعم سـيبقى العالم يذكر انتصاراتـه وإنجازاته السياسـية والعمرانية على مر الأيام والسنين، وخير من رثاه بأفصح عبارة يوم وفاته والدته التي خاطبته وهو مسـجى في قبره: «سـأضع سيفك في كفنك، وسيعرفك الله، فأنت سيفه»[٦].

وحكم مصر الملك العادل الكبير سيف الإسلام أبو الفتـح محمد أبو بكر بن نجم الدين أيوب بن شـادي بن مروان (١١٤٥ـ ١٢١٨م)، وكان نائب السـلطنة بمصر عن أخيه صلاح الدين أثناء غيبته في الشـام، وتنقل في الولايات إلى أن اسـتقل بملك الديار المصرية (سـنة ٥٩٦) وضم إليها الديار الشامية، وأرمينية وبلاد اليمن حتى أصبح سلطان الدولة الأيوبية سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م. ولـما صفا له جو الملك قسـم البلاد بين أولاده، وعاش ارغـد العيش. ملكا عظيما حنكته التجارب، حسـن السـيرة محباً للعلماء. تـوفي بقرية عالقين في حوران سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، وهو يجهز العساكر لقتال الإفرنج، ودفن في مدرسـته المعروفة إلى اليـوم بالعادلية وهي المتخذة أخيرا دارا للمجمع العلمي» بدمشق. وفي أيامه زال أمر الإسـماعيلية من ديار مصـر، بعد أن قبض على كثير منهم، ولم يجسـر أحـد بعدها أن يتظاهر بمذهبهم[٧].

ومن سـلاطين الأيوبيين في مصـر الملك الكامل ناصـر الدين أبو المعالي محمد ابن الملك العادل محمد أبي بكر ابن أيوب، كان عارفا بالأدب، له شـعر، وسمع الحديث ورواه. ولد بمصر سـنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م، أعطاه أبوه الديار المصرية، فتولها مسـتقلا بعد وفاته سـنة ٦١٥هـ، وحسـنت سياسـته فيهـا. واتجه إلى توسـيع نظـام حكمه، فكانت الخطبة باسـمه، ودعا له بلقب «مالـك مكـة وعبيدها، واليمـن وزبيدهـا، ومصر وصعيدها، والشـام وصناديدها، والجزيرة ووليدها... الخ»، وله موقع مشـهور في الجهـاد بدمياط، إذ قاوم الحملة الصليبية الخامسة التي احتلتها، وأعادها سنة ٦٣٠هـ، وعقـد اتفاقية مع فردريك الثاني الإمبراطور الجرماني. وكان حـازم عفيفا عن الدماء، مهيبا، كان فيه جبروت، ومن آثاره بمصر المدرسة «الكاملية».

كان ملكا جليلا مهابا، حازما حسن السيرة، يباشر أمور مملكته بنفسه، وانفق الأموال الكثيرة، وكان يحب أهل العلم ويجالسهم، ويؤثر العدل، وكانت الطرق آمنة في أيامه، مات بدمشق بعد شهرين من فتحها سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م[٨].

ومن كبار الملوك الأيوبيين الذين حكموا مصر الملك الصالح نجم الدين أبو الفتوح أيوب بن السلطان الملك الكامل: وهو زوج شجرة الدر.

ولد ونشأ بالقاهرة ١٢٠٦. سلطنه أبوه على آمد وحران وسنجار وحصن كيفا. وملك دمشق ، ثم ملك الديار المصرية ودانت له الممالك. وقد ضبط الدولة بحزم، وعاد وحدة الدولة الأيوبية من جديد سنة ١٢٤٥م. واستعان بالأتراك الخوارزميين، فاستعاد القدس من الصليبيين، وفي أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط واحتلوها وأصاب البلاد ضيق شديد، وكان الصالح غائباً في دمشق، فقدم ونزل أمام الفرنج وهو مريض بالسلّ فمات بناحية المنصورة ١٢٤٩م، ونقل إلى القاهرة.

كان نجم الدين أيوب سياسيا بارعاً، وكان يطمح إلى إنشاء دولة كدولة صلاح الدين والكامل تتألف من مصر وفلسطين والشام وبلاد ما بين النهرين، وكانت قصوره في شبه جزيرة الروضة بالنيل وفي الكبش، ومدرسته، ذائعة الصيت في تلك الأيام[٩].

وهناك الملك المعظم تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل: ثامن سلاطين الدولة الأيوبية بمصر وخرهم، كانت إقامته في حصن كيفا (بديار بكر) نائباً عن أبيه . ولما توفي أبوه سنة ١٢٤٩م كتمت (شجرة الدر) خبر موته، فاستدعته، فسار إلى القاهرة، والحرب ناشبة بين المصريين والفرنسيين على أبواب (المنصورة) فلبس خلعة السلطان بعد أربعة أشهر من وفاة أبيه، وقاتل الفرنج، وهزمهم واسترد دمياط، ففرح الناس وتيمنوا بوجهه.

ثم تنكر لشجرة الدر، فحرضت عليه المماليك البحرية فقتلوه في «فارسكور» ١٢٥٠م، وبمقتله انقرضت دولة بني أيوب بمصر ومدتها ٨٦ سنة[١٠].

من أعلام الكرد في مصر خلال العصور الوسطى

التاريخ ما هو إلا حياة قلة من الرجال العظام"

المؤرخ الإنجليزي توماس كارليل

هاجر إلى أرض الكنانة عشرات من العائلات والعناصر الكردية خلال العصر العباسي والفاطمي والأيوبي والمملوكي والعثماني، وقطنوا في اغلب المدن المصرية من الإسكندرية شمالا حتى أسوان جنوبا، وظهر من بينهم القائد والجندي والتاجر والعالم والمزارع، و نبغ منهم أعلام في شتى مناحي الحياة السياسية والعسكرية والأدبية والفقهية والدينية، واستطعنا الاستدلال عليهم من خلال انتسابهم إلى المناطق الكردية التي قدموا منها في كردستان كمدن الدينور، واسعرد، واخلاط، وميافارقين، ودنيسر، وماردين، هكاري، وحران، وشهرزور، ودوين، واربل، وآمد... أو من خلال انتسابهم إلى أصلهم الكردي فعرفوا به، مع أننا تجنبنا ذكر الأعلام الكرد الذين نزلوا القاهرة ومصر لتحصيل العلم وممارسة الوظائف المختلفة ومن ثم عودتهم إلى ديارهم بعد انتهاء فترة عملهم هناك، لذا انحصر الحديث هنا على الكرد الذين نزلوا مصر وعاشوا في مدنها واتخذوها دار سكن واقامة، وادركتهم الوفاة فيها، مع ملاحظة أن بعض الكرد نسب نفسه إلى المدن المصرية كالقاهري نسبة إلى القاهرة، والدمياطي نسبة إلى دمياط، والإسنائي نسبة الى أسنا.

وفي هذا المقال نستعرض أبرز أعلام الكرد الذين نبغوا في ديار مصر خلال العصر العباسي والأيوبي والمملوكي، مستعرضين سيرهم حسب تاريخ سني الوفاة:

❖النحوي واللغوي أحمد بن جعفر الدينوري (أبو علي). وهو أحد النحاة المبرزين المصنفين في نحاة مصر. وأصله من (دينور) بلدة في الجبال في بلاد الكرد

عند قوميسين = كرمنشاه خرج منها خلق كثير. قدم البصــرة، وأخذ عن المازني، ثم دخل بغداد فقرأ على المــبُرد. و قدم مصــر، وهناك ألف كتــاب « المهذب في النحو». و «مختصر في ضمائر القرآن» استخرجه من كتاب المعاني للفراء، و «إصلاح المنطق». توفي بها سنة ٢٨٩هـ /٩٠١م(١١).

❖الأمير مجير الدين أو (مجـد الدين) أبو الهيجاء بن عيســى الازكشــي الكردي. كان مــن أعيان الأمراء وشجعانهم. ولد بمصر سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١م، وقد شارك نيابة الشــام مــع الأمير علم الدين ســنجر الحلبي في دور ســلطان مصر الملك الظاهر بيبرس، توفي سنة ٦٦١ هـ/١٢٦٧م(١٢).

❖القاضي أبو القاســم صدر الديــن عبد الملك بن درباس الماراني، تولى القضــاء بالديار المصرية. وكان رجلا فاضلا ذا مكانة عالية، لبث في الحكم في القاهرة فترة طويلة، إلى أن توفي سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م، وكان مولده في سنة ٥١٦ هـ/١١١١م(١٣).

❖المحدث الشاعر إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس الماراني،الهذباني، الكردي، المصري المولد والمنشأ (أبو اسحق). ولد بالقاهرة سنة٥٧٢ هـ/١١٧٥، ونشأ بها، وكان قاضيها، ورحل إلى خرســان. وقيل كان من أهم من رحلوا في طلب الحديث، كتب وســمع الكثير، توفي سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٦م.ومن شعره:

كمتَ يا دهرُ أمري بإفــراط
وما عدلتَ إلى عدلٍ وإقســاط
أني وقد طرحت أيدي النَّوى حـنقاً
جسمي بحمص وروحي ثغر دمياط(١٤)

❖الشــيخ عثمان بن محمد بن أبي محمد بن أبي علي الكردي الحميدي: قاض، مدرس. تفقه في الموصل ثم رحل إلى أبي ســعيد بن أبي عصرون وتفقه عليه. قــدم مصر فولى قضاء (دميــاط)، ثم ناب في القاهرة عــن قاضي القضــاة عبد الملــك المارانــي، ودرس في المدرسة السيفية والجامع الأقمر، حج وجاور الرسول إلى أن توفي ســنة ٦٢٦ هـ /١٢٢٨م(١٥). ❖النحوي والفقيه المالكي عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الأسنائي، الدويني الأصل، المالكي المشهور بابن الحاجب الكــردي (جمــال الدين، أبو عمرو). مــن كبار علماء العربية والأصول.

ولــد في بلدة (أســنا) بصعيد مصر ســنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م، وكان والــده حاجبــاً للأمير عز الدين موســك الصلاحي، تعلم بالقاهرة التي نشــأ بها، ثم ارتحل إلى دمشــق، ودرس بجامعها بزاوية المالكية، وأكب الناس على الاشــتغال به، وأخذ الفضــلاء عنه، وكان الأغلب عليــه علم النحو، ورحــل إلى الكرك بالأردن، ثم نـزح عن دمشــق هو والشــيخ عز الدين بن عبد السلام في دولة الملك الصالح إسماعيل، عندما أنكرا عليه، ودخلا مصر وتصدر بالمدرســة الفاضليــة بالقاهرة، ولازمه طلابه، وانتقل إلى الإسكندرية، فلم تطل مدته هناك، وتوفي بها سنة ٦٤٦هـ /١٢٤٨م.

وقد جمع بين آراء المغاربة والمصريين من الفقهاء والمالكيــين. وخالف النحاة الأقدمين وتقدم. وكان من أحسن خلق الله ذهناً.

من مؤلفاته : «الكافية» في النحو، و «الشــافية» في الصرف. و «الإيضاح» في شــرح مفصل الزمخشري، و«الامالي». وقصيدة «المقصد الجليل في علم الخليل» في العروض. و «القصيدة الموشــحة بالأســماء المؤنثة» وغيرها. وألف بالفقه المالكي «مختصرمنتهى الســؤال والأمل، في علم الأصول والجدل» ومختصره. و «جامع الأمهات» في فروع الفقه المالكي(١٦).

❖الأمير الكبير والأديب شــمس الدين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن أبي سعيد بن علي بن المنصور بن محمد بن الحســين الشــيباني الآمدي، ثم المصري الحنبلي، وعرف بابن التيتي.

ولد بمصر سنة ٦٣٣هـ /١٢٣٥م، وسمع بها وبدمشق وماردين من جماعة، ونشأ بماردين. وكان والده شرف الدين مــن العلماء الفضلاء، عمــل تاريخا لمدينة آمد (ديار بكر). وكان وزيرا للملك السعيد الارتقي صاحب ماردين. وله نظم ونثر، ســمع الحديث ورواه، وكان

محدثــا فاضلا متقنا، وطلــب إلى مصر، وترقى إلى أن صــار نائــب دار العدل. وأصبح مع ابــن الملك المظفر بن الســعيد نائباً للمملكة ومدبرا لدولته، إلى أن ذهب رســولا إلى الملك المنصور قلاوون صاحب مصر فحبسه ست سنين، فلما ولي ابنه الملك الأشرف أخرجه وانعم عليه، وولاه نيابة دار العدل فباشرها.

كان عالمــا فاضــلا أديبا متقنــا ذا معرفة بالحديث والتاريــخ والنحو واللغــة، وافر العقل، مليــح العبارة، حسن الخط والنظم والنثر، جميل الهيبة، له خبرة تامة بسير الملوك المتقدمين ودولهم، ولا تمل مجالسته. وسمع من الشيخ تقي الدين بن تيمية والمزي والذهبي وغيره. وتوفي بمصر بعد أن سقط من على ظهر فرسه فكسرت أعضاؤه، وبقي أياما ومات سنة ٧٠٤هـ/١٣١٧م [١٧].

❖الشــيخ المحدث احمد بن احمد بن الحســين بن موســى بن موســك بن حجكو، الكردي الأصل، شــهاب الديــن الهكاري، عارف بالرجال، كان شــيخ الإقراء في مدرســة المنصورة بالقاهرة، وتولى مشــيخة الحديث بالمنصورية.

من تصانيفه «الكتب الســتة»، و «طبقات بني سعد»، و «كتاب في رجال الصحيح». وكثيراً من أجزاء الحديث. توفي في القاهرة سنة ٧٤٠هـ /١٣٥٠م [١٨].

❖المحــدث والفقيه والمؤرخ نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف بن الإمام الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن علي بن الصيقل النميري الحراني الحنبلي، مسند الديار المصرية. التاجر السُّفار، ولد بحران سنة ٥٨٧هـ /١١٩١م، ولي مشيخة دار الحديث الكاملية، وتوفي بقلعة الجبل بالقاهرة سنة ٦٧٢هـ /١٢٧٣م.

من مؤلفاته : «السباعيات والثمانيات في الحديث « في عدة أجزاء، و «المعجم» في أســماء الشــيوخ الذين أجازوا له، في سبعة أجزاء[١٩].

❖القاضــي والفقيــه محمــد بــن علي الحســين الخلاطي. تعلم ببغداد وبدمشــق، وانتقل إلى القاهرة، فولى قضاء الشــارع بظاهرها، وناب بالحكم بالقاهرة، وتوفي في رمضان سنة ٦٧٥ هـ،١٢٧٦م بالقاهرة.

له كتاب «قواعد الشرح وضوابط الأصل والفرع» في شرح الوجيز للغزالي، وله مصنفات أخرى[٢٠].

❖الوزيــر والكاتــب إبراهيم بن لقمــان بن احمد بن محمد، فخر الدين الشــيباني الإســعردي. ولد في بلدة (إســعرد) قرب ميافارقين شرقي نهر دجلة سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م، ولي وزارة الملك السعيد محمد بن الظاهر بيبرس(١٢٧٧-١٢٧٩م)، ثــم وزر مرتين للملك المنصور قلاوون(١٢٧٩-١٢٩٠م).

كان قليل الظلم، وفيه إحســان للرعية، ولما فتح الملــك الكامل محمد بن أيوب آمــد- ديار بكر- كانت الرســائل ترد إليه بخط ابن لقمان، فأعجب بها كاتبه البهاء زهير واستدعاه، وناب عنه في ديوان الإنشاء، ثم خدم في ديوان الإنشــاء في الدولة الصلاحية وهي دولة الســلطان الملك الصالح أيوب في مصر(١٢٤٠-١٢٤٩م)، ثم في أوائــل الدولــة الناصرية المملوكية دولة الســلطان الناصر محمد بن قلاوون (١٢٩٣م)، توفي بمصر ســنة ٦٩٣هـ /١٢٩٣م[٢١].

❖الأمير شــمس الدين محمد بن باخــل الهكاري، متولي الإســكندرية. كان أميرا فاضلا كريما، له نظم وأدب، تــوفي ســنة ٦٨٣هـ /١٢٩٩م بالإســكندرية. ومن شعره:

كم رامها فيما مضى من جاهل
ليفوز منها بالذي هو يطمع
ويكون فيها آمنا في سربــــه
لا يختشي ريبا ولا يتوقــع
قلبت له ظهر المجن فما درى
إلا وأسياف المنية تلمــــع[٢٢]

❖بهاء الدين يعقوب بيك الشهرزوري، نشأ في بلاده نشأة عسكرية، ورحل إلى مصر والتحق بالمظفر(قطز) ســلطان مصر حين اعتزم الزحف على الكرك لمناوئة التتر الزاحفين على مصر. وقد خدم الحكومة المصرية مدة طويلة حتى توفي سنة٧٠٧ هـ/ ١٣٠٧م[٢٣].

❖قاضي القضاة شرف الدين عبد الغني بن يحيى بــن محمد بن أبي بكر بن عبــد الله بن نصر بن أبي

بكر بن محمد، شــرف الدين أبو محمد بن بدر الدين أبــي زكريا بــن قاضي القضاة شــمس الدين الحراني الحنبلي. خرج من حران ســنة ٦٥٦هـ فأقام بدمشــق سنين، وأجاز له الشيخ عبد السلام بن تيمية، وأخوه عبد القادر، وحدث مراراً بالقاهرة ودمشــق، وســمع منه أبو حيان وذكره في معجمه.

توجه إلى مصر واستمر بها، وولي نظر الخزانة، ثــم ولي منصب الحكم بالديــار المصرية على مذهب الإمام احمد بن حنبل، ودرس بالناصرية والصالحية، وكان مشــكور السيرة، بشــوش الوجه، توفي بالقاهرة ودفن بالقرافة سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م[٢٤].

❖عبد العزيز بن احمد بن عثمان بن عيســى بن عمــر بن الخضر الكردي، الهكاري، الشــافعي، وكنيته الشــيخ (عماد الدين أبو العز)، ويعرف بابن خطيب الاشمونين (٦٦٦-١٣٢٧م)

مــن القضاة. ســمع بمكة وبدمشــق، وولي قضاء الأعمــال القوصيــة، ودرّس بالمقرية بمصــر، وأفتى، وتوفي بالقاهرة سنة (٧٢٧ هـ).

كان عالما فاضلا له مؤلفات كثيرة حســنة، وأدب وشــعر، من تصانيفه: «الكلام على حديث المجامع»، في مجلدين[٢٥].

❖المــؤرخ محمد بــن محمد بن محمد بن حســن الجذامي، الفارقي الأصــل، المصري (أبو الفضائل، ابن نباتــه، أصله من مدينــة ميافارقين) (بجــوار ديار بكر)، ولد بالقاهرة ٦٨٦هـ /١٢٨٧م، وسكن الشام، وتوفي بالقاهرة ٧٦٨هـ /١٣٦٦م.

من تصانيفه: «سلوك دول الملوك»[٢٦].

❖الصــوفي جمال الدين أبو المحاســن يوســف بن عبــد الله بن عمر الكــردي، الكوراني الأصل ويعرفه بالعجمــي. مصري الدار والوفاة ســنة ٧٦٨هـ /١٣٦٧م. كانت له زاوية مشهورة في قرافة مصر، وعدة زوايا في بلدان مختلفة.

له مصنفات مثل «شرائط التوبة ولبس الخرقة»، وســماه «ريحانة القلوب في التواصل إلى المحبوب ـ خ»، و» حــزب ـ خ»، و» بديــع الانتفاث بشــرح القوافل الثلاث ـ خ» في جامعة الرياض [٢٧].

❖المحدث والمســند ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن علي بــن يوســف الدمياطي الحّــراوي الطبردار، الكردي الأصل. ولد بثغر دمياط ســنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م، وتوفي سنة ٧٨١هـ /١٣٧٩م[٢٨].

❖الشــاعر الأديــب أحمد بــن محمد بــن العطار الدنيســري، أصله من مدينة (دنيســر) قرب ماردين بالجزيــرة الفراتية. اشــتهر وتوفي في القاهرة ســنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م.

لــه نظم كثــير وكان يمدح الأكابــر. وله كتب، منهــا «نزهه الناظر في المثل الســائر»، و «المســتأنس في هجــو بنــي مكانــس»، و «ثقل العيــار» خمريات و «منشــأ الخلاعــة» مجــون، و «مرقــص المطرب»، و «حســن الاقــتراح في وصــف الملاح» ذكــر فيه ألف مليــح وصفاتهم، و «بديع المعانــي في أنواع التهاني»، و «لطائــف الظرفاء»، و «عنوان الســعادة» في المدائح النبوية، و «المسلك الناجز» موشحات نبوية، و ديوان «قطع المناظر بالبرهان الحاضر»[٢٩].

❖العالــم بصناعة الكيمياء الشــريف إبراهيم بن عبــد الله برهــان الديــن الاخلاطــي، وكان أول أمره قــدم حلب قادما من بلاد العجم التي نشــأ بها، فنزل بجامعها منقطعا عن الناس، فكان يعرف الطب معرفة جيده، فأحضر إلى القاهرة ليداوي ولد الســلطان الملك الظاهــر برقوق من مرض حصل لــه في رجليه، فلم ينجح، فاستمر مقيما بمنزل على شاطئ النيل إلى أن توفي ســنة ٧٩٩هــ /١٣٩٦م، وخلف مالا كثيرا من ذهب ودنانير وكتب[٣٠].

❖المحــدث والمؤرخ احمــد بن احمد بــن درباس، المازني، الكــردي، القاهــري، الحنبلي(فخر الدين، أبو إســحاق) (تــوفي ١٤١٤م) جمع كتابــا في «آل بنيه بني دربــاس»، واخــر في «آل ابن العجمــي». وله «قراءة الكمــال»، «وتعليق التعليــق»، واختصر «التبصرة في الوعظ» لابن الجوزي بالزيادات[٣١].

❖المحدث الواعظ يوسف بن عبد الله المارديني الحنفي. أصله من ماردين. قدم القاهرة وحدث ووعظ الناس بالجامع الأزهر، كان لين الجانب، والتواضع، والاستحضار لكثير من التفسير والمواعظ. توفي بالطاعون، بعد سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٥م[٣٢].

❖احمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر الكردي الرازياني، ثم القاهري، المهراني، أبو زرعة ولي الدين العراقي: محدث، أصولي، فقيه، من الائمة الشافعية، قاضي القضاة بالديار المصرية. مولده ووفاته في القاهرة (١٣٦١-١٤٢٣م). وهو من بيت أسرة عريقة في العلم. رحل به أبوه (الحافظ العراقي) إلى دمشق، واتجه إلى بيت المقدس، وعاد إلى القاهرة وأخذ عن شيوخها، ورحل إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وسمع بهما، ثم رجع إلى القاهرة، وجد في الطلب والاشتغال. ودرس فظهرت براعته، وبهر به الطلبة، وتخرج على يديه جماعة من العلماء والأئمة.

في سنة ٧٩٠هـ ناب في القضاء نحو عشرين سنة، وفرغ نفسه للإفتاء والتدريس والتصنيف، ثم تولى قضاء القضاة بالديار المصرية ٨٢٤هـ. بعد وفاة جلال الدين البلقيني، فسار في القضاء بعفة، ونزاهة، وصرامة، حتى تعصب عليه بعض أهل الدولة لعدالته، فعزل نفسه مختاراً في سلطنة الملك الظاهر ططر، ثم أعاده إلى القضاء، وبايع ولده الصالح محمد بالسلطنة قبل انفصال السنة، ثم بايع بعده الأشرف برسباي سنة ٨٢٥هـ واستمر في القضاء، حتى صرف منه سنة ٨٢٥هـ لإقامته العدل، وعدم محاباته لأحد فيه، وتصميمه في أمور لا يحتملها أهل الدولة، حتى شق على كثيرين، فصرف عن القضاء بعد أن مكث فيه ثلاثة عشر شهرا، وتكدرت معيشته بعد عزله، فلزم العبادة والعلم والتصنيف والإفادة إلى أن توفي مبطونا شهيدا سنة ٨٢٦هـ /١٤٢٣م، وصلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن ظاهر القاهرة.

من كتبه «التحرير لما في منهاج الأصول من المنقول والمعقول»، و «شرح النجم الوهاج في نظم المنهاج»، وهو شرح على نظم والده نظم فيه «منهاج الوصول»، «البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح»، و «فضل الخيل» و «الإطراف بأوهام الأطراف» للمزي، و «رواة المراسيل»، و «حاشية على الكشاف»، و «أخبار المدلسين» شرح سنن أبي داود، و «تذكرة» في عدة مجلدات، و «ذيل» في الوفيات من سنة مولده إلى سنة ٧٩٣ هـ، و «مبهمات الأسانيد ـ خ» في الأزهرية، و» تحرير الفتاوى ـ خ»، و «الغيث الهامع في شرح جمع الجوامع» للسبكي، في أصول الفقه وهو من المؤلفات التي ينتفع بها، و «المعين على فهم أرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة» وغير ذلك. وله نظم ونثر كثير[٣٣].

❖القاضي الفقيه الطبيب محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام ناصر الدين بن الشمس بن الجمال الدمشقي، ويعرف بابن تيمية (١٣٥٠-١٤٣٣م). كان يتعانى في التجارة، ولي قضاء الإسكندرية مدة، وكان عارفاً بالطب.

وكان ينوب عن قضاء الإسكندرية عن قضائها في الأيام المؤيدية وغيرها، وله مرتب خاص انتقل بعده لولده، توفي بالقاهرة وقد جاوز السبعين من عمره[٣٤].

❖الأديب والمؤرخ محمد بن ناهض الكردي الأصل، الجهني الحلبي،ولد بحلب ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م، ولع بالأدب. سكن القاهرة، ونزل الجمالية ومدح أعيانها، وعمل «سيرة المؤيد شيخ». قال السخاوي: أجاد ما شاء، وقرضها له خلق سنة ٨١٩ هـ،وسافر إلى دمشق وسكنها، ورقت حاله، فاستجدى الناس بالمدح، وله نظم حسن. توفي بالقاهرة ٨٣١هـ/ ١٤٣٨م. ولعل من تأليفه أيضاً «بستان الناظر وأنس الخاطر».

ومن شعره قوله:

كم دولة بفنون الظلم قد فنيت
وراح آثارهم من عكسهم ومحوا
وجاء من بعدهم من يفرحون بها

وقال سبحانه (حتى إذا فرحوا)[٣٥]

❖الفقيه الشاعر أبو بكر بن علي بن عبد الله بن احمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر البرمكي، الاربلي، المارديني الأصل.

المولود بالقاهرة سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٩م، والمتوفى بها ٨٥٥هـ /١٤٥١م، من أثاره «مصنف في صناعة الشهود»، و «منسك»، و «قصيدة في الكعبة»[٣٦].

❖الصوفي عمر بن إبراهيم بن أبي بكر، البانياسي الكردي ثم القاهري الشافعي، ويعرف بعمر الكردي. نشأ ببلاده. وقدم القاهرة بعد ٨٤٠هـ. وتنزل في صوفية سعيد السعداء. وبعد مدة تحول لجامع قيدان على الخليج الناصري ظاهر القاهرة، وعمرت تلك الناحية لكثرة من يقصده من الخاصة والعامة للزيارة والتبرك بدعائه. وقد اجتمع به السخاوي وأثنى عليه. توفي سنة (٨٦٨ هـ /١٤٦١م)، وكانت جنازته حاشدة[٣٧].

❖المدرس والمحدث عمر بن خليل بن حسن بن يوسف الركن الكردي الأصل، ثم القاهري الشافعي (١٣٩٦-١٤٨٢م). كان يقال له ابن المشطوب لشطب كان بوجه والده. ولد بالقاهرة ونشأ فيها، وتعلم عن مشايخها، وسار إلى الشام وسمع من علمائها، ولي نظر جامع أصلم والتحدث على أوقاف طرنطاي الحساب، حدث، واشتغل بالتدريس، واستفاد من علمه خلق كثير مثل السخاوي، وقد بر وحسن ولزم بيته مديماً للتلاوة حتى توفي، ودفن بجامع سوق الغنم[٣٨].

❖الأمير حسن الكردي القائد عسكري أيام السلطان قانصوه الغوري المملوكي. في آخر أيام هذا السلطان ظهرت الفرنج البرتغال وعاثوا في أرض الهند، ووصل أذاهم إلى جزيرة العرب وبنادر اليمن وجدة، فلما بلغ السلطان قانصوه الغوري ذلك جهز إليهم جيشاً عظيماً بقيادة الأمير حسين الكردي، وجعل له مدينة جدة إقطاعا، وأمره بتحصينها، وعندما وصلها شرع في بناء سورها، وأحكام أبراجها في اقل من عام. ثم توجه بعساكره إلى الهند في حدود سنة ٩٢١هـ فاجتمع بسلطان كجران خليل شاه فأكرمه وعظمه، وهرب الإفرنج عن البنادر لما سمعوا بوصوله، ثم عاد إلى اليمن وفتحها من ملوكها بني طاهر وقتلهم، وترك بها نائباً في زبيد اسمه برسباي الشركسي، وتم الأمر الذي لابد منه، وبعد ذلك عاد حسن الكردي إلى مدينة جده، وقدم مكة قبيل زوال دولة المملوكية. وورد أمر السلطان العثماني سليم الأول بقتله، فأخذه شريف مكة بغتة وقيده وشمت به، وأماته غرقاً في البحر الأحمر أمام جدة سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٥م[٣٩].

الهوامش

(١) فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، بيروت دار الثقافة، ١٩٥١ ص١٦٢-١٦٣ محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد:ص٩٧،

(٢) جوليا سامسون: نفرتيتي، ترجمة مختار السويفي، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية للنشر، ١٩٩٢

(٣)مشاهير الكرد:٩٦/١-٩٧، كتاب تجارب الأمم: ٢٢٨/٣ ، خلاصة تاريخ الكرد:١٣٤

(٤)مشاهير الكرد:٨٢/٢

(٥)ابن خلكان ٢٢٧/١، ابن خلدون ٢٨٢/٥، ابن الأثير ١٢٨/١١، أعلام النبلاء، ٢٥٨/٤ ومنتخبات التواريخ وفيه:كان شيركوه من بلد دوين، قصد العراق هو وأخوه أيوب، وخدما بهروز شحنة السلجوقي ببغداد، ثم لحقا بخدمة عماد الدين زنكي، وبقي شيركوه مع نور الدين محمود، بعد موت أبيه زنكي، وأقطعه نور الدين حمص والرحمة، ولما رأى من شجاعته، وزاده عليها أن جعله مقدم عسكره.مفرج الكروب ١٤٨/١-١٦٨بعض أخباره، الاعلام١٨٣/٤، مشاهير الكرد:٢٦٦/١-٢٦٧ ، شذرات الذهب:٢١١/٤

(٦)وفيات الأعيان:٣٧٦/٢، تاريخ الخميس: ٣٧٨/٢، تاريخ ابن خلدون:٧٩/٤، و٢٥٠/٥-٣٣٠، الكامل:٣٧/١٢، السلوك:٤١/١-١١٤، طبقات السبكي:٣٢٥/٤، الدارس:١٧٨/٢-١٨٨، مرآة الزمان:٤٢٥/٨، مفرج الكروب: ١٦٨/١، ترويح القلوب:٨٧، ٨٨، الأعلام لابن قاضي شهبة، النجوم

الزاهرة:٦/٣-٦٣، شــذرات الذهب:٢٩٨/٤، الشرفنامة:١/ ٨٠-٩١، دائرة المعارف الإســلامية:٢٦٣/١٤-٢٧٧، الأعلام للزركلي:٢٢٠/٨، مشاهير الكرد:١/١-١٢، بدائع الزهور:١/ ٦٩ ، البداية والنهاية:١٣/١٢،معجم البلدان:١٥١/٣، ســنا الــبرق الشــامي:٤٢المواعظ والاعتبــار:٢٣٣/٢ ، تاريخ حلب:١٥٤/٢-١٦٢ ، الموسوعة العربية:١١٢٨/٢، صلاح بدر الديــن: موضوعات كردية، ٢٥، تاريخ الدول والإمارات الكردية في التاريخ الإسلامي:المقدمة

(٧) الوافي بالوفيات:٢٣٥/٢، ابن خلكان: ٤٨/٢ وفيه: ولادته بدمشق ســنة ٥٤٠ وقيل ٥٣٨، ابن إياس: ٧٥/١، الســلوك١:/١٩٤ وفيه مولده ســنة ٥٣٨ ، مرآة الزمان: ٥٩٤/٨، الأعلام: ٤٧/٦ ، حي الأكراد: ١٢٦، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة:١٥٠، خطط المقريزي:٢٣٦/٢.

(٨) الوافي بالوفيات:١٩٤/١، الكامل ١٣٥/١٢،١٢٦، ١٨٦، السلوك ١٩٤/١- ٢٦٠ وفيات الاعيان٥٠/٢، الدارس ٢٧٧/٢، مرآة الزمان ٧٠٥/٨، الأعلام ٢٨/٧، خطط الشام:٩٢/٢، معجم الأنساب والأسر الحاكمة:١٥١.

(٩) المنهــل الصــافي:٢٢٧/٣، الدليــل الشــافي:١/ ١٧٨،النجوم الزاهرة:٣١٩/٦، أعيــان العصر:٩٥/١، الوافي بالوفيــات:٥٥/١٠، خطط المقريــزي ٢٣٦/٢، ابن إياس ٨٣/١، السلوك ٣٣٩/١، تاريخ الاسحاقي ١٨٩، مرآة الزمان ٧٧٥/٨، الأعلام ٣٨/٢ ، شــذرات الذهــب:٢٣٧/٥، دائرة المعرف الإسلامية:١١٥/١٤-١٢٠

(١٠)الدليــل الشــافي:٢٣٠/١، المنهل الصــافي:١٨٣/٤، ابن إيــاس:٨٥/١، ابن الوردي: ١٨١/٢، ابن شــاكر ٩٧/١، السلوك١:/٣٦١ وفيه ما يخالف رواية غيره، فهو يذكر أن الملك المعظم ساءت سيرته مع المماليك البحرية فقتلوه، ولا يذكر شجرة الدر، ويقول: ان مدة بني أيوب بمصر ٨١ ســنة ، مرآة الزمان: ٧٨١/٨، مجلــة المجمع العلمي: ٣٠٨/١٦، الأعلام: ٩٠/٢ ، فوات الوفيات:٢٦٣/١، شــذرات الذهب:٢٩٢/٥، طبقات الشافعية:١٣٤/٨.

(١١) أنباه الــرواة: ٦٨/١-٦٩، بغيــة الوعاة: ٣٠١/١، الوافي بالوفيــات: ٦/ ٢٨٥، معجم الأدبــاء: ٤٣٥/١-٤٣٦، الأعلام: ١٠٧/١، كشف الظنون:١٠٧٨، ١٩١٤ المعجم المفصل في اللغويــين العرب: ٣٤/١. الدينــور: من مدن الجبال في إقليم مــاوي، دخلها العرب ســنة ٢٢هـ /٦٤٢م بعد معركة نهاوند.

(١٢) مشاهير الكرد:٦٤/١

(١٣) مشاهير الكرد:٥٢/٢

(١٤) تاريخ إربل:٢١٥/١، شــذرات الذهب:٧/٥ وفيه ســيرة والده عثمان بن درباس الكردي المتوفى ســنة ٦٠٢هـ/١٢٠٦م

(١٥) مشاهير الكرد:٥٩/٢

(١٦) المنهل الصافي:٤٢١/٧-٤٢٤، الدليل الشافي: ٤٤٠/١، النجوم الزاهرة: ٣٦/٦، البداية والنهاية:١٧٦/١٣، طبقات القراء:٥٠٨/١، شذرات الذهب:٢٣٤/٥، بغية الوعاة:١٣٤/٢، الموسوعة العربية ١/ ١٣، مشــاهير الكرد:٦٨/٢، معجم المؤلفين:٢٦٥/٦، ســير أعــلام النبــلاء:٢٨٧/١٣، معجم المؤلفين:٢٦٥/٦

(١٧) الوافي بالوفيات :٢٢٧/١، شذرات الذهب:١١/٦

(١٨) النجــوم الزاهرة:٢٤٨/١، الدرر الكامنة:١٩٨/١، غاية النهاية:٢٧/١، السلوك:٨١١/٢، أعيان العصر:١٦٨/١، معجم المؤلفين:١٤٥/١،حسن المحاضرة:٢٠٣/١

(١٩) كشــف الظنون:٥٢٣، ٩٧٥، الأعلام:١٨٢/٤، ١٨٣، هدية العارفين:٦١٦/١، شــذرات الذهب:٣٣٦/٥، الدليل الشافي: ٤٢٨/١

(٢٠) هدية العارفين:١٣٢/٦، مشاهير الكرد:١٣٧/٢

(٢١) المنهــل الصــافي:١٣٨/١، الدليــل الشــافي:١/ ٢٤الســلوك:٨٠٤/١:٣، فــوات الوفيــات: ٤٣/١، حســن المحاضرة:٢٣٣/٢

(٢٢) الوافي بالوفيات:٢٤٢/٢، الدليل الشافي:٦٠٢/٢

(٢٣) مشاهير الكرد:٢٢٣/٢

(٢٤) المنهــل الصافي:٣١٨/٧، الدليل الشــافي: ٤٢١/١، النجــوم الزاهــرة: ٢٧٨/٨ وفيــه مولده ســنة ٦٤٥هـ، الســلوك:٨٤/٢، البدايــة والنهايــة: ٥٧/١٤، تالي كتاب وفيات الأعيان:١٢٤، تذكرة التنبيه:٢٧/٢

(٢٥) طبقات الشــافعية للســبكي:١٢٥/٦، البداية والنهايــة:١٣١/١٤، الــدرر الكامنة:٣٦٨/٢/ ٣٦٩، حســن

المحاضرة:٢٤٠/١،شذرات الذهب:٧٧/٦، معجم المؤلفين:٢٤٢/٥

(٢٦) معجم المؤلفين:٢٧٤/١١، معجم مصنفي الكتب العربية، ٥٧٧.

(٢٧) الدرر الكامنة ٤٦٣/٤، الكتبخانة ١٣١/٢، ٢٢٧/٧، هدية العارفين ٥٥٧/٢، ٥٥٨،الأعلام: ٢٤٠/٨، إيضاح المكنون:١٧١/١، ٦٠٥، كشف الظنون:٢٦٠، ٩٤٠، حسن المحاضرة:٢٥١/١، معجم المؤلفين:٣١٤/١٣

(٢٨) الدليل الشافي:٦٥٨/٢، الدرر الكامنة:٢٠٦/٤، وفيه ولد بدمياط سنة ٦٨٧هـ، النجوم الزاهرة:٢٠٠/١١، شذرات الذهب:٢٧٢/٦

(٢٩) السلوك: ٢/٣، الدليل الشافي ١٨٠/١ لأعلام ٢٢٥/١، الدرر الكامنة:٢٨٧/١، شذرات الذهب: ٣٣٣/٦

(٣٠) المنهل الصافي:١٧١/٥، الدليل الشافي:٢٧٦/١، بدائع الزهور: ١/ ٤٨٨، وفيه برهان الدين الأخلاطي، وكان ينسب إلى صناعة الكيمياء، شذرات الذهب: ٣٥٦/٦، السلوك:٨٨٥/٣.

(٣١) الضوء اللامع:٢١٧/١،٢١٦ وفيه بن عبد الرحيم، معجم المؤلفين:١٥١/١، معجم مصنفي الكتب العربية، ٢٣

(٣٢) الضوء اللامع:٣٠٩/١٠، شذرات الذهب:١٤٤/٧

(٣٣) البدر الطالع:٥١/١-٥٣، الذيل على العبر:٧/١-٣٢، كشف الظنون:٥٩٥/١، ١٨٨٠/٢ ،شذرات الذهب:١٧٣/٧، المنهل الصافي:٣١٢/١-٣١٥، حسن المحاضرة:٢٠١/١، فهرس الفهارس: ٤٣٥/٢، معجم المؤلفين:٢٧١/١الأعلام:١٤٨/١، الضوء اللامع: ٣٣٦/١-٣٤٤، المكتبة الأزهرية: ٤٦/٢، لحظ الالحاظ: ٢٨٤

(٣٤) الضوء اللامع:١٢٤/٩-١٢٥

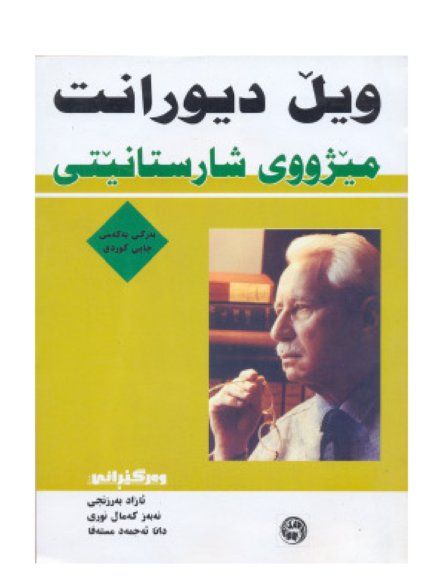
(٣٥) الضوء اللامع:٦٧/١٠، وفيه وفاته سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م، كشف الظنون:٢٤٤، الدرر الكامنة:٢٧٢/٤، هدية العارفين:١٤٧/٢، الأعلام:٧/ ١٢٢، مشاهير الكرد:١٦٣/٢

(٣٦) الضوء اللامع:٥٢/١١، ٥٣، معجم المؤلفين:٦٧/٣

(٣٧) مشاهير الكرد:٩٢/٢

(٣٨) الضوء اللامع: ٨٤/٦-٨٥، مشاهير الكرد:٩٣/٢

(٣٩) شذرات الذهب:١٧٥/٨-١٧٦، مشاهير الكرد:١/ ١٨٣ وفيه حسين الكردي.



قصة الحضارة
ويل ديورانت
ترجمة: آزاد برزنجي و نبز كمال ودانا احمد
من مطبوعات دار سردم - ٢٠٠٧

ملف/ حقوق الاقليات
الاقلية الكردية في سورية نموذجا

الافتتاحية:

لا تزال حقوق الأقليات تثير لبساً كبيراً لدى جمهور عريض في دول منطقتنا العربية .اذ يرتبط هذا المصطلح لدى الكثيرين بـ"النزعة الانفصالية"و"المؤامرة الخارجية" وما إلى ذلك.وان كان هذا الموقف يعود في جزء كبير منه الى غياب او ضحالة ثقافة حقوق الإنسان وتعبيراتها وممارستها في هذا الجزء من العالم ،فانه يجد جذورا له أيضا في مجمل الثقافة الشمولية السائدة التي تخاف التعدد والاختلاف.

لقد نالت القضية الكردية في سوريا الكثير من النقاش والجدل داخل الأوساط الحقوقية والثقافية والسياسية السورية،وهي لا تزال موضع خلاف واختلاف في كثير من تفاصيلها بين الأطياف والتيارات المختلفة.لكن هناك جملة من الأمور المتفق عليها-على الأقل-والتي أصبحت جزءاً من الاجماع الوطني ضمن الحراك الديمقراطي السوري،تتمثل أساسا في جملة من الحقوق التي تنبثق من الخصوصية الثقافية والقومية للأقلية الكردية في سوريا،ورفع جملة من الانتهاكات التي تعاني منها هذه الأقلية بسبب من خصوصيتها تلك،بدءاً من الإحصاء الاستثنائي وانتهاء برفع الحظر عن ممارسة حقوقها الثقافية.

بعض محاور القضية الكردية وإشكالياتها من منظور حقوقي، هو ما نحاول ان نبحثه في هذا العدد من "البوصلة".آملين ان نسهم في اغناء الحوار وتعزيز الايمان بثقافة حقوق جميع الناس بحياة حرة كريمة دون أي تمييز على أي أساس كان.

البوصلة-(العدد التاسع)

كانون ثاني/يناير٢٠٠٧

الكتاب والخبراء المشاركون في الملف:

وداد عقراوي، فاروق حجي مصطفى، د.آزاد احمد علي، د.عبدالباسط سيدا، مصطفى حايد ،رزان زيتونة

امل المستقبل في سوريا:
بناء جسر فوق الهوة السحيقة

وداد عقراوي*

تشكل الديمقراطية بمفهومها الحديث والواسع والشامل الاستحقاق الأكثر واقعية والأكثر أهمية والأكثر تناسقاً مع الحكمة السياسية، والأشد إلحاحا في وقتٍ حرج للغاية، تعتريه مخاوف ومخاطر جمة محدقة بسوريا. السمة الأكثر بروزاً في عملية تحقيق التغيير هي خلق آلية لتحفيز الانتقال من النظرة الأحادية المجمدة والمقفلة والمثقلة حتى أذنيها بتراكمات الماضي القريب، إلى مرحلة التفكير الواعي الديناميكي والمتزن، أي إلى ذهنية تؤطر وتوجه الفكر الإنساني وتنمي وتوقظ وتسخّر وتحشد طاقات الشارع السوري وتضفي عليه صبغة التواصل مع العالم من حوله.

تبدو الأصوات المطالبة بالتغيير في سوريا متلهفة للخروج من نوع طبيعة الحكم الحالي فقط ـ إنهم منقسمون فيما بينهم ومختلفون في توجهاتهم وميولهم وأهدافهم ورؤاهم. ولكننا نجدهم متفقين على مبدأ احترام حقوق الفرد السوري. فالتعذيب المتداول في السجون السورية وسياسة قمع الثقافة المتبعة ضد الأقليات وبينهم الكرد وعدم الاعتراف بحقوق أطفالهم ومنعهم من التعلم بلغتهم الأم والأحكام الجائرة التي تصدر بحق المدافعين عن حقوقهم من خلال محاكم غير شرعية، تحول دون الوصول إلى مصالحة مع السلطة بمفهومها الواسع.

تؤكد منظمتنا منظمة العفو الدولية المرة تلو الأخرى بأن معاناة الفئة الكردية في سوريا تكمن في تعرضهم للتمييز المنهجي بسبب هويتهم وانتمائهم العرقي، وتكرر منظمة العفو الدولية لتبلور وجوب وضع حد فوري لانتهاكات الحقوق الإنسانية للكرد، وتدعو تقاريرنا السلطات السورية إلى وضع نهاية للحظر على استخدام اللغة الكردية في التعليم وأماكن العمل والمؤسسات الرسمية والاحتفالات الخاصة ووقف العمل بقوانين تمنع النشر باللغة الكردية أو الاستماع إلى الموسيقى الكردية، وتدعو أيضا إلى السماح بتسجيل الأطفال بأسماء كردية ،وبأن لا ضير في تسمية بعض المؤسسات التجارية بأسماء كردية. ويتوجب على

السلطات أن تجري تحقيقات في الادعاءات المتعلقة بعمليات القتل غير القانوني والوفيات الناجمة عن تعذيب الكرد وإساءة معاملتهم.

إن أحداث آذار/مارس ٢٠٠٤ ووقوع مصادمات أثناء مباراة لكرة القدم بين فريق كردي وآخر عربي في القامشلي، والتي أدت إلى اندلاع مظاهرات نتج عنها طرد عشرات الطلبة الكرد من جامعاتهم ومساكنهم الجامعية بسبب مشاركتهم في مظاهرات احتجاج سلمية، والقبض على أكثر من ٢٠٠ كردي وتعرضهم للتعذيب وسوء المعاملة، بينهم أطفال وصلت أعمارهم إلى ١٢ عاماً ونساء وشابات مراهقات وشباب، لم يكن ذلك إلا تعبيرا وكشفا للنقاب بصورة رسميّة وعلنية عن الهوة العميقة التي وقع فيها الشعب السوري والشرخ العميق الذي خلّفته سياسة التمييز والتفرقة والفرق في التعامل وتفضيل فئة على فئة أخرى...

في تلك الأثناء أصدرنا تقريراً ـ بعد عدة شهور من الأبحاث ـ وضحنا فيه بأن الوقت قد حان لوضع حد للحظر المفروض على استخدام اللغة الكردية وممارسة الثقافة الكردية والاحتفال بالأعياد الكردية. وسلّط التقرير الضوء على حالات معينة لبعض مدافعي حقوق الإنسان، من الذين يسعون إلى تعزيز حقوق السكان الكرد في سوريا ويُعتقلون بسبب ذلك ويعذبون ويحاكمون في محاكمات جائرة. وذكرت منظمة العفو الدولية بأنه "يتعين على السلطات السورية تشكيل لجنة للتحقيق في الرد غير المتناسب لقوات الأمن على أحداث مارس/ آذار ٢٠٠٤." وأضافت المنظمة قائلة أن اللجنة "يجب أن تحقق في عمليات القتل غير القانوني المزعومة، وفي حالات الوفاة الناجمة عن التعذيب وسوء المعاملة في الحجز، وفي أنباء التعذيب التي شاعت على نطاق واسع، وأن تقترح حلولاً لمعالجة التمييز المنهجي ضد الأكراد، إلى جانب الانتهاكات الأخرى لحقوق الإنسان التي أسهمت في نشوء التوتر وانفجار العنف" .

حوالي ٢٠٠ ألف إلى ٣٦٠ ألفا من بين أبناء وبنات ثاني أكبر مجموعة عرقية في البلاد، بعد العرب، لا يُعترف بهم كمواطنين ومحرومون من الجنسية وجواز السفر. نتيجة لذلك فهؤلاء الكرد محرومون أيضاً من بعض الحقوق الاقتصادية والاجتماعية الأساسية. فلا يُسمح لهم مثلاً بامتلاك منـزل أو أرض أو تسجيل أي نشاط تجاري باسمهم. ولا يُسمح لهم بمزاولة عملهم كمحاميين أو صحفيين أو مهندسين أو أطباء. بل ان العديد منهم يُمنعون من الدراسة في المدارس بعد السن الرابعة عشرة، وغالباً لا يُسمح لهم بتلقي العلاج في مستشفيات الدولة. مدافعو حقوق الإنسان ونشطاء المجتمع المدني من المهتمين بقضايا حقوق الإنسان ومنظمو النشاطات السلمية معرضون بصورة خاصة لخطر الاعتقال والسجن بتهم معروفة لدى منظمة العفو الدولية ومعظمها من نصيب الكرد بينها "محاولة قطع جزء من الأراضي السورية وضمه إلى دولة أجنبية".

يواجه ناشطو المجتمع المدني السوريين تهماً مثل "إضعاف المعنويات الوطنية والتحريض على الصراع العرقي والطائفي"، وذلك بمقتضى المادة ٢٨٥ من قانون العقوبات. ويتعرضون للضرب في الحجز ويتم احتجازهم في القسم الخاص بالمجرمين عوضاً عن حبسهم مع السجناء السياسيين. هؤلاء بطبيعة الحال هم سجناء رأي اعتقلوا لممارستهم حقهم في حرية التعبير ولعملهم السلمي من أجل تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان.

ترحب منظمة العفو الدولية بأية خطوة ايجابية تخطوها السلطات السورية، وفي الآونة الأخيرة لاحظنا نقلة في التعاون والإفراج عن معتقلين بادرنا بالقيام بحملات من اجلهم ونحن إذ نثمن تلك الخطوات فإننا نتمنى من الجهات المعنية إعادة النظر في ملفات المعتقلين كافة. فبدون وضع حد لانتهاكات الحقوق الإنسانية داخل الحدود السورية لا يمكن الادعاء بوجود مجتمع مدني ـ ذلك المجتمع الذي يتطلب الالتزام الطوعي والكامل بالمضامين الأساسية

له والتأكيد على مجموعة من الشروط والصفات والخصائص المميزة لهذا المجتمع ووظائفه.

أما الإصلاح والنهج الديمقراطيان فهما بحاجة إلى تضحيات جسام في مختلف المجالات من اجل إعادة هيكلة المجتمع بالإضافة إلى جهود إجرائية وتنظيمية وتعليمية وتثقيفية وتنموية توجّه السفينة السورية إلى ساحل الهدف.

تعتبر المصالحة الوطنية الشاملة من المهمات العاجلة والملحة والضرورية والمطروحة ولكن أيضا من المهمات المعقدة التي تواجهها الأطياف المتواجدة داخل الحدود السورية، ويتوجب أن تركز هذه الميكانيزما على التخلص من عواصف التصادم في البحر الاجتماعي الهائج والزوابع الرعدية القضائية والأعاصير الطبقية التي تنسف دم المواطن البسيط في ليل الفساد الإداري.

المجتمع السوري لن يكون متماسكاً لو لم تبادر الحكومة السورية بردم الهوة العميقة الشاسعة بين أطياف الشعب داخل الحدود السورية.

ملاحظة: أي آراء قد تنشر بخصوص أي موضوع اكتبه أو أية حملة أقوم بها يعبر عن مواقف أصحابها ولا علاقة لي ولمنظمة العفو الدولية بمحتواها.

* وداد عقراوي: سفيرة منظمة العفو الدولية لوقف التعذيب، وعضوة الهيئة القيادية العليا لمنظمة العفو الدولية-الدانمارك.

د. شاهو سعيد

التبئير الفلسفي في الرواية

مقاربة ظاهراتية في تجربة سليم بركات

التبئير الفلسفي في الرواية
مقاربة ظاهراتية في تجربة سليم بركات
د. شاهو سعيد
من مطبوعات دار سردم
سلسلة الكتب العربية - ٢٠٠٧

حقوق الانسان الكردي

فاروق حجي مصطفى*

يمكن معرفة حقوق الإنسان الكردي - والذي يجدد دعوته مع سائر البشرية في يوم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، منذ أن أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا الإعلان في عام ١٩٤٨ - بالمطالبة بصون الحقوق و الحريات اللتين أصبحتا(فيما بعد) همّاً إنسانياً جامعا (بغض النظر عن الدين، اللغة، الجنس، اللون، والمواقف والآراء الفكرية والسياسية). ومع بداية دخول سورية في القرن الواحد والعشرين كانت المنظمات الحقوقية تصرخ عالياً لوقف انتهاكات حقوق الإنسان والدعوة إلى احترام الحريات العامة والخاصة.

فمن خلال الدراسة التي تمّ نشرها حديثا عن الفقر في سورية وأماكن توزعه. تدعو الدراسة التي شارك فيها ١١ خبيرا دوليا وعلى مدار عامين إلى اتخاذ إجراءات عاجلة وأخذ البعد الاجتماعي النفسي للفقراء بعين الاعتبار، لقد ذكر التقرير أن أكثر السوريين فقرا هم ذاتهم الذين يعيشون في أكثر المناطق والمحافظات امتلاكا للثروات، سواء منها الزراعية أم النفطية (أي المناطق الشمالية و الشمالية الشرقية من سورية –مناطق انتشار الكرد) وتكشف الأرقام أنه يوجد في سورية اليوم نحو ٣,٥ مليون فقير، يشكلون ٣٠ ٪ من السكان، بينهم مليون شخص لا يتمكنون من الحصول على الحاجات الأساسية من الغذاء وغيره... وتصل معدلات الفقر إلى ٦٠٪ بين أهالي المناطق الشمالية والشمالية الشرقية، وهي الأغنى بالموارد الطبيعية من نفط وغاز ومياه ومحاصيل زراعية، وان ٥٨٪ من الفقراء يعيشون في الإقليم الشمالي الشرقي الذي يمثل الكرد غالبية قاطنيه[1].

ثمة من يرى بأن الشعب الكردي (السوري) يتعرض إلى انتهاكاتٍ لحقوقه (منذ فترة طويلة)، والانتهاكات لم تقتصر على الحكومات وإنما كانت هناك جهات، ونتيجة لعصبية معينة ولأسباب أيديولوجية وخلفيات اجتماعية وعقائدية، شاركت بانتهاكات بحق الكرد دون الأخذ بعين الاعتبار حرمة الحقوق واحترام مبادئ الإعلان العالمي والمفاهيم الحديثة

لحقوق الإنسان، ولا يخفى على أحدٍ أن المفاهيم الجديدة لحقوق الإنسان تشمل حتى حق تقرير المصير للشعوب، وإذا كان باب الانتهاكات قد أصبح مشرعا مع صدور قانوني الأحكام العرفية والطوارئ ليبقى سيفاً مسلطاً على رقاب الفرد والمجتمع بان، فبالنسبة للكرد فإن الانتهاكات قد بلغت ذروتها مع صدور كرّاس محمد طلب هلال[2] والذي يمكن النظر إليه بأنه يدعو إلى "التطهير العرقي في منطقة الجزيرة" بشكل علني وصريح من خلال دعوته إلى إفراغ المنطقة من الكرد وتوطين العرب بدلاً عنهم ودعوة السلطات الأمنية إلى خنق الكرد ومحاصرتهم تمهيدا لصهرهم في بوتقة "الأمة العربية" الأمر الذي مهّد لبروز سياسات عنصرية بحق الكرد وترجمت على الأرض من خلال تطبيق سياسة تعرف في أوساط الكرد بـ"الحزام العربي" وكذلك إجراء الإحصاء الاستثنائي الذي حرم بموجبه (١٢٠) ألف كردي حينها في عام ١٩٦٢من حق الجنسية ووصل هذا الرقم اليوم(ونتيجة للتكاثر الطبيعي) نحو ثلاثمئة ألف، إضافة إلى ممارسة السياسات البغيضة مثل الاضطهاد و التهميش و التجويع و التهجير. والحق يقال إن هذه السياسات بدأت تتسع دائرتها لعددٍ من الأسباب أولها: غياب الأصوات المنددة بها من قبل الأحزاب والفعاليات الاجتماعية ، وغياب الفاعلين ومنظمات المجتمع المدني ثانياً، وعدم وجود منظمات حقوقية (سرية وعلنية) على الساحة السورية لمدة أكثر من ثلاثة عقود، ومع وجود هذه المنظمات وكلها غير مرخصة وموجودة بموجب "أمر واقع" أو في إطار سياسة "غض النظر" ثالثاً. العوامل هذه كانت سببا في عدم وجود المواطنة الحقّة ولتكون سبباً في خلل الواجبات والحقوق.

والحال، وبالرغم من أن الكرد (الذين يبلغ تعدادهم ثلاثة ملايين نسمة)[3]، وحسب الرئيس بشار الأسد فإنهم يعتبرون جزءا من "النسيج الاجتماعي والتاريخي لسوريا" إلا أنهم يعانون شتى أنواع الاضطهاد، فالنظام لا يعير أي اهتمام لمشاكلهم وقضاياهم ومعاناتهم ، فالشعب الكردي محروم من جميع حقوقه الطبيعية (الإنسانية) وتُمارس بحقه شتى أنواع السياسات الشوفينية والقمعية وفي كثير من الأحيان تفوح منها رائحة العنصرية، فما معنى قيام السلطات ببناء التجمعات السكنية الحديثة للعرب المستقدمين من محافظتي الرقة وحلب (اثر غمر أراضيهم عند بناء سد تشرين)، في الوقت الذي يحرم الكردي فيه من أرضه تلك والتي عاش عليها أباً عن جد وتم تهجيره وتشريده ليصبح لاجئاً في أحزمة الفقر حول العاصمة!!، ومازال سيف الإحصاء الاستثنائي مسلطا على رقاب ضحايا الإحصاء الاستثنائي السيئ الصيت. بيد أن الكرد الذين جردوا من جنسيتهم هم من كرد سوريا وهم من السكان الأصليين في المنطقة وكانوا يعيشون على أرضهم التاريخية حتى قبل وجود سوريا كدولة .

والحق ان هذه السياسات لم تقف عند حدود انتزاع الجنسية(وهو حق طبيعي للإنسان، وبموجب الإعلان العالمي وبنوده يحق للإنسان اختيار أي جنسية، وبموجب الدستور السوري بإمكان أي فرد الحصول على الجنسية السورية بعد مرور أكثر من خمس سنوات من الإقامة على الأرض السورية) بل امتدت لتأخذ بعدا جغرافيا أيضا وهذه المرة كانت سلطة البعث هي المتهمة بالتخطيط والتنفيذ، حيث آلاف القرى والبلدات الكردية عرّبت أسماؤها، وعرّبت حتى أسماء الجبال والوديان.

بعد مرور عقود من السلطة الشمولية والتي من موجبات بقائها إقصاء الغير وتهميشه، يعيش الكردي حالة اغتراب رهيبة، فهو يعيش في هذا البلد الذي هو وطنه ولا يعيش ! فهو مبعد عن ممارسة حقه و واجبه في المشاركة في إدارة شؤون قريته وبلدته ومدينته، ففي المناطق الكردية تكون هذه الإدارات بيد الأقلية العربية أو حتى خارج هذه المناطق. وليست للكرد أعضاء في مجلس الشعب السوري باستثناء دورة ١٩٩١ حيث وصل إلى البرلمان أعضاء على أساس أنهم كرد (أي

بهوية كردية). الكردي في هذا البلد العصي على التغيير والإصلاح يحرم من ممارسة حقه و واجبه الوطني، فبحكم فقدان الجنسية لا يمكنهم خدمة العلم وهذا ما يشكل إهانة وطعناً في الكرامة الشخصية، وحتى في أحداث القامشلي (٢٠٠٤/٣/١٢) شمّ الكرد رائحة التمييز القومي فهم قُتلوا(٤) لأنهم أكراد، هذا عدا عن أنه تمت إهانتهم و أقصوا من ممارسة حقهم الإنساني باستنكار ما يجري في المنطقة. حق التوظيف غائب عن الكرد بشكل كبير، فغالبية الموظفين والمعلمين يرسلون إلى المناطق الكردية من مناطق بعيدة. كما أن كل طالب وظيفة في سلك الدولة يجب أن يحظى بموافقة من الأمن السياسي. وهناك عدد من السجناء الكرد الذين يسجنون بتهمة «محاولة تمزيق جزء من البلد وإلصاقه بدولة أجنبية» أو ببث "النعرات الطائفية والقومية" أو "الخط على أمن الدولة" قتلوا تحت التعذيب ، هذا عدا عن ان الكرد الذين يعملون في سلك الدولة (على قلتهم) معرضون للفصل على الدوام، وكذلك طلاب المعاهد والجامعات بتهمة "الخطر على أمن الدولة"(٥).

كما أن الحظر المفروض على اللغة والثقافة الكردية ما زال معمولاً به، فالكردي ممنوعٌ عليه تعلم لغته الأم، علماً أنها اللغة الثانية بعد العربية من حيث عدد المتحدثين بها، فلا مدارس ولا إذاعة ولا تلفزة ولا صحف أوجرائد، فحيازة ما يمتّ إلى اللغة الكردية بصلة، من كتاب أو كراس لتعلم اللغة الكردية أو نشرة حزبية كردية، يزج بصاحبها في أقبية السجون..وتكثر الأمثلة بهذا الخصوص.

وهذا الحظر الذي طال اللغة والثقافة الكرديتين، طال أيضاً كل ناشط ومثقف وسياسي كردي ، فمن منع السفر إلى محاربتهم في لقمة عيشهم إلى المضايقات الأمنية المستمرة .

لا نبالغ عندما نقول بأن الوضع الحقوقي للشعب الكردي بالغ السوء، وهو مقبل على التدهور بشكلٍ لا مثيل له مع ازدياد حدة العصبية الطائفية والقومية في هذه المنطقة التي تعيش على مقربة من الحروب المدمرة نتيجة عوامل داخلية وخارجية، الداخلية مثل الاحتقانات وغياب التوازن في علاقة السلطة بالفرد والمجتمع، والخارجية حيث الحرب التي تدور في العراق وفلسطين والوضع اللبناني المأزوم والصراع بين المعتدلين في المنطقة والمتطرفين فيها من جهة، وما يدور من صراع بين المجتمع الدولي و الراديكالية الشرقية من جهة أخرى . وبما يرى الكرد أنفسهم بأنهم مضطهدون ومغبونون كونهم يعانون من انتهاكٍ لحقوقهم مرتين، مرة تُنتهك حقوقهم لأنهم كرد، ومرة تنتهك حقوقهم كونهم من هذه المجتمعات. لذا نراهم يجدون أنفسهم أمام حقيقة لا مفر منها وهي البحث عن فرصة لتجديد مطالبهم لإزالة الاضطهاد والدعوة لإعادة الحياة الدستورية والديمقراطية للبلاد لكي تكون الآفاق مفتوحة أمام الشرائح المجتمعية السورية للتعبير عن ذاتها وكينونتها.

بيد ان الكرد ومثلما بدأوا يعون (وبعد أكثر من خمسة عقود من صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) بان في ثنايا الإعلان بنوداً تشكل حافظاً وسداً منيعاً تحمي حقوق الإنسان الطبيعية ويحمي كرامته وتعي أن الإعلان يقيّد من بطش السلطات وقمعها وهو وُجد لإحقاق العدل والكرامة والحرية والسعادة، وبسبب من الانتهاك المستمر الذي تعرض له الكرد فإنهم انتشروا في جميع أصقاع الأرض، وهو ما شكل عبئاً على الحركة الكردية من جهة لسوء تصرفهم عندما يريدون نقل المتاعب التي يعايشونها إلى المنظمات الحقوقية العالمية وذلك لقلة الخبرة والتجربة وفقدان النخب في أوساطهم الأمر الذي يسيئ إليهم أكثر من افادتهم منه، ومثلما يشكل عبئا على القوى السياسية الكردية فان الوجود الكردي أو تشردهم أساء إلى سمعة الدولة أيضا لأنه ومهما يكن فهم محسوبون على الدولة السورية من جهة أخرى. ومن المستغرب أن السلطة السورية لا تأخذ هذا بعين الاعتبار ولا تفكر بأن الوجود الكردي في هذه الدول الأجنبية أساء

إلى مصداقية الدولة، وان مسألة علاقة الفرد بالسلطة أصبحت محل استفهام! وبالتالي ان مدعاة السلطة بأنها مدافعة عن رعاياها غير صحيحة فالنظام له باع طويل في انتهاكه لحقوق مواطنيه. وربما حتى الآن ومنذ أن أصبح الاضطهاد سيفا مسلطاً على رقاب الكرد لم تحظ القضية الكردية بأي اهتمام من قبل المنظمات الدولية بشكل واضح وصريح وحتى بعد أحداث القامشلي التي راح ضحيتها أكثر من ٤٠ كرديا من الأطفال والنساء والرجال دون ذنب لم يحظ الوضع الكردي بذلك الاهتمام الذي يستحقه من قبل هذه الفعاليات الأممية.

في الحقيقة ان الاستهتار بالحقوق من قبل السلطات السورية أمر في غاية القلق، خصوصا وأن العالم ينحو باتجاه الانفتاح ولم تعد هذه الأمور مستورة أو أمراً مسكوتاً عنه في ظل التغييرات والتطورات التي تحدث (وحدثت) في العالم عموماً و في منطقة الشرق الأوسط بشكلٍ خاص، من بلورة فكرة الإصلاح والتغيير والالتزام بمبادئ حقوق الإنسان وتحقيق شروط الديمقراطية عبر إعادة الاعتبار للمنظمات الحقوقية والمدنية والتي همها الوحيد الدفاع عن حقوق الإنسان (حقه في العيش بأمان، وحرية التعبير والرأي، والمساواة) وفضح الانتهاكات. فكان من الأجدى التفكير بأنه في ظل انتهاك حقوق الإنسان الكردي لا يمكن بناء الوحدة الوطنية، وفي غياب العامل الكردي بشكل فاعل في المشهد السياسي والثقافي والاجتماعي لا يمكن بناء خيمة للتعايش السلمي المشترك.

الهوامش

١- جمعية الاقتصاديين الكرد– سورية، ٢٠٠٦/٨/٢١ (موقع عفرين الالكتروني).

٢- الضابط في شعبة الأمن السياسي في القامشلي والذي خدم في الجزيرة السورية بداية الستينيات من القرن المنصرم.

٣- لا يوجد حتى الآن أي إحصاء رسمي، إنما هناك اتفاق يجمع عليه جميع الأحزاب الكردية بأن عدد الكرد السوريين يبلغ ما بين مليونين ونصف إلى ثلاثة ملايين.

٤-حسب أرقام وزارة الداخلية الرسمية فإن عدد القتلى في أحداث القامشلي بلغ ٢٥ قتيلا، وبحسب المنظمات والأحزاب الكردية يفوق عدد القتلى اربعين قتيلاً.

٧-في أحداث القامشلي وحدها فصل العشرات من طلبة الكرد وما زال بعضهم مفصولاً فصلا تاماً إلى الآن.

*فاروق حجي مصطفى: كاتب متخصص في الشؤون الكردية. له عدة ابحاث عن الحركة الكردية والمسألة الديمقراطية ومفاهيم المجتمع المدني. يكتب في الصحف العربية والكردية عن الشأن السياسي والمجتمعي الكردي.

تأثير القوانين الاستثنائية على التنمية العمرانية في المناطق الحدودية والارياف الكردية

د. آزاد احمد علي*

لقد تم إصدار قوانين استثنائية في مجال ملكية الأرض واستثمارها، ضمن مناخات وظروف سياسية وتاريخية ملتبسة، تم بموجبها تقييد وعرقلة مجمل النشاط العقاري والعمراني وتجميد خطط التنمية في مناطق حدودية واسعة من سورية، وفي المناطق الحدودية الشمالية والشرقية المتاخمة لتركيا ذات الغالبية الكردية على وجه الخصوص، وهي بعمق ٢٥ كم.

فقد جعلت هذه المراسيم كامل محافظة الحسكة منطقة حدودية يتم بموجبه التعامل معها حسب إجراءات استثنائية وطارئة، حيث صدر المرسوم التشريعي رقم (١٩٣) لعام ١٩٥٢ والذي كان يتضمن ما يأتي:

المرسوم التشريعي رقم ١٩٣ لعام ١٩٥٢ وتعديلاته:

إن المرسوم التشريعي رقم (١٩٣) المؤرخ ١٩٥٢/٤/٣ ينظم الأحكام المتعلقة بتملك العقارات والحقوق العينية العقارية في مناطق الحدود وقد عدل بالمرسوم التشريعي رقم (٥٣) تاريخ ١٩/٨/ ١٩٥٢، وكذلك بالمرسوم التشريعي رقم (٧٥) تاريخ ١٩٦٢/٧/٢٨.

وقد حظر المرسوم وتعديلاته إنشاء أو نقل أو تعديل أي حق من الحقوق العينية على الأراضي الكائنة في مناطق الحدود، وكذلك استئجارها أو تأسيس شركات أو عقد مقاولات لاستثمارها زراعيا لمدة تزيد على ثلاث سنوات وكذلك جميع عقود الشركات أو عقود الاستثمار الزراعي التي تتطلب استئجارها مزارعين أو عمال أو خبراء من الأقضية الأخرى أو البلاد الأجنبية إلا برخصة مسبقة تصدر عن وزير الداخلية بناء على اقتراح وزير الزراعة والإصلاح الزراعي بعد موافقة وزارة الدفاع وبالتالي الأمن العسكري في وزارة الدفاع) وقد شملت قرارات المنع هذه الأراضي والعقارات داخل المدن وخارجها[1].

وقد تم تعيين مناطق الحدود التي يشملها المرسوم التشريعي رقم ١٩٣ بموجب المرسوم التشريعي رقم (٢٠٢٨) تاريخ ٢٠/٣/ ١٩٥٦ الذي عدل بالمرسوم رقم

٣٤٠٧ تاريخ ١٩٥٧/١٢/٣ والمرسوم التشريعي رقم ١٣٦٠ لعام ١٩٦٤ وقد عينت هذه المراسيم مناطق الحدود المشمولة بأحكام المرسوم التشريعي رقم (١٩٣) على الشكل الآتي:

١- كامل محافظتي القنيطرة والحسكة.

٢- كامل منطقة جسر الشغور.

٣- المناطق الحدودية المتاخمة للحدود التركية بعمق خمسة وعشرين كيلومترا، وهي من الشرق باتجاه الغرب:

تل اواديس – دميركو – كاسروك – تل التوابل – خربة السمرة – جول بارات – قوموتلو – تل الديباك – الفايدة – تل عبد السلام – تل العصافير – عين مويلحات – بير ارغوبا – تل الحمام – سبع جفار – خانيق – خرابة – بطانة – برق – ابو شار – دادات – البوير – صيادة – قاتلي كوير – تل البطال الشرقي – اخترين – تليلين – كفرة – كفر خاشر – مرعناز – عفري (البلدة) – باسوطا – برج عبدالو – غزوية – دير سمعان – فاتورة – تل اعدة – الدانا – تل عفرين – كفر كرمين – مغاز – قرقانيا – سعانا – كفر تخاريم – ارمناز – بيرة ارمناز – الغفر – قرميدة – حمام شيخ عيسى – دادخين – خطاب بطيبات – الرانة – قرقر – جب الحمر – دورين – الكرم – كفرية – سولاس – سركسية دامار[٢].

وبذلك نجد أن التشريعات العقارية قد أخرجت بموجب القانون مناطق واسعة من سورية والجزيرة السورية بشكل خاص من خطط التنمية العمرانية وبالتالي التنمية الاقتصادية ـ الاجتماعية، وهي تقف حجر عثرة رئيس أمام التنمية العمرانية والنشاطين العقاري والزراعي في المناطق المذكورة أعلاه.

أما في مناطق شرق سورية فكامل محافظة الحسكة اعتبرت منطقة حدودية، وكذلك مناطق واسعة وخصبة من شمال محافظة الرقة، وشمال وغرب محافظة حلب.

وبالتالي قد حرمت هذه المناطق من أي دعم تنموي على شكل قروض أو ما شابه ذلك، ومن تأسيس شركات زراعية وعقارية، بل نجد أن قرارات المنع لأي نشاط عقاري وتنموي واضحة وصريحة، وبالتالي قد انكمشت وجمدت التنمية العمرانية في هذه المناطق.

وبهذه المناسبة يمكن التذكير على أنه من النادر أن تقوم أيه دولة في العالم بسن هذه القوانين التي تلغي النشاط الاقتصادي ـ الاجتماعي المرتبط عضويا بالتنمية العمرانية والزراعية على مساحات شاسعة من أراضيها مهما كانت الظروف، حتى وإن كانت الدولة في حالات من الصراعات والحروب الطاحنة مع الجوار.

هذا وقد ترتب على هذه المراسيم والاجتهادات المبالغ في حساسيتها ودرجة أهميتها العسكرية من قبل بعض الجهات ذات الطابع الأمني والسياسي حرمان سكان هذه المناطق من فرص القروض العقارية والصناعية والسياحية والنشاط الزراعي، وبالتالي من فرص العمل والاستقرار، كما تراجع الإنتاج الزراعي، ولم تؤسس في المناطق والأرياف المذكورة شركات للصناعات التحويلية. و بالتالي انعكست هذه الإجراءات الاستثنائية على مجمل النشاط العمراني في المنطقة الشرقية والشمالية في سورية.

كما أثرت في شكل توزيع الأراضي الزراعية خارج المدن وكذلك على امتلاك العقارات داخل المدن. لذلك يبدو للدارس أن استمرارية هذه المراسيم وتطبيقاتها تبقى أحد أهم العوامل المعرقلة لمسار التنمية العمرانية وبالتالي الاقتصادية ـ الاجتماعية في المناطق الشرقية والشمالية من سورية، وهي قرارات مخالفة لأبسط حقوق الإنسان، وإن كانت هنالك أي مسألة عسكرية أو أمنية في مناطق محددة من أراضيها على الدولة أن تحلها دون المساس بحق الملكية وأساسيات حقوق الإنسان الاقتصادية.

هذه المراسيم والإجراءات المذكورة أعلاه قد طبقت بحق كل المواطنين من سكان المناطق الحدودية بصرف

النظر عن قوميتهم ودينهم، أما بالنسبة للمواطنين الكرد المجردين من حق الجنسية السورية نتيجة إحصاء عام ١٩٦٢ فإضافة الى هذه الإجراءات فقد حرموا من حق التملك للعقارات الزراعية والعقارات المخصصة للبناء داخل المدن والبلدات والقرى، وبالتالي من كل النشاط الاقتصادي المستند الى تملك الأرض، مما ألحق بهم أشد الضرر وكذلك على تنمية مناطق سكناهم من النواحي العمرانية والإنتاج الزراعي والحيواني، وبعد صدور العديد من القوانين الناظمة للعمل العقاري والزراعي في السنوات الأخيرة، فقد آن الأوان أن تلغى هذه المراسيم والإجراءات المخالفة لحقوق الإنسان وحريته والمعرقلة للنشاط الاقتصادي والتنمية العقارية، وإصدار قوانين متحررة من كل العقد القومية ولا تستند الى سوء تقدير سياسي وقراءات ملتبسة.

الهوامش

١- أمين بركات سعود، محمد حيدر الصبان. التشريع العقاري السوري، ج١، دمشق ـ ١٩٧٨، ص ٢٠٠.

٢- المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

*أزاد احمد علي: من مواليد الحسكة.. دكتوراه في العمارة الطينية .كتب عدة مقالات في الصحف الكردية والعربية. له رواية تحت عنوان "مشرد"، وكتاب عن العمارة الطينية في شمال شرق سوريا.

اسئلة الحمقى حول السياسة والاسلام السياسي
تأليف: د. شاكر النابلسي
ترجمة: طيب عارف ابوبكر
من مطبوعات مؤسسة حمدي - ٢٠٠٧

حقوق الجاليات (اللاجئين) في الدول الاوروبية الكرد السوريون نموذجا

د. عبدالباسط سيدا*

لا توجد احصائيات دقيقة تحدد عدد الكرد السوريين المهاجرين في أوربا؛ ويعتقد - استناداً إلى معطيات متعددة - أن هذا العدد يبلغ نحو ١٠٠ ألف نسمة أو ما يزيد، وقد يصل وفق بعض الحسابات إلى نحو ١٢٠ ألف نسمة؛ منهم حوالي ٧٠ ألفاً - وربما أكثر- في ألمانيا وحدها، أما الآخرون فيتوزعون بين الدول الاسكندنافية وفنلندا وهولندا وفرنسا وبريطانيا، إلى جانب النمسا واليونان وسويسرا وايطاليا وغيرها؛ بالإضافة إلى دول أوربا الشرقية.

تعود بدايات هجرة الكرد السوريين بإتجاه أوربا إلى نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات؛ وكانت تشمل في ذلك الحين الطلاب الذين كانوا يسافرون بقصد الدراسة، لكنهم لظروف مختلفة استقروا هناك، وحصلوا على حق الإقامة ، ومن ثم الجنسية. وارتفعت وتيرة السفر بعد منتصف السبعينيات، خاصة بين الشباب، وذلك نتيجة التصادم بين تطلع الطموح الذي كان يتمثل في هؤلاء، والتضييق المستمر الذي كان يجري عليهم نتيجة السياسة الاضطهادية المزدوجة التي كانت - وما زالت - تتبعها السلطة الحاكمة في البلاد؛ وما نعنيه بالسياسة المعنية عدم الاعتراف من جهة بالحقوق القومية الديمقراطية، وهي الحقوق التي تستمد مشروعيتها من الخصوصية الكردية ضمن الواقع السوري؛ ومن جهة ثانية طبقت الحكومة - كما تطبق راهناً- جملة من الأساليب الاضطهادية التي كانت ترمي إلى سلب الكرد الأرض والجنسية والهوية القومية؛ وقد تجسدت هذه الأساليب بصورة اساسية في مشاريع الحزام والإحصاء والتعريب؛ هذا بالإضافة إلى الإهمال المتعمّد للمناطق الكردية التي كانت - وما زالت - خزان النفط والقمح والقطن بالنسبة إلى الإقتصاد الوطني السوري. فقد قضت السياسة الرسمية السورية بحرمان المناطق المعنية من أية مشاريع تنموية حقيقية، كان من شأنها توفير فرص العمل، وترسيخ شعور الاستقرار بين الناس؛ بل على النقيض من ذلك، لقد باتت المناطق

المذكورة ميداناً للنهب المنظم، والفساد الشمولي، فضلاً عن متابعة وملاحقة الناشطين من الشباب الكرد، الأمر الذي كان يدفع بالناس نحو الهجرة الداخلية باتجاه المدن السورية الكبيرة، خاصة دمشق؛ ولكن مع توفر امكانيات الاطلاع والاتصال والسفر، تمكن عدد أكبرمن الشباب من الحصول على فرصة السفر بقصد الدراسة او العمل في الدول الأوربية.

ومع تزايد الصعوبات الاقتصادية في سورية إبان الثمانينيات، وبالتوازي مع استمرار السياسة الاضطهادية المزدوجة الموجهة نحو المناطق الكردية، ارتفعت وتيرة الهجرة، ولم تعد تقتصر هذه المرة على الشباب وحدهم، بل شملت أسراً بكاملها، مما تجلّى في تبلور ملامح جاليات فعلية تخص الكرد السوريين في المهاجر المختلفة؛ واستمرت العملية بتسارع أكبر أثار الكثير من الجدل في التسعينيات؛ وهي المرحلة التي شهدت الزيادة الحاسمة في عدد أبناء جاليات الكرد السوريين في مختلف الدول الأوربية، وفي ألمانيا على وجه التحديد كما أسلفنا. والهجرة هذه ما زالت قائمة بهذه الصورة أو تلك، إلا أنها لم تعد بالمستوى نفسه الذي كانت عليه قبل عقد من الزمن. ومرد ذلك السياسة المتشددة التي اعتمدتها الدول الأوربية في ميدان منح حق اللجوء التي اعتمدتها الدولة الأوربية في ميدان منح حق اللجوء.

ولكن تجدر الإشارة في هذا المجال، إلى أن عمليات جمع الشمل المترتبة على حالات الزواج، تُعد في الوقت الحاضر المصدر الأساسي من مصادر تزايد حجم الجالية الكردية السورية، مع الأخذ بعين الاعتبار القوانين والاجراءات الخاصة بكل دولة؛ فهي تكون سهلة سلسلة في بعضها، معقدة تؤدي إلى التأجيل، وربما الإلغاء في بعضها الآخر.

فيما يخص الحقوق العامة والخاصة التي تتمتع بها الجاليات الكردية السورية في مختلف الدول الأوربية، فهي ليست على المستوى ذاته بالنسبة إلى جميع الدول المعنية، ولاسيما تلك التي تتصل بالضمان الاجتماعي والصحي، والحماية من البطالة وغيرها. ولكن على وجه العموم يمكن القول ان أوضاع المهاجرين الحقوقية هي نفسها في دول اوربا الغربية: المانيا- السويد- هولندا- النمسا- فرنسا - بريطانيا- وغيرها؛ وهي الدول التي تضم حوالي 90٪ من الكرد السوريين الموجودين في اوروبا.

ويمكننا في هذا المجال أن نتناول بعض الحقوق الأساسية التي يتمتع بها المهاجرون عموماً - ومن ضمنهم الكرد بطبيعة الحال - في المجتمع السويدي بوصفه نموذجاً، أما التفصيل في الأمر، والحرص على ذكر كل شيء، فهو سيأخذ حيّزاً كبيراً، لا يمكن تغطيته هنا.

و لنبدأ بحق الإقامة، والحصول على الجنسية. يمتلك المقيم الحاصل على حق الإقامة - سواء الإنسانية أم السياسية- كل الحقوق المدنية التي يتمتع بها المواطنون الآخرون، ما عدا ما يتصل منها بمسألة المشاركة في الانتخابات والخدمة في الجيش. فالمقيم لا يحق له المشاركة في الانتخابات البرلمانية إلا بعد حصوله على الجنسية؛ ولكن بالنسبة إلى انتخابات مجالس المحافظات والبلديات يحق لمن مضى على تسجيله أكثرمن ثلاث سنوات المشاركة فيها، أما الحقوق الأخرى من ملكية وتعليم وتعبير عن الرأي وسفر، وتلك المتصلة بالضمان الصحي والإجتماعي، والحصول على نقدية الأطفال والمساعدة السكنية وغير ذلك من الحقوق، فهي ذاتها بالنسبة إلى المقيمين والحاصلين على الجنسية.

لاتوجد قيود خاصة تحد من حرية المهاجرين بصورة عامة في ميدان التملك، أو المتاجرة بالأسهم، أو اي نشاط اقتصادي مشروع خاضع لأنظمة التسجيل الرسمية والضريبية. كما ان أنظمة العمل لاتميّز بين المواطنين الأصليين - إذا جاز التعبير - والمهاجرين الذين قد حصلوا على الجنسية؛ ولكن لابد من الإعتراف بوجود صعوبات تحد من وصول المهاجرين إلى المواقع التي تتناسب مع قدراتهم ومؤهلاتهم؛ وتعد

مسألة اتقان اللغة في مقدمة هذه الصعوبات. كما ان سياسة التمييز المقنّعة، تلعب دوراً في عرقلة وصول المهاجرين إلى المواقع التي يستحقونها. أما بالنسبة إلى التعليم، فيحق لكل المهاجرين من دون استثناء التقدم إلى الاختصاص المطلوب، في حال توفر الشروط. ويمكن الحصول على المنح والقروض الدراسية وفق القواعد التي تسري على الجميع. كما يُسمح للمهاجرين بإنشاء الجمعيات الخاصة بهم التي تهتم بالنشاطات الاجتماعية والثقافية والإعلامية والدينية، وحتى السياسية، وهي تتلقى العناية والمساعدة المادية من قبل الحكومة ، وذلك بناء على جهودها ومشاريعها في ميدان خدمة أعضائها، ونجاحها في ترسيخ سياسات الإندماج على مختلف المستويات.

من حق المهاجرين المشاركة في الحياة السياسية في مجتمعاتهم الجديدة، ومن حقهم كذلك الاستمرار في النشاط السياسي المرتبط بأوطانهم الأصلية، كما يمكنهم الجمع بين الأمرين من دون أن يتعارض ذلك مع القوانين السارية.

بقي أن نشير في هذا المجال إلى مسألة على غاية كبيرة من الأهمية في العديد من البلدان الأوروبية، خاصة السويد وفنلندة. المادة هذه اختيارية بالنسبة إلى الأهل والطلاب، لكن البلديات ملزمة بتأمين مستلزمات التدريس . والكرد السوريون شأنهم في ذلك شأن الكرد من بقية أجزاء كردستان، إلى جانب المهاجرين الآخرين، يتمكنون بموجب هذا الحق من تعلم لغتهم الأم والتحدث بها. وبالارتباط مع هذا الموضوع، نذكر هنا أنه يحق للمهاجرين إصدار الجرائد والمجلات، ونشر الكتب بلغاتهم الأم، وفتح المدارس الخاصة ، مع الالتزام بالاجراءات المتبعة قانوناً.

قائمة الحقوق طويلة ومتشعبة، منها ما يتصل بحرية العقيدة، وحرية تحديد المصير الشخصي، إلا اننا وجدنا الإشارة والتركيز على تلك الأساسية، علّنا نستطيع تقديم صورة عامة معبرة إلى حدٍ ما لما هي عليه الأمور في المهاجر المختلفة بالنسبة إلى سائر الجاليات على وجه العموم، وجالية الكرد السوريين على وجه التخصيص. وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة الأخذ في الحسبان مسألة التفاوت في التمتع بهذه الحقوق بين مجتمع أوروبي وآخر؛ ولكن يبقى الخط العام هو ذاته الذي يتمحور حوله ضرورة احترام إنسانية الإنسان وخصوصيته بأسمائها العديدة.

⋆ عبدالباسط سيدا من عامودة (شمال شرقي سوريا)حاصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة دمشق. قام بعدة دراسات في الاشوريات من جامعة اوبسالا-السويد. له العديد من الكتب والدرسات والمقالات.

الكرد المكتومون في سوريا: حياة مؤجلة ومستقبل غامض

مصطفى حايد*

يمثل الكرد أكبر أقلية عرقية غير عربية في سوريا إذ يتراوح العدد التقديري لهم ما بين مليون ونصف إلى مليونين ويشكلون حوالي ١٠٪ من سكان سورية البالغ عددهم زهاء ٢٠ مليوناً. ويتوزع الأكراد في حلب والمناطق المحيطة بها في شمال البلاد، وفي منطقة الجزيرة في الشمال الشرقي التي تقطنها أغلبية كردية، وكذلك الأمر في دمشق.

في تقريرها الثالث المقدم إلى اللجنة المعنية بحقوق الإنسان بخصوص تطبيق "العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية" في سوريا، ذكرت الحكومة السورية في الفقرة ٤١١ أن القانون السوري "حمى كل الأشخاص المقيمين على أرض الدولة من التمييز، بصرف النظر عن العرق أو الأصل أو الدين أو الجنسية دون أي تفريق". كما أكد التقرير في الفقرتين ٤١٢ و٤١٣ على أنه "يُعتبر الأكراد مندمجين بالمجتمع السوري" وعلى "عدم وجود إجراءات تمييزية ضدهم".

إلا أن الكرد السوريين يتعرضون لأشكال شتى من التمييز. فهناك في الوقت الراهن عدد يتراوح بين ٢٠٠ ألف و٣٦٠ ألف شخص من الكرد الذين يعيشون في سوريا بدون جنسية، حيث حُرموا من الحق في الحصول على الجنسية السورية بموجب القانون ٩٣ لعام ١٩٦٢.

فقد تضمن المرسوم ٩٣ الصادر في آب/أغسطس ١٩٦٢ أمراً بإجراء إحصاء في محافظة الحسكة (شمال شرق) بهدف تحديد "المتسللين الأغراب"، واكتشاف عدد الناس الذين عبروا الحدود بشكل غير شرعي من المناطق الكردية التركية. وكان على الكرد أن يثبتوا أنهم عاشوا في سوريا منذ عام ١٩٤٥ على الأقل أو يفقدوا جنسيتهم السورية.

كان الإحصاء جزءاً من مخطط شامل لتعريب شمال شرق سوريا ذي الغالبية الكردية على طول الحدود السورية – التركية والمتعارف عليه باسم "الحزام العربي" بحيث تم استبعاد ١٥٠,٠٠٠ كردي وتوطين عرب مكانهم في حزام يمتد بطول ٣٧٥ كم

وبعرض ١٠-١٥ كم ابتداء من رأس العين شرقاً وحتى المالكية قرب الحدود السورية العراقية. حيث تم بموجب هذا الإحصاء تجريد حوالي ١٢٠,٠٠٠ كردي سوري (ما نسبته ٢٠٪ من الكرد السوريين حينذاك) من جنسيتهم السورية. ومن وقتها لم يحصل الكرد السوريون المجردون على أية جنسية سواء من سورية أو من أية دولة أخرى. ومن ثم تم تزويد أكراد الحسكة الذين تم تجريدهم من جنسيتهم عام ١٩٦٢ بورقة بيضاء صغيرة تشير إلى أن صاحبها لا يملك اسماً متوفراً في لوائح سجلات العرب السوريين الخاصة بالحسكة. ومع بداية عام ١٩٨٠ تم استبدال هذه الأوراق ببطاقة تعريف حمراء خاصة صادرة عن دائرة الشؤون المدنية في وزارة الداخلية. تعرف هذه البطاقة صاحبها على أنه "أجنبي" ولا تخوله السفر خارج البلاد بموجبها.

تقول بعض المصادر الكردية بأن عدد الكرد المصنفين كأجانب يقدر بحوالي ٢٠٠,٠٠٠ (حتى تاريخ ١٩٩٦) بينما أعلمت الحكومة السورية منظمة مراقبة حقوق الإنسان في تموز/يوليو ١٩٩٦ بأن عددهم ٦٧,٤٦٥. وقد تزايد عدد الكرد السوريين المجردين من الجنسية منذ عام ١٩٦٢ بسبب وراثة الأطفال للتجريد المطبق على آبائهم.

يواجه الكرد السوريون المولودون مع بطاقات التعريف كـ"أجانب" صعوبات هائلة في حياتهم اليومية، فهم محرومون من تملك أرض أو منزل أو القيام بتجارة، ولا يمكنهم التوظف في المؤسسات أو المشاريع الحكومية ولا يمكنهم مزاولة مهنة الطب أو الهندسة، ولا يستفيدون من المشافي العامة، ولا يمكنهم الانتخاب، كما أنهم لا يستطيعون الزواج بشكل شرعي من مواطنات سوريات، ولا يستطيعون السفر خارج البلاد لعدم امتلاكهم جوازات أو وثائق سفر.

تشير الحكومة السورية إلى المكتومين – الذين يتميزون عن "الأجانب" بعدم حصولهم على بطاقات حمراء وعدم وجود قيود لهم في أي من لوائح التسجيل الخاصة بالحسكة - على أنهم "متسللون أغراب". وقد صرح دبلوماسيون أوروبيون عام ١٩٩٤ بأن هناك أكثر من ٢٠,٠٠٠ كردي سوري مكتوم. ولا حاجة للقول بأن وضع المكتومين أسوأ بكثير مما هو عليه وضع الأجانب المسجلين. وباعتراف الحكومة السورية عام ١٩٩٦ فإن عدد المكتومين أكثر من ذلك، ففي ردها على منظمة مراقبة حقوق الإنسان في تموز ١٩٩٦، صرحت الحكومة أنه - بالإضافة إلى كرد الحسكة المسجلين رسميا على أنهم أجانب – هناك أجانب آخرون تسللوا إلى المحافظة بعد إحصاء ١٩٦٢واستمروا في الحياة هناك بشكل غير شرعي ولا يملكون أية وثائق رسمية. ولم يجر إحصاء عدد هؤلاء الأشخاص، لكن يمكن تقدير عددهم بحوالي ٦٠,٠٠٠ عام ١٩٨٥ وقد ارتفع ليصبح حوالي ٧٥,٠٠٠ عام ١٩٩٥ دون أن تحدد الحكومة عدد الأطفال بينهم. ويمكن تصنيف الأطفال على أنهم مكتومون عندما تنطبق عليهم أحد هذه الحالات الثلاث: إن كانوا أطفالا لأحد الأكراد السوريين "الأجانب" الذين يتزوجون بنساء سوريات الجنسية، أو لـ"أجانب" متزوجين من مكتومين، أو لشخصين مكتومين.

وعلى خلاف الكرد السوريين "الأجانب"، فالأطفال المولودون نتيجة هذه الأصناف الثلاثة من الزواج لا يحملون البطاقات الحمراء الخاصة بالأجانب وغير مدرجين في لوائح تسجيل السكان الرسمية حسب ما صرحت به الحكومة السورية في ردها المذكور أعلاه. وعليه فهم لا يملكون أية وثيقة تدل عليهم أو تمكنهم من التنقل وهذا يتعارض مع التأكيدات التي قدمتها الحكومة السورية للجنة حقوق الطفل في الأمم المتحدة، حيث أكد تقرير الحكومة السورية المقدم للجنة المذكورة عام ١٩٩٦ بأن كل الأطفال في سوريا يعاملون دون تمييز يتعلق بالجنس أو الأصل أو المعتقد أو الجنسية ويتمتعون جميعا بنفس الحقوق.

في ردها إلى منظمة مراقبة حقوق الإنسان في تموز/يوليو ١٩٩٦ صرحت الحكومة السورية بأن

المكتومين يزودون بشهادة تعريف من المختار تفيد بأنهم مكتومون وهذه الشهادات تعتبر قانونية لكل الأطراف المعنية. وبحسب مصادر كردية فإن المكتومين لا يسمح لهم بدخول المدرسة بدون موافقة الأمن السياسي وبحال تمت هذه الموافقة فالمكتومون لا يستطيعون متابعة الدراسة بعد المرحلة الأساسية.

على الرغم من أن الحكومة السورية قد أوقفت عملية تجريد الكرد السوريين من جنسيتهم السورية إلا أنها لم تعد الجنسية المجردة حتى الآن (رغم وجود وعود بذلك منذ عام ٢٠٠٤). إن تأثيرات الإحصاء الذي جرى منذ ٤٥ عاما مستمرة ومتزايدة على الكرد المولودين في شمال شرق سوريا بسبب التزايد السكاني الطبيعي. فعدد الأكراد السوريين في محافظة الحسكة الذين لا يحملون الجنسية السورية لا يقل عن ٢٠٠,٠٠٠ إلى ٣٦٠,٠٠٠ ، وحوالي ٧٣,٠٠٠ منهم يعيش في ضواحي القامشلي والدرباسية وعامودا، وتقريبا١٣٠,٠٠٠ آخرين في الحسكة والمالكية والقحطانية.

إن تجاهل هذه المسألة أو المماطلة في معالجتها يؤدي إلى تأجيل حياة هؤلاء "الأجانب" والمكتومين الذين ما زالوا يطمحون لاستئناف حياتهم، والمضي نحو مستقبل أفضل ضمنته لهم كل المواثيق والأعراف الدولية، وأكدته الحكومة السورية في تقريرها الثالث للجنة المعنية بحقوق الإنسان بأن اعتبرت الكرد "مندمجين بالمجتمع السوري" وبـ "عدم وجود إجراءات تمييزية ضدهم".

تقرير منظمة العفو الدولية: "سوريـــا: الأكراد في الجمهورية العربية السورية بعد مرور عام على أحداث مارس/ آذار ٢٠٠٤" رقم الوثيقة:١٠ MDE ٢٠٠٥/٠٠٢/٢٤ مارس/آذار ٢٠٠٥، متوفر على الموقع: www.amnesty.org

التقرير الدوري الثالث المقدم من الجمهورية العربية السورية، وثيقة الأمم المتحدة رقم /CCPR C/SYR/٢٠٠٤/٣.

المذكرة المقدمة من منظمة العفو الدولية، رقم الوثيقة:١٨: MDE ٢٠٠٥/٠٤٧/٢٤ يوليو/تموز ٢٠٠٥.

تبعا لمذكرة أرسلتها الحكومة السورية الى منظمة مراقبة حقوق الانسان في تموز ١٩٩٦، وهي متوفرة باللغة الانكليزية على الرابط الآتي : www.hrw.org/reports/١٩٩٦/syria.htm

منظمة مراقبة حقوق الانسان، سوريا: الكرد الصامتون، تشرين الأول ١٩٩٦ متوفر على الرابط: www.hrw.org/reports/١٩٩٦/syria.htm

تقرير عن واقع الكرد المجردين من الجنسية أعدته جمعية حقوق الإنسان في سورية تشرين ثاني- ٢٠٠٣ ومتوفر على موقع الجمعية على الرابط الآتي: www.hrassy.org/reports-a/takreerKurds٢٠٠٣-A.doc

منظمة مراقبة حقوق الانسان، سوريا: الأكراد الصامتون، تشرين الأول ١٩٩٦

منظمة مراقبة حقوق الانسان، سوريا: الأكراد الصامتون، تشرين الأول ١٩٩٦

المرجع السابق.

المرجع السابق.

المرجع السابق.

تقرير منظمة العفو الدولية: "سوريـــا: الكرد في الجمهورية العربية السورية بعد مرور عام على أحداث مارس/ آذار ٢٠٠٤" رقم الوثيقة:١٠ MDE ٢٠٠٥/٠٠٢/٢٤ مارس/آذار ٢٠٠٥، متوفر على الموقع: www.amnesty.org ، بالاضافة للمرجع السابق.

المذكرة المقدمة من منظمة العفو الدولية، رقم الوثيقة:١٨: MDE ٢٠٠٥/٠٤٧/٢٤ يوليو/تموز ٢٠٠٥

*مصطفى حايد: عضو مركز دمشق لدراسات حقوق الانسان.

نشأة المنظمات الكردية لحقوق الانسان في سوريا

رزان زيتونة*

عرفت الحركة الحقوقية السورية نشاطاً ملحوظاً خلال السنتين الماضيتين على صعيد تأسيس المنظمات الحقوقية الكردية، وتسليط الضوء على الانتهاكات التي يتعرض لها المجتمع الكردي في سوريا.

ويعتبر الناشط لقمان أوسو عضو مجلس إدارة المنظمة الكردية للدفاع عن حقوق الإنسان والحريات العامة في سوريا، أن من أهم الأسباب التي دفعت إلى الإعلان عن تأسيس المنظمات الكردية لحقوق الإنسان، هو "الانتهاكات الفظيعة التي يتعرض لها الكرد في سوريا كأفراد و كمجموعة قومية، حيث طبق بحقهم المشاريع العنصرية والقوانين والإجراءات الإستثنائية، مثل: الإحصاء العنصري الجائر في محافظة الحسكة عام ١٩٦٢ وبموجبه تم تجريد عشرات الآلاف من الأسر الكردية من جنسيتها السورية تعسفاً، ومشروع الحزام العربي العنصري الذي طبق في محافظة الحسكة على طول الحدود السورية- التركية، بعمق (١٥- ٣٠) كم وطول ٣٥٠كم، وبموجبه تم تهجير المواطنين الكرد من مناطقهم التاريخية وتم إسكان المواطنين العرب الذين جيء بهم من محافظتي حلب والرقة في قرى نموذجية أشبه ما تكون بالمستوطنات، إضافة إلى خضوع الولادات الجديدة في محافظة الحسكة إلى موافقة الأمن السياسي واعتبار محافظة الحسكة منطقة حدودية بكامل حدودها الإدارية فيما يتعلق بحق الحصول على سندات التمليك بالنسبة للأراضي الزراعية... الخ.

وقد اشتدت وتيرة هذه الانتهاكات بعد أحداث الثاني والثالث عشر من آذار/مارس ٢٠٠٤ والتي أدت إلى وقوع العديد من الضحايا من أبناء الشعب الكردي لمجرد احتجاجهم على إطلاق السلطات الرصاص الحي على المواطنين الكرد العزل أثناء مباراة رياضية مما أدى إلى مقتل بعض الأشخاص، واعتقال حوالي/ ٤٠٠٠/ شاب وشابة كردية لمجرد انتمائهم القومي ليس إلا وزجهم في السجون والمعتقلات بتهم باطلة لا أساس لها من الصحة .. وغيرها من الانتهاكات التي تتعارض مع القوانين الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان . وباعتقادنا أن هذا الكم الهائل من الانتهاكات المتعلقة بحقوق الإنسان في المجتمع الكردي وخصوصية هذه الانتهاكات (لأنها تتعلق بالقومية) تحتاج إلى منظمات حقوقية كردية تعمل على منعها بالتعاون والتنسيق مع المنظمات الحقوقية السورية الأخرى في عملية تكاملية.

من ناحية أخرى أكد الناشط لقمان أوسو على أن "حركة حقوق الإنسان الكردية حديثة نسبياً مقارنة بمثيلتها حركة حقوق الإنسان العربية، حيث تتصف

أجواؤها إلى حد ما بالصحية، حيث لا يعتريها في الوقت الحالي المعارك الجانبية والخلافات والحساسيات الشخصانية ولم تتعرض إلى الانقسامات والانشقاقات كما حصل مع الزملاء في المنظمات الحقوقية السورية الأخرى وتسود بين المنظمات الكردية روح الاحترام المتبادل وعلاقات الود إلى حد كبير. أما السلبيات التي تواجهها فهي عديدة ولعل أبرزها: -ضعف الإمكانات المادية، حيث تعتمد هذه المنظمات بالدرجة الأساسية على اشتراكات الأعضاء- عدم وجود شكل من أشكال الوحدة أو التنسيق بين أطراف حركة حقوق الإنسان الكردية .- ولادة المنظمات الكردية الجديدة بشكل متوالية هندسية".

بينما يرى الناشط رديف مصطفى رئيس مجلس إدارة اللجنة الكردية لحقوق الإنسان، بأن " المنظمات الأخرى لم تغط الانتهاكات على الساحة الكردية بالشكل المطلوب، فلم تكن قضية الكرد بالنسبة لهم من الأولويات خصوصاً فيما يتعلق ببعدها الجمعي حقوقياً واقتصرت نظرتهم على المطالبة بإلغاء الإحصاء الذي جرى عام ١٩٦٢ وحتى هنا فالبعض ما زال يتحدث عن منح الجنسية لا عن إعادتها وحقوق المواطنة، ولكن ماذا عن العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية في مادته الأولى والذي صادقت عليه سورية، كما أن الكثير من الأخوة لا يتحدث عن مشروع الحزام العربي ولا يمتلكون رؤية واضحة تجاه معالجة الشأن الكردي كشعب أو كجماعة بشرية، لا شك أن الوضع الكردي والقضية الكردية قضية معقدة وشائكة وتتطلب معرفة وعناية خاصة وهذا لم يتم إلى الآن. أرجو أن يتم في المستقبل القريب ونحن نعمل على هذا".

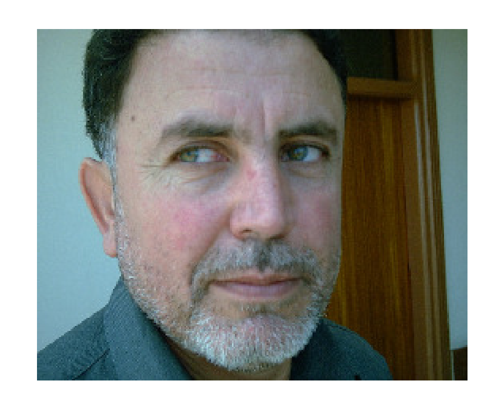
وينفي الناشط رديف مصطفى إمكانية أن يعزز قيام مثل تلك الجمعيات ذات الطابع القومي من التباعد الحاصل بين المجتمعين العربي والكردي في سوريا، بل يؤكد بأن "ما يعزز التباعد بين المجتمعين هو الظلم والاستبداد و سياسات التمييز القومي والاضطهاد الذي يخص الكرد دون العرب خصوصاً في الظرف الراهن، وربما يصح هذا الكلام على مستوى الأحزاب السياسية. فالعرب انكفؤوا إلى أحزابهم وكذلك الأكراد وهذا يساهم في التباعد المجتمعي بين أبناء الوطن الواحد رغم أن أصل الموضوع يتعلق بالظلم والاضطهاد، وأعتقد بأننا الآن بحاجة ماسة إلى أحزاب سورية تتضمن جميع مكونات المجتمع السوري وبالتساوي، أما على مستوى المنظمات التي تعمل في مجال حقوق الإنسان فلا أعتقد بأن هذا يساهم في التباعد خصوصاً وأننا جميعاً نحتفظ بعلاقات يومية، وبالعكس قد يساهم هذا في موضوع تكريس الندية والمساواة في الحوار ويساهم في قبول الآخر المختلف كما هو لا كما نريد".

بينما يرى السيد ابراهيم اليوسف الناشط في لجنة حقوق الإنسان الكردي، بأن "أي تفكير بأن المنظمات الحقوقية الكردية لا ضرورة لها في ظل وجود منظمات حقوقية عربية سورية ، هو ليس إلا نتيجة الانطلاق من ذهنية إمكان التفكير عن الآخر، والإيمان بإلغاء خصوصيته، بل ربما و انجراراً وراء مثل هذا التفكير. إذا آمنا أن هناك خصوصية للشعب الكرديّ في سوريا، هذا الشعب الذي يشكل ثاني أكبر مكوّن سكاني قومي في البلاد، وأن لهذا الشعب أسئلته وألمه وأمله ضمن السقف الوطني نفسه، كما تطرحه الحركة الوطنية الكردية في سوريا برمتها، فهذا يسوّغ أن تكون للكرديّ مدرسته بلغته الأم وتلفازه، وجريدته ونقابته ومنظمته بل وزراؤه وبرلمانيوه بحجم تواجده، ولاسيما ان فهم السؤال الكردي السوري- وهنا أطرحه في صيغته الحقوقية- لم يتبلور سورياً، إذ ان الكثيرين من زملائنا في المنظمات الحقوقية غير الكردية مشغولون بقضايا عروبوية، وإذا كان هذا وسواه، من حقهم، إلا أنهم يجب أن لا يفردوا لهذه القضايا الأولوية على حساب شركاء المكان: الكرد ".

*رزان زيتونة: محامية، نائب مدير مركز دمشق لدراسات حقوق الإنسان.

البوصلة: نشرة غير دورية تصدر عن مركز دمشق لدراسات حقوق الإنسان/العدد التاسع/كانون ثاني-يناير/٢٠٠٧.

الدور التأريخي للكرد



د. فرست مرعي

لا يزال الغمــوض يكتنف أصل الكــرد وتاريخهم القديم، شأنه في ذلك شأن المراحل الأخرى من تاريخهم التي لم تدرس بعد دراســة علمية دقيقة، بعيدة عن الخرافة والأسطورة والعاطفة والأيديولوجيا والمصالح السياسية.

الاصول التاريخية

تباينــت آراء الباحثين والمؤرخــين حول الانتماء الحقيقي للكرد وجنس أسلافهم التاريخيين، وهذا ما انعكــس بدوره على العصر التاريخي الذي يســتطيع الباحــث أن يعتمــده كبدايــة للتاريخ الكــردي قبل الإسلام.

ولكن اســتنادا إلى مصادر تاريخ الكرد قبل الإسلام مــن دينية (توراتية ومســيحية) ويونانيــة وإرمنية وفارســية وإلى الــرأي الراجح بانتماء اللغــات الميدية والكردية والفارســية إلى أرومة اللغــات الهندوإيرانية، استنادا إلى هذه البينات فإن المستشرق الروسي مينورسكي طرح نظرية مفادها أن الكرد ما هم إلا أحفاد الميديين الذيــن هاجروا من المناطق التــي تحيط ببحر قزوين غرباً وجنوباً نحو الغرب (كردستان) بعد سقوط الدولة الآشــورية عام ٦١٢ ق.م. جاء ذلك في المؤتمر العشــرين للاستشراق الدولي الذي عقد في بروكسل عام ١٩٣٨ م.

وكان الصراع ســجالاً بين الميديــين (أجداد الكرد الحاليــين) والآشــوريين في الفــترة مــن ٨٣٦ ق.م إلى غايــة ٦١٢ ق.م عندما تمكن الميديــون بالتحالف مع الكلدانيــين بقيــادة زعيمهم نبوبلاصر مــن إلحاق الهزيمة بالآشــوريين واحتلال عاصمتهم نينوى عام ٦١٢ ق.م، وبذلك تقاسمت الدولتان الميدية والكلدانية منطقة الشرق الأدنى مناصفةً بينهما.

وفي الوقت الحاضر فإن غالبية المؤرخين والباحثين الكرد يعتبرون الميديين أســلاف الكرد الحاليين وعلى هذا الأســاس اعتبروا بدايــة ظهور الميديــين ككيان سياســي عام ٧٠٠ق.م تقريبا بدايــة للتاريخ الكردي على غرار الأمم الأخرى.

وفي سنة ٥٥٠ ق. م تمكن زعيم قبائل البارسيين(الفرس) كورش الإخميني من الانقلاب على جده لأمه الملك الميدي (أستياكس) في العاصمة (همكتانا – همدان) فأسس أول دولة فارسية في التاريخ تحت اسم (الدولة الإخمينية).

وبخصوص الحضارة الميدية وإسهاماتها في خدمة البشرية فإن العديد من التنظيمات الإدارية والسياسية والعسكرية الميدية اقتبسها مهنم الإخمينيون، كالألقاب الرسمية وتنظيم إدارة الدولة والمصطلحات العسكرية كـ(قائد مئة جندي- أو آمر الفصيل- والمسؤول عن العينة– وهيئة العقاب)، وقد نظم أحد الباحثين الأوروبيين قائمة بتلك المصطلحات الميدية التي كانت تستعملها الإدارة الإخمينية، واستعارها فيما بعد اليونانيون الإغريق والرومان.

كما أن إحدى قبائل الميديين وهي الزاكروتيون طغى اسمها على الجبال التي تفصل العراق عن إيران وهي سلسلة جبال زاكروس.

أما زرادشت الذي يعد نبياً أو فيلسوفاً إيرانياً على أقل تقدير فقد ولد في منطقة الشيز في مقاطعة ميديا وعاش في العصر الميدي في الحقبة ما بين ٦٦٠-٥٨٣ ق.م. وكتب وصاياه بالخط الميدي، ولغة كتابه المقدس (الآفيستا- الآوستا– الآبستاق) في نظر غالبية الباحثين الأوروبيين هي اللغة الميدية، فلاعجب إن كان للحضارة الميدية تأثير كبير وإسهام فعال في تكوين البنية الفكرية والروحية للشعوب الهندوإيرانية وجيرانهم الساميين.

ومن جانب آخر كان من نتائج التحالف الميدي الكلداني أن حدثت مصاهرة بين الجانبين، حيث تزوج نبوخذ نصر ابن الملك الكلداني نبوبلاصر أميتس ابنة الملك الميدي أستياكس، وعندما لم تستطع أن تساير البيئة الجديدة التي بدأت العيش فيها لأن مدينة بابل عاصمة الدولة الكلدانية أرض سهلية وهي ابنة الجبال، بنى لها زوجها الملك نبوخذ نصر برجا هائلاً على شكل جبل وبطريقة ميكانيكية رفع إليها الماء من نهر الفرات، وقد سمى الأقدمون هذا البرج بالجنائن المعلقة، وعدت إحدى عجائب الدنيا السبع.

الإسهام الحضاري

مما لاشك فيه أنه كان للكرد إسهام لابأس به في الحضارة الإنسانية لأنه على أرضهم ظهرت أولى الحضارات البشرية، فقد حدد سكان العراق القدماء من السومريين والأكديين والآشوريين بداية انتشار الموجة الثانية من البشرية بعد استقرار فلك أُوتونابشتم (نوح عليه السلام) في جبل من الجبال الكردية هو كشاد كوتيوم حسب النص الأكدي ونيسير أو كينيبا حسب النص الآشوري. وفي التوراة وتحديداً سفر التكوين (٨: ٣-٥) يشير ناسخو العهد القديم إلى أنه «بعد مئة وخمسين يوماً نفضت المياه واستقر الفلك في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل آراراط»، في حين حدد القرآن الكريم موقعاً قريباً لهذا الحدث الجلل في الآية ٤٤ من سورة هود «... وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي...».

وعلى أية حال فقد حفظت لنا السجلات التاريخية التي تعود إلى الألف الثالثة ق.م أسماء عدد من الآلهة التي عبدها سكان شمال وادي الرافدين (سكان كردستان القدماء)، فضلا عن عدد من الملاحم والأساطير التي كان لها تأثير في تطوير الوعي الاجتماعي والبنية الذهنية لهذه الشعوب والشعوب المجاورة التي انتقلت إليها هذه المعبودات وكانت لها تأثيرات واضحة وجلية في خلق مشاعر مشتركة حددت بمرور الزمن روابطها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مطورة أوجها عديدة للحياة العامة، اندثر قسم كبير منها وظل أقلها مدوناً في وادي الرافدين ومصر وإيران والهند واليونان. ومن هذه الآلهة: نيني Nini (إينانا)، الإله موس (MUS)، أُودو (UDU)، إله الشمس سوريا (آسورا) SURIYA، الإله تيشوب (TESUP)، كوماربي (KOMARBI)، الإلهان شيميكا وكوشوخ

(إلها الشمش والقمر عند الخوريين).

وبجانــب المعبودات الزاكروســية التــي ذكرناها آنفاً، فقد شــاركت آلهة أخرى في عقيدة سكان المناطق الشمالية والشرقية لوادي الرافدين (سوبارتو) ترجع أصولهــا إلى المعتقدات والأســاطير الميثولوجية للأقوام الهندية – الآرية التي تركت مواطنها في جنوب روسيا في بداية الألــف الثانية ق.م والتجأت إلى كل من الهند وإيران والأناضول وبلاد ســوبارتو (كردستان)، وكان أشهر هذه المعبودات:

آســورا الهندية أو سورياش الكاشــية خالق الكون والإنســان، وهورفتــات (هــاروت في القــرآن الكريم) وماروتاش (ماروت في القرآن الكريم)، ووارونا وإندرا وناساتيا المذكورة في الفيدا (الكتاب الهندوسي المقدس)، وميثرا الذي انتشر خارج المنطقة الكردية حتى وصل أوربــا، فقد آمن به اليونانيون والرومان واعتبروه إله الملوك والمعاهــدات الدولية وإله الجنــود حيث كانت تنحر الثيران في عيد ميلاده.

وبعد انهيار الدولة الإخمينية الفارســية عام ٣٣٠ ق.م انتشرت عبادة ميثرا (إله الشمس المنير) في بقعة واســعة بين كردســتان والأناضول وخاصة بين افراد الطبقات الأرســتقراطية وأمراء الأقاليم، لذلك دخل اســمه في تركيبة عدد كبير مــن الألقاب الملكية مثل: ميثــرادات الأول والثاني والثالــث البرثي وميثرادات الســادس ملــك البنطس (منطقــة البحر الأســود)، وميثــرادات ملك الإرمــن وغيرهم. ومنــذ عام ١٣٦م صنعــت في الإمبراطوريــة الرومانية مئــات التماثيل والأصنام لهــذا الإله وأصبحت الميثرائية عند الرومان دين إطاعة الملوك، وقد شجعها الأباطرة. أما في العصر الساســاني فيقول المؤرخ الدانماركي آرثر كريستنسن «إن الشــمس التي كان يعبدها مجوس العهد الساساني ليســت خور وإنمــا هي مهر، ميثرا اليشــتات القديم الذي جعل منه الميثريون الشمس التي لا تقهر».

وانعكست صيغة كنيته الحديثة (ميهر) في بعض الكلمات والأســماء الكردية مثل ميهربــان (الرحيم) ومــيرزا (الســيد والمبجــل)، و(المــار) عند الســريان المسيحيين بمعنى الشيخ، كما دخل اسم الاحتفال بيوم مولــده إلى العربية بصيغة (مهرجان). أما الكنيســة المسيحية فقد جاملت ميثرا مجاملة عظمى باحتضان عيده الأكبر الذي يقع في ٢٥ ديسمبر/كانون الأول، وهو يوم ميلاد (الشمس التي لا تقهر)، واتخذت منه عيد مولد السيد المسيح عليه السلام.

الكرد والإسلام

كان الكــرد يعيشــون كمجموعــات قبليــة ضمن الإمبراطورية الفارســية الساســانية في غياب أي كيان سياسي خاص بهم في هذه الفترة، وبالتالي كانوا جزءاً لا يتجــزأ من الإمبراطورية الفارســية. في هذا الوقت توالت الانتصارات الإســلامية على القوات الفارســية في معارك القادســية وجلولاء ونهاوند (فتح الفتوح). وكان من نتائجها أن حدث احتكاك بين العرب المسلمين الفاتحين وبين الكرد.

ومهما يكن من أمر فــإن غالبية المناطق الكردية من مدن وقرى وقلاع وزموم في أقاليم الجبال الغربية ومناطــق الجزيــرة الفراتيــة وأرمينيــا وأذربيجان قد فتحــت صلحاً، ماعدا مناطــق قليلة فتحت عنوة كشهرزور (محافظة الســليمانية) فقد لاقى المسلمون مقاومــة شــديدة مــن ســكانها، فضلاً عــن مناطق ماســبذان والصيمرة الواقعة في جنــوب إقليم الجبال الغربي (لورستان) حيث جرت بين المسلمين والفرس المدعومــين من قبــل الكــرد معارك طاحنــة كانت نتيجتها انتصار المسلمين.

وبحلول عــام ٢١هـ دخلت غالبية المناطق الكردية في الإسلام، وبدأت عملية أسلمة المجتمع الكردي تمشي على قدم وساق.

إن دخــول الكــرد في الإســلام ربمــا أشــعرهم بكينونتهــم كجماعــة متميزة بلغتهــا وتراثها ضمن الجماعة الإسلامية. ومن جانب آخر فإن فقدان الكرد لدولتهــم الميديــة وتقلص دورهم الحضــاري في ظل

الدول الأجنبية التي توالى حكمها على كردستان مثل الإخمينيـــين واليونانيين والبرثيين (ملوك الطوائف) والساســانيين، جعل من الطبيعي أن يرحبوا بالإسلام باعتبار ذلك وســيلة انتقال إلى وضع أفضل مما كانوا فيــه، فضلا أنهم تخلصوا من ظلــم الدهاقنة الفرس وتعقيدات رجال الدين الزرادشت (المجوس) التي كانت تلقي عليهم تقاليد وطقوسا لا قبل لهم بها.

وفي حقيقة الأمر لم يمس الإســلام الكيان القومي للكــرد داخل وطنهم، بل انه ســاعد على تعزيز ذلك الكيــان في وجــه الشــعوب والأنظمة غير الإســلامية المتاخمة لكردستان، ولا سيما في طرفها الشمالي. يقول باحث محايد إن الخلفاء المســلمين لم يحاولوا التدخل في الكيان المســتقل لزعماء الكــرد. وذلك يدخل دون شك في الأسباب الأساسية التي دفعت الكرد إلى الترحيب بالدين الجديد والإخلاص لــه والتفاني من أجله. إن احتفاظ الكرد بخصائصهــم القومية وبلغتهم في ظل الإســلام وحضارتــه لهو درس بليغ مــن التاريخ كان يجب أن يؤخذ في الاعتبار.

ومما يضفي أهمية خاصة على هذا الأمر أن أبناء الكرد رحبوا بالعربية بوصفها لغة القرآن وأداة الروح والتقرب من الله ســبحانه وتعالى. ومع ذلك فإن الكرد وعلماءهــم لم يروا أي تعارض بين إيمانهم بالإســلام وإخلاصهــم للغة قومهم. كما كان لعلمــاء الكرد دور متميــز في الحضارة الإســلامية بوجــود العديد من اللغويــين والنحاة والمؤرخين والمفســرين والمحدثين. وهكذا فقد كان اعتزازهم بالعربية وبالإســلام كبيرا بوصفها لغة القرآن الكريم ولم تدر في خلدهم الكتابة بغيرهــا حتى وإن كانت لغتهــم، وهذا ما جعل التراث الكــردي جزءا مــن التراث الإســلامي وليس منفصلا عنه.

وهكذا ظل الكرد يؤلفون باســتمرار روح الإسلام، كما أنهم أصبحوا جنودا للخلافة الإســلامية في شــتى عصورهــا ولــم تؤثر فيهــم الاحتــكاكات العقائدية والحزبيــة والمذهبيــة التــي طغت علــى العديد من القوميــات التــي تؤلف المجتمع الإســلامي آنذاك، بل أصبحــوا ســندا ومدافعا أمينا عن الثغور الإســلامية في وجــه الــروس والبيزنطينيــين وحلفائهــم مــن الإرمن والكرج (الجورجيــين)، أما دورهم في مقاومة الصليبيــين والباطنيين بقيــادة الناصر صلاح الدين الأيوبي فأشهر من أن يعرف.

وفي العصور العباسية كان لهم دور مشهود في الدفاع عن حياض الخلافة، وحتى عندما شكلوا إمارات خاصة بهم كغيرهم من الأمم أيام تدهور الخلافة العباسية في العصر البويهي ٣٣٤-٤٤٧ هـ فإنهم بقوا على إخلاصهم لرمز الإســلام آنذاك (الخلافة العباسية)، ولم يحاولوا القيام بحركات التمرد والانفصال أو احتلال بغداد مثل أمم أخرى كالفرس والبويهيين، وكان في اســتطاعتهم فعــل ذلــك لــو أرادوا، ولكنــه في اعتقادي الإخلاص للإسلام وللخلافة العباسية لا غير.

«الكرسي»
للشاعر الكردي شێركۆ بێكەس
مأساة شعب يتوق الى الحرية

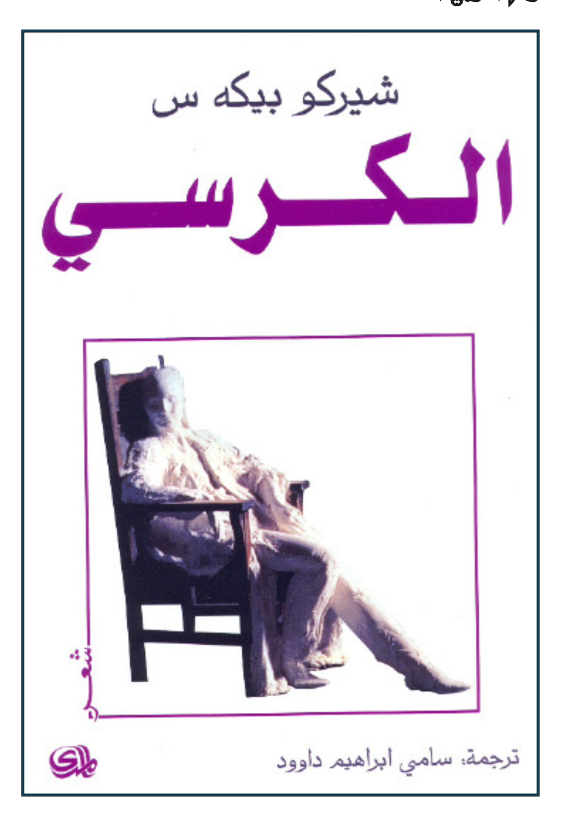


ابراهيم حاج عبدي/ دمشق

في الحديث عن الشعر الكوردي المعاصر بمختلف تبايناته، وتلاوينه، وتجاربه...لا يمكن، بأي حال، إغفال اسم الشاعر الكوردي الكبير شيركو بيكه س، الذي يعد واحدا من أهم وأقوى الأصوات الشعرية خلال العقود الثلاثة الماضية. هو ينتمي إلى جيل لم يعرف سوى الخيبة، والانكسار، والرحيل القسري، والأنفال، والثورات الصادقة «الخائبة». كان والده الشاعر فائق بيكه س يكتب شعرا سياسيا حماسيا، وقاد انتفاضة السليمانية في العام ١٩٣٠ م، وعند رحيله الباكر لم يرث ابن السابعة سوى مكتبة صغيرة، وأحزان الأم الكبيرة التي وهبته حب الشعر والحكايات في ليالي الشتاء الباردة والطويلة.

درس المراحل الدراسية الأولى باللغة الكردية، ثم غادر إلى بغداد في عام ١٩٥٩ ليكمل دراسته في إحدى ثانويات بغداد التي بقي فيها لحين التحاقه في العام ١٩٦٥ بالحركة الكردية حيث عمل في إعلام الحركة، ثم عاد موظفا إلى بغداد أواخر ١٩٦٨ والى تلك الفترة تعود أهم التحولات في قراءاته وتطلعاته الشعرية، ففي تلك الفسحة من الحرية ـ ولا سيما بعد بيان آذار ١٩٧٠ وإعلان مشروع الحكم الذاتي لكوردستان العراق ـ اطلع على الشعر العربي، وبنى صداقات مع شعراء وكتاب وصحفيي العاصمة العراقية وسط أجواء من السجالات النقدية والنقاشات، ومتابعة ما يصدر في العواصم العربية كالقاهرة وبيروت ودمشق.

وبتأثير من هذه الأجواء أصدر بيكه س، في مطلع السبعينيات، مع مجموعة من الأدباء الكورد منهم حسين عارف، وجلال ميرزا كريم، وكاكه مم بيان «روانكه ـ المرصد» الذي جاء بمثابة دعوة إلى تحديث وتجديد اللغة والصورة الشعرية وتصحيح الممارسة النقدية، «كنا نريد أن نلقي حجرا في البركة الراكدة»، كما قال في حوار سابق مع كاتب السطور. بيد أن هذه الأحلام عصفت بها اتفاقية الجزائر العام ١٩٧٥ التي قضت بوقف دعم شاه إيران للثورة الكردية بقيادة الملا مصطفى البرزاني مقابل التنازل العراقي عن شط العرب لإيران لتبدأ الحملات الأقسى لتهجير الكورد وسحقهم.



إزاء هذا الوقائع، ومن هذه البدايات المفجعة بدأ وعي الشاعر يتفتح، وراح يلوذ بالقصيدة بحثا عن فسحة للبوح، والمكاشفة، والارتواء، فكان ديوانه الأول الذي صدر نهاية الستينيات من القرن الماضي، تحت عنوان «ضياء القصائد» ككناية عن توقه إلى الضوء والحرية، وبحثا عن قصيدة توثق هذه الانكسارات. اجتهد بيكه س في عالم الشعر، فكانت حصيلة التجربة أكثر من عشرين ديوانا، وأمسيات كثيرة أقامها في العديد من العواصم العربية والعالمية، وجوائز كثيرة. وهو يدير، الآن، في مدينته السليمانية، التي ولد فيها عام ١٩٤٠، مؤسسة (سردم ـ العصر) للثقافة والنشر التي تصدر مجلة دورية تحمل الاسم نفسه.

ترجمت قصائده إلى مختلف اللغات بينها الفرنسية والإنكليزية، والإيطالية، والإسبانية، والروسية، والتركية...وسواها، فضلا عن العربية، فرغم أن بيّكهس لا يكتب إلا بلغته الأم: الكردية، لكن أشعاره وجدت طريقها إلى العربية على نحو متواتر منح لاسمه الصعب، إيقاعا أليفا لدى قارئ هذه اللغة، فقد ترجمت له مجموعات عدة لعل المجموعة الأولى كانت «مرايا صغيرة»، ثم جاءت «مضيق الفراشات»، و«ساعات من قصب»، و«نغمة حجرية»، و«سفر الروائح»، و«إناء الألوان» وصولا إلى ديوانه الأخير «الكرسي» الذي صدر عن دار المدى (دمشق ـ ٢٠٠٧)، بترجمة سامي داوود.

في هذا الديوان يسرد بيكه س مطولة شعرية تقع في ١٤٠ صفحة، والملاحظ في تجربة بيكه س انه بات يميل إلى الرواية الشعرية كما فعل في دواوينه الأخيرة مثل «نغمة حجرية»، و«سفر الروائح»، و«إناء الألوان»... بعد تجربة طويلة قضاها في كتابة القصيدة القصيرة ذات الومضة الخاطفة، ولعل هذا الانتقال مرده إلى أن القصيدة الطويلة تتيح له مساحة أوسع للتأمل، والاسترسال، وتفسح المجال أمام ذاكرة متدفقة، مثقلة بالذكريات الأليمة، ناهيك عن أن هذه المطولات الشعرية تكون ملائمة لتوظيف الفنون الكتابية الأخرى، إلى جانب الشعر، مثل القصة القصيرة، والنص المسرحي، والنثر...الخ.

في هذا الديوان يقص بيكه س حكاية كرسي مذ كان شجرة خضراء في السهول إلى أن وقع خشبها تحت يد نجار ماهر يصنع منها ما يشاء: عصا المايسترو، سرير لزوجين، مجداف لزورق، نافذة تتسرب منها شعاع الشمس، طاولة في حانة صغيرة، رف لكتاب، رقعة شطرنج، غليون، خشبة مسرح...وقد يتحول خشبها كذلك إلى أعمدة للمشانق، أو خشب لغسل الموتى...لكن بيكه س يختار «الكرسي» كي يقتفي اثر هذه الأداة، ويصغي إلى أوجاعها وأفراحها عبر لغة غنية، مليئة بالدلالات والرموز، ومن خلال صور مبتكرة لطالما أجاد بيكه س في رسمها.

يصف بيكه س بداية الكرسي الذي سيقص علينا أحزانه: «هو...كرسي هرم قصير/ضامر الكتفين/

محبوب بجبينه العريض/ وذراعيه النحيلتين/ شاحب القسمات/أجرد...أعرج/ لكنه ما زال فطنا...إن أصغيت لصدره/أحسست صوت روحه/ يختضُّ في جسده/ أبدا.../كأنما النار تؤرججه»، وها هو بيكه س يصغي إلى صوت روحه، فينطق بلسانه ويرى بعينيه. يعود الكرسي إلى طفولته عندما كانت شجرة جوز خضراء غضة على ضفاف الأنهار، وكانت الفراشات الملونة، الناعمة تأتي في كل صباح «تسبق الندى، تحط بخفة على كتفي وتقول، صباح الخير»، ولسان الحال كان ـ آنذاك ـ «طالما العصف نائم /والفأس مفقود/ فالحال بخير»، وكثيرة هي اليمامات التي بقي هديلها معلقا في القلب، ولئن تحولت صديقاتها، الأشجار الأخرى، إلى أدوات كثيرة، فإنها تحولت إلى كرسي ليرى العالم أكثر.

لاشك أن بيكه س يتخذ من الكرسي ذريعة ليرصد من خلاله أوضاع شعبه، وآلامهم، ويراقب، مع الكرسي، في المقاهي، والمسارح، والبيوت، والحفلات هموم هذا الشعب، إذ سنسمع من الكرسي أصداء تلك السنوات التي حصدت أرواح الأبرياء في جرائم الأنفال، وسنعرف عذابات المفقودين والجياع: «أنا حلاج آلامي البيضاء/ في صوتي تحفظ الغربة جسدها/ في عينيٍ شعاع القرابين/ في خيط شعري عشبة حنين للوطن». خَبِر الكرسي بهذه الانتقالات معدن البشر، وخستهم ونبلهم، وشجاعتهم، وجبنهم...فهو يشهد، مثلا، على شجاعة كاتب العرائض الذي كان يسجل آهات الناس البسطاء، وشقاء القرويين والأرامل، وحرقة العاطلين عن العمل، فقد قيل لكاتب العرائض حين اعتقل: تعال وابصق على هذا «الشماخ» الأحمر والجبال، بعدها عد إلى البيت!، أدار كاتب العرائض وجهه لجندي الموت، وقال له ـ كما يشهد الكرسي: «معي بصقة وحيدة، وهي لوجهك ووجه الطاعون البعثي». ويقسم بيكه س الكراسي إلى أنواع فيكتب «لا تنسوا ...أكذب الكراسي كرسي السلطة، وأكثر الكراسي بسالة وأندرها عددا المتجاسرة على السؤال»، وهذه الصورة هي كناية على أن السؤال الدائم، هو الذي يفضي إلى الشكوك، ويزعزع المسلمات بحثا عن الحقيقة، ذلك أن الحقيقة لا تتجلى إلا بالبحث والتقصي والسؤال الدائم والشعر في مفهوم بيكه س، قبل أن يكون جوابا، هو سؤال دائم.

من خلال هذا الكرسي يستعيد بيكه س فصول الألم، ويصفي حساباته مع سنوات مترعة بالأوجاع، ويسعى إلى عالم متسامح وجميل، فهو ينبذ كراسي التعذيب، والتحقيق، وكراسي البخلاء والانتهازيين، وكراسي الساسة المستبدين، وينتصر لكراسي الفقراء والبسطاء، وكثيرا ما يتردد أسماء شعراء كورد مثل نالي، ومحوي، واحمدي خاني...وسواهم، وهو يذهب لأبعد من ذلك إذ يعانق الثقافة الإنسانية بكل رحابتها، فيتذكر تشيخوف، وموباسان، وديستوفسكي، وبوشكين، وبلزاك...وغيرهم، ويلمح كذلك إلى شخصيات ناصرت القضية الكوردية، مثل جواهر لال نهرو، والكاتب التركي إسماعيل بيشكجي، وزوجة فرانسوا ميتران، والرئيس الليبي معمر القذافي...فالكراسي الإنسانية تعلم بمعاناة الكورد ومتيقنة من عدالة قضيتهم.

الديوان، بهذا المعنى، يحمل عنوانا مراوغا، فالشاعر الذي يعود إلى الطبيعة، ويتحدث بلسان الشجر والطير والحجر، ويؤنسن الجماد عبر أنسنة الكرسي، إنما يهدف من وراء ذلك إلى سرد مأساة شعبه الذي عانى وكافح وناضل حتى حقق جزءا من حريته، والديوان إذ يكشف عن نبرة شاعرية عفوية صادقة إنما يثبت تلك النزعة الإنسانية التي تحلى بها على الدوام الشاعر شيركو بيكه س، ولهذا صنفه النقاد ضمن الشعراء العالميين الكبار الذين كتبوا مثله لأجل الحرية والسلام، والحب، والعدالة، والمساواة والكرامة، ولعل الجملة الختامية في الديوان تكشف عن تلك النزعة الإنسانية التي تقوده إلى سرد معاناة شعبه بصدق وشفافية غارقة في المحلية بكل أساطيرها وملاحمها ورموزها، ثم يجد نفسه بعد ذلك بين شعراء كبار يجمعهم قرابة الحبر، والحلم بعالم جميل يتسع للحب والجمال، يختتم بيكه س ديوانه قائلا: «أبصرت في سطح سماء ناصعة/ غيمة في سيماء كرسي/الكرسي نفسه/ وضع قرب عرش الله/ منتظرا/ أن تجلس عليه أخيرا/ الحرية».

مكائد العنوان ومراوغات الدال في متاهة سليم بركات

بالشباك ذاتها/ بالثعالب التي تقود الريح

د. خالد حسين حسن

«حقّاً، العنوانُ ـ نفسُهُ ـ مسألةٌ غامضةٌ. قد يَصلحُ هذا العنوانُ لكتابٍ ما، وقد يَصْلحُ له عنوانٌ آخر. كلُّنا يقلبُ جملةً من مفاتيحهِ على بابِ النصِّ، واحدٌ منها يُماثلُ قفلَ الرؤيا، واحدٌ هو خيالُ المطمئنِّ، خطأً أو صواباً، إلى أنَّك استوفيتَ السهمَ اندفاعاً إلى صميمِ حبرك ».

سليم بركات

عتبة القراءة:

لنتمعن عنوانَ المتاهة الماثلة في مفتتح هذه القراءة :

«بالشباك ذاتها/ بالثعالب التي تقود الريح»[١].

هكذا يتراءى للمتلقي كما لو أنّه إزاء تميمةٍ أو تعويذةٍ، وهو يواجه هذا «العنوان» الذي اختاره الشاعر والروائي الكردي «سليم بركات» لمجموعته الشعرية، إذ يشكل هذا «العنوان» في حدِّ ذاتهِ تحدّياً للقراءة الراهنة، فكيف بالنصوص والعناوين المنطوية تحت يافطته؟!. وبناءً على ذلك، كيف للقراءة أن تمتحن إرادتها في مقاربة «عنوان» لمجموعةٍ كاملةٍ؟. أو بتعبيرٍ آخر، بأيّة جرأةٍ نقديةٍ على القارئ أنْ يتحلّى وهو يستجمعُ أشلاء مشيئته مقترباً من هذا الخطاب؟. يقيناً ثمة تحدّ يرفعه «العنوان» في وجه القراءة، تحدٍّ قادم من نصّ شائكٍ، يُمْعِنُ في التّلغيز إلى أقْصى حالاته، مندفعاً بالانحراف الدّلالي إلى أشد زواياه استفزازاً، ومراوغاً أعراف التجنيس وتقاليده بسؤالٍ مربكٍ: إزاء «ماذا» يكون القارئ؟. من هنا، يأتي اختيار هذه المجموعة الشّعرية بعنوانها المعقّد تركيباً، وبنصوصها العويصة، غير أنَّ «العنوانَ» هو العتبةُ التي نرواغ من خلالها النصّ، وهو دليل النصِّ إلينا، ودليلنا إليه، إذ «العنوانُ المشرق يضيءُ الطريق الذي ستسلكه القراءة»[٢]، وهو بإشرافه على النَّص «يُعيّن نوعاً محدّداً: (...) أي أنَّهُ يومِئُ إلى مجموعةٍ من النّصوص لها خصائص مشتركة، خصائص يعد النَّص الالتزام بها»[٣]. وهكذا فالعنوان الرَّاهن «بالشِّباك

ذاتها/ بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح» لا يمكنُ أنْ يقتنصَ من الخطابات الأجناسية سوى الشّعر جسداً له، من حيثُ إنَّ «الشّعر معنى يُبنى بطريقةٍ معقدة، وهذا يعني أنَّ العناصر اللغوية الدَّالة حين تندرج في كيانٍ بنيةٍ واحدةٍ متكاملةٍ تغدو ـ أي تلك العناصر ـ مترابطةً فيما بينها بنظام معقّدٍ من العلاقات والتقابلات، التي لا يمكنُ تحقُّقها في البنية اللغوية العادية، ولعلَّ هذا هو ما يمنح كلّ عنصرٍ بمفرده، وما يمنح البنية الفنية في عمومها، ثقلاً دلالياً خاصاً»[٤]، ومن هنا، يستمدُّ العنوان الراهن خصائصه في تنظيم المعجم، وصناعة المعنى من أعراف الخطاب الشعري وطرائقه في التعامل مع اللغة: التّوازي التّركيبي، الفجوة الدّلالية التي يحفرها انفجار الاستعارة في مستواه الدَّلالي، آلية الحذف العاملة بعنف في البنية النحوية، وبمعنى آخر فما نجدُهُ في الخطاب الشّعري يتبأّر في خطاب العنوان ذاته؛ فالعنوان يَخضعُ لما يَحْكمُ جنسَ الخطابِ الذي ينتمي إليه.

I ـ مستوى البنية:

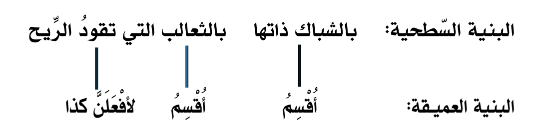
يُبئِّر هذا العنوان انتباه المتلقي بالغموض الذي يكتنف مستواه التركيبي، فهو يتخذ من الجملة المتشابكة مستقراً لكينونته، ويُقصَد بها تلك » الجملة المكوَّنة من مركَّبات إسنادية أو مركَّبات مشتملة على إسناد« [٥]، وبمعنى آخر تتداخل جملتان أو أكثر في إطار تركيبٍ جُمَليّ، يمتاز بالتعقيد والتشابك.

واستناداً الى الترسيمة الماثلة، تنطوي جملةُ العنوان المتشابكة على تقاسم «القَسَمين» جواباً واحداً واشتراكهما في ملْكية الفراَغ الذي يَدَعْهُ الجوابُ ملغَّماً بالأسئلة. والقَسَمُ الثاني يرتبطُ بالأوّل عَبْرَ أداةِ ربط محذوفةٍ، والعبرة بالائتلاف في جوابٍ مشترك هي الإمعانُ في تأكيد الجواب وإنجازه، كما أنَّ إنجاز القَسَم بـ «الباء» المكرَّرة دون أداةٍ ظاهرةٍ في القَسَمين يكونُ من قبل التّوكيد أيضاً، من حيثُ إنَّ التّكرار تقويةٌ للمعنى وتماسكٌ للنَّص بنيةً ودلالةً. وتأتي ميزةُ القَسَم بالباء لكونها تدخلُ «على كُلِّ محلوفٍ به ظاهراً كان أو مضمراً، والفعل ظاهرٌ ومحذوف»[٦].

ومن ناحية أخرى يُشكِّلُ ارتباطُ طرفي القَسَم جملةً مركبةً: «من مركبين إسناديين أحدهما مرتبط بالآخر ومتوقف عليه، ونلاحظُ أنَّ أحدهما يكوِّنُ فكرةً مستقلةً، والثَّاني يؤدِّي فكرةً غير كاملةٍ ولا مستقلةٍ ولا معنى له إلا بالمركب الآخر، والارتباط بين المركبين معتمدٌ على أداةٍ تكونُ علامةً بين المركبين»[٧]، وبناءً على ذلك، فالبروتوكول القائم بين الطرفين «القسم وجوابه» يُبْرَمُ من خلال علاقة التّأكيد، تأكيد الثاني بالأوّل «واعلم أنَّ جواب القَسَم لا يكونُ إلاخبراً، لأنَّهُ يُؤكَّدُ بجملةِ القَسَم»[٨]، غير أنَّ ما يُفاجئُ المتلقّي في البنية التّركيبية لجملة القَسَم: الحضور العنيف للمُقْسَم به الأوّل بتوكيد معنوي: بالشباك ذاتها، والمُقْسم بهَ الثاني الذي يمتدُّ أفقياً عَبْرَ مركّبٍ موصولي: بالثعالب التي تقودُ الرِّيح، وإذا كان التّوكيد المعنوي «ذاتها»، ومن خلال الضمير المطابق للمؤكّد، يرفعُ التّوهمَ عن المؤكّد، فالمركَّب الموصولي: «التي تقودُ الرِّيح» يُعَدُّ بمنزلةِ إطارٍ توصيفيّ للمقسَم به «بالثعالب»، ومجيءُ صلة الموصول مركباً فعلياً «تقودُ الرِّيح» يَمْنَحُ الدينامية للتركيب بما يتلاءَم مع النّشاط الكائني للثعالب، ومن هنا السمة المميزة لصلة الموصول، بوصفها تركيباً فعلياً للصلة، على كونها تركيباً اسمياً يكرِّس الثبات بدلاً من الحركة.

إنَّ الاقتصار على المُقْسَم به في جملة القَسَم وإهدار فعليْ القَسَم وجوابه والإمعان في توكيد أحدهما، وتوصيف الآخر في حركةٍ عنيفة للحذف الذي يستبدُّ بالبنية النحوية للعنوان، هذا الحذف أمرٌ له دلالته في الخطاب الشعري، إذ تكشفُ الممارسة التّداولية لأسلوب القَسَم في العربية عن حذف القسم أو جوابهِ بدليل يدلُّ على المحذوف[٩]، أمَّا أن يُحْذَفَ فعلُ القسم وجوابُه، ويَقتصرُ التّركيب على المُقْسم به على نحو مكرر، فهذا من ارتكابات الفعل الشعري الذي لا يقتنعُ بالسّائد من الاستعمالات اللغوية وأساليبها، ولا ريبَ أنَّ الصياغة الشعرية تستهدفُ أقصى إمكانيات التّكثيف

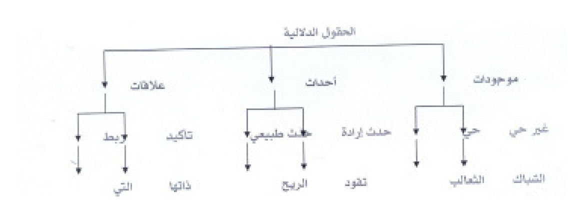
والإيجاز، وهذا لا يتحقق إلا بممارسة «الحذف»، حيث تنمو الفجوات والفراغات في التّركيب النَّصّيّ، الأمر الذي يستدعي تنشيط فعالية التّلقي لدى القارئ بتأويل ما ارتكبه الحذفُ من انحرافاتٍ تركيبية ودلالية، وإعادة اللحمة للخطاب، لكن هيهات: «إذ انَّ الحذف يؤدِّي بالضرورة إلى دخول (المحذوف) دائرة الإبهام، وهو ما يؤدِّي إلى حصول ألم للنفس لجهلها به، فإذا التفتت إلى القرينة تفطنت لـه، فيحصلُ لها اللذة بالعلْم، واللذة الحاصلة بعد الألم، أقوى من اللذة الحاصلة ابتَداء»[١٠]، فالحذف يقدْحُ التّأويل ويوقظُهُ، ليدخل المحذوف إلى مجال الاحتمال والممكن، وهذا ما يحرِّر الخطاب من الشفافية، حيثُ الدَّالُّ يمسك بخاصرةِ مدلولـه، يحرِّره من الوضوح ويلجُ به «دائرة الكثافة» والعتمة، لتلوح الآفاق النّائية للذّةِ المستحيلة بالتّأويل والتّأويل المضاعف. وهكذا يمكننا رسمُ ملامح العناصر أو الوحدات النحوية المحذوفة انطلاقاً من البنية السَّطحية للعنوان:



وبهذا الحذف في المستوى السّطحي وشرعية العمل في المستوى العمقي، تتمرّد البنيةُ النحوية على إجرائها الحيادي، بوصفها بنيةً متعاليةً على الاستعمال التّداولي، لتغدو عنصراً فعَّالاً ومتميّزاً لصالح البنية الشّعرية، ولهذا تُنْجَزُ أوْلى درجات البعد الشّعري عَبْرَ إحداث التّكافؤ الفونيمي والعروضي والإعرابي بين المقْسَمَين بهما: «بالشباكِ و بالثعالب» أو ما يُطلقُ عليه رومان ياكبسون اسم: التوازي التّركيبي[١١] الذي به تغادر اللغةُ الاستعمال اليومي، وتُلْفتُ الانتباه لها، وهكذا تكتسبُ البنية النحوية قيمةً وثقلاً في الخطاب الشّعري.

بهذا التصور التأويلي للمستوى التركيبي للعنوان، تندفع القراءة نحو المستوى المعجمي لـه، ذلك أنَّ »معجمَ أي نصّ يمثِّل ـ في المقام الأول ـ عالم ذلك النص، أما الكلمات التي يتكوَّن منها؛ فهي التي تملأ فراغ ذلك العالم، ومن كلا الجانبين تتخلَّق بنية الوجود الشعري»[١٢]، فما طبيعة المعجم الذي يتكوَّن منه نصُّ العنوان بوصفه يختلس خصاله من الدليل الشعري في مراوغة اللغة وقيادتها نحو التيه؟

إنَّ التأمُّل في المفردات المكوِّنة للمعجم يشكل في انتظامها التركيبي حقولاً دلاليةً ثلاثة، كما يتَّضح الأمر من الترسيمة الآتية:



هذه هي الكينونة التي ينسجها المعجم ليختلقَ عالم النص، لكنَّ هذا العالم لايتضافر نصّيّاً إلا عبر علاقاتٍ دلاليةٍ تحْكُمُ مملكة المعجم: المفردات في سياق اشتغالها النصيِّ، ففي إطار حقل الموجودات يتجابه غير الحيّ: الشِّباك مع الحيّ: الثَّعالب، الثقافة ضد الطبيعة، ذلك أنَّ «الشباكَ» نتاجٌ للعقل؛ ليتدبَّر الكائن الإنساني أمور الطبيعة بانفلاتها وعبثيتها، وهكذا يتواجه العقلُ والغريزةُ، الأوَّل بما يبتكر من آلات تُحْدثُ «الفجاءة» وتقتنص مكرَ الطبيعة؛ لترويضها، والثانية بما تمتلك من أساليب الدهاء والخديعة، تبتغي إعادة الوجود إلى أمس ما كان، ومن هنا نألف هذا التكافؤ بين المفردتين على صعيد القَسَم بهما، إذ ان واحدتها تُفاجئ الأخرى على الصعيد الأنطولوجي، كما لو أنَّ الطبيعة لا تستغني عن الثقافة، وهي الأخرى كذلك.

ويرتبط الحقل الثاني المكوَّن من حَدَثَين: إرادي وآخر طبيعي بالحقل الأول بإبرام ميثاق علاقةِ إخضاعٍ، وإذعانٍ عبر حدث الإرادة متمثِّلاً بالفعل «تقودُ» بين مفردتي «الثَّعالب» و«الرِّيح»؛ فالفعل

«تقود» يشيرُ إلى دلالاتِ الإخضاع والتَّدبُّر والتَّرؤُس، لتُصبحَ «الرِّيحُ» رهينةَ الإرادة متمثِّلةً بالثَّعالب، فخطاب العنوان يعكسُ العلاقة المنطقية بين الثَّعالب والريح؛ حيثُ الرّيح هي التي ـ عادةً ـ تقودُ؛ ليؤسِّس العنوان منطقه الشّعري القائم على قلب الموازين بجعلِ مشيئة القوة الكبرى(الريح) تُذْعِنُ لمشيئة القوة الصغرى(الثعلب)، وهذا شأنُ الخطاب الشّعريّ في إشاعة الفوضى في قلب النّظام وموقعةُ النظام في عالم الفوضى، و ذلك بقلب التّراتُب الذي يَسْكُنُ الاستعمال التّداولي للمعجم اللغوي.

وتنبغي الإشارةُ أخيراً إلى الحقل الدّلالي الخاصّ بالمفردات التي تُؤدِّي أدواراً علائقية في الخطاب متمثلة بمفردتي «ذاتها، التي» ، فالأولى، كما أشرنا، ترفعُ التّوهم عن المؤكَّدِ بوصفه «الشّباك» في موضع المُقسَم به، وليس كائناً آخر، أمَّا اسم الموصول «التي» فهو أداةُ ربط بين الموصوف(الثَّعالب)[١٣] ، وجملة الصِّلة، أي أنَّهُ يُنظِّمُ الخطاب، ليمتلك قابلية الفهم لدى المتلقي، وهذه هي وظيفة العناصر الإشارية، ومنها أسماء الموصول، «في تعيين المرجع الذي تشير إليه. وهي بذلك تضبط المقام الإشاري Deicticcontext))»[١٤]. وتمنح الخطاب القدرة على الائتلاف بين دلالاته.

وهكذا يقذفنا المستوى المعجميُّ إلى لعبة المجاز حيث يَكْمُنُ العنوانُ للوضوح بنعمةِ الكثافة وقلق العتمة، لتتحرّر «العلامةُ» من البلاهة التي تكتسبُها في التّواصل الذرائعيّ، ولتكونَ للنَّصّ ـ عندئذٍ ـ إرادة التّوليد الدَّلالي المستمرة في فضاءِ القراءات المتعاقبة. فكيف نقرأ العنوان مجازياً؟

إنَّ الأمرَ لن يَعْدُوَ رميةَ نردٍ في الإمساك بمجازية كائناتِ العنوان: الشّباك، الثّعالب، الرِّيح، مع ما تستقطبُهُ «الرَّميةُ» من خيبةٍ ونشوة. إلى ذلك ترى القراءةُ العنوانَ بؤرةً تتوسَّل الاستعارةَ آليةً، لتؤسِّس عالمها الدَّلالي، أي أنَّ المماثلةَ ماثلةٌ بقوةٍ بين كائنات النَّص ونسق من الكائنات تُمثِّلُ المشار إليه. وفي الطريق إلى لعبة التَّأويلِ والتّفكيكِ تتموقعُ مفردات «الشِّباك، الثّعالب، الرّيح» في موقعِ المشبَّه به، في حين تحوز «اللغةُ» و«الخيالُ» على التَّوالي مَوْضع المشبَّه، بانحدار اللغة نحو مفردتي «الشِّباك، الثَّعالب» بتقمُّصهما عبر المشابهة، واتخاذ مفردة «الخيال» لمفردة «الرِّيح» استبدالاً لها بالمماثلة ذاتها. لكن أين القرائن التي تُبيحُ الاستعارة أصلاً؟. وقبل ذلك لا بُدَّ من الإمساك بما يجمع بين «الشِّباك والثَّعالب» كعُنصرين متكافئين في لعبة الاستعارة. ومما لـه دلالته أنَّ المفردتين تؤسِّسان علاقةَ تضادّ واضحةٍ: الشِّباك (الذكاء الإنساني) والثّعالب (الذكاء الحيواني)، فالشِّباك كمينٌ للثّعالب عبر التمويه، ليقعَ سيد الخديعة (الثعلب) في قبضة الفجاءة والذهول اللذين أعدَّهما الكائن الإنساني عَبر تمويه مكانيّ مفخخ، والثّعالب بجسارة الغريزة ودهاء الطبيعة تُفْسِدُ خططَ الذكاء الإنساني، وتتجاوز الكمينَ إلى أهدافها غير المعلنة. هذا هو التّضاد الكائن من خلال مقارعة الذكاء بالدّهاء، التمويه بالمكر، الشِّباك بالثّعالب، الثقافة بالطبيعة، وهكذا تتخذُ مفردةُ «الشِّباك» السِّمات الدَّلالية: + إرادة العقل الإنساني، + تُستخدم لمفاجأة الحيوان، وتصيُّده، + تمارس التمويه. على حين تمتاز مفردة الثّعالب بالسمات الآتية: + إرادة الغريزة، + صيّاد، + يُمارسُ التمويه والمكر والخديعة (التمويه). وهكذا تتقاطع المفردتان في سمات + ذكاء، + دهاء، + الخديعة، وكلتاهما تتوفَّر على سمة + إرادة. وعلى هذا الأساس تتوحَّد المفردتان لتحوزا على موقع المشبَّه به، فما القواسم المشتركة بين اللغة: «المشبّه» والمشبَّه به: «الشِّباك الثّعالب» ؟ اللغةُ ليست إلاّ هذه «الشِّباك، الثّعالب» التي يموِّه بها الكائنُ الإنسانيُّ(الشَّاعر) فريستَهُ (= العالم) ويصوغه قصائد ونصوص عَبْرَ طاقة «الخيال = الرِّيح»، فالرِّيحُ هي خيال الطبيعة بامتياز، تَتَماثل المفردتان في كوْنِهما قوتين: قوة الطبيعة، وقوة العقل، كلتاهما غير مرئية إلاّ بما تنجزانه من بناءٍ ودمار، وتتراكم التَّشاكلاتُ بين الخيال والرِّيح إلى أقصاها في كون الرّيح روحاً، فهما من الجذر ذاته: روح، فالروح هي النّفس، وما به

حياةُ الكائن الإنساني، أي النّسغ الذي يمدُّ «الخيال» بالكينونة. وعليه هل يمكنُ الاندفاع بالتّأويل إلى المستوى الآتي:

باللغةِ ذاتها، بالإرادة التي تقودُ الخيال لأَصيدَنَّ العالمَ قصائد.

من حيث إنَّ اللغة إرادةٌ، واللغةُ مشيئةُ الكائن في اصطياد العالم، ومنحه المعنى بمحاصرة «العدم» الذي يكتنفُ العالم وينتابه، فاللغة، النَّص، الكلمة، هي التي تَهَبُ «العالم» معنى الوجود، والقدرة على التّكشف من الاحتجاب، والغياب، ذلك أنَّ «الحديث الشّعري ليس كشفاً لمتكلم، بل هو كشفٌ لوجود العالم»[15]، بالمعنى الثري لمفردَة «العالم».

بهذا التّأويل للعنوان تتكشَّف لعبةُ الاستعارة وقيمتها الجمالية والمعرفية في اختلاق عوالم جديدة ليس بوصفها «نقلُ اسم عن شيءٍ إلى شيءٍ، ولكنها ادِّعاءُ معنى الاسم لشيءٍ»[16]، كما يقول الجرجاني أي بإضفاء ظلال «الشِّباك والثَّعالب» على «اللغة»، بما تدلّان عليه من مكر وخديعةٍ ودهاءٍ في اقتناص الفريسة. وقيمة الاستعارة في هذا العنوان تَكْمُنُ في الجمع بين عناصر نائية عن بعضها بوصفها «عملية خلق جديدةٍ في اللّغة، ولغة داخل لغة، فيما تقيمه من علاقاتٍ جديدةٍ، وبها تُحْدِثُ إذابةً لعناصر الواقع لإعادةِ تركيبها من جديد»[17] ، ذلك أنَّ كائنات العنوان في الاستعارةِ تكتسبُ وظيفةً سيميوطيقية، بتدليلها على مشهدٍ بصريٍّ فيزيائيّ، يتراءى عَبْرَ مفردات: الشِّباك، الثَّعالب، الرِّيح في تفاعلها من جهةٍ، وتفاعلها مع الفضاء من جهةٍ أُخرى، فضاء ممتلئ بالكينونةِ، يُجدِّدُ الإحساس بالمكان بتغيير العلاقات الكائنة بين كائناته: الرّيح والثّعالب، هذه الصّورة التي تكتنفُ العنوان سرعان ما تتحوَّل إلى دالّ ثان بفعل السمطقة الاستعارية، لِتَنْهَضَ صورةُ ذلك الكائن (= الشَّاعر) في اقتناص العالم بالكلمات.

غير أَنَّ كائنات العنوان لا تنفكُّ تتجاوز السِّياق الاستعاري لتتخذَ هيئةً رمزيةً، وتبدأَ بالإيحاء والإيماء في الفضاء الثقافي الذي ينتمي إليه العنوان، وسنتعاملُ مع العنوان في هذا السِّياق على أنَّهُ كثافةٌ رمزيةٌ تستقرُّ في بنيةٍ حُلُمية. وهكذا يغدو «العنوانُ» بعناصره رحلةً طرديةً: صيّاد، أدوات الصّيد، طرائد، فضاء الصّيد. وأسلوب القَسَم الذي ينتظمُ فيه العنوانُ يعضدُ هذه البنية، حيث المُتَلفِّظ بالقَسَم يحوزُ دور الصِّياد، وحتى لا يخامرَ الشَّكُ المخاطَب برحلة الصّياد، ينبثق خطابٌ قسميٌّ مؤكّدٌ بالتّكرار على الطّرائد، ولكن ما شأن الحُلُم بهذه الرّموز؟، لنبدأ:

أسلوب القسم: بنية الحلم

المتكلم بالقسم: الصّياد

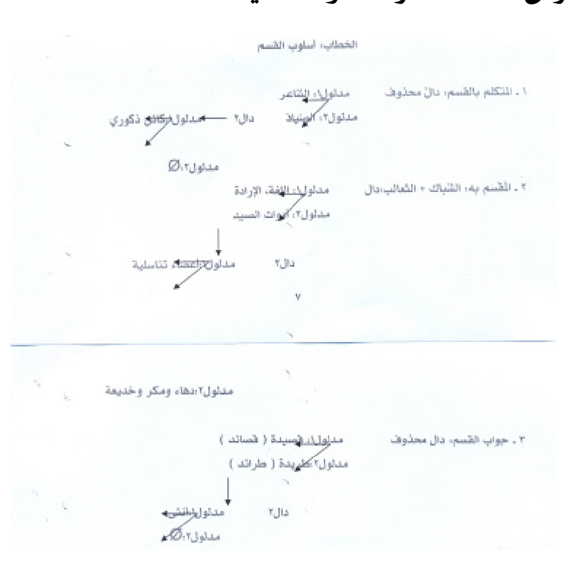
المُقسَم به: أدوات الصّيد: بالشباك، بالثعالب

جواب القسم: الطّرائد

وهكذا، وبناءً على المُقْسَم به «بالشِّباك، بالثَّعالب» تَمَّ تشكيل خريطة الحلم بعناصره، وما الحُلُم هنا إلاّ رحلةُ صيدٍ، والصيدُ سفرٌ وارتيادٌ للمجهول، ومغامرة في الآفاق القصية، لجعل الغريب مؤنساً، وكذلك خبرة بالعالم تنطوي في كيان الكائن، غير أنَّ للصّيد دلالةً أخرى: «للذهاب إلى الصّيد دلالةٌ جنسيةٌ بصورةٍ دائمةٍ على وجه التَّقريب. إنَّهُ سلوكٌ مذكرٌ على نحوٍ نوعيّ. وأحلام الصّيد (...) تكشفُ على الغالب عن كفٍّ وجداني وجنسي، وعن الحاجة إلى «التّرصد» و«المطاردة»، وإلى المباغتة والقتل...»[18]. وهكذا يتخذُ الصّياد صورة الكائن المقموع على صعيد الرّغبات، ويكتسبُ «المفعول به» في جواب القسم المحذوف هيئة الطريدة ـ الأنثى: لأَصيدَنَّ هذه الأنثى، أي دور «الموضوع»، فكلُّ فاعلٍ ـ وبفعل الرّغبة ـ يندفع للاتصال بموضوعه المرغوب فيه، غير أنَّ فعل الصّيد لا يتحقَّق دون أنْ يمتلكَ الصّياد أدوات الصّيد، وتتمثَّلُ الأخيرة بالمفردتين «الشِّباك، الثَّعالب».حيث يتجه الرّمز ـ الثّعالب للترميز إلى ما تَتَحَقَّقُ به «الرّغبةُ» لدى الصّياد، حيث الثّعلب «رمز الإرادة الجنسية في مطاردةِ شيءٍ ما»[19]، في حين ترمز «الشِّباك» إلى الدّهاء: «وجميع الآلات التي يُصاد بها، فهي خديعة ومكر»[20]. ولكن الفريسة المنتظرة،

مؤجَّلة عن الاصطياد في بنية العنوان ـ الحلم!.

وهكذا من الإمكانية بمكانٍ إجراء تماثلٍ بين التّأويلين اللذين يميل إليهما العنوان في اشتغاله الاستعاريّ والرّمزي: بنية كتابية، وأخرى حُلُمية وفق التشاكلات والتّكافؤات الآتية:



هذا هو مشهد انتشار العنوان دلالياً، وهذه ميزة الدليل الأدبيّ عموماً والشّعريّ خصوصاً في عشق الانشطار والتّشتت، وظيفتُهُ تكمنُ في نَسْفِ ما يستقرُّ إليه وعليه من دلالاتٍ، ممارساً الرّقص بلذّةٍ على نشيد موتِ المعنى السابق، فالعنوان يستمدُّ من «الشّباك» قدرتها على التمويه، ليُعادَ تفخيخُه مع كُلِّ قراءة، ذلك أنَّ طرائد المعنى برسم الاصطياد، ويتقمَّص هيئة «الثّعالب» مستمدّاً منها روغانها وحِيَلها، فيراوغ المعنى ويخاتله في فضاء القراءات، مرجئاً قدومه وناسفاً استقراره، العنوان في انعطافةٍ أخرى يتلبَّس «الرِّيح» بلا ضجرٍ من لعبة الهبوب والانتشار في جهات الكتابة ـ النَّصّ كُلِّها.

II ـ التجاذب : الضيافة المتبادلة:

في هذا المبحث ستتولّى القراءةُ بحركتين من النَّشاط النَّقدي، القبضَ على التنافذ والتنادي بين العنوان العام والعناوين الدَّاخلية، ثم الولوج إلى علاقة العنوان بالنَّصوص من خلال العناوين الدَّاخلية، وهدفها في المحورين تفكيكُ النَّص من خلال «العنوان» وبه، وفي هذا النَّشاط، تبتغي القراءة التَّأكيد على الوظيفة التَّفكيكية للعنوان .

تقدِّمُ لنا مجموعةُ سليم بركات «بالشِّباك ذاتها بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح» فرصةً ثريةً لاختبار علاقة العنوان الرّئيس بالعناوين الدَّاخلية لقصائد النَّصِّ، وبخاصة ثَّمة هَوَسٌ نبيلٌ بالعنونة في المجموعة، إذ تومِئُ عناوين المجموعة إلى قصدية متعمّدة في عملية العنونة، تتساوق مع القصدية المتعمّدة في الكتابة الشّعرية ذاتها لدى سليم بركات، بوصفها كتابةً تنسفُ النّظام الدَّلالي للغة بتطابق الدّال مع المدلول رافعةً راية التَّشظي والتّبدد بينهما، في مسعاها العتيد لإنجاز كتابة مضادة، موغلة في التجريب، وكلُّ ذلك بأسلوبيةٍ كتابية تصدمُ القارئ والقراءة. وطالما أنَّ الأمرَ يخصُّ متناً واحداً، فهذا يفترضُ حدوث تعالقاتٍ تناصيةٍ بين العنوان العام والعناوين الدَّاخلية، وبذلك تدخلُ مقاربةُ هذه «التّعالقات» «ضمن البحث في فضاءِ التدوين الشّعري بوصفه نسقاً لمجموعة من القصائد لها بالتّالي عناوين متواصلة فيما بينها ومتجاورة فضائياً ومتآزرة في إحداث الأثر الجمالي في المتلقي»[٢١].

إذا كان الأمرُ كذلك، فكيف يتخلّى كلٌّ من «العنوان العام» و«العناوين الدّاخلية» عن استقلاله النَّصي ويبرمُ اتفاقياتٍ تناصّيّةٍ حول مناطق المعنى والدَّلالة والاشتراك بالقوة في ملكيتها. إلى ذلك تتكوَّن المجموعة من ثماني وحدات نصّيّة معنونة على النحو الآتي:

١ ـ فهرست الكائن[٢٢].

٢ـ الحديد[٢٣].

٣ ـ الضباب المتزنُ كسيّد[٢٤].

٤ ـ منزل يعبثُ بالمرات[٢٥].

٥ ـ قلق في الذّهب[٢٦].

٦ـ منعطفات. ظهيرة من ريش. دهاقنة يصفون الليل.

غبار مسحور، وغدٌ كالعدّاءِ يتهيأ لأزقة الغيب[27].

٧ ـ خزائن منهوبة[28].

٨ ـ انتقام[29].

هذه العناوين الدّاخلية ليست ـ وفي فداحةِ غفلةِ القارئ ـ إلاّ تجلّيات رتبة «المفعول به» لفعل جواب القَسَم المحذوف جوازاً، أي القصائد والنصوص التي أقْسَمَ عليها المتكلِّم بـ «الشِّباك والثَّعالب» بقصد إنجازها، واصطيادها، وإذا ما مِلْنَا نحو التّأويل الأوّل، أو هي قصائد ـ طرائد الشّاعر ـ الصّياد وفق التّأويل الثّاني، أو الطّرائد ـ الإناث اللائي وَقَعْنَ (أو على وشك) في قبضة الصّياد ـ الكائن المكبوت، تبعاً للتّأويل الثّالث، الأمر الذي يخفِّفُ من وطأةِ أيّة قطيعةٍ صيغية بين العنوان العام والعناوين الدّاخلية، فكيف يَسْكُنُ العنوان العام فضاءات هذه العناوين، وكيف ترتدُّ الأخيرة متخثّرةً في بنية العنوان العام ؟ إذا جعلنا من هذه العناوين فسحةً لتأمُّلات القراءة؛ لوجدنا أنَّ ارتباطها بالعنوان العام، إنَّما يتمُّ وفق روابط دلالية عامَّة، وذلك بحقْلنة الكائنات اللغوية لهذه العناوين في خاناتٍ خاصَّةٍ، ثُمَّ يبدأ الكشف عن السمات أو المقوِّمات الدلالية التي تتقاطع بها مع الكائنات اللغوية للعنوان العام، وإذا كان الأمر كذلك، فما طبيعة الحقول الدلالية التي تنتظمُ فيها معجميةُ العناوين الداخلية ؟. وحتى لاتكون القراءة نهباً للتيه، نقدِّم الخطاطة التوضيحية الآتية:

جدول الحقول الدلالية

العناوين الداخلية	موجودات		أحداث				علاقات
	حي	غيرحي	مجردات	إرادة	انفعال	طبيعة	
١ـ فهرست الكائن	الكائن	فهرست	-	-	-	-	-
٢ـ الحديد	-	الحديد	-	-	-	-	-
٣ـ الضباب المتزن كسيّد	سيد	-	المتزن	-	-	الضباب	كـ
٤ـ منزل يعبث بالممرات	-	منزل	-	يعبث	-	-	ممرات
٥ ـ قلق في الذهب	ـ	-	-	قلق	ـ	-	في
٦ ـ منعطفات.	-	منعطفات	-	-	-	-	-
ظهيرة من ريش.	ريش	ـ	-	-	ظهيرة		من
دهاقنة يصفون الليل.	دهاقنة	-	-	يصفون	-	الليل	-
غبار مسحور،	-	ـ	مسحور	-	-	غبار	-
وغدٌ كالعدَّاء يتهيَّأ لأزقة الغيب	العدَّاء	أزقة	الغيب	يتهيأ	-	غد	كـ
٧ـ خزائن منهوبة	-	-	-	-	-	-	-
٨ ـ انتقام	-	-	-	-	انتقام	-	-

هكذا، يمكننا المضيُّ قُدُماً في كشف الروابط الدَّلالية بين هذه العناوين والعنوان العام بكائناته اللغوية الرئيسة: المتكلم بالقَسَم (محذوف في البنية السَّطحية)، المقسم به: الثعالب، الريح، واستناداً الى الجدول الدّلالي، تتقاطع الوحدات اللغوية المندرجة في حقل الموجودات في خانة الحي: الكائن، سيد، دهاقنة، العدَّاء، هذه الوحدات تتقاطع مع المتكلّم بالقسم والثَّعالب بسمة (+ كائن)، وسمة (+ عاقل) على اعتبار أنَّ «الثَّعالب» في سياق العنوان العام: بالثَّعالب التي تقودُ الريح تكتسب سمة العقل من خلال الاستعارة بالفعل «تقودُ»، إذ «القيادة» سمةٌ من سماتِ الكائن الإنساني، وما دامت الثَّعالب في موقع القيادة ـ قيادة الرِّيح ـ فإنَّها تتكافأُ دلالياً مع مفردتي «سيد» و«دهاقنة»، من حيث إنَّ الأولى تُطلق على » الرّب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ومُحْتَمِل أذى قومه والزوج والرئيس والمقدَّم»[30]، في حين أنَّ: «الدِّهقان بضم الدّال وكسرها »[31]، تعني التاجر في الفارسيّة وما يوحي إلى المكانةِ والعزِّ والجاه، بل إنَّ مفردة «الدّهقان» تمضي بها المعنى إلى الزّعيم والرئيس، أمَّا مفردة «العدَّاء»، ترتبط مع الثَّعالب في سمة (+ شدّةِ العَدْوِ)، وبهذا الشكل تنطوي المفردات المذكورة تحت الكلمة الرئيسة Head word: الكائن التي تحوزُ بدورها على سماتٍ حافةٍ، لكونها البؤرة التي تتقاطع فيها المفردات المذكورة: + حي، + قائد، + قوة الشكيمة، +.....، وبالانعطاف نحو الحقل الدَّالّ على «غير الحي»، تتضافر الروابط الدَّلالية بين مفردة «الشِّباك» والوحدات «فهرست، منزل، ممرات، منعطفات، أزقة، خزائن منهوبة» في سمة

(+ احتواء)، في حين تحكمُ سمةُ (+استعمال مفيد) الوحدات «الحديد، الذّهب، ريش» في علاقتها بمفردة «الشِّباك»، مع الإشارة إلى التّضاد القائم بين مفردتي «الشِّباك» و «ريش» بإحالة الأخيرة إلى الفرائس المصطادة بالشِّباك من الطير. وإذا انتقلنا إلى الوحدات اللغوية المجردة: المتّزن، مسحور، الغيب، فإنَّها ومن خلال سياقاتها التركيبية تؤثِّر في وتتأثَّر بـ: الكلمات المتضافرة معها في السياق، ولذلك تغدو منطوية في حقل الحيّ (الضباب المتزن، كسيد، غبار مسحور) أو غير الحي (أزقة الغيب)، وذلك من خلال آلياتِ الاستعارة والتشبيه والإضافة.

وفي الحقل الدَّلالي الخاصّ بـ «الأحداث»، ثمة أحداثُ إرادة «يعبثُ، يصفون، يتهيّأ» وتشترك مع الفعل «تقود» في صيغة (+ مضارع) للدّلالة على جريان الحدث في الزّمن الحاضر. وإذا تجاوزنا «حدث الانفعال» إلى الحدث الطبيعي متمثّلاً بمفردات: ضباب، ظهيرة، الليل، غد، غبار، فإنَّ ما يجمعها مع مفردة «الرِّيح» في العنوان العام: سمة (+ حدث طبيعي)، بعضها ذات طابع مكاني (ضباب، غبار)، وأخرى زمكاني (ظهيرة، الليل)، وزماني صرف (غد)، هذا فضلاً عن التّلازم في خبرتنا بالعالم ـ بين كُلّ من (الضباب والغبار) وبين الرِّيح. ويبقى علينا تأويل العلاقة بين العنوان العام والعناوين الدّاخلية على صعيد الحدث الانفعاليّ ممثّلاً بمفردتي «قلق» و «انتقام»، أمَّا الأولى وفي سياقها التّركيبّي: قَلَقٌ في الذهب، فإنَّها ـ وبوصفها صفةً ملازمةً للكائن ـ تُدْخِلُ غير الحي: الذّهب في مجال «الحي»، وأمَّا «انتقام»، ولكونها عنوان القصيدة الأخيرة في المجموعة، ـ يمكنُ ربطها بمفردة «الشِّباك»، من حيث انَّ الشِّباك ذاتها فعلُ انتقام، ينتقم بها المتكلِّمُ بالقسم: شاعر، صياد،...، من الأعداء غير المُعْلن عنهم في جواب القسم، أليست الكتابة انتقاماً من الكتابة السَّابقة عليها، ألا يحاولُ كلُّ شاعر أنْ يَقْتُلَ «اباه» للهروب من مديونيته، إذ «إنَّ الحبَّ الأوّل لشعر السّلف يتحوَّل بسرعةٍ كافيةٍ لاحقاً إلى صراع تنقيحي، حيث بدونه تكون الفردانية مستحيلة»[32]، وبالمثل أليس الصيدُ ترصُّداً ومطاردةً ومباغتةً وقتلاً، أي انتقاماً من الطَّريدةِ وهي تراوغ الصّياد وتحتالُ عليه؟ لكنه الشّعر بدوالهِ الماكرةِ لا يكفُّ عن مخاتلة التَّأويل ومراوغته!.

وهكذا على الرَّغم من انعدام الحضور الصّيغي للعنوان العام في بنياتِ العناوين الدَّاخلية، يمكننا القول إنَّه ـ إنْ صحَّت القراءة التَّأويلية ـ بقدر ما تكونُ تخوم الفضاء الدَّلالي للعناوين الدَّاخلية معرّضة لانتهاكات العنوان العام وسلوكه الاختراقي، فإنَّها بالقدر ذاته تنتهك العالم الدَّلالي لـه، وتجعله بالمثل تحت طائلة مديونية المعنى المشترك بينهما.

إنَّ الضِّيافة بين العنوان والنَّص غيرُ مشروطة، بل واجبة، وتتسمُ في حضورهَا بأشكال مختلفة، وعلى صعيد هذه المجموعة الشِّعرية، لا يستضيفُ النَّصُّ العنوان على نحو مباشر وفق صيغته المعلنة في واجهة المجموعة: «بالشِّباك ذاتها/ بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح»، بقدر ما تتخذُ الاستضافة شكل التَّناثر والبعثرةِ هنا وهناك، في جغرافية النَّص، ويُشكِّل هذا الانشطار لأِشلاء العنوان روابط صيغية ودلالية ملمحاً من ملامح الضّيافة بين العنوان والعناوين الدَّاخلية والنَّص، ويمكنُ التعبير عن ذلك بالقول: «إنَّ القصيدة داخل الدِّيوان عبارة عن بنيةٍ دلاليةٍ مكتملة، لكنَّ هذا الاكتمال لا يمنعُ أنَّها مهيّأة للدخول في بنية دلالية أكبر تخصُّ الدّيوان، هنا يُمثِّلُ عنوان القصيدة علامةً على اكتمالها دلالياً، أمَّا عنوان الدّيوان فعلامة على تلك البنية الكبرى التي تنتظم فيها البنيات الدّلالية لجميع القصائد»[33]، إذاً بهذا التصور عن الضّيافة التَّفاعلية بين العنوان والنَّص، ينبغي على القراءة الاستدلال على ذلك نصياً، حتى يقرّن التّصور بالبرهان. إلى ذلك تنبغي الإشارة إلى أنَّ العنوان ببنيته المعقّدة تركيبياً، يعكسُ البناء التّركيبي العويص للنصوص الشّعرية التي يشرف عليها، وهذا الاعتياص يتمظهرُ من شساعة المعجم الشّعري المستثمر في البنية

النَّصية حيثُ « الطبيعة » تستحكمُ به على نحو عام. وهذا ليس بالأمر العجب، إذا أدركنا أنَّ العنوان يُنْبئُ عن ذلك مقدّماً، بل إنَّ الشَّاعر يؤكِّد في مقالةٍ لـه بعنوان: «الطبيعة: هذه الاستعارة»، على أنَّ الطبيعة بكائناتها المتنوعة هي مصدرُ نسيجه الشّعري، يكتب: «ربما علينا ـ كشرقٍ ـ أنْ نتحدثَ عن الطبيعة كاستعارةٍ، وليس كتحديدٍ غيبيّ للأشكال والطّبائع. فالقيامة الحقيقية تنتظرنا على نفيرِ بوقٍ لا شكل لـه، يستنهضُ بأجسادٍ لا أشكال لها، حين نعبّرُ عبورنا المتّزن إلى مصائرنا. أي نجتازُ «الطبيعة» الواقعية، كمهماتٍ عضويةٍ، إلى الطبيعة الموصوفة مجازاً على نسقٍ هندسيّ لـه رائحةُ أعنابٍ ونخيلٍ، وجداول من لبنٍ وعسلٍ، ليؤكِّد الغيبُ لنا ـ من جديد ـ أنَّ الحقيقة طبيعةٌ تقدِّم نفسها للعقل كبرهان، وليس للبصر كمشهدٍ»[٣٤]، وعليه، لا غَرْوَ أنْ يكونَ الشَّاعر مدّاح الطبيعة بامتياز، ليس في هذه المجموعة، وإنَّما في مجموعاته الشّعرية الأخرى، وينبغي ألاّ يقودَنا ذلك إلى الحديث عن «رومانسيةٍ ساذجةٍ»، بقدر ما تُشكِّل الطبيعةُ الجذرَ التّوليدي لشّعريةٍ مختلفةٍ تستعيدُ الوحشيّ، والبدائيّ، والفطريّ في علاقة الكائن بالتّراب والماء والنَّار والهواء عبر غرائبية مدهشةٍ تتمظهرُ من خلال تسريد الشّعر وتشعير السّرد، لتخرج الكلمة الشّعرية من نمطية البناء، والتّكرار، والمطابقة، وليغيِّرَ النصُّ الشِّعريُّ عند هذه الانعطافةِ من عادات القراءة ذاتها في التَّعامل مع النصّ.

يتمفصل العنوانُ العامُّ إلى عددٍ من الثّيماتِ العامة، تمتدُّ في النَّصِّ عَبْرَ ثمانيةِ نصوص، والقبضُ على هذه الثيمات نصّياً قبضٌ على طبيعةِ ضيافة النَّصِّ للعنوان، وتتحدَّد مداراتها بـ:

١ ـ نصيّةُ الشَّاعر:

أشرنا فيما تقدَّم من تأويلاتٍ وتحليلاتٍ تخصُّ العنوان الرَّاهن: بالشّباك ذاتها بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح، أنَّ التّركيب القَسَمي هذا، يُخفي في بنيته العميقة «متلفِّظاً» بالقَسَم، والقَسَمُ لا يُتلفَّظ به إلاَّ للتأكيد على إنجاز حدثٍ. والتّأويل الذي خرجنا به من تفكيك العنوان، يمكِّننا بقليلٍ من الاطمئنان ـ من افتضاح أمر «المتلفِّظ»، بوصفه ذاكَ الصّياد ـ الشَّاعر الذي يرسمُ للمغامرةِ كينونتها، حيث، إنَّ المغامرة هي ذلك الأفق الذي تُجادلُهُ رحلة الصيد والكتابة في ارتياد المجهول، والإيقاع به، فما شؤون الصّياد ـ الشَّاعر مع الطَّريدة ـ القصيدة؟ لنقرأ:

«هذا هو أنتَ،

أيُّها المنتفضُ تحت بروقِ الحبرِ. هذا هو أنتَ،

وقربكَ ظلٌّ سكرانُ،

ظلٌّ مما تلقيهِ الأرضُ، في غروبها، على رغيف الكائن.

(....)

هذا هو أنتَ

دأبُكَ دأبُ المؤرِّخ، لكن تؤرِّخُ المياه وحدَها.

بسيطاً تؤرِّخُ المياه. بسيطاً تغوي الحبر ليتهيّأ الحبرُ لسباتِ الكلام،

لتبقى وحدَكَ يقظانَ في حلمِ الحروفِ، يقظان حتى آخرِ انتحارٍ للأرضِ

قربَ مرآتها.

(....)

هيا،

أحكِم الأرضَ عليكَ،

وافتح البابَ لتخطفَكَ الصّرخةْ»[٣٥].

تتضافرُ العلاماتُ النَّصية، لتقدِّمَ لنا كينونة الشَّاعر، وهي في مجملها علاماتٌ دالَّة على شؤون الكائن ـ الشَّاعر، ذاك الذي يفسِّرُ مكائد البياض بالكلمة السوداء، ويتقمَّص دورَ المؤرِّخ، ليقود الكلاَم إلى ضفة المحتمل، ليغدو عرّاب «الاختلاف» في تأريخه للوجود (= المياه)، حيثُ لا يمكنُ للمرء أنْ يمسكَ بالموجةِ ذاتها، وبذلك يتقمَّص الشَّاعرُ جَلَدَ هيرودوت، ويرى العالم بعيني هيرقليطيس: لا يمكنُ النزول في النهر مرتين[١]، ذلك أنَّ الوجود لا يكفُّ عن الدّيمومةِ، ومن هنا ينهضُ التّباين بين الشَّاعر والمؤرِّخ، فالثاني

مأخوذٌ بالحدث وقد اكتملَ، في حين أنَّ الأوّل يُسحَرُ بالمحتمل والممكن واللامرئي والظلال، ولهذا ينحازُ حكيمُ الإغريق أرسطو للشَّاعر ضدَّ المؤرِّخ: «أنَّ الفرقَ الحقيقي يكمن في أنَّ أحدهما يرى ما وقع، والآخر ما يمكن أن يقعَ. وعلى هذا، فإنَّ الشِّعر يكون أكثر فلسفةً من التّاريخ وأعلى قيمةً منه»[٣٦]، ولا غرْوَ أن ينحاز مارتن هايدغر لاحقاً، لسلفه أرسطو، إلى الشِّعر، القصيدة على نحو تام: «غير أنَّ الشِّعر طريقةٌ من طرق تصميم الحقيقة المنير»[٣٧]، أي حقيقة الكائن والكينونة، ومن هنا تمتدُّ مسافةُ الاختلاف بين المؤرِّخ والشَّاعر الذي يوقظُ «الدَّالّ» من سلطة «المدلول»: دأْبُكَ دأبُ المؤرِّخ، لكنْ تؤرِّخُ المياه وحدها. إنَّ ما يجمعُ المؤرِّخ والشَّاعر سمة (+ كتابة)، غير أنَّ الشَّاعر مؤرِّخ فيلسوف، يرى ما يراه المؤرِّخ بحدس الفيلسوف، فهو يؤرِّخُ «أثر» الحدث لا الحدث ذاته، وهكذا يقذفُ بـ«الدَّال» في هوّةٍ بلا قرار، دالّ لا يمكن لـه أن يتصالح مع ذاته أو هويته، فهويته من هوية « المياه » التي تنكرُ ذاتها في كُلِّ لحظة. وهكذا يتهيّأ الشَّاعر مسكوناً بالعالم «الأرض» لإطلاق الصّرخة ـ «القصيدة»؛ لتأتي، وتقول سرَّ الكينونةِ وحقيقتها.

هذا الاختلاف الذي يدشّنه الشَّاعرُ في علاقة اللغة بالعالم «تأريخ المياه» يمارسُهُ «سليم بركات» في هذه النَّصّيّة، لتقترنَ ثيمة الكائن المختلف بالأسلوب المغاير والمتباين، متمثِّلاً بهذه الدَّلائل (الكلمات) الشَّاردة عن مدلولاتها: بروق الحبر، إذ تتخذ «الكتابة» صورة العاصفة استعارياً فتعصفُ بالشَّاعر وهو يرصد اللامرئي، وهو إذ ينتفض تحت عواصف الكتابة يتحوَّلُ العالم بأشيائه وعناصره، وتستبدُّ به الصّيرورةُ، فيقتنصُ «الظلُّ» صورة الكائن الثملان، و «الأرض» صورتي الكائن والشّمس، ويمضي سليم بركات بمجرّة المجاز بعيداً عبر المشابهة بين «المياه» و «الحدث»: تؤرِّخ المياه وحدها، وبين «الحب » و«الأنثى»: بسيطاً تُغوي الحبر ليتهيأ الحبرُ لسبات الكلام. وفي انعطافةٍ متعمدة بإحداث الانزياح بين الدَّال والمدلول تتقمَّصُ كلماتُ: الكلام، الحروف، الأرض، سمة الكائنية لتغفو، وتحلم، وتنتحر، لينتهي النَّص بالصرخة، صرخة القصيدة، ولكن أليس العنوان: بالشِّباك ذاتها بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح، هو ما يتناهى إلينا من تلك الصرخة؟

كما تتجلّى صورة أخرى «للشَّاعر» في مقطعٍ نصيّ موسوم بـ «العنكبوت»:

«بحلم واحدٍ، وأذرع كثيرةٍ، تخيطُ الأعماق فضاءَها،
وبأذرعٍ كثيرةٍ يصلُ المساءُ قناديلَ أشباحِهِ،
لكن،
هذه الشِّباكُ، التي تتخبّطُ فيها فراشاتُ الأبدِ الثقيلةُ، ليست نسجَ حكيم،
بل نسجُ طاهٍ يتذوَّقُ الَغيبَ كما يتذوَّقُ الحساء.
(الطهاةُ لا ينسجون الشِّباكَ
الطهاةُ ينثرون توابلهم على الذي في الشِّباكْ)
ما همَّ، كلٌّ ينسجُ خطابَهُ بالأذرع الكثيرة الهادئةِ،
والسّطورُ تتقاطعُ بالرغيف الهادئ لأجنحة الموت»[٣٨].

كلٌّ ينسجُ العالم حسب مهارته، العنكبوتُ تفرزُ خيوطها، لتنسج شباكها، واللغةُ شباك الشَّاعر في اصطياد «العالم» وتصْييره قصيدة، والقصيدة نسيجٌ متكتِّمٌ، هكذا يعضدُ سياقُ النَّص هنا تأويل مفردة «الشِّباك» بمعنى «اللغة»، فيغدو «العنكبوت» من تلقاء ذاته المتكلم بأسلوب القَسَم: الشَّاعر و«الفراشات» فرائس العنكبوت، وقصائد الشَّاعر أو الشّعراء التي تتموقع في شبكة اللغة موروثاً، وما على العنكبوت (الشَّاعر) لحظتئذٍ، سوى إعادة كتابة هذه القصائد أو الموروث تطابقاً أو تماثلاً أو تضاداً، أو بلغة ابن الأثير الجزري نسخاً وسلخاً ومسخاً، فالقصائد تغفو بهناءةٍ في شبكة اللغة (الموروث)، يأتي الشّعراء (الطهاة)، ولكلٍّ توقيعه، إمضاؤه (ينثرون توابلهم)، لتكتسب القصيدة قوّةَ دفعٍ جديدةً في مسار الزّمن. إنَّهُ نسجُ الشَّاعر الذي يُحيلُ المجرد (الغيب) إلى محسوس (الحساء)، حتى يكونَ في

متناول المتخيَّل، وهو نسج يتوسَّل بالصورة، بالتجسيد في صياغة اللامرئي في مواجهة نسج الحكيم الذي يتوسَّل بالمفهوم والمقولة في تسمية العالم وصياغته. يطرحُ «سليم بركات» مفهوم النص ـ النسيج، الذي تشارك أذرعٌ كثيرةٌ في نَسْجِهِ، أقلام الشّعراء السّابقين وأرواحهم، فالنَّصُّ يُطلُّ نحو الخلف والأمام في حركةٍ أبدية من النوسان هناك وهنا.

تستأثر موضوعة الكائن الشاعر (= الصّيّاد) أو المتلفِّظ بالقَسَم بمساحات نصّيّة كبيرة في الشريط اللغويّ للنّصّ، فالكائن الصياد يغدو الفاعل الرئيس للحدث الشعريّ في قصيدة «قلق في الذهب»، وسواء أكان الحدث الشعريُّ يومئ إلى لقاءٍ بالأنثى أم بالطريدة، فإنَّ المعجم الشعريّ يخدم الحدثَين، لكنْ ماشؤون الفاعل اليائس في هذين المسارين:

«ابتدعْ أيُّها اليأسُ في مهبِّكَ يأسي

وليكن قِرانٌ يُعَجِّلُ الخواتيمَ، والعرسُ نفسي»[٣٩].

أو

«.... فاصعدي من يقين الهباء، أو من كثيفهِ المهدوم

اصعدي يا طرائدَ اليأسِ حتى جحيمي»[٤٠].

هذا اليأسُ هو الذي يطبعُ مفردة «القنص» باستفهام عنيفٍ في القصيدةِ

«أيُّ قَنْصٍ،؟ إذاً، في الشِّعاب أو في الثّواني؟

(....)

أيُّ قَنْصٍ؟ سيذرفُ الليلُ قلبي إلى الصّباح(...).

أيُّ قَنْصٍ؟ تفرُّ من سربها الأعيادُ»[٤١].

طرديةٌ تبدأ باليأس لتنتهي به، ويعودُ الصّياد من حيثُ أتى مخفوراً بالاستفهام خالي الوفاض:

«أيُّ قنصٍ إذاً؟ طَبْعُ هذا المكانِ رطبٌ، وطيرُهُ التّأويل

(...)

فأنا ذلكَ الشريكُ هَمَّ أنْ يُري الأرضَ مِلْكِها، وهَمتْ

تلكُمُ الأرضُ ألاّ تريه»[٤٢].

إنَّ التّأمُّل في الشذرة الأخيرة يقودُ القراءةَ إلى التّوقف لدى مفردة «الأرض»، لكونها الموضوع المستأثِر باهتمام الفاعل، فـ «الأرض» وفق خبرتنا بالعالم، دالٌّ ثري يُغَطّي مساحةً واسعةً من المعنى، لكنها ترمز هنا إلى «مملكة الأنثى» أو الطَّريدة المستهدفة بالقنص، غير أنَّ الفاعل(= الصياد + العاشق) يَفْشَلُ في الاتصال بالموضوع، وتنتهي المغامرة بالانفصال بين الفاعل والموضوع بين الذّكر والأنثى، ويتأجَّل الاكتشاف، بامتناع الموضوع عن عملية الاتصال بالفاعل. ويستثمر الشّاعر المعجم القرآني في سورة يوسف:]وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ[[٤٣]، مع استبدال المراكز، فيوسف في القصة القرآنية، يتخذُ موقع «الموضوع» وامرأة العزيز موقع «الفاعل»، في حين نجدُ في «قلق في الذّهب» تغييراً في تلك الأدوار، لكنَّ الانفصال هو سيدُ المشهد بامتياز، فهل يمكننا القول إنَّ الشّاعر، الصياد حنث بقسمه الوثني: بالشِّباك ذاتها بالثّعالب التي تقودُ الرِّيح، وخسر الرّهان في اقتناص الطّريدة ؟ ثمّة كينونةٌ أخرى للشّاعر نتلمَّسُها في القصيدة الأخيرة الموسومة بـ «انتقام»، لنقرأ:

«المعاطفُ كلُّها هناك.

الرِّياحُ كلُّها هناك.

الخطى الغائصةُ في الثلج، والثلجُ كلُّه هناك.

القناديلُ، والبيوتُ، والأشباحُ الأخيرةُ، كلُّها هناك.

فاجمع بيديكَ الأليفتين ما تتَّسعان من كمالٍ،

واجتهدْ أنْ يكونَ المشهدُ صَداكَ الأليفَ»[٤٤].

تبلورُ لنا العلامات اللغوية مشهداً مكانياً بامتياز، تشترك في تكوينه إشارات ثقافية دالَّة على الكينونة الإنسانية: المعاطف، الخطى الغائصة، القناديل، البيوت، بيديك الأليفتين، وعناصر طبيعية «الرِّياح، الثّلج» ويبئِّرُ الظرف «هناك» بتكراره الرّباعي المشهد المكاني، بمفصلته عن أمكنةٍ أخرى، بتعيين المكان وتوجيه الانتباه إليه[٤٥]، وبمعنى آخر، فالظرف هنا يؤدّي

وظيفةً استراتيجيةً في تنظيم الفضاء، واستقطاب انتباه المتلقيّ، إذ الإشارة إلى مكانٍ محدّدٍ تكون بغرض التّهيئةِ لحدثٍ مرتقب. إنَّ الحدثَ الشِّعري ـ سواءٌ أكان فاعلَ الحدث شاعراً أم صياداً، والنَّص يقبلُ التّأويلين ـ هذا الحدث يتحدّد بالحدين الآتيين: العَالم ـ الشَّاعر (تبعاً لتأويل الفاعل بالشّاعر)، وبناءً على ذلك، ينبغي للشاعر أن يكون صدًى للعالم، يعكسه في كتابةٍ شفافةٍ، يتحرَّك فيه الدّال نحو مدلوله المتواضع عليه، أو أنْ يكونَ المشهدُ(العالم) صدًى للشَّاعر، أيْ أنَّ العالم يكتسب مشروعيتَهُ من الكتابة ذاتها: واجتهد أنْ يكونَ المشهدُ صَداك الأليف، ولا يتحقَّق هذا «الصدى = الكتابة» إلاّ بتفتيت العالم بعناصره وإعادة صياغته، ليرى هويته على نحو مختلفٍ ومغايرٍ. وربما تأتي نهاية القصيدةِ، لتعضد هذا التَّأويل:

«كحذاء يلتمعُ صِباغُهُ،
كمقبضِ بابٍ من نِيْكلٍ:
هكذا صرخَتُكَ»[٤٦].

لا يحفلُ «سليم بركات» بالمنطق الدّلالي السَّائد بين عناصر العالم، بقدر ما يسعى وفق رؤيته التّفكيكية إلى تقويض البنية المنطقية لعلاقة اللغة بالعالم من جهة والدَّال بالمدلول من جهةٍ أخرى، وبنينة منطق دلاليّ مغايرٍ ومفارقٍ وغرائبيّ كالصورة الماثلة أمامناً، فما القاسمُ المشتركُ بين «حذاءٍ ملمّع» ومقبض من نيكل » وبين الصرخة؟ ليس لنا إلاّ أنْ تقودَ القراءةُ بالمشيئة ذاتها التّأويل إلى ضفاف التّأويل المضاعف وتفترض الصيغة الأتية:

الصورةُ ترسمُ ملامحها الدّلالية عبْر آلية التشبيه بحضور الأداة (كـ):
كحذاء يلتمع صباغة ← حذاء جديد
كمقبض باب من نيكل ← الصلابة والمتانة
هكذا صرختك
↓ صوتك
↓ نشيدك
↓ قصيدتك
↓ خصوصيتك في الكتابة

واستناداً إلى الترسيمة، فالصرخة ليست إلاَّ الصوت الخاص، أو القصيدة المختلفة، الكتابة المغايرة، التي تنزعُ إلى التّباين والاختلاف، صرخةٌ يُحْتَفى بها، كما يحتفي الكائن بأشيائِهِ الجديدة، صرخةٌ من الصلابة والمتانة بمكانٍ، لا تتأثر بحكم التّاريخ، وإنَّما مستمرة في دوِّيها الأقصى، صرخةٌ تسْتَحقُّ هذا القَسَم الوثنيَّ: بالشِّباك ذاتها بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح.

٢ـ نصيّة الحيوان:

يُمثِّلُ «الحيوان» ثيمةً رئيسة في نصِّ العنوان من خلال مفردة «الثَّعالب» ويحتفي النصُّ على نحو مثيرٍ، إذ يغدو النَّص الأوّل «فهرست الكائن» مسرحاً شعرياً لتجليات الحيوان: الفراشة، الفقمة، الحُبَاحِب، الحجل، القطاة، اللّقلق، الحنكليس، الخلد، العنكبوت، الحلزون، الدِّيك، الزيز، الطاووس، الفهد، العصفور، اليعسوب، الخفاش، الثّعلب، الحمار، الغراب، النسر، حيث تستأثر كلُّ علامةٍ من هذه العلامات بعنوان المقطع الشِّعري، ليغدو النصُّ تجلياً للأبعاد الخفية في كينونة هذه الكائنات في علاقتها بالكائن الإنساني، أو تغدو تمثيلاً للكائن الإنساني عَبْرَ تبادل المواقع استعارياً. فكيف يقرأ لنا سليم بركات «الثعلب بمكائده»؟:

«مجرّةُ الأغاني تبسطُ فراءَها للمجراتِ، فاقتربوا، أيُّها المختالون، بفخاخكم الزرقاء، لتتصيدوا يمامة الجبل.

لكن، بأيِّ أحبولةٍ ستأسرون هذا المهرقَ كالقهقهة؟ بأيِّ ستأسرونَ الرخيمَ مثل الإنشاد للمياه ؟ ليكنْ. خذوه، خذوا الطّائشَ الجميلَ، فهو قرعُ الحكاية على بابكم...

إيهِ، أكانت لكم حكايةٌ قبلَ أنْ يمسَّ بذيلهِ الحكايةْ؟

تبدِّدُوْنَهُ فيبقى.
تبدِّدُنهُ فتبقى يمامةُ الجبَلْ»[٤٧].

ما يستبدُّ بالانتباه في نصِّ «فهرست الكائن» وفي

نصوص المجموعةِ على نحو عامّ، هذا التّداخل الفعَّال بين السَّردي والشِّعري، وإن كان الشّعري لا يلبثُ أنْ يمتصَّ شهوة السَّردي بشعرنته، وإحكام الطوق عليه بأعراف الجنسِ الشّعري وتقاليده، وفاءً لعنوان المجموعة ذاتها، حيثُ تنهضُ الشِّعريةُ إلى الذّروة عبر الصيغة النّحوية المكررة: بالشِّباك ذاتها/ بالثّعالب التي تقودُ الرِّيح، الأمر الذي ينحو بالخطاب في المجموعةِ نحو القطب الشّعري غير منقطع عن غوايات السَّردي، كما لو أنَّ الجنس الأدبي قدرُ الكتابة، لا يمكنُ لها أن تنفلتَ من مقاديره وموازينه، فالمجموعة الشِّعرية تبقى في إطار الشِّعري، فما لاشكَّ فيه: » أنهُ قد يحدث لأداةٍ تعبيريةٍ في جنسٍ أدبي معين أن تتجاوز نطاق جنسها لتصير وسيلةً من وسائل التعبير في جنس أدبيّ آخر، غير أنه ينبغي لها أنْ تخضع في المحصلةً النهائية لشروط بيئتها الجديدة، وهذا هو الذي يفسِّر لنا لماذا لا يفضي تفاعل الأجناس الأدبية إلى محو الحدود الفاصلة بينها نهائياً«[48]. وهكذا بحلول السَّردي في الشِّعري، يذكِّرنا «سليم بركات» بالطابع السَّردي ذاته للحيوان كثيمةٍ من ثيمات الأدب، أو الطّابع الحكائي للثّعلب في الذّاكرة، ليتقاطع بذلك التّشويق مع الخيال، الدَّلالة مع الإيحاء[49]، الكثافة مع الظلال. إلى ذلك، أيتيسَّر لنا في ظلِّ هذا المقطع الشِّعري الفاخر الذي يصوغُهُ «سليم بركات»، أنْ نمسك بزمام التّأويل أم أنَّ «الدّال» كعادته يتشرَّد عن كمين التّأويل؟. مهما يكن الأمرُ، لِنَقُلْ إنَّ الشَّاعر ساهرٌ في قصيدة «فهرست الكائن» على كتابةِ تاريخ شعري للحيوان: الثعلبُ مُغذِّي الخيال الإنساني فيَّ حبكه لحكايات المراوغةِ والخديعة على مرِّ العصور، إذ لا يخلو تراثٌ من ألغاز المكر والاحتيال ونعمة المكائد التي دشَّنها «الثّعلب» في سرديات الحيوان، إنَّهُ قرين «الخيال»، متعدِّدٌ، نداءُ الطبيعة وذكاؤها في مواجهة فخاخ(شباك) العقل الإنساني، صراعٌ حادٌّ بين الطبيعة ممثلةً بيمامةِ الحيل(الثّعلب) والعقل: «أيُّها المختالون بفخاخكم الزرقاء»، فما الذي سيصيب «الخيال» حين تكفُّ المجرةُ عن الغناء، وتنقطعُ الحكايةُ عن السَّرد؟ ، إنَّ نزوعَ الكائن الإنساني نحو تسريد الحيوان بخاصةٍ، ليس إلاَّ تعبيراً عن الحيوية والنّشاط، تعبيراً عن الجسد بأهوائِهِ ورغباتِهِ، وارتباطه ـ بالتالي ـ بالعالم في صورته الفطرية والبدائية والوحشية.

يتكئُ سليم بركات أسلوبياً في بنينة «الثَّعلب» نصاً على ما ترشَّح من الحكاية من صفاتٍ: المكر والخديعة والمكيدة، ويُخضعها لتوسيعاتٍ وتمطيطاتٍ أسلوبية تتميَّز بها كتابته الشِّعرية، ليقبضَ على هذا الثّراء الذي دشَّنته ثيمة الحيوان في الحكاية:

الثَّعلب
- مجرة الأغاني
- هذا المهرقَ كالقهقهةِ
- الرخيمَ مثل الإنشاد للمياه
- الطّائش الجميل
- قرعُ الحكاية
- يمامة الحيلَ

ألا تسوِّغ لنا هذه التشابيه البليغة، ـ وتكشفُ في الوقت ذاته عن ـ حضور الحيوان في نصِّ العنوان: بالشباك ذاتها بالثعالب التي تقود الريح ، من حيث هي ترميز لعالم، لم يتلوَّث بآثار العقل، عالم غارق في صورة الرغبةً، وفي بعده الوثني، حيث الحيوان هو التعويذة التي تشحذ الإرادة بالتصميم في طريقها لارتكاب الفعل في العالم .

٣ ـ نصية الشِّباك والرِّيح:

على خلافِ النَّصيتين السَّابقتين، تُنجز كُلٌّ من مفردتي «الشِّباك» و «الرِّيح» نصّيتهما على شكل تكرارٍ يتخلَّلُ نصوص المجموعةِ، تبعاً لما هو موضَّحٌ في الجدول الآتي:

الشِّباك: تكرار صيغي وترادفي	القصيدة	الرِّيح: تكرار صيغي وترادفي	القصيدة
١ ـ كظلّ يغطي الظلال بشباكِ النشيد	فهرست الكائن، ص ١١	١ ـ مَنْ للريح تتشبَّثُ بساقين نحيلتين، ومنقارٍ يلتقطُ الرِّيح من بركة النهار	فهرست الكائن، ص ١١
٢ ـ هذه الشباك، التي تتخبطُ فيها فراشاتُ الأبد الثقيلةُ	فهرست الكائن، ص ١٣	٢ ـ وتتناثرُ الريحُ تاجاً تاجاً	فهرست الكائن، ص ١٤
٣ ـ لكن، بأيِّ أحبولةٍ ستأسرون هذا المهرقَ كالقهقهة	فهرست الكائن، ص ١٧	٣ ـ فأنا فُكاهة الطير، وثرثرة الريح	فهرست الكائن، ص ١٥
٤ ـ لا تلامس شهوتي بين شباكِ الشهوات	الحديد، ص ٣٤	٤ ـ ...حفنةَ الريح التي ألهمتِ الحيَّ بلاغات	الحديد، ص ١٩
٥ ـ خبز مرميٌّ كَشَركٍ	منزل يعبث بالممرات، ص ٤٣	٥ ـ وترفو الريحُ ذاك البَدَدا	الحديد، ص ٢١
٦ ـ ويفلتُ المرئيُّ من شباكِ أشكاله	منزل يعبث بالممرات، ص ٤٥	٦ ـ رَسَتِ الريحُ بطيش، أضحك الماء وأبكىً	الحديد، ص ٣١
٧ ـ فأنا شبكةُ المديح التي يتخبطُ فيها عُقابُ المديح	منزل يعبث بالممرات، ص ٤٦	٧ ـ أطلق القاذفَ، يا طفل، وعُدْ بي لكميني حيثُ تستشرفني الريحُ وتُلقي دِرْهَمَ الحيِّ إلى الريح وشحَّاذِ السكون.	الحديد، ٣٥

٨ـ وأنا أحرِّضَ التماثيل، على قمم الأعمدة، أنْ تطلقَ قُمْريَّها الجريحَ من شباك الحجر	منزل يعبث بالممرات، ص ٤٧	٨ ـ الريشةُ التي عبرتِ الردهةَ في الهبوب الخفيف لي، ستتمايلُ في الهواء قليلاً،	منزل يعبث بالممرات، ص ٤٤
٩ ـ سُكَّرٌ يطعمُ المجاهلَ قلبي، وسُكَّرٌ على فخاخٍ من الزبيب	قلق في الذهب، ص ٥٣	٩ ـ خفيفاً سيرفع المغيبُ محبرتَهُ إليَّ، والرياحُ أقلامها	منزل يعبث بالممرات، ص ٤٨
١٠ ـ حطِّم فخاخَكَ في سحرِ صرختي الأبدية	قلق في الذهب، ص ٥٣	١٠ ـ ولهذا أضيقُ مثلما يضيقُ الغبارُ بالريح	قلقٌ في الذهب، ص ٥١
١١ ـ ببعضي أجعلُ المساءَ فخاخاً	منعطفات ص ٦٨	١١ ـ من مكائد الرِّيح	قلقٌ في الذّهب، ص ٥٢
١٢ ـ وأنا، في نَزْعي تحت الشِّباك الكبيرة، أُعلِّق المكان ـ كسراويلِ سجينٍ ـ على الحبل ذاكَ، الرقيقِ، الممتد من أول الملهاة إلى أنينكم.	انتقام ص ٨٥	١٢ ـ ويمحو (الرقادُ) ما تحوكُ القلوعُ في الرِّيح	قلقٌ في الذّهب، ص ٥٤
		١٣ ـ عُدْ بيّ إلى مشاغل الريِّح حيث المكيدة حبرٌ.	قلقٌ في الذّهب، ٥٦
		١٤ ـ بأسٌ تطأطِئُ الريحُ من حياءٍ إذا يُهبُّ	قلقٌ في الذّهب، ص ٥٧
		١٥ ـ اقترب أيُّها المُبَشِّرُ بقيامة العنب، ودينونة الرِّيح،	منعطفات، ص ٥٩
		١٦ ـ وهو، بأسلابه، مشافهةً، يتقاطعُ والريح	منعطفات، ص ٧٠

		١٧ - سأمَهِّدُ الفجاءَةَ لاسترسالِها حتى يَلْهَجَ الزعفرانُ بأسماء الرِّيح	خزائن منهوبة، ص ٨٠
		١٨ - ثمة إطنابٌ من السَّحَرِ في التذكيرِ بشعاعاتِهِ التي تقايضُ الريِّح بالرِّيح.	خزائن منهوبة، ص ٨١
		١٩ - الرِّياحُ كلُّها هناك	انتقام، ص ٨٥.

لكن ما العبرةُ بهذه التّكرارات الصيغية والتّرادفية، إذا كان من العُسْرَى مطاردةُ هاتين الخليتين من العلامات المتبئِّرة في الجدولين؟، إذا كان ذلك كذلك، فإنَّ التِّكرار بالصيغة يَسْهمُ إلى حَدٍّ كبيرٍ في تثرية النَّص دلالياً، لأنَّ العلامة اللغوية إذ يغويها «التّكرار» لا تَسْتَحْضِرُ دلالتها السَّابقة فحسب، وإنَّما تقتنصُ دلالةً أخرى، مُضَاعفةً من حضورها الدّلالي في السِّياق النَّصي، أي أنّها مسحورةٌ بالاختلاف تحتفظُ بأثرها السَّابق وتناوقُ أثراً لاحقاً، في سياقاتها التركيبية، و لا أدلَّ على ذلك من أنْ تتجولَ القراءة في الجدولين مطاردةً بعض التّكرارات. فمن المعلوم أنَّ «الشّباك و الصيد» متلازمان وفق خبرتنا بالعالم: شباكُ الصّيد، ولكنَّ الشّاعر يزيحُ مفردة الصيد من موقع المضاف إليه، ليطيح بهذا التركيب التّداولي المألوف، ويضع مفردة «الشِّباك» في سياقاتٍ متفجِّرة بالدّهشة: شِبَاك النشيد، شباك الشّهوات، شباك الأشكال، شبكة المديح،... إلخ، لتحيلنا التراكيب إلى دلالاتٍ أخرى:

شباك النَّشيد ــــ غواية الكلام وسيطرته.
شباك الشّهوات ــــ قوة الشهوة.
شباك الأشكال ــــ القدرة المحدودة للشكل في احتواء العالم.
شبكة المديحِ ــــ سحر الشّعر في السيطرة على المتلقي.

هذه التّأويلات، ما هي إلاّ تكهناتٌ مُؤَجَّلة لعربدةِ الدّلائل في نصوص سليم بركات. وبالمثل تضخُّ مفردةُ «الرِّيح» أفواجاً من المعنى والدّلالات إلى النَّصوص، وتزيدُ في فعالية النَّص على الاختلاف مع ذاته، نتيجة تغيير مفردة «الرِّيح» معناها من سياقٍ إلى آخر:

١يلتقطُ الرِّيح من بركة النَّهار ــــ غذاء
٢وتتناثر الرِّيحُ تاجاً تاجاً ــــ شيء
٣ـ ثرثرة الرِّيح ــــ كائن
٤ ـ حفنة الرِّيح ــــ شيء
٥ ـ رست الرِّيح ــــ قارب، سفينة

فهذه الصور وما يليها تمنح «الرِّيح» بعداً بصرياً عَبْرَ نقله من حالة اللامرئيّ إلى المرئيّ، في محاولةٍ مدهشة من الشّاعر في إدخال العلامة في تيه المعنى، لتتفعَّل القراءة جرّاء ذلك ويدخل التّأويل حلبة الصّراع مع ذاته في ملاحقة انزلاقات الدَّال. بتأديةِ « التّكرار » لوظيفته في تنمية المعنى واختلافه، يتّجه إلى وظيفة الربط بين النَّص والعنوان في ضيافةٍ متبادلة، فكلّما تضاءَل حضور العنوان في النَّص دلالياً، أو بالنسيان ـ نسيان القارئ للعنوان ـ ينهضُ التّكرار بإحالة النص إلى العنوان، لتنمو تأويلات القارئ، ويتقدَّم رويداً رويداً في ملامسة العالم الدّلالي للنَّص.

أمَّا التّكرار بالترادف على ما يُلْحَظُ في الجدول الخاص بمفردة «الشّباك»، فقد تتحقق من خلال مفردات: أحْبُولة، شَرَك، فخاخ، والمفردة الأخيرة تكررت مراتٍ ثلاث، لتؤدّي الوظيفة ذاتها فيما تقدَّم من تحليل بشأنها. والمفردات المذكورة تكافئُ «الشّباك» في مواقعها السّياقية من حيث هي حبائل وآلات تُستعملُ في عالم الصيد. إنَّ الوظيفة التي تؤدّيها تكمنُ في إثراء المعجم الشّعري، وعلى الخصوص لشّاعرٍ مثل سليم بركات الغني بمعجمه الشّعري، وبدخولِ هذا المعجم في علاقاتٍ دلاليةٍ جديدةٍ، تغتني اللغةُ، ولا سيّما إذا كانت القصدية متعمدة في نسف دلالة المفردةِ، وتأسيس جماليات التيه، وكذلك يقودُ التّرادف النَّص إلى النَّأي عن نمطية المعجم المستثمر في بناء النَّص بنيةً وتركيباً. هذه شؤون النَّص مع العنوان الذي يتميَّز لدى سليم بركات بوصفه نواةً مكثَّفةً لأوصالِ النَّصّ وأطرافه وأشلائه، يحتوي النَّصّ ويتجلَّى فيه دون أنْ يكونَ مقطعاً أو جملةً من النّصّ ذاته، وإنَّما له استقلاليته وشعريته قريباً من النصّ وبعيداً عنه، ومرتبطاً به.

III ـ مستوى التناص:

في ظلال التَّناصّ يمكننا مقاربة «العنوان» وفق مسارين: رصد العلاقات الدَّلالية الكائنة بين الدّلائل التشكيلية وتلك اللغوية في صفحة الغلاف، ثُمَّ رصد مشاغبات العنوان مع النّصوص الأخرى. وممّا له أهمية في هذا المجال أنَّ «النَّص» لا يغدو «كتاباً» ينحدر باتجاه المتلقين إلاَّ وقد دُمِغَ بآثارٍ دالّةٍ لمؤلفين آخرين: الخطاط، الفنان، النَّاشر،....إلخ، لتكتسبَ نصيَّتها من السّياق العام الذي يحتويها والنَّص معاً. وهذا يؤكِّدُ ـ من جهةٍ أخرى ـ ليس الفعل التّناصي للنَّص فحسب، وإنَّما تصنيعُ النَّص وإنتاجه، حتَّى يمارسَ حضورَهُ في العالم ويتّخذَ بعداً تناصياً. وهكذا يتضاعفُ البعد السِّيميائي لموطن العنوان: الغلاف، ويتراكمُ دلالةً، وبذلك يُصبح «الغلاف» فضاءً مفخخاً بالإشارات، ينتزعُ الاعتراف من القارئ للاشتباك معه، ومنازلته تفكيكاً وتأويلاً.

وحين نتأمَّلُ غلاف مجموعة سليم بركات بوصفه الموطن الذي يمارسُ فيه العنوان كينونته، نجده يقدِّمُ لنا منجماً من الدَّلائل:

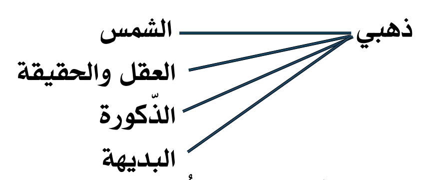
١ـ اسم المؤلِّف: سليم بركات.

٢ـ عنوانُ المؤلِّف: بالشِّباك ذاتها بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح.

٣ـ لوحة تشكيلية.

٤ـ دمغة النشر: الكلمة: دار الكلمة للنشر.

وهكذا تتكاتفُ الدَّلائل اللغوية (الزمكانية)، والتشكيلية (المكانية) في بلورةِ حقلٍ يَضُجُّ بالسمطقة (من السيميوطيقيا) على نحوٍ تفاعليّ. وتتعاضد مكوِّنات هذا الحقل البصري فيما بينها، لتجعلَ «النَّص» قابلاً للحضور في العالم أنطولوجياً وقانونياً وتسويقياً، أي كائناً يَشْغُلُ حيزاً من الفراغ في المكتبة، السِّجل، المعرض...إلخ. غير أنَّ ما يهمُّنا من هذه الدَّلائل على الصعيد التّناصي: العنوان والصورة، الأول بوصفه دليلاً زمكانياً، والثّاني بكونه «المكانَ» توطيداً، وينخرطُ الدَّليلان في علاقة تفاعلية من حيث إنَّ الثّاني تأويلٌ للأوّل، طالما أنَّ الصورة أو اللوحة تُنَفَّذُ بعد اكتمال النصّ والعنوان، لكنَّ هذا لا يمنحُ المركزية للدليل اللغوي، إذ يغدو بذاته تأويلاً للصورة؛ وهكذا فكلٌّ منهما أثرٌ على الآخر وإشارة إليه. يفسِّر الفنان ـوهذا بالطبع تفسيرُ القراءة وتأويلها وتخمينهاـ العنوانَ في لوحةٍ تشكيليةٍ تتمثَّلُ بثلاثِ وحداتٍ متطابقة، تتجسَّد كلٌّ منها بثعلب يتقمَّص لوناً ذهبياً مرقَّطاً، اثنان في الأمام، والثالث في الخلف على شكل زاوية حادةٍ، يتحدَّد مسارها بحركةٍ معاكسة لحركة العنوان (من اليمين إلى اليسار)، وتتميز هذه الثعالب بأشداقٍ مفتوحةٍ على آخرها، وبأذيالٍ ملتفَّة نحو الأعلى. وما يلفتُ الانتباه في هذا التّوصيف دالُّ اللون، ودالُّ الحركة. وعلى الصعيد الأوّل يغمرُ اللونُ الذّهبيُّ أجساد الثعالب، واللون الذّهبي يرمز[٥١] إلى الدّلالات الآتية:



وهذه الدَّلالات تتكافأ مع الموقع الذي تحوزه الثعالب في العنوان: قيادة الرِّيح، إذ من ضرورات القيادة: الحكمة، والبديهة والقدرة على السيطرة. أمَّا دالُّ الحركة، فإنَّهُ يتمِّمُ دلالات اللون، ذلك أنَّ المشية الواثقة، إنَّما تُعبِّرُ عن حساسية موقع الثعالب ومكانتها في إخضاع «الرِّيح»، وبهذا التّأويل ينحرفُ كُلٌّ من العنوان والصورة تناصياً عن المعنى السَّائد أو الرأسمال الرمزي للثقافة عن «الثّعلب» بوصفه ذلك الكائن المراوغ والجبان، ليغدو وفق التَّفاعل بين اللغة واللوحة كائناً يستحقُّ موقعَ المُقْسَم به.

أمَّا على صعيد التَّناص الخارجي، فلو انطلقنا من حكمةٍ محليّة المنشأ تسكن الألسنة: «ما يُقال قد قيل سابقاً»، سنكونُ على تخومِ التّناص، وبإضافةٍ شطيةٍ أخرى «ولكن بشكل مختلف»، نتقدَّم خطوةً أخرى: «ما يُقال قد قيل سابقاً؛ ولكن بشكل مختلف»، هذه الشطية الإضافية كفيلة بتوضيح البروتوكول التناصي بين العنوان الراهن: بالشِّباك ذاتها/ بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح، والموروث الذي يتجذَّرُ فيه النَّاص، بوصفه هذا الموروث جيشاً من النّصوص التي تحاصر الناص وتمتدُّ فيه، وتنتهكُ وحدته، ليغدو خطابُهُ مخروماً، مجتاحاً بـ «العالم»، وفي حركةٍ معاكسة يجتاحُ ـ هو ـ «العالم». وهكذا، فالبعد التَّناصي أحد أبعاد نصية العنوان، إذ « يمكن العناوينَ أيضاً أنْ تشتغل دلائل مزدوجة. فهي تقدِّمُ القصيدة التي تتوِّجها وتُحيلُ في الوقت نفسه إلى نصّ غيرها»[٥٢]، وبذلك يؤدِّي العنوان وظيفته السيميائية بوصفه دليلاً مزدوجاً، وفي الإحالة «إلى نصّ آخر، فإنَّهُ يُشيرُ إلى الموضوع الذي تُفسَّرُ فيه دلالة القصيدة التي يقدِّمها»[٥٣]، وهكذا تتقوّضُ مجرَّةُ الأسرار التي تحيط بالنصِّ. وفي هذا الإطار ـ إنْ كانت ثمَّة مرجعية نصَّية للعنوان، فهي مرجعية ذاتية، أي أنَّ العنوان يُحيلُ ذاته على العناوين السَّابقة للشَّاعر ذاته عَبْرَ التّناص الذّاتي، ولا أدّلَّ على ذلك من أنْ نستحضرَ العناوين الآتية:

١ ـ كلُّ داخلٍ سيهتفُ لأجلي وكلُّ خارجٍ أيضاً ـ شعر، ١٩٧٣.

٢ ـ للغبار، لشمدين، لأدوار الفريسة وأدوار الممالك ـ شعر، ١٩٩٧.

٣ ـ هاتِهِ عالياً؛ هاتِ النفيرَ على آخره ـ سيرة الصِّبا، ١٩٨٢.

لكنَّ السؤال: ما الذي يجمعُ هذه العناوين بالعنوان الراهن؟ وما القاسم المشترك بينها؟ تقفز «آلية التّكرا» بمحصلة التّأمُّل في هذه العناوين، لتكون السّمة المشتركة الجامعة بينها، مع الإشارة إلى اختلاف أداة التّكرار بين عنوان وآخر، إذ تتكررِ مفردةُ «كُلّ» في مركبٍ إضافي يرشح بالاختلاف، كلُّ داخلٍ ≠ كلُّ خارجٍ، ومركبّ الجار والمجرور بـ «اللام» في العنوان الثّانيّ، واسم فعل الأمر «هات»، في العنوان الثّالث، هذه التقنية في بنينة العنوان تُستثمر في العنوان موضوع القراءة: بالشِّباك ذاتها بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح، عبر تكرار اسم المجرور بـ «اللام» الجارة. وهكذا يكون «التكرار» العنصر المُتناص الذي ينسخُهُ العنوان الراهن و يحتذيه في البناء، والتكرار في عناوين سليم بركات تتحقّق في العنوان الواحد صوتياً وتركيبياً، وفي كلتا الحالتين يغدو «العنوان» لافتا لانتباه المتلقي، مستدرجاً إيّاه إلى شِباك القراءة المرتقبة للكتاب أو النَّص، مما يدفعنا إلى القول إنَّ «التّكرار» سمة أسلوبية قارّة في نصوص سليم بركات والمجموعة رهن القراءة، تفضح هذه السّمة على نحو جليّ:

١ـ «رَفْرِفي يا ابنتي، رفرفي
فالبروقُ تتلمَّسُ الدّربَ إلى جبيني بعكاكيزها
رفرفي، رفرفي»[٥٤] ـ فهرست الكائن.

٢ ـ «مَنْ سيصل؟
من سيصل
أيتها الأرض»[٥٥] ـ الضباب المتزن كسيد.

٣ - «خفيفاً
خفيفاً سأهبطُ الدّرجَ كما جئتُ،
تقدَّمْ
تقدَّمْ وحيداً بجمالِ شرُودِكَ أيُّها الغريب»(٥٦) - منزل يعبث بالممرات.
٤ - «كلُّ قلب معي،
كلُّ قلب عليِّ.
كلُّ قلْبٍ هبوبٌ. وإنني في هبوبٍ يشقُّ بعضي إليّ»(٥٧) - قلقٌ في الذّهب.
٥ -»وبي يتوعَّدُ الوردُ الوردَ
بي ينذر المكانُ المكان»(٥٨) - خزائن منهوبة.

ويمكنُ إيراد عشرات الشظايا التكرارية التي تفتك بالخطاب الشعري لسليم بركات، وما التكرار في العناوين الشِّعرية للشّاعر سوى إشارةٍ خفيةٍ لهذه الآلية الأسلوبية التي يتوسَّل بها سليم بركات في تحقيق وظائف نصية متعددة، والتكرار يَطولُ البنية بمجملها، متجلياً عبر تكرار الكلمة، والكلمتين، والجملة، أو التّكرار بالتوازي على المستوى النحوي، يغدو «التكرار» قيمة أسلوبية مهيمنة تُنجز الوظيفة «الشِّعرية» للقصيدة إلى جانب آليات الانزياح والتّكثيف والتسريد، تلك السّمة المميزة لشعرية سليم بركات. إنَّ التّكرار(٥٩)، وبمختلف مستوياته يُدْخِلُ النَّص الشّعري في بنيةٍ شديدة التّعقيد إيقاعاً وتركيباً ودلالةً، ليغدو عنصراً حاسماً، في التمييز بين الخطاب الشِّعري والخطابات الأخرى. وحين نتوجَّه نحو علاقة العنوان بالنصوص الأخرى في إطار التّناص الخارجي، يُصبح التقاط النص المتناص أمراً عويصاً، فهل معنى ذلك أن العنوان الراهن يقوِّض مفهوم التناص، ويتمرَّدُ عليه، ويغدو أصل ذاته بذاته؟ لكن الواقع ليس كذلك، فالعنوان نظراً لبنيته الفقيرة بالدَّلائل وقصره التركيبي» يُمثِّلُ إشارةً لغوية حرة، وقادرة على استدعاء جدول استبدالاتها، وكذا جدول توزيعاتها الممكنة، وثالثاً كافة الخطابات التي لعبت فيها دوراً توسيمياً من قبل»(٦٠). وإذا كان من الصعوبة - بل من الاستحالة - بمكان إنجازُ هذا المطلب، فعلى الأقل اقتناصُ ما يبدو مرئياً للقراءة أو في متناول حركتها. وفي هذا الصّدد يتحدَّدُ التَّناص الخارجي بالعلاقة بين العنوان وأسلوب القَسَم ذاته، عَبْرَ «انحراف» الأول عن الثَّاني، ذلك أنَّ أيَّ قصيدةٍ ما هي إلاّ تجسيد لتاريخ «التّشويه، والتنقيحية المقصودة والشَّاذة والتي بدونها يصعب على الشّعر الحديث كما هو الآن أنْ ينوجد»(٦١). فكيف يتجلى هذا الانحراف التَّناصي أو التشويه بلغة هارولد بلوم في اشتغال العنوان الراهن على أسلوب القَسَم؟ يبرزُ ذلك من خلال الحذف المتعمِّد لفعلي القَسَم والجواب معاً، ليغدو المقَسَم به سيدُ الحضور بامتياز، فلم يُؤْلَفْ في أساليب العربية هذا الحذف، الذي يُمَّكنُ أنْ يطول فعل القسم أو جواب القسم كل على حدة. إنَّ الإبقاء على «المُقسَم به» الذي يُحصِّنُ الخطاب بسلطته يترُكُ الباب مفتوحاً للتّأويل والتّأويل المضاعف.

ومن جهة أخرى يتمثَّل هذا الانحراف في طبيعة «المُقَسَم به» المذكور في الخطاب، فالجدول الاستبداليّ(٦٢) هنا، يقدِّم لنا القَسمَ بالعمر: لعمر الله، لعمرك، لعمر أبيك، والقسم باليمن والبركة: يمينُ الله، أيمُ الله، والقسم بالعهد: عليَّ عهد الله، وكذلك القسم بالله والله وتالله ولله، على حين أنَّ العنوان يخيّب أفق التوقع لدى القارئ، بإدراجه المُقْسَم به في حقل لغويّ مضادّ لما هو سائد في أسلوب القَسَم، فالقَسَمُ بـ«الشِّباك والثَّعالب» تقودُ المتلقي إلى ثقافةٍ تمتزج فيها الأسطورة بالخرافة وكلتاهما بالسِّحر، عالم وثنيّ لا يمجِّد إلاّ الأرضيّ، ولذلك اتسم الخطاب الشعري بالطابع الانشقاقي في كونه « ينشدُ تحرير الكائن من سلطة الممنوعات والمحرَّمات والمتعاليات. إنَّهُ مفتوحٌ على الرغبات والأهواء والنزوات»(٦٣). وانشقاقه يكمن في التّعارض الذي يُقيمه بامتياز بينه وبين العرف السّائد.

IV - عملية تركيب:

إنَّ الاقتراب من الكتابة الشعرية لسليم بركات من

الخطورة بمكان، ومع ذلك غامرت القراءة ، وحاولت استنطاق هذه المجموعة الشعريّة عنواناً ونصّاً، في محاور مختلفة بنيةً وتفاعلاً وتناصّاً. والنتيجة التي يمكن أن يخرج بها الباحث تتمثّل باتّكاء الشاعر في عنونة نصوصه على الغموض العميق والتركيب المفارق للسائد، ليغدو العنوانُ صدىً للنصِّ، والنصُّ صدًى للعنوان الذي يحقِّق مشروعيّته في كتابة سليم بركات من هذه الغرابة التركيبية والدلاليّة، ليرتهن فهمُ النصّ وتأويلُهُ بفكِّ ألغاز العنوان ذاته.

هوامش القراءة:

(١) ـ سليم بركات: بالشباك ذاتها بالثعالب التي تقود الريح، بيروت:دار الكلمة للنشر، ط ١، ١٩٨٧.

(٢) ـ عبد الفتاح كيليطو: الغائب، الدار البيضاء: دار توبقال، ط١، ١٩٩٧، ص ٢٧.

(٣) ـ المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٤)ـ يوري لوتمان: تحليل النَّص الشعري (بنية القصيدة)، ترجمة: محمد فتوح أحمد، القاهرة: دار المعارف، د. ط. ت، ص ٦٠.

(٥)ـ محمد إبراهيم عيادة: الجملة العربيةـ دراسة لغوية، الإسكندرية:منشأة المعارف، ط ١، ١٩٨٤، ص١٦٣.

(٦)ـ عبيدالله القرشي الأشبيلي السبتي: البسيط في شرح جمل الزجاجي، (٢)، تحقيق: عياد بن عيد الثبيتي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٨٦، ص ٩٢٥.

(٧)ـ محمد إبراهيم عيادة: الجملة العربية ـ دراسة لغوية نحوية، ص ١٥٥.

(٨)ـ عبيد الله القرشي الأشبيلي السبتي:البسيط في شرح جمل الزجاجي، ج(٢)،مرجع مذكور، ص ٩١٣.

(٩)المرجع نفسه، ص ٩١١.

(١٠)ـ محمد عبد المطلب: البلاغة العربية (قراءة أخرى)، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ١٩٩٧، ص ٢٢١.

(١١)ـ ينظر رومان ياكبسون: قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ـ مبارك حنون، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط ١، ١٩٨٨، مبحث التوازي، ص ١٠٣ـ ١١٠.

(١٢)ـ يوري لوتمان : تحليل النص الشعري (بنية القصيدة)، ترجمة: محمد فتوح، القاهرة: دار المعارف، د. ط. ت، ص ١٣٦.

(١٣)ـ في الواقع تؤدِّي جملة صلة الموصول وظيفة الصّفة أو النعت للاسم المعرفة الذي يتقدَّمها، ولهذا وصفنا مفردة «الثّعالب» بالموصوف، حول ذلك ينظر مصطفى حميدة: نظام الارتباط في تركيب الجملة العربية، بيروت ـ القاهرة: الشّركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان ـ مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٧، ص ١٩٨، ١٩٩.

(١٤)ـ الأزهر الزناد: نسيج النَّص، (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط ١، ١٩٩٣، ص ١١٦.

(١٥)ـ مصطفى ناصف: نظرية التّأويل، جدة: النّادي الأدبي الثقافي، ط ١ ، ٢٠٠٠، ص ٨٣.

(١٦)ـ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ، تحقيق: ياسين الأيوبي، بيروت ـ صيدا: المكتبة العصرية، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٤٠٣.

(١٧)ـ يوسف أبو العدوس: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث (الأبعاد المعرفية والجمالية)، عمان: الأهلية للنشر والتّوزيع، ط ١، ١٩٩٧، ص ٩٩.

(١٨)ـ بيير داكو: تفسير الأحلام (بحث في سيكولوجية الأعماق)، ترجمة: وجيه أسعد، دمشق: وزارة الثقافة، ط ١، ١٩٨٥، ص ٣٦٨.

(١٩)ـ هانس كورت: قاموس تفسير الأحلام، ترجمة: أنطون حمصي، دمشق: دار الفاضل، د.ط، ١٩٩٧، ص ١٤٠، إذ يمكن للرمز: الثّعلب أنْ يؤدِّي الدّورين معاً: الرّغبة والدّهاء، وكذلك الأمر بخصوص الرّمز: الشِّباك.

(٢٠)ـ ابن سيرين: تفسير الأحلام الكبير، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، طرابلس: دار الإيمان،

ط ١، ١٩٩٨، ص ٢٥٩.

(٢١)- رشيد يحياوي: الشعر العربي الحديث (دراسة في المنجز النصي)، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ط ١، ١٩٩٨، ، ص ١١١.

(٢٢) - سليم بركات: بالشِّباك ذاتها بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح، مصدر مذكور، ص ٧.

(٢٣) - المصدر نفسه، ص ١٩.

(٢٤)- المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٢٥) - المصدر نفسه، ص٤١ .

(٢٦) - المصدر نفسه، ص ٥١.

(٢٧ - المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٢٨) - المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٢٩) - المصدر نفسه، ص ٨٥.

(٣٠)- ابن منظور: لسان العرب، مادة «سود».

(٣١)- المرجع نفسه، مادة «دهق».

(٣٢)- هارولد بلوم: خريطة للقراءة الضالة، ترجمة: عابد، بيروت: دار الكنوز الأدبية، ط ١، ٢٠٠٠، ص ١٦.

(٣٣)- محمد فكري الجزار: العنوان وسيميوطيقيا الاتصال الأدبي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٩٨، ص ٨٥.

(٣٤)- سليم بركات: الطبيعة: هذه الاستعارة، مجلة الكرمل، ع(٣٦، ٣٧)، نيقوسيا، ١٩٩٠، ص ٢٦٧.

(٣٥)- سليم بركات: بالشِّباك ذاتها بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح، مصدر مذكور، ص ٧، ٨.

(٣٦)- ينظر أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية (تاريخها ومشكلاتها)، القاهرة: دار قباء، ط، ج، ١٩٩٨، ص٦٥.

(٣٧)- أرسطو: فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة، الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري - دائرة الثقافة والإعلام، د. ط. ت، ص١٣٧.

(٣٨)- مارتن هايدغر: أصل العمل الفني ترجمة: أبو العيد دودو، الجزائر: منشورات الاختلاف، ط ١، ٢٠٠١ ، ، ص ٩٧.

(٣٩)- سليم بركات: بالشِّباك ذاتها بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح، مصدر مذكور، ص ١٣.

(٤٠)- المصدر السابق، ص ٥١.

(٤١)- المصدر السابق، ص ٥١.

(٤٢)- المصدر السابق، ص ٥٦، ٥٧.

(٤٣)- المصدر السابق، ص ٥٨.

(٤٤)- يوسف: ٢٤.

(٤٥)- سليم بركات: بالشِّباك ذاتها بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح، مصدر مذكور، ص ٨٥.

(٤٦)- الأزهر الزناد: نسيج النَّص، مرجع مذكور، ص ١١٦.

(٤٧)- سليم بركات: بالشِّباك ذاتها بالثَّعالب التي تقودُ الرِّيح، مصدر مذكور، ص ٨٦.

(٤٨)- المصدر السابق، ص ١٧.

(٤٩)- محمد مشبال: البلاغة ومقولة الجنس الأدبي، مجلة عالم الفكر، مج (٣٠)، ع (١)، الكويت، ٢٠٠١، ص ٣٢، ٣٣.

(٥٠)- صدوق نور الدين: السّردي والشّعري (حدود التمفصل والتمازج)، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع (٣٨)، بيروت، ١٩٨٦، ص ٦٠.

(٥١)- توم شيتوايند: معجم تفسير الأحلام في ضوء علم النفس الحديث، مرجع مذكور، ص٦٢.

(٥٢)- مايكل ريفاتير: دلائليات الشّعر، ترجمة ودراسة: محمد معتصم، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط١، ١٩٩٧، ص ١٦٤.

(٥٣) - المرجع نفسه، ص ١٦٤، ١٦٥.

(٥٤)- سليم بركات: بالشباك ذاتها بالثعالب التي تقود الريح، مصدر مذكور، ص٩.

(٥٥)- المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٥٦)- المرجع نفسه، ص ٤٨.

(٥٧)- المصدر نفسه، ص٥٥.

(٥٨)- المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٥٩)- بخصوص أهمية التكرار في البنية الشعرية ينظر يوري لوتمان: تحليل النَّص الشِّعري (بنية

القصيدة)، مرجع مذكور، فصلا التكرار الفني والتكرار على المستوى الصوتي. وكذلك رومان ياكبسون: قضايا الشّعرية، مرجع مذكور، فصل شعر النحو ونحو الشعر.

(٦٠)ـ محمد فكري الجزار: العنوان وسيميوطيقيا الاتصال الأدبي، مرجع مذكور، ص ٧١.

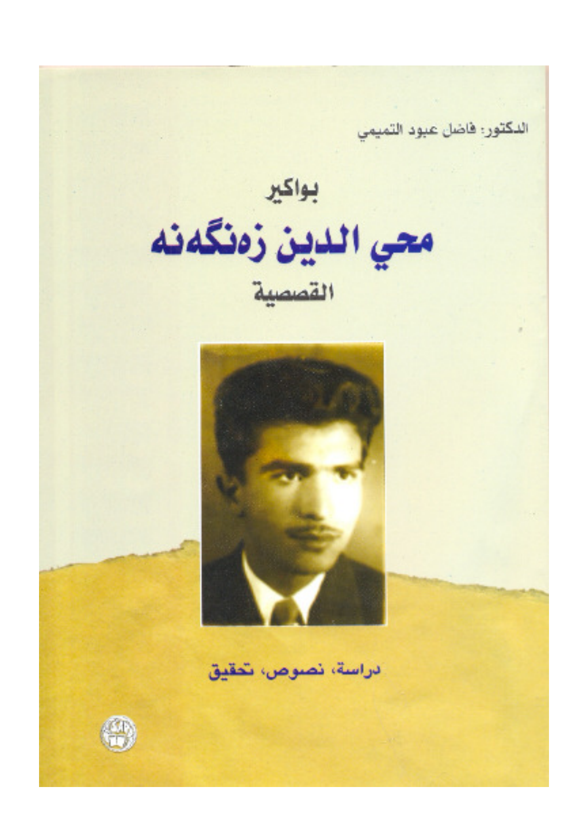
(٦١)ـ هارولد بلوم: قلق التأثر، (نظرية في الشعر)، ترجمة: عابد إسماعيل، بيروت: دار الكنوز الأدبية، ط ١، ١٩٩٨، ص ٣٧.

(٦٢)ـ ينظر بخصوص ذلك الأزهر الزناد: دروس البلاغة العربية (نحو رؤية جديدة)، مرجع مذكور، ص ١٤٢، ١٤٩.

(٦٣)ـ محمد لطفي اليوسفي: فتنة المتخيل، ج (١)، مرجع مذكور، ص ٦٥.

(Endnotes)

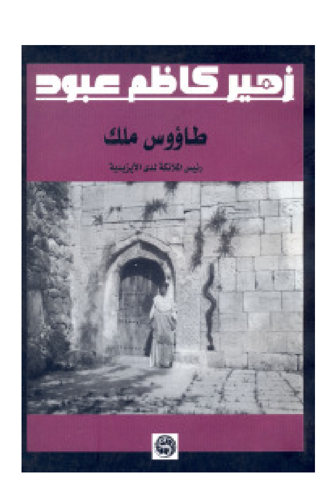


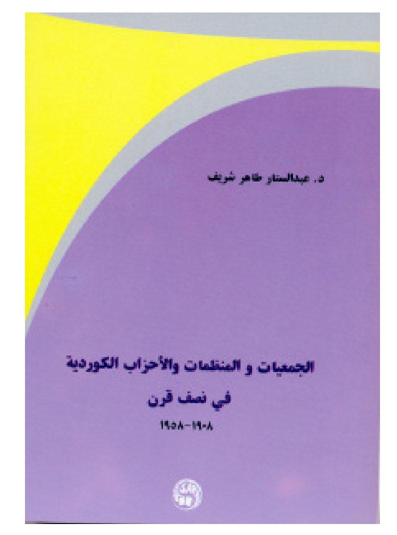


سلسلة الكتب العربية الصادرة في دار سردم









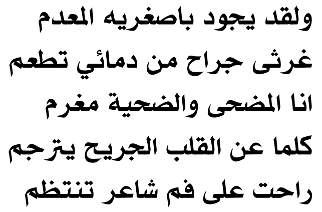






«محمد مهدي الجواهري»

مقطع من (كردستان يا موطن الابطال)



قلبي لكردستان يهدى والفم ولقد يجود باصغريه المعدم

ودمي وان لم يبق في جسمي دما غرثى جراح من دمائي تطعم

تلكم هدية مستميت مغرم انا المضحى والضحية مغرم

انا صورة الالم الذبيح اصوغه كلما عن القلب الجريح يترجم

ولرب آهات حيارى شرد راحت على فم شاعر تنتظم



«بدر شاكر السياب»

مقطع من (وحي نوروز)

شيرين، يا جبل الاحرار، ماغفلت عن حقها الضائع المسلوب احرار

كاوا كيعرب.. مظلوم يمد يدا الى اخيه، فما ان يهدر الثأر

والمستغلان في سهل وفي جبل يدميهما بالسياط الحمر غدار

سالت دماؤهما في السوط فامتزجت فلن يفرقها بالدس اشرار

واغمد الظلم في الصدر مخلبه فجمعت بالدم الجرحين اظفار

قصائد من ديوان «كتاب الخيبة»

للكاتب والشاعر مريوان وريا قانع

ترجمة: هوشنك الوزيري



⋆ بالرغم من كتابته الشعر منذ أواخرثمانينيات القرن الماضي حين كان طالبا في جامعة بغداد، فان مريوان قانع عُرفَ لدى القراء الكرد ككاتب وباحث في الشؤون الفكرية والفلسفية اكثر من كونه شاعراً. ركز اشتغاله النقدي والفكري على أكثر من حقل «الادب و السياسة والفلسفة. أصدر عدة كتب منها « السلطة والاختلاف» و « الهوية وتعقيداتها» و « السعادة والصمت» . القصائد المترجمة هنا مأخوذة من ديوانه الأول «كتاب الخيبة» الذي جمع فيه قصائده كلها بدءً من التي كتبها في أربيل وبغداد وانتهاءً بالتي كتبها في هولندا.

يكتب مريوان باللغتين الكردية والهولندية وينشر كتاباته في الصحف الهولندية. يعمل الآن كباحث بدرجة دكتوراه في جامعة أمستردام بهولندا وموضوعة دكتوراه هي «الشهادة بين الدين و القومية : موقعُ الدين في عالم الحداثة».

التقسيم

هكذا أُصنف الدنيا
مدينة للشعر
و اخرى للجحيم.

هكذا أُقسم العشق،
قطعة ثلج
وقطعة سيف.

أنا أيضاً نصفان من الروح
نصفي عبد
ونصفي إله.

للعزلة جزءان
جزءُ الاحتفال
و جزء الصحراء.

السعادة

ماهي السعادة...؟ يسأل،
ما هي السعادة ؟ متى تأتي؟ الى أين تذهب؟
و أين تموت؟

السعادةُ
هي الاستماع الى جرس باب مفاجيء
ان تتبللَ بضحكة طفل لامتناهية
هي عطسة مفاجئة أمام القمر
مصادقة كأس شراب متروك.

السعادة
هي الزيارة اليومية لزهرة وحيدة
وضعُ اليد على قلب كتاب
اشتعالُ خيال.

ليس للسعادة
وجه
ولا بيت.
وأينما شاءت
تضع رأسها و تموت .

جاري

تقودني السلالمُ الى الأسفل
وتقوده السلالمُ الى الأعلى
طابَ نهارُك..
طابَ نهارُك..

تقودني السلالم الى غرفتي
وتقوده السلالم الى غرفته
ما أصغر هذا العالم!
ما أكبر هذه الأقفال!

الألوان

في طفولتي
كانت السماء أكثر زرقةً،
والريح أكثر إضاءةً
والنوافذ أكثر انفتاحاً.

كانت الأرض أكثر كرويةً
والماء أكثر غضباً
والحجر أكثر عزلة.

الورد أكثر شقاوةً
الطير اكثر سحراً

والقمر ...
كان أدنى بكثير.

في طفولتي
كانت الاشياء تختلف عن بعضها البعض
كانت الاشياء كلها تتشابه.

الاسلوب "ميثود»

أقرأ الفصول مستخدما أسلوب المطر:

أُسمّي الخريف امرأة
والربيع طفولة.
بحكمة النار
أدون في صدري كتاب الاحتراق كلمةً كلمة .
رمادٌ هذا الجسد والعشقُ أحتراق.
أمد يدي لنيزك
وأُري هويتي للشمس
و بشكٍ أُضرم النار في الجنة.
سأصنع طفلا من الاحرف
وبيتا من الضباب
ومستقبلا من الازهار والسموم
ثم أموت.

الاشياء

الورد: خبرة الحديقة لآلاف السنين.
الحجر: دم العزلة المتخثر.
السماء: واحد من مناديل الله الزرقاء.
والبحر
آه من البحر
يا له من مرآة عميقة.

وأنا رجل يتمزق باستمرار
بين هذه الاشياء.

طفل

أعرف ريحاً
تكتب بأستمرار اسم امرأة
في دفتر أسفارها.
وحين تصل النافذة المقابلة
تتوقف.

أعرف امرأة
تغسل الريح في نافذتها
وتحفظها في مزهرية.

لا افهم الفرق بين الريح و المرأة
لكني أعلم
ان غدي ريح
وبعد غدي امرأة.
ويوم ما بعد غدي طفل
نصفه ريح
ونصفه الآخر انسان.



شمال القلب

(قصائد مختارة)

شعر: دلشا يوسف
ترجمة: صلاح برواري

دلشا يوسف، شاعِرةٌ واعِدة، تعِدُ بالكثيرِ الجميل. تحمِلُ نرجِسَةَ شِعرِها؛ لتزرَعَها في شمالِ قلبِ الشِعرِ الكردي!.

شمسُ شِعرٍ أشرَقَت مِن غربِ كردستان، لتقولَ لبناتِ جنسِها، وبغرورٍ أنثويّ طاغ، مُدعمٍ بجمالٍ في الشكلِ والعَقل، في الخَلقِ والخُلُق: "هيا... احلبنَ ضُروعَ قصائدي، لتشربنَ لَبَناً رَقراقاً نَميرا "!.

تحملُ خَيمةَ شِعرها في قلبها، كأميرةٍ مُرتَحِلة، متسلِّقةً أمنعَ صُرود كردستان[١]؛ لتنصبَها في قلبِ مصيف "فَراشين"، صارخةً بلَوعةٍ: "أين أنتَ يا "جَمبَلي"، يا ابنَ أميرِ هَكاري؟، أنا معشوقتُكَ "بنَفشا نارين"... أنا أميرةُ شِعرٍ، فانزَع طاقيتَكَ إجلالاً"![٢]

القصائدُ التالية تَشيرُ بالكثير، وتقولُ الكثير. لها رائِحةُ الأرضِ بعد سقوطِ المطَر، مِن بعدِ طولِ احتباس، وأريجُ أزهارِ الأُقحُوان، وبَهاءِ القَراصِيا الجبليّةِ في أوّلِ تفتُّحِها[٣]. إنها باقةُ أزهارِ بَنَفسَجٍ، مُستَلَّة من ديوانٍ شِعريّ لها، مُعَدّ للطبع بعنوان "شمالُ القلب".

شمالُ القلب

شمالُ قلبي... هُوَ
في عينيهِ...
أُرَوِّبُ
عَسَلَ مُرارِ الحُبِّ[٤].
شمعَتي هو
في كلِّ ليلة
حينَ تكونُ أماسي الوحدةِ
مُلتقاي.
ذات يوم...في غُرَّةِ الخريف[٥]
وقد نَدِيَتِ الأرضُ بالرِّهمَةِ[٦]
أضَعتُهُ...

دونَ وَداعٍ،
هُناكَ...
في شمالِ القَلْب!.

فَوَران

فَقاقيعُ غَلَيانِ قلبي
صامِتَة...
كقَهوَةٍ في رَكوَة!.
فوقَ جَمْرِ
عِشقِكَ
أفورُ... أفور
أتكثَّفُ... وأتكثَّف!.
لا أعرِفُ
في أيِّ فَصلٍ
ستُغادرُ قِطارَ
أحلام يَقْظَتِكَ؟
وتحلُّ ضيفاً
على صَرحِكَ المُنيف!؟
أُركُن
قُربَ جَمْرِكَ
واستَحِلْ فِنجاناً
كَي أفورَ إليكْ!.

قَوسُ قُزَح

كالمَطرِ...
سأهدُّ حيطانَكَ الطينية
على قدِّكَ وقامَتِكَ!
لأُشيِّدَ محلَّها
لهذا القلب،
قصوراً مِن العِشق.
ومِن السّماءِ
سأسرُقُ
قَوْسَ قُزَح
أُزَيِّنُ بهِ قَدِّي وقامَتي!.

القلب

جَرَّةٌ مِن مشاعِر
تُشوى في فُرْنِ الحياة!.
بابُهُ
مفتوحٌ على مِصراعَيهِ.
حارِسُهُ
مِنهُ... وفيهِ
لكنَّهُ...
لا يُصبحُ مَفرَشاً
لأيِّ ضَيف!.

القُطبُ الآخَر

حينَ كُنتُ كنَهرٍ
أسيرُ عكسَ البوصَلة
كُنتَ أنتْ...
تُشَيِّدُ لنفسِكَ قِبلَةً!.
حينَ كانتِ الشَّمسُ
ترتفِعُ مِن مَشْرقي
كنتَ أنتْ ....في الغَرب
تنصبُ الفِخاخَ
أمامَ الأماني!.
ألَم تكُن أنتْ
حينَ تصادَفنا
عندَ نجم سُهَيل؟[٧]
وعلى مُفتَرَق
دَرْبِ التَبّانة[٨]
كُنتَ تُلَملِمُ النُجومَ المتساقطة!.
متى ستبلغُ الفِطامَ
وتدَعُ شَمشَمَةَ تلابيبي؟.
لَن نَنهَمِرَ معاً،
ما لَم تَستَحِل أنتَ...قُطباً آخَر!.

رغبة

أتعرفون
متى أفطم عن الشعر؟
عندما تستحيل المسافة
بين الحقيقة و الرغبة
الى خاتم
ألبِسه إصَبعَ يسار القلب!.
* * *

أتعرفون
متى أصبح إلهةً؟
عندما أجري كنهرٍ
دون خلجان
في صحراء الرغبة!.
* * *

أتعرفون متى أفنى؟
عندما أستحيل سماءً
تساقطت نجومها
و ينتحر عشّاقي
بمشنقة القدر!.

نبراس

عزيزي...
حين أكون
في أوج الخصام معك
تيّقن عندها
أنني....
في أوجي حبي لك
حبُّك....
نبراس
يضيء الزوايا العاتِمة
في قلبي
نبعٌ متدّفقٌ
في أحشائي
يُزهرُ
صحاريَّ الموحشة
* * *

في الحبّ...
لا خصامَ
لا تحت و لا فوق
لا حدود
لا أنا و لا أنت
في الحبّ...
الأكاذيب أيضا حقائق
عندها.....
سأكذب عليكَ
كذبة كبيرة
إني أح .....بُكَ !.

وحيدة.... أنا
شيطان اللّوعةِ
يعتلي قصائدي...
و يقودني
صوب شواطئكَ
حين التطمُ كموجةٍ
بجلاميد شطآنك
أعرف حينها
أني لم أتزحزح بعدُ
عن مكاني!.
البَون الشاسعُ
بيني و بينك
يمتدُ أكثر ... فأكثر
وحيدةٌ أنا... وحيدة
كالوحدةِ نفسها
لا أستحيل سماءً صحوة
بحر هائج أنا

لا تستكينُ أمواجي
في مدّي و في جزري
لا معنى للسعادة عندي
ما لم ترسُ سفينتي
المنهكة
في مرسى عينيكَ.

أجراسُ اللقاء

نظرتُ في عينَيكَ
حينَ كانتا تقرآنني
وتُسبِران غَورَ
الحقائق الغافية
في أعماقِ عينيَّ،
كلَّ تلكَ المتاريس
والخنادق المُقامة
لم تَحُل
دون عبور خيّالةِ أمانيك!.
أحاسيسي الغافية،
كأفعى مُسبتة
في زمهرير الشتاء،
أيقظتَها وأنعشتَها
بأشعةِ شمسِكَ الربيعية،
المتجددةِ أبداً.
هجمَتُكَ هذه
أعتقَتني مِن
ترانيم الهَدهَدةِ
التي كُنتُ
أُنيمُ بها عواطفي
إلى أجلٍ بعيدٍ!.
اضطربَ قلبي،
وبشكلٍ غريب
اهتاجَ ثانيةً!.
أعرفُ...
أنتَ لستَ مِنهُمُ،

أنتَ رجلٌ غير عادي...
لَم تخترق مكامِني
خِلسَةً.
سيفُكَ كان مُصْلَتاً،
وكصِنديدٍ
دقَقتَ بابَ قلبي
ودعَوتني للنِزال!.

* * * *

تركتَ ديارَكَ،
جُبتَ الوديانَ السحيقة،
قطعتَ كلَّ الميادينَ البعيدة
واجهتَ السُفوحَ والوُعورَ،
حتى وصلتَ
إلى مرافِئي.
وها أنتَ ذا،
دونَ تردُّدٍ،
تُلقي مرساةَ سفينتِكَ
في أعماقِ
بحرِ خَلَجاتي!.
حينَ نازَلتَني...
لَم أكُ غافلة،
كانَ سيفي مُستَلاً
وأنا بكامل جهوزيَّتي.
لَم أتقهقَر...
دعَوتُكَ إلى النِزال،
وواجَهتُكَ.
حينَ التقى سَيْفانا،
عَلا صليلُهُما
وبَرَقا،
حينَها...
كانت أجراسُ اللقاءِ أيضاً
تُقرَع
وتُبشِّر بلقاءٍ أبَديّ.

* * * *

في المُقارَعةِ...
تزدادُ عُنفُواناً
وشُموخاً،
وأنا معكَ... أيضاً!.
لو لَم تطلُبني للعِراك،
لَما رأت عينُكَ
خنادقي ومتاريسي!.
لو لَم تنحدِر
من بُرجكَ العاجي،
لَما رأتَ عينُكَ
أبوابي الوَطيئة!.
لو رميتَ سيفَكَ
وركعتَ قدّامي،
لَما أحسستَ ببَأسي!.
ولو لَم تأتِني كصديق،
لَما كنتَ لتَراني...
لَما كنتَ لتراني... أبداً!.

مَلِكُ جَمالِ العُشّاق
هوالمَزَّةُ والشَّرابُ،
يُزهِر أُمسِياتي،
كبسمةٍ في بَيداءِ أحزاني!.
عنادُ طفلةِ أحلامي،
لا خُفوتَ له.
لغةُ العينِ والقلب،
زَوبَعةُ الروح الحُبلى
بالأحاجي والماجَريات،
مُكابَرةُ الآلهةِ في توحُّدِها.
النَّورَسُ الذي
سلبَ صُعقُرَ أسماكِ بُحيرتي
وأقامَ عُشَّهُ
على هامةِ قلبي.

مَلِكُ العُشّاق... هُوَ،
دونَ استئذان،
اعتلى عَرشيَ وإيواني!.
وحينَ غَمَستُ إصبعي
في عسَلِ حُبِّهِ،
تحوَّلتَ خلايايَ
إلى قَفير،
وبدأتُ أَقطرُ
رُضابَ عَسَلٍ!.

الهوامش

١- الصُرود: الأماكن الأكثر ارتفاعاً وبرودةً في الجبال. ٢- فَراشين: مصيف جبلي شهير في إقليم هَكاري بشمال كردستان، يمتاز ببرودته البالغة في فصل الصيف. وهو موطن الأمير الوسيم (جَمبَلي)، ابن أمير هكاري، ومعشوقتهِ الحسناء (بنَفشا نارين- أي البنفسَجَةُ البهيّة)، وهما بطَلا قصة العشق الشهيرة في التراث الفولكلوري الكردي (جمبلي وبنفش). و(جَمبَلي) هو ذَكَرُ زهرةِ البَنَفسَج، ويسمى بالعربية «بنفسج الثالوث» الكبير الأزهار، و(بنَفش) هي البَنَفسَجَة. و(بنفسج) هي كلمة كردية- فارسية مُعرَّبة. ٣- القَراصِيا أو القَراسِيا: شجرة مثمرة من فصيلة الوَرْديّات، ثمارُها صغيرة ضاربة إلى السّواد، تسمى بالكردية (هَلهَلوك أو بَلالوك). و(القراصيا- وهي كلمة يونانية معرَّبة) هي كَرَزٌ بَريٌّ ناعم. و(الكرز) أيضاً كلمة يونانية معرَّبة. ٤- المُرار: نباتٌ يُعرَف أيضاً بـ(المُرَّير)، إذا أكلته الدواب قَلُصَت مَشافِرُها؛ فبدَت أسنانُها. يسمى بالكردية (تَهليشك). ٥- غُرَّةُ الخريف: مطلع أو تباشير الخريف.٦- الرِّهمَة: المطر الخفيف الدائم.٧- سُهَيل: نجمٌ بهيّ يطلع في أواخر القيظ، يسمى بالكردية (كلاويز).٨- درب التَبّانة: مَجَرَّة. وهي كلمة عاميّة، تقابلها في الكردية كلمة (كادز)



الاطالة

قصة حسين عارف
ترجمة: معتصم سالەیی

هناك من يقرع الباب الخارجي، كان علي ان اهب لأستطلع من هو الطارق، لدى فتحي للباب واجهتني فتاة حسناء ذات وجهٍ صبوح وملامح دقيقة مليئة بالحيوية بادرتها قائلاً:

-تفضلي.!

قرأت في محياها نوعاً من القلق، بنظرة فاحصة تطلعت من وراء ظهري الى داخل البيت وبلهجة متقطعة قالت:

-لا استطيع بماذا اتفوه.. انك.. ومن المحتمل..!

بدوري لزمت جانب الصمت، ومن جانبها ادركت مدة ذهولي وقالت:

-ارجو المعذرة.. لديكم غرفتان في الطابق العلوي, يوم الأثنين جئتكم وتشاورت مع زوجتك حول الموضوع.

اردت التحدث ولقطع الطريق عليها.. لكنها استرسلت في الكلام:

-طالبتك بتأجيرها لنا، لكن زوجتك قالت لي ان زوجها قد سافر ولدى عودته يوم الجمعة سوف اعرض عليه الأمر ومن ثم بامكاني الرجوع، وانا الآن قد جئتكم على امل ان القاك شخصياً.

مرة اخرى اردت ان اقطع عليها حديثها لكنها لم تتح لي الفرصة، ومضت في كلامها قائلة:

-اطلب منك اجابة مفرحة, لأنني على جانب كبير من الهم وأشعر بالسأم، مضى عليَ سبعة اشهر وانا ابحث عن بيت لغرض ايجاره. لقد عقد قراني قبل سبعة اشهر، ومنذ ذلك الوقت وانا ابحث دون جدوى لاستئجار غرفة او غرفتين على شاكلة مما لديكم, كي نسكن فيها، ليس بأمكاننا استئجار دار مستقلة, حتى لو حصلنا على بيت كامل لا يمكننا العيش فيه, ان خطيبي او بالأحرى زوجي يعمل مهندساً ومن الأفضل ان اقول كان مهندساً، لأنه الآن يؤدي الخدمة العسكرية الالزامية. وانك تعلم كيف هو حال العسكري.! لو قضى يوماً واحداً في بيته، فانه يغيب عن البيت لعدة ايام، وعند عدم تواجده في البيت كيف لي المكوث وحدي في بيت مستقل.!؟ انا اعمل معلمة للدراسة الابتدائية، تم

تعييني قبل سنتين، أي انني اتقاضى منذ سنتين راتباً ضئيلاً. بيت والد خطيبي والأصح يجب ان اقول والد زوجي يتمتعون بوضع اقتصادي جيد. بدورهم فقد وعدونا بمد يد العون والمساعدة لنا. والا فاننا لا نستطيع تدبير امورنا بمرتب شهري ضئيل، والدتي تقول لي دوماً: يا بنيتي لماذا الاستعجال.! تمسكي بالصبر الى ان يكمل زوجك خدمته العسكرية ومن ثم بامكانه مزاولة عمل ما وتستطيعان وقتذاك من استئجار دار مستقلة لكما. لكنني لا انصاع لنصائح وارشادات والدتي، وانني متيقنة بأنك قادر على فهمي لماذا وكيف تجري الأمور!؟ زوجتك شرحت لي اموركم وقالت لي بأنها ايضاً عانت نفس المعاناة وقالت لي بأنها عندما تزوجت كان زوجها من المتخرجين الجدد، وسيق الى الخدمة العسكرية وانتظرته سنة كاملة وتجرعت مرارة الانتظار.! بدورك الآن تعلم معاناة الانتظار، وبالأخص لي لأنه بالأضافة الى الأشهر السبعة منذ عقد قراني، الا انه سبق لنا ان كنا متحابين على امتداد اربع سنوات، وهكذا امضينا عدة سنوات، انا تعينت كمعلمة ابتدائية وهو بدوره تخرج مهندساً، بعد اكمالي للدراسة اتى الكثيرون لطلب يدي لكنني كنت مصممة على عدم الزواج.. والدي ووالدتي كانا مذهولين ازاء موقفي الرافض للزواج. لكن جميع الذين اتوا لطلب يدي كانوا اناساً طيبين ومن عوائل مرموقة، واخيراً سألني والدي على انفراد قائلاً:

-اريد منك الايضاح.. لماذا ترفضين الزواج.؟!

كان والدي مثقفاً منوراً، وكان ايضاً من التدريسيين، لذا لم اكن وجلة منه، قلت في سريرتي هذه فرصة سانحة، فمن الأفضل ان اميط اللثام عن جميع الأمور الخافية وقلت له:

-والدي العزيز.. انا مرتبطة بعلاقة حب مع أحد الشباب وقد تعاهدنا على ان نكون لبعضنا.

خافتة قال لي والدي:

-حسناً.. لكن يا ترى من يكون ذلك الفارس الشهم.. لماذا لا يأتي لخطوبتك وانقاذنا من جميع الخاطبين الذين يأتون لخطوبتك دوماً.!؟

اشاع كلام والدي البهجة في قلبي، رغبت كثيراً في معانقته وتقبيل كل جانب من جوانب وجهه.. لكنني تمكنت من القول:

-لكن يا والدي.. انه قد تخرج منذ عام وتعين كمهندس، لكنه الآن منخرط في الخدمة العسكرية الألزامية..

بدوره قال لي: لا مانع.. فليأت طالباً يدك ويخطبك، كي يخفف من اعبائنا، متى ما أنهى اموره فليأت لأخذكِ الى بيتكما..

هذه المرة نفذت رغبتي وقبلته كثيراً.. فمعذرة لأنك الآن ملزم للاصغاء لكل تلك الأقاويل والحكاوي رغماً عنك، ليس من المستبعد بأنني قمت باحراجك، لكنني اردت ان اوضح لك بأنني وزوجي لسنا من النوع الذي لو اجرتمونا غرفتين والاعياذ بالله نكون قد نضيق الخناق عليكم بخلاف ذلك انا اطمئنك واتعهد امامك بأننا سوف نكون عائلتين متجانستين، تسود بيننا المحبة والألفة، بجلوسي لمدة نصف ساعة فقط مع زوجتك في ذلك اليوم، احببتها من صميم قلبي وتالفت معها، وكما يقال فان القلب للقلب انيس، وتيقنت بأنها تحمل نفس الشعور تجاهي، وطمأنتني بأنك لا تعارض طلبي، معذرة لو كان كلامي يحمل بين طياته بعضاً من الوشاية.. بما ان بين الأحباب تزول العوائق، لذا اجد نفسي مضطرة للتحدث بها، ووعدتني زوجتك ان لا أحمل هموم عدم موافقتك.! وقالت لي بأنها تعرف كيف تضمن رضاك.! وأتيتك الآن ملتمسة على امل موافقتك، ارجوك ان لا تردني خائبة.!

بعد ان استرسلت في الكلام وانجرفت في التحدث كثيراً لاذت اخيراً بالصمت. وانا بدوري بعد ان اضطررت للاصغاء طويلاً بقيت هامداً ولم استطع التفوه بأية كلمة، الى ان امدتني بقوة الكلام عندما سألت:

-بمَ تفضل بالقول؟!

في تلك اللحظة لملمت نفسي وانتشلت نفسي من الانجراف في الصمت واجبتها قائلاً:

-الشخص المفترض ان تروي له كل هذه الحكاية لست انا بل هو أخي صاحب الدار، والآن اذهب لمناداته للحضور هنا.!

ذات عصر خريفية

جليل محمد شريف - كركوك

كان قد انطلق توا من مدرسته مع جمع من زملائه التلاميذ عائدين نحو بيوتهم زرافات ووحدانا. حاملين كتبهم وتسمع زقزقاتهم من قبل المارة.

ها قد وصلوا الى جوار الحائط الطيني لتكية الشيخ باقي ذلك الموقع الذي يعتبر اليوم بداية للشارع التجاري الحديث الموسوم بـ(الجمهورية). هناك استوقف صاحبنا وزملاءه منظر قافلة طويلة من السيارات وهي تسير سيرا وئيرا في الجهة المقابلة من نهير (خاصة) وباتجاه طريق السليمانية، آن ذاك عبر (امام قاسم) وزيويه. عم الذهول كل من انتبه الى ذلك المنظر لانه لم يكن مألوفا يومئذ.

يذكر صاحبنا ان الاجابة عن التساؤلات لم يطل انتظارها لقد مات الملك..!

اطلق هذه الحملة رجل كهل على اسماع المحملقين الى المنظر والذين كان يزدادون عددا كلما مرت دقائق ذلك الزمن التأريخي.

تساءل صاحبنا (كيف)..؟! الم ننشد اليوم في ساحة المدرسة.. جاء الملك، جاء الملك قوموا قيام، قوموا قيام؟!

لكن الايام كانت كفيلة بان يفهم حقائق الامور ويجد الجواب الشافي لكل التساؤلات.

-انه الشيخ الملك او لنقل الملك الشيخ انه كان ملكا وحكمدارا قبل ان تطأ اقدام الملوك المستقدمين من الحجاز ارض العراق.

قضى ليلته يتقلب امام حقيقة سمع بها وادركها لاول مرة هل يجوز ان يكون المرء ملكا وكرديا في آن واحد؟!

مرت السنون وتوسعت دائرة ادراك صاحبنا وقارن ماخط من صفحات التاريخ لكتاب مزيفين ومما ادعى به الساسة المضللون فثبت في صفحة بيضاء كل ماتوصلت اليه ذاكرته القديمة ممزوجة بقراءات ماخلف السطور.

لقد كان الملك محمود الاول وفيا لارضه ومدنه وخض (كركوك) بعشق لم يتنازل عنه، ولطالما -كما روى الراوية (كاويس آغا)[1] -قد اقسم الشيخ الملك باغلظ الايمان انه سيتنكب (جان بيزاره)[2] متوجها الى كركوك عبر (ئاوباريك)[3] ليفك قيود اسرها. وفهم صاحبنا ايضا ان الملك محمود لم يرتض بان يكون عرشه في ظل قامة جنرال اتى من وراء البحار. فقد اراد ان يكون ملكا على ارض وطنه بالحق والحقيق اولا يكون.

يقول صاحبنا كان ذلك قبل واحد وخمسين عاما عندما ذرفت نسوة (امام قاسم وعاشور وزيويه)[4] الدموع وهن يودعن الموكب المهيب لجلالة الملك المتوفى في بغداد نحو السليمانية التي كانت متهلفه لإحتضان جنازته.

وبما ان الناس على دين ملوكهم فان العشق الذي حمله شيخنا في قلبه نحو كركوك مازالت قلوب الكرد تنبض به.

وشاءت الاقدار ان يمر جثمان الشيخ بديار معشوقته وتدفن معه امانيه الجميلة تجاهها في مثواه الاخير.

الهوامش:

١-المطرب الذي سجل في اسطواناته كفاح الشيخ محمود وهمومه.

٢-اسم لنوع من البنادق المستعملة آنذاك.

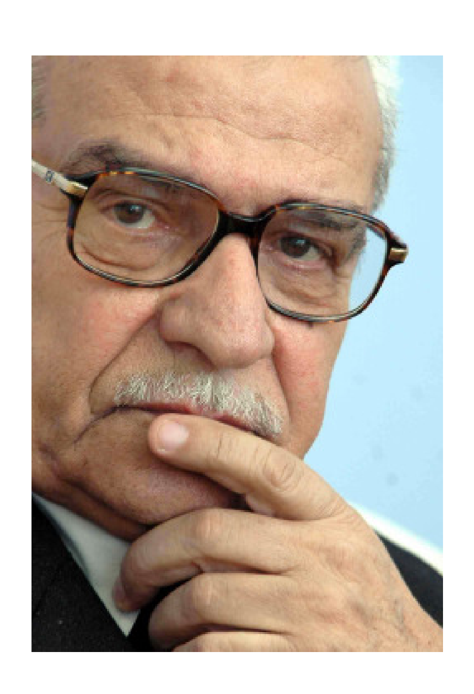
٣-اسم لموقع شرق كركوك الذي دارت فيه معارك الشيخ محمود الاخيرة ضد القوات البريطانية.

٤-اسماء لاحياء من مدينة كركوك.

ملف

الروائي والمسرحي

محي الدين زەنگەنه



محي الدين زەنگەنه

شعر: شێرکۆ بێکەس
ترجمة: نوزاد احمد

غرفتي تفيض بالهدايا:
من زوريخ أتتني سترة زرقاء سماوية
من ضباب لندن، قميص رمادي
من شارع زيتوني في باريس، سروال
ومن حديقة أوسلو، ربطة عنق
موردة.

غرفتي تفيض بالهدايا:
من صديق نمساوي أشبه بشمس
الاصيل
أتتني قنينة شراب معتق
ومن صقيع موسكو، زوج جوارب
سميكة
من عاصفة ثلجية في القطب الشمالي،
زوج قفاز وقبعة
ومن موجة البحر الابيض، كأس كريستالية.
كانت غرفتي تفيض بالهدايا
لكنني وهبت اكثرها،
إذ هبّت عليّ ريح نارنجية، من بساتين الليمون
والبرتقال في بعقوبة
وعبقت قاعة المسرح بعطر "السؤال"*
طشته أنامل محناة،
وامتلأت أنفاسي بعطر ضفائر "قصة قصيرة"
وبعطر عنق "رواية جديدة"
يقطران من قلم زەنگەنه.

* "السؤال"عنوان احدى مسرحيات محيي الدين زەنگەنه.

شيء من السيرة الذاتية لمحي الدين زەنگەنه

سنوات الابداع

صباح الانباري

١٩٤٠ ولد محي الدين حميد زەنگەنه من أسرة كردية عريقة في محلة (شاطرلو بكركوك)

١٩٥٣ بدأ الكتابة الأدبية وهو دون الرابعة عشرة، في المرحلة المتوسطة.

★ نشر كتاباته في النشرات المدرسية.

في ١٩٥٦ اعتقل اثر مساهمته في تظاهرة طافت شوراع كركوك تأييدا للشعب المصري في معركة بور سعيد واستنكارا للعدوان الثلاثي حكم عليه تسعة اشهر مع ايقاف التنفيذ لمدة خمس سنوات بسبب قصة مخطوطة بعنوان «قرد الاستعمار» عثرت عليها الشرطة في مكتبته.

١٩٥٦-١٩٥٧ كتب مسرحية كان من المفروض أن تقدمها إعدادية كركوك ولكن المشروع لم يتحقق.

١٩٥٨ أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية في كركوك.

١٩٥٩ نشر قصته الأولى وكانت بعنوان (الناس.. والعمل .والكتب) في جريدة صوت الطلبة في كركوك.

★نشر مسرحيته الأولى (احتفال ..) في مجلة صوت الطلبة. بغداد .

★نشر مقالته الأولى في جريدة «صوت الطلبة» كركوك.

★ألقى محاضرته الأولى في نادي الطلبة بعنوان «الديمقراطية وآفاقها في العراق». أعقبها في العام نفسه بمحاضرته الثانية «مكسيم غوركي الكاتب والإنسان ، في نادي الطلبة، كركوك.

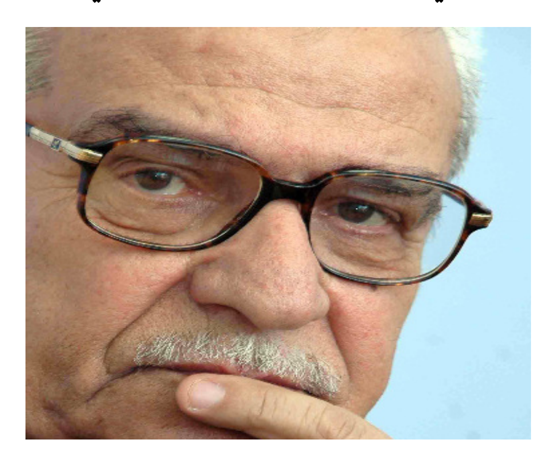
١٩٦٢ تخرج في كلية الاداب قسم اللغة العربية جامعة بغداد ★ عين مدرسا للغة العربية،في ثانوية المدحتية(ناحية المدحتية.الحلة «بابل « ١٩٦٣ ترك الوظيفة على اثر اغتيال ثورة ١٤ تموز الوطنية، في انقلاب ٨ شباط الأسود.

★ فر إلى كردستان سرا ،التحق بـ «فصائل الانصار «البيشمه ركه في العام نفسه.وقضى هناك ما يقارب العامين.

★توقف عن النشر ،بيد انه لم يتوقف عن الكتابة حتى اللحظة.

*قدم مسرحية من تأليفه واخراجه وتمثيله ،بعنوان «سننتصر» بمناسبة الذكرى الخامسة لثورة ١٤ تموز الوطنية.

١٩٦٤ في أواخر هذا العام عين مجددا في ثانوية



خانقين بعد سقوط نظام ٨ شباط الدموي ١٩٦٨ كتب قصته (الجراد) التي على الرغم من قسوة عالمها ومرارتها، لم تستطع احتواء صور الموت التي تناسلت، في ذهنه بلا توقف، منذ «كاورباغي». وفي العام نفسه طبع أولى مسرحياته (السر) التي كتبها بعد نكسة الخامس من حزيران تلك النكسة التي هزت العالم العربي موخزة ضميره الجمعي.وقد ترجمت إلى اللغة الكردية، وقدمتها فرقة نقابة عمال البناء في السليمانية من إخراج الفنان جليل زنكنه. فضلا عن اخراجها في معظم أنحاء العراق.

١٩٧٠ نشر اضخم أعماله القصصية، آنذاك، (الموت سداسيا) التي استطاع ان يسلط الأضواء و يجر الانتباه والأنظار الى عملية تغريب الإنسان داخل أرضه و وطنه و بين مواطنيه. وفي السنة نفسها حول قصته (الجراد) الى عمل درامي ضخم، اكثر استيعابا واحتواء للصراعات الدامية والعنف والدمار والقتل تحت العنوان نفسه «الجراد».

١٩٧٥ صدرت عن منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق روايته الأولى (هم أو يبقى الحب علامة) التي استطاع فيها خلال سبعة عشر فصلا وعلى مدى يومين فقط ان يجعل الحلم فيها يختلط بالواقع والحقيقة بالخيال وان يجعل منها رواية مجابهة وتحد واجتثاث للجذور الفاسدة.

١٩٧٦ طبعت مسرحية (السؤال) فقذفت بمحي الدين زنكنه، مباشرة، من المسرح العراقي الى المسرح العربي فأخرجها في الكويت و تونس المنصف السويسي. و أخرجها في مصر- الزقازيق صلاح مرعي، وفي الإسكندرية محمد غنيم كما قدمت في الإمارات العربية المتحدة وفي الجزائر. وقدمت هذه المسرحية فرق عديدة عراقية وعربية منها فرقة مسرح اليوم و فرقة جمعية الفنون الكردية في اربيل وفرقة مسرح الطليعة الكويتي في الكويت وفرقة مسرح السيد درويش في مصر وفرقة جامعة الزقازيق في مصر أيضا وفرقة مسرح البحر في ا لجزائر و فرقة مسرح الجامعيين في البحرين وفي أنحاء أخرى من العالم العربي.

وفي العام نفسه صدرت روايته الثانية (ئاسوس) عن «دار الساعة» ببغداد.

١٩٨٠ عن منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق، أيضا، صدرت روايته الثالثة (بحثا عن مدينة أخرى).
١٩٨٢ طبعت مسرحية (اليمامة) وهي دراما كبيرة استطاع من خلالها ان يجسد ضخامة المأساة التي يخلقها الأثرياء للفقراء وكيف يطول الظلم الشرفاء محولا حيواتهم البسيطة المتواضعة الهانئة جحيما مرا وليلا طويلا من العذابات والمعاناة الإنسانية المريرة. تدور احداثها في كركوك.

١٩٨٤ أحيل على التقاعد ،لأسباب صحية ،تردي رؤية العينين.

١٩٨٥ طبع كتابه الموسوم (مساء السلامة أيها الزنوج البيض) وضم ثلاث مسرحيات: الأولى: (مساء السلامة أيها الزنوج البيض) وهي مونودراما من فصل واحد اتخذ زەنگەنە فيها من النشاز الفني الدال أساسا في عنونتها. قدمتها في المغرب الدار البيضاء ١٩٩١ وقدمتها

أيضا لجنة المسرح العراقي في منتدى المسرح ببغداد. ترجمت إلى اللغة الكردية وقدمت في معهد الفنون الجميلة السليمانية.

الثانية: (لمن الزهور) وهي مسرحية اختلف المناقشون اختلافات بينة في تحديد إطارها العام عندما نوقشت في الجلسة الرابعة لمهرجان بغداد. فمنهم من قال إنها مسرحية ذات إطار رمزي. ومنهم من قال إنها صبغت في إطار فكري، و آخر نفسي اعتمد عقدة أوديب أساسا في بنائها. بينما نفى آخر كل هذه واعتبرها مسرحية لا تتحدث الا عن علاقات اجتماعية اتخذت صيغة الرمز. وقد قدمها في مهرجان بغداد الأول للمسرح العربي المخرج الفنان عزيز خيون، وقدمها بالترجمة الكردية معهد الفنون الجميلة في السليمانية، وقدمتها فرقة منتدى المسرح في بغداد.

الثالثة: (العلبة الحجرية) وهي دراما من فصل واحد أيضا حرص زەنگەنە على ان يبتعد فيها عن مكانياته السابقة كثيرا ليصل الى بقعة أخرى ذات صفات بيئوية لا تمت الى مكانياته تلك بأية صلة أو صفة من تلك الصفات التي تتقاسمها جغرافية أعماله الفنية. قدمتها فرقة مسرح اليوم من إخراج الفنان يوسف رشيد، والفرقة القومية للتمثيل، وقدمها في مهرجان المسرح العربي المخرج الفنان فتحي زين العابدين، وقدمها في المغرب/ الرباط الفنان المغربي عبد الكبير الركاكنه، وقدمتها الفرقة القومية مرة أخرى في مهرجان المسرح الخامس في بغداد، و أعادت عرضها في مهرجان عمان للمسرح العربي وقد حصدت ثلاث جوائز من مجموع جوائز المهرجان الست.

١٩٨٦ أصدر مجموعته القصصية الأولى (كتابات تطمح ان تكون قصصا.

١٩٨٧ اخرج د.عوني كرومي مسرحية «صراخ الصمت الأخرس» في بغداد. عمان. المانيا. هولندا.. الخ..

١٩٨٩ أضاف زەنگەنە الى رصيده، من الكتب المطبوعة، الدراما الملحمية الكبيرة (كاوه دلدار) وهي كما أوضح، على غلافها، (صياغة مسرحية جديدة لأسطورة كردية قديمة) تجمع بين (ضحاك) الشخصية الأسطورية الإرهابية والدموية التي تعتاش على أمخاخ الآخرين وبين الشخصية الأكثر ملحمية في حياة الكرد «كاوه الحداد». (عبد الجبار النمر المخرج السينمائي والمسرحي والنجم الاول.

١٩٩٤ عن دار الشؤون الثقافية صدر كتابه الموسوم (مسرحيات) وضم ثلاث مسرحيات:الأولى: مسرحية الأشواك. قدمتها الفرقة القومية للتمثيل في بغداد، وشاركت في مهرجان المسرح العربي عام ١٩٨٩ من إخراج الفنانة منتهى محمد رحيم. ونالت جائزة افضل نص للموسم ١٩٨٩-١٩٩٠.

الثانية: مسرحية تكلم يا حجر. قدمت هذه المسرحية الفرقة القومية للتمثيل من إخراج الفنان وجدي العاني اشتركت في مهرجان المسرح العربي أيضا ونالت جائزة المؤلف المتميز للمهرجان الثالثة: مسرحية «العقاب». ترجم هذه المسرحية إلى اللغة الكردية الشاعر جمال غه مبار و أخرجها في اربيل الفنان فرهاد شريف.

١٩٩٩ عن دار الشؤون الثقافية، أيضا، صدرت مسرحيته (رؤيا الملك) وهي المطبوع الثاني عشر في سلسلة مطبوعاته من الروايات و المسرحيات. و رؤيا الملك عمل ملحمي استلهم مادته بخبرة ودراية كبيرتين من حكاية وردت في (ما كتبه هيرودوتس عن بروز و انهيار الإمبراطورية الميدية حوالي الألف الأول قبل الميلاد. وقد قررت كلية التربية في جامعة ديالى اعتمادها مادة علمية في موضوع تحليل النصوص الأدبية « نظرا لأهميتها الأدبية والفنية» حسب ما جاء في قرار مجلس الكلية.

٢٠٠١ اصدر كتابه الموسوم (مسرحيتان) عن دار الحرية للطباعة في بغداد. ونال جائزة الإبداع في الأدب المسرحي.

٢٠٠٢ اصدر مجموعته القصصية الثانية (الجبل والسهل) وضمت ست عشرة قصة.

٢٠٠٤ أصدر عددا من الكتب:

١-عشرة نصوص مسرحية.

٢-(الخاتم) وهي مسرحية استلهم أحداثها من الف ليلة وليلة برؤيا انسانية، طبعت في الدانمارك وأعادت طبعها في السنة نفسها وزارة الثقافة لإقليم كردستان في السليمانية.

٣- مسرحية الجنزير .

4- مسرحية صراخ الصمت الأخرس.

٥-مسرحية زلزلة تسري في عروق الصحراء.

تعاقبت على تقديم مسرحياته اكثر من أربعين فرقة مسرحية داخل العراق وخارجه وحازت مسرحياته على الجوائز الآتية :

١-(الجراد) جائزة الكتاب العراقي في المربد ١٩٧٠

٢-(السؤال) جائزة احسن نص عراقي للموسم ١٩٧٥- ١٩٧٦

٣-(في الخمس الخامس) جائزة احسن نص عراقي للموسم ١٩٧٩ -١٩٨٠

٤-(العلبة الحجرية) جائزة احسن نص عراقي للموسم ١٩٨٢ - ١٩٨٣

٥-(الأشـــواك) جائزة احسن نص عراقي للموسم ١٩٨٨ - ١٩٨٩

٦-(تكلم يا حجر) جائزة المؤلف المتميز في التأليف ١٩٨٨ - ١٩٨٩

٧-(زلزلة تسري في عروق الصحراء) جائزة لجنة المسرح الثانية ١٩٩٩

٨-(رؤيا الملك) جائزة الدولة للإبداع ١٩٩٩

٩-(شعر بلون الفجر) جائزة الدولة للابداع ٢٠٠٠

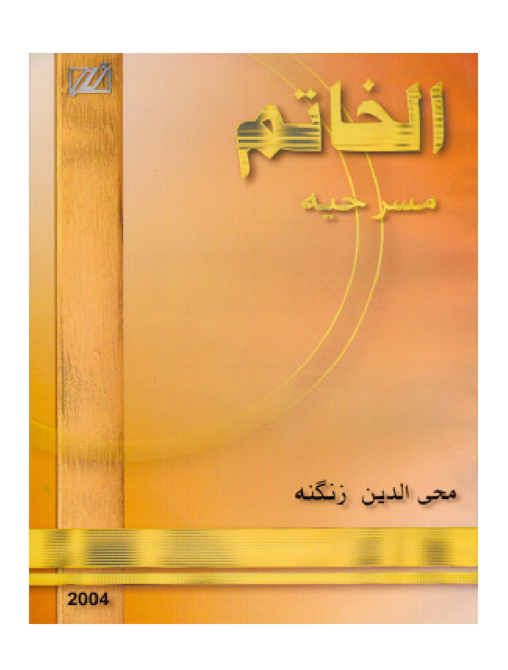
١٠-مسرحية (الخاتم) الجائزة الأولى/ مسابقة وزارة الثقافة العراقية ٢٠٠٥

وله في مجال المقالة نشاط متميز أيضا إذ بلغ مجموع مقالاته المنشورة من عام ١٩٦٨ وحتى عام ٢٠٠٥ أكثر من ستين مقالة موزعة على عدد من المجلات والصحف. وله عدة مسرحيات وروايات وقصص ما زالت غير منشورة (مخطوطة).

إن محي الدين زنكنه،قبل هذا وبعده،إنسان الصدق و الصداقة والأمانة والمحبة والوفاء والكبرياء والتواضع.

وما زال يرفد ويثري الثقافة الانسانية بانتاجه الابداعي في القصة والرواية والمسرح.





الدراما الملحمية

مسرح محي الدين زەنگەنه نموذجا



غنام محمد خضر
كلية التربية - جامعة موصل

الدرامـا الملحمية او المسـرح الملحمي هي «مذهب حديـث في المسـرح يعتـبر المضمون أهم من الشـكل، والحقيقة أهم من المجاز والإيهام المسـرحي، وأسـلوبه قصصـي وتعليمي ووسـائله تمثـل المناجاة، وخطب الجوقة، وسـرد الحوادث على لسان راو، وعدة وسائل حديثه مثل الإذاعة الصوتية وعرض صور سينمائية أثناء التمثيل» [١].

ومصطلـح (الملحمي) الذي اقترن باسـم بريخت «مشتق في اصله من أرسـطو الذي طبقه على القصة التي لا تخضع لوحده الزمن»[٢].

وعلى هذا يكون المصطلح عند بريخت هو «تتابع احداث اساسية او فرعية تسرد بدون تقييدات متكلفة في الزمان او المكان او اتصال بعقدة اساسية»[٣]. وقد استخدم بريخت مصطلح (المسرح الملحمي) عام ١٩٢٦، واطلق هذا المصطلح ايضا على عروض بيسـكاتور التجريبية، لكن بريخت يبقى منظرا لهذا المسـرح، كما اسـتعار بريخت هذا المصطلح من غيره لكي «يعارض به المسرح التقليدي القائم على قواعد غالبا أرسطية المصدر. ولقد استعيرت لفظة الملحمـة الى المجال الدرامي لتدلـل على اللقطات القصصية المسرحة، ذات الترابط الضعيف، والتي تميل الى معالجة مشـكلات القطـاع الاجتماعي العريض بدلا من مشـكلات الأفراد»[٤] إذن بريخت هو المؤسـس الاول لهذا المسـرح، وهدفه من تاسيس هذا المسرح هو التعليم والتوجيه، اذ كان بريخت ماركسـيا اشتراكيا في عقيدته ونزعتـه الثورية نحـو التغيير، الأمر الـذي جعل هذا النزوع ينعكس على أدبه المسرحي. ولعل أهم الخصائص التي يختلف بها المسـرح الملحمي عن المسرح الارسطي ما نـراه في هذا الجدول:

المسرح الدرامي	المسرح الملحمي
١. يدخل المتفرج في الحدث ويغرق فيه	* يجبر المتفرج على رؤية نفسه في مرآة الحدث
٢. يستهلك إرادة المتفرج	* يوقظها
٣. يثير في المتفرج عواطفه	* يحي عزيمته ويوقظ ذهنه
٤. ينقل له تجارب وخبرات	* ينقل له معارف وقواعد
٥. يوحي الى المتفرج بامثله	* يواجهه بمناقشات منطقية بقصد الدراسة.
٦. يقدم الحياة كما هي وبالتبعية يقدم الإنسان مجبرا على القيام بأعمال معينة ومسلم بها.	* يقدمها كما يجب ان تكون ويوضح للإنسان ما يجب ان تكون عليه الحياة وما يجب ان يقوم به لتحقيق ذلك.
٧. الإنسان غير قابل للتغيير	* الإنسان قابل للتغيير.
٨. كل مشهد مرتبط بالأخر.	* كل مشهد قائم بذاته.
٩. الأحداث تتقدم بخط مستقيم	* تجري في خطوط منحنية[٥]

يظهر لنا هذا الجدول الذي قدمه بريخت، الفروق الأساسية بين مسرحه التجريبي الملحمي التعليمي، ومسرح أرسطو. وبهذا يكون بريخت عارض المسرح الارسطي.

أن أهم ما يميز مسرح بريخت الملحمي هو ما يسمى (التغريب) يقول بريخت «تغريب حادثة او شخصية هو اخذ الواضح والمعروف والجلي في الحادثة او الشخصية وتوليد الدهشة والغرابة منه»[٦]، والمظهر الرئيس للتغريب هو هدم الحائط الرابع بين الممثل والمتفرج، وجعل مسافة بينهما، ليتمكن المتفرج من اصدار حكم بنّاء من وجهة نظر اجتماعية، وقد استخدم بريخت عددا من الوسائل الفنية لتحقيق التغريب في النص المسرحي، والرواية إحدى تلك الوسائل، إذ يتعرف المتفرج من خلالها على خلفية الاحداث، كما يصف أبعاد الشخصية وأفكارها وأحيانا يخبر المتفرج عن نهاية أحداث المسرحية، لكي يخرجه من حالة الترقب التي يعيشها، كما يعطيه الفرصة الكافية لأصدار الحكم المنطقي، أما الوسيلة الثانية التي يستخدمها بريخت لتحقيق التغريب في النص المسرحي فهي (التاريخية)، إذ يؤكد بريخت على «تاريخية الأحداث لأجل ان يتيح للجمهور فرصة الحكم على هذه الأحداث بالنظر الى بعده عنها زمنيا وبالتالي انفصاله عنها عاطفيا»[٧]، أما الوسيلة الثالثة لتحقيق التغريب في النص المسرحي فهي معارضة المسرحية بعدد من العناوين التي تعرض على الشاشات، لكي تقلل من توتر المتفرج، والوسيلة الرابعة هي القناع إذ يستخدم «ليمثل شخصيات ثانوية، او شخصيات شريرة»[٨]، اذن فالمشاهد في المسرح الملحمي يختلف عن

المشاهد في المسرح الارسطي اذ يقوم في المسرح الارسطي بالبكاء مع الباكين والضحك مع الضاحكين اما في المسرح الملحمي فهو على عكس ذلك[9].

أما الشخصيات في الدراما الملحمية فـ «ينبغي ألا تكون الشخصيات محددة وفردية او منهمكة في الحدث، بل يمكن ان تقدم نفسها الى الجمهور، فتساهم في تحقيق انفصال الجمهور عن المسرح، وهو هدف تتوخاه الدراما الملحمية»[10]، فالشخصية تبقى خارج الحدث و لا تنهمك فيه على العكس من الشخصية في الدراما الأرسطية.

وأما عن الأحداث في الدراما الملحمية، فيكون سردها على شكل قفزات وليس على شكل خط مستقيم وسلسلة الأحداث هذه هي البديل عن العقدة في الدراما الارسطية. كذلك من ملامح الدراما الملحمية أنها «تخاطب في المتفرج المعقولية لا العاطفية»[11] فبسبب البعد الذي تحدثه بين المتفرج المسرحية، تجعل المتفرج خارج دائرة المسرحية ولا يرتبط بها عاطفيا الأمر الذي يجعله يفكر بعقلانية تجاه ما يراه.

من مسرحيات (محيي الدين زنكنه) الملحمية مسرحية (حكاية صديقين)[*] التي استمد موضوعها من حادثة قديمة وقعت لصديقين دامت صداقتهما أكثر من ربع قرن، وهما تاجران يعملان في السوق، فهذان الصديقان يذهبان الى الصحراء بحثا عن الذهب والكنز، وذلك بسبب الحلم الذي زعمت أم حسين انها رأته، وينص هذا الحلم على ان أم حسين رات في المنام كنزا وذهبا في الصحراء، وقامت يتحديد المكان، الأمر الذي دفع حسين وصديقه حسن الى الذهاب للبحث عنه، ومن خلال ذهاب هاتين الشخصيتين الى الصحراء نكتشف كيف كانت العلاقة بينهما رديئة، وقد بنيت على حب المال والمصالح الشخصية، تصور المسرحية كلا من الصديقين يريد ان يوقع الضرر بصديقه، كما ترمي المسرحية الى تصوير عاقبة الخيانة، وقد تأثر (محيي الدين زنكنه) في كتابة هذه المسرحية بمسرح بريخت، اذ توافرت مجموعة من خصائص المسرح الملحمي في هذه المسرحية، وأولى هذه الخصائص هي (التغريب) والغرض من تحقيق التغريب في المسرحية، هو هدم ما يسمى بالحائط الرابع الذي يفصل بين الجمهور والممثلين، وجعل الجمهور يدرك حقيقة، أن ما يراه من أحداث لا يعدو ان يكون تمثيلا وليس حقيقة، وذلك كي يخرج الجمهور من حالة الايهام والعواطف التي كانت تسيطر عليه في المسرح الارسطى، والمسرح الارسطى «يخاطب عواطف الجماهير ويستهلك طاقاتها الكفاحية عن طريق تحقيق عاطفتي الشفقة والتطهير بينما المسرح الملحمي يجب ان يستفز المتفرج الى المشاركة الإيجابية في اصلاح العالم بالثورة وذلك بطرح الحقائق التاريخية والمعاصرة»[12].

ومن الوسائل التي تحقق (التغريب) في مسرحية (حكاية صديقين) (لمحيي الدين زنكنه)، (التاريخية) إذ ان المسرحية تتكلم عن قصة جرت لصديقين منذ زمن بعيد، وقد ادرك الجمهور تلك الحقيقة من خلال الكورس، وذلك عندما ظهر الكورس أول مرة على خشبة المسرح وقال:

«الليلة ايها الاحبة نقص عليكم، ونمثل امامكم، حوادث ووقائع جرت لصديقين»[13]

فكلمة (نقص) مأخوذة من القصة والقصص دائما تكون قديمة، كذلك كلمة (حوداث) فهي من الحادثة، والحادثة عادة تكون قد وقعت منذ زمن طويل، أما كلمة (جرت) (فجرى) فعل ماض يدل على فعل حدث قديما. أن جميع هذه الأمورٍ تدل على ان المسرحية تجسد لنا قصة قديمة وبهذا فـ «الجمهور يعي بقوة، منذ البداية، أن ما يشاهده ليس الا توضيحا لحالة تاريخية ينبغي ان تدرك لكي تغير»[14]، ووظيفته التاريخية هي أن يستفيد المتفرج منها، ويتجنب الشيء الذي يراه غير ملائم، كانما يريد المؤلف ان يقول للمتفرج او الجمهور: انظر الى هؤلاء ماذا جرى لهم

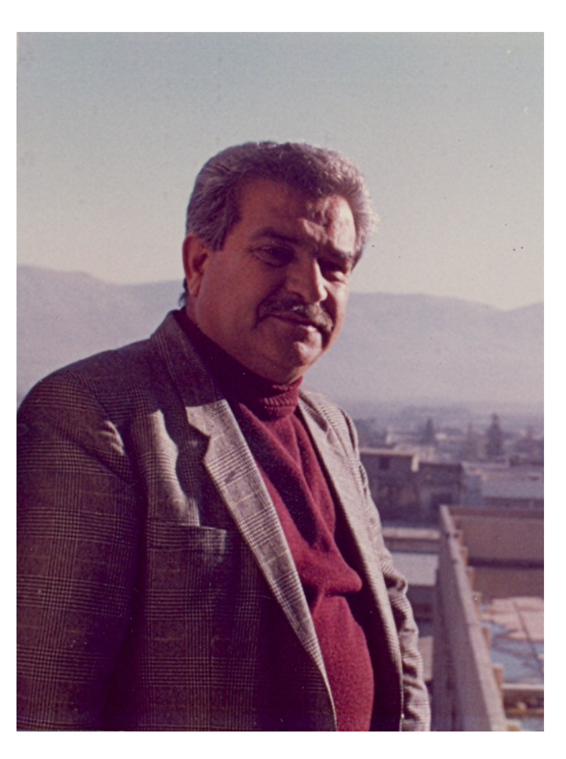
كي يأخذ منهم درسا وعبرة، وتساعد (التاريخية) على عزل المتفرج عن المسرح بهدف «مساعدة المتفرج على ممارسة التفكير النقدي، بمعنى ان يحاول الاجابة على الأسئلة التي تطرحها المسرحية وذلك بفضل المسافة بين المتفرج والعرض، وبفضل ما تقدمه المسرحية من حقائق عينية»[15]، فعلى هذا يكون استخدام (التاريخية) نوعا من الاغتراب من أجل الاقتراب - أما ثاني الوسائل المساعدة على تحقيق التغريب فهي (الرواية) أو (السرد)، الذي يقوم به (الكورس) او (الراوي) حيث نلحظ الكورس منذ البداية يخاطب الجمهور:

الكورس مخاطبا الجمهور: الليلة ايها الأحبة نقص عليكم، ونمثل أمامكم، حوادث ووقائع جرت لصديقين حميمين[16].

فنلاحظ هنا - ومنذ بداية المسرحية - أن الكورس يبدأ بسرد او رواية أحداث للجمهور، وهذه الرواية التي تاتي عن طريق الكورس تقوم بهدم الحائط الرابع وكسر الايهام لدى الجمهور، اذ نرى أن الكورس المتألف من أربع شخصيات، يقوم باخبار الجمهور بأنه سيمثل أمامه (نمثل أمامكم)، وبهذا يكون الجمهور على وعي بأن ما يراه هو تمثيل وليس حقيقة، كما نتعرف عن طريق الرواية التي يقوم بها الكورس على تفاصيل دقيقة عن المسرحية، وأحداثها، ونهايتها، وعن الشخصيات وعملها وأفكارها، لكي يعطي للمتفرج الوقت الكافي لإصدار الحكم، بدلا من الاندماج في المسرحية، فالكورس يتعمد في رواية الأحداث، أن يتجه الى الجمهور ويخاطبه، او يستفزه ببعض الأسئلة التي يطرحها كي يجعل المتفرج يفكر بعقله فيما يراه.

«الكورس مجتمعا. الثروة أيها السادة ولا نحسبكم تجهلون كرة.. كرة جليدية يدحرجها شيطان الجشع فوق أرض مملوجة مغطاة بالثلج المندوف تكبر وتكبر.. تمضغ لحم المسافات وتكبر.. تقضم عظام البشر حولها وتكبر.. تبتلع الأمكنة.. تمتص الأزمنة.. وتكبر.. وتفترس من تصادف تقتلع ما تلقى و.. تكبر.. وتظل تكبر.. وتكبر»[17].

فالكورس في هذا المقطع شرع يتكلم مع الجمهور محطما الحواجز جميعها التي بينهما، حتى قام باشراك الجمهور في وقائع المسرحية، وذلك عن طريق طرح مشكلة او قضية المسرحية بطريقة أشبه ما تكون بالسؤال، حتى يجعل المتفرج يفكر بعقلانية في علاقة الثروة بالمسرحية والصديقين فالكورس قام بسرد الأحداث او الرواية بأسلوب مباشر مع الجمهور، ليجعله يشاركه فيما يخص وقائع



المسرحية وعن طريق الرواية، أو السرد الذي يقوم به الكورس، يعرف الجمهور نهاية الصديقين، وبذلك يكون لدى الجمهور الوقت الكافي لإصدار الحكم، فالكورس ينقسم على مجموعتين، تقول كل مجموعة كلاما مكملا لكلام المجموعة الاخرى، كما نلحظ كلام

المجموعتين ياتي مكملا الكورس، وكانما الكورس يظل مستمرا في سرد الأحداث فالكلام هنا مكمل لكلام الكورس الذي جاء قبله.

«الرجل الأول والثاني: وتتفلش.. لا بد ان تتفلش.. ذلك هو قانون الأشياء.. لا شيء خالد.. لا شيء باق.. كل الأشياء تتبدل كل الأشياء تتغير.. تلك صفة الحياة.

المرأة والكهل: ولكنها قبلما تنفلش.. تركل من تركل.. تدوس من تدوس (صمت ثم بايقاع خاص) ثم تسحق من تسحق.

الرجل الأول والرجل الثاني: (نحن من سحقتنا تلك الكرة الشيطانية.. (كلتنا أولا فلم نرعو.. دراستنا ولكنا نهضنا ولم نبال ثم عادت وسحقتنا)»[18].

فعلى الرغم من انشطار الكورس على قسمين، يظل يؤدي دوره ووظيفته في سرد الأحداث وروايتها، فمن خلال هذا المقطع نقول ان المتفرج اصبح على علم بنهاية المسرحية فالكرة هي رمز للطمع والجشع، وعندما تسحق هذه الكرة الصديقين، معنى ذلك أن النهاية جاءت ماساوية، بسبب الطمع. كما نرى أن الاحداث التي تأتي على لسان الكورس تدور في الزمن الحاضر، أما الأحداث التي تأتي من خلال المشهد السينمائي فتأخذ الزمن الماضي، «وما هذا الأنشطار البنائي الا لتحقيق التغريب والحيلولة دون اندماج القارئ بالقضية او الفكرة المطروحة في المسرحية، بل يدعوه للتفكير فيها وهو متيقظ الفكر»[19]. وبهذا تكون المسرحية قد قللت من حدة التوتر عند المتفرج لأن المتفرج على علم بمصير الصديقين في الصحراء.

ويظل الكورس يعطي توضيحا للجمهور عن تفاصيل احداث المسرحية ليستمر في تغريب هذه الأحداث.

«يتفرق الكورس كل واحد بمفرده

حسين: «اشارة ادانة الى المرأة»: وأمي هذه هي الغولة التي دحرجت الكرة فوق عظامي وهرستني

حسن: «إشارة ادانة الى الكهل»، وأبي هذا هو الشيطان الذي داسني بكرته الجهنمية وسحقتني...»[20].

وبعد ان شرع الجمهور يفكر فيمن دفع هذين الصديقين الى التهلكة، جاءت الإشارة عن طريق رواية الأحداث، فبدأ الصديقان يكشفان للجمهور عن الذي قام بدفعهما الى تلك التهلكة والمشقة، ومن خلال هذه الرواية أراد المؤلف التركيز على التغريب في هذا النص، كي «يرغم الجمهور على التجاوب العقلاني للفعل المسرحي ومناقشته بدلا من تجاوبه العاطفي له وتقبله»[21].

الكورس: (مجتمعا بتزامن مدروس مع حركة الرجلين).

ورحل الرجلان التاجران الصديقان الصدوقان.
سارا على بركة الله.. وبركة الوالدين
متعاهدين على تحمل الحلو والمر.
واقتسام النفع والضر.
سارا.. لا.. لكي يعودا بسر الحياة والخلود
كما سار.. جداهما كلكامش وانكيدو من قبل
سارا.. لا لكي يتوغلا في عمق الغابة المسحورة
ويقتلا الوحش الشرير خمبابا.. مثلما.. فعل جداهما من قبل.

وإنما توغلا في الصحراء.. الى عمق الصحراء الى قلب الصحراء.. الى مجاهل الصحراء
عميقا.. عميقا.. عميقا
ليطعم كل منهما، معا، او على انفراد
خمباباه الساكن في جوفه
المزيد والمزيد من ذهب الصحراء.. من رمال الصحراء «لينسحب الكورس»[22].

فالكورس يبين للمتفرج دوافع رحلة الصديقين الى الصحراء.. بذلك يكون أيضا قد اعطى تفاصيل

اخـرى للمتفرج عـن أحداث المسـرحية، الأمر الذي يجعل المتفرج يعيـش حالة من الانحراف عن النص، فيبقـى بعيـدا عنه عاطفيـا، غير مندمـج في عالم الشـخصيات، لأن اندمـاج المتفرج هـذا يجعله ينظر الى المسـرحية نظـرة عاطفيـة علـى وفق مـا تراه الشـخصية، أما انفصال المتفـرج فيولد حالة إيجابية من الحكم.

وفي الوقت نفسـه نلحظ ان الكورس يقوم ثانية بتوجيه الحديث الى الجمهور، ساردا أخبار عن (حسن وحسين) وواصفا حالهما التي اصبحوا عليها:

«الكورس للجمهور:

انظروا.. تأملوا

انهما هما.. حسـن وحسـين التاجـران الاليفا ن الودودان المطيعان الأخوان المثاليان

يـا الله لكم تغيرا مظهـرا وجوهرا في غضون أيام قلائل حسب حتى باتا كانهما ليس هما.

انهما ديكان على النفاية يتقاتلان؟ من أجل

حبة قمح مقيوءة من معدة مريضة يتذابحان؟

ابوسعكما التعرف عليهما؟

أننا نكاد ننكر انهما هما!

شاهدوا.. تاملوا.. فكروا

المشهد السينمي

(يشتد بينهما العراك، يتهالك كل منها على جانب. يرتمي، يلهث يتوسل يستنجد»[٢٣].

كما نلحظ الكورس يدخل بين حين وأخر بين المشاهد السينمائية ويقوم بتوضيحها للمشاهد، الأمر الذي يدفع المتفـرج الى الخروج من حالة الاندماج التي نهى عنها بريخت، والى مناقشة ما يجرى في المسرحية ثم ينتقل الكورس من سـرد أشياء تخص الأولاد الى أشياء تخص الاباء:

«الكورس:

ما فرط آب بابنه

ولا أم بوليدها قط

مثلما فرط هذان الابوان بولديهما

مارااينا

ولا قرانا

ولا سمعنا

كمثل هذا التفريط تفريطا

فيا ويح الولدين من ابوين يعبدان الذهب

يا ويح الوالدين من ولدين يعشقان الذهب

يا ويح.. يا ويل الإنسان الزمان المكان

من الذهب

الذهب.. الذهب.. الذهب

[الكورس ينسحب مخلفا وراءه صدى صوته]

شاهدوا.. شاهدوا.. شاهدوا

فما زال ثمة الكثير.. ما يزال ثمة الكثير

الكثير.. الكثير.. الكثير وما خفي افضع.. وما بقي ابشع»[٢٤].

ان الكـورس اوضح هنا سـبب الهـلاك وهو حب الذهب وعشـقه كما نفهم ان دافع رحله الرجلين هو زعم والدة (حسين) انها شاهدت في المنام حلما مضمونه انها رأت كنـزا من الذهب في الصحـراء وبدات تحدد المكان لـ(حسـين) وصديقه (حسـن) وشجعتهما على الذهاب :

«الأم: ولدي حسـين.. يا اغلى على نفسـي.. من نفسـي يا أقرب من عينـي الى عيني.. يـا اعز على روحي من روحي ليلة امس غزتني رؤيا.

حسين: خير. ان شاء الله.. خير

الأم : عثرت على نفسـي بعد طول تيه وعذاب وضياع.. في مكان أشـبه بالمتاهة وما هي المتاهة أشبه بالبحر وما هو بالبحر أشـبه بالغابة وما هي بالغابة. اغرف سائلا.. بغربال أشبه بالماء..»[٢٥].

بعد هذا الجدل القصير بين (الأم) و (حسين) يقرر (حسـن وحسين) الذهاب الى الصحراء بحثا عن الكنز، بعدها ينقسم الكورس الى قسمين: (الأب والأم)، الى جانب (حسـن وحسـين) ويبدأ الوالدان باعطـاء النصائح لولديهما :

«الأب والأم: وإذ تفارقاننا الى عود قريب باذن الله

خذا أخر نصائحنا.. مناجاة تقيكما من كل شر حصنا يحميكما من كل غدر.

حســن وحســين: كلنا آذان مصغية... كلنا روح خاشعة راضية مرضية

الأب والأم: حاذرا الدنو من المدن المســكونة تجنبا الاقــتراب من القرى الماهولة صادقا الحيوان.. واحذرا الإنســان الناس ذئاب في جلود بشر لصوص في ثياب قديسين

حسن وحسين: سمعا وطاعة. سمعا وطاعة

الأب والأم: ومن الطعا م والشــراب.. لا تحملا مالذ وطــاب. وإنما ما خف وأفاد.. فلا تكونا موضع شــك وارتياب»[٢٦].

وفي ختــام النصائــح التــي يقدمهــا الأبــوان يعــرف الجمهــور أن الحلــم الــذي روتــه (أم حســين) هو مجــرد ذريعة حتــى يتخلص (الأب والأم) مــن الولدين، هنا تصبح المســرحية او الســرد الذي قام به الكورس للأحداث على شــكل ســؤال: ما الــذي دفع (الوالدين) الى تدبير هــذه المكيدة للأولاد، هــل لكي يكشــف عن نــوع العلاقة التــي بينهما ولا ســيما انهما قطعا على نفســيهما عهدا بأن يكون كل منهمــا درعا للأخر، أم لغرض اخر في نفس الوالدين، إذن نســتطيع ان نقــول ان روايــة الأحــداث في هذه المســرحية جعلت «المتفرج راصدا متعقبا متسائلا لا متفرجا مندمجا فيما يجري على المسرح فتوقظ فيه حيويته وفعاليتــه، بدلا من اســتنفاذ هذه الحيوية والفعالية»[٢٧]. أما الوسيلة الثالثة من وسائل التغريب في النص المسرحي، فهي المشاهد السينمائية.

«في عمق المسرح، تنزل ســتارة بيضاء.. تستخدم كشاشــة عرض مشهد ســينمي قصير حسن وحسين يتوغلان في الصحراء..»[٢٨].

أن هذا المشهد السينمائي يضعف في اندماج المتفرجين في وقائع المسرحية، ويمنع الايهام من السيطرة عليهم، كما يوفر لهم القدرة على الحكم بطريقة منطقية، لأن المتفرج من خلال هذه المشاهد يغدو على يقين بأن ما يراه هو تمثيل وليس واقعا، وبذلك يكون المتفرج منفصلا عن عالم المسرحية، غير مندمج فيه. فالمشهد بهذه الطريقة ادى وظيفة تغريبية، بوساطة المشهد السينمائي، نلحظ ان الصديقين لم يلتزما بالعهد الذي قطعاه على نفسيهما امام والديهما، إذ رأينا كلا منهما يخفي زمزميته عن الآخر:

«حســين: لم يدر الحمار اني.. إنمــا دفنت أغلى كنــز امتلكته طيلة حياتي (يســتخرج زمزميته من بين الرمال يمســح عنها الرمال يشــرب)، انها رحمة من السماء قد هبطت علي، في الوقت المناسب في الوقت المناســب تماما كنت اختنق مــن العطش لا محالة، لو مكثت عنده بضع دقائق اخرى (يشرب ثانية) الحمد لله.. لك الحمد يا رب.

حســن: الحمار.. انطلت عليه الخدعة بســاطة.. صــدق ان كتلة الصخر التي رميتهــا هي الزمزمية.. ســعيد مــن يختــار أصدقاءه مــن الاغبيــاء (يرمق زمزميته بوله.. يحتضنها.. بشوق.

حسين: من حسن حظ المرء ان يكون صديقه بهذا القدر من الســذاجة والبلاده ليصدق بهذه الســهولة اني تركت العجوزين يسرقان مني زمزميتي الحبيبة (يقبلها)»[٢٩].

نــرى هنــا أن علاقــة الصديقــين كانــت علاقــة نفعيــة مبنيــة علــى المصالح، وهــذا الأمر يأتــي أثــرا مــن أثــار البيئة التــي عاشــها الاثنان، لأننــا – كمــا عرفنــا – انهمــا تاجــران منــذ ربع قــرن، كذلــك رباهمــا والدهمــا علــى حــب المــال والجشــع، حتــى صــارا علــى هــذا القــدر مــن الانانية.

وصورت لنا المســرحية انهما بالمســتوى نفسه من الانانية فكلاهما في سلوكهما في غاية الشبه، وذلك من خلال ما شاهدناه في المشهد السينمائي.

وبعد رحلــة طويلة في الصحــراء، وبعد الحوادث التــي صاحبت تلك الرحلة، يصــل الاثنان الى مرحلة

من الياس، والندم لقيامهما بهذه الرحلة:

«حسين: (يستسلم له) آه.. آه ما كان ينبغي لنا ان نعرض أنفسنا لهذه التهلكة

حســن: من يعرف الغيب.. من يعرف ما تخبئه الأقدار

حســين: لقد كنا في احســن حال. ثروة.. جاه.. مكانة.. يحسدنا عليها الملوك.

حسن: خفف عنك يا، يا أخي.. خفف عنك.

حســين: (يتأمل) أنظر.. ماذا فعل بنا جشعنا.. لقد احالنا الى جروين منبوذين محتضرين.. لا يجدان جحرا يأويــان إليه يقيهما غضب الصحراء وعواصفها الهوج آه قاتل الله الجشع. قاتل الله الجشع»[٣٠].

لقد بدا الصديقان يلومان نفسيهما على ما فعلاه، وردا الســبب الى الطمع والجشع اللذين سيطر عليهما، فالانســان العاقل لا يفعل ذلك، فالكاتب أراد ان يكشف عن علاقة الطبقة البرجوازية بالمال، فعلى الرغم من أن أفراد هذه الطبقة اغنياء، يظل هؤلاء يجرون وراء المــال ولو كلفهم ذلك حياتهم. وهذا يقودنا الى القول: أن الصديقين لا يمثلان نفسيهما وانما يمثلان طبقة من طبقــات المجتمع هي الطبقة البرجوازية، وهذا ما تتوخاه الدراما الملحمية حيث تكون الشخصيات رموزا لفئــات او طبقات من المجتمع. كما تكون الشــخصية منفصلــة عن الممثــل فلا يتقمص الــدور الذي يقوم بــه، فقــد اراد بريخت مــن الممثلين ان يســتخدموا «ضمــير الغائب المتكلم، فالممثل الــذي كان يؤدي دور باول يقول ثم سالهم باول، وبذلك يستطيع الممثل ان يتجنب تقمص الشخصية»[٣١] لقد تجلى في (مسرحية حكاية صديقين، تأثــر الكاتب (محيي الدين زنكنه) بالأســلوب الملحمي فعبارة (ورحــل الرجلان)[٣٢] على ســبيل المثال، تدل علــى ان الحديث الــذي يقوم به الكورس هو عن أشــخاص غيرهم وليس عن انفسهم، بعد هذا عمد الكاتب من خلال الشخصيات الى الكشف عن الســؤال الذي ســيطر على المتفرجــين في بداية المســرحية والاجابة عليه هو دفع الوالدين الى تدبير مكيدة لولديهما اذ ادركا (حسن وحسين) السبب الذي دفع أم حسين الى تدبير حيلة الحلم:

«حســين: ... من؟ من يمكن ان يفعــل بنا هذه الفعلة الفظيعة

حسن: ... لو قلت لك كما صدقت

حســين: قــل ارجوك قــل.. فبقدر مــا تحمله الصحراء ان لا تصدق بشيء.. يحملك باسك ان تصدق بكل شيء.. فقل لي؟ من؟

حسن: أمك

حسين: (مصعوقا يصرخ برعب) أمي؟

حسن: وابي ايضا»[٣٣].

فبعد ان فتشا الصحراء شبرا شبرا، ولم يجدا اثرا للذهب، ادرك (حسن) ان قضية الحلم انما هي مكيدة مدبرة لهما، وأن الذي قام بهذه الفعلة (الأب والأم) فعندما كشف

(حسن) عن ذلك فوجئ وصعق ولم يصدق في بادئ الأمر، لكن (حسن) اوضح له نصائح ابويهما، وامعن الاثنان النظر فيها فوجدا ان الامر مكيدة، لكن (حسين) اراد ان عرف السبب الحقيقي:

«حســين: ولكن لماذا؟ صدقني أن مــا بات يدمي فؤادي أكثر من فعلهما.. هو هذا الســؤال المريع.. لماذا؟ لماذا فعلا بنا ما فعلا؟ لقد كنا دائما طوع امرهما حققنا لهما كل رغباتهما حتى اشدها تطرفا وشذوذا.

حسن: (بعمق) عدا واحدة (صمت ثقيل) الزواج

حسين: الزواج

حســن: زواجهمــا الــذي انهكهما الجــري وراءه.. مثــل كلبين في يــوم قائظ لقــد وقفنــا كلانا ضده وباصرار»[٣٤].

لقد ادرك (حسين) السبب الحقيقي الذي كان وراء الحلم، وهذا يثبت انانية الأباء والامهات الذين يدفعون باولادهم الى الموت في سبيل مصالحهم الشخصية وعلى الرغم من أن الصديقين عرفا تلك الحقيقة لكنهما لم يتساعدا من اجل النجاة، بل العكس زاد طمعهما، فكل واحد منهما شــرع يطلب النجاة بمفرده كي يسيطر

على الثروة جميعها:

«حســين: عليّ ان اســرع الى احضان أمي الحنون ابارك لها زواجها من ذلك الرجل الطيب الذي ستؤول اليه بالضرورة ثروة ابنه بعدما يقتله العطش وتتولى امره الصحراء وتخفي عضامه وآثاره. واغدو انا ابنهما الوحيد وهما عجوزان طاعنان في الســن وعلى اعتاب الموت.. ولا وارث لهما ســواي (يزحف عنه متبعدا عن الصبير محاذرا ان ينتبه إليه صاحبه).

حســن: أول ما افعله ســاهنئ أبي من زواجه من تلك السيدة الفاضلة ذات الثروة الطائلة واعود خاتما في اصبعهما لا سيما وانهما لم يعد لهما من ولد غيري.. وما اسرع ما ارث شرعا وقانونا كل الثروة الهائلة التي تضخمــت الى ابعد حد جــراء دمج الثروتين (يزحف متجها عكس اتجاه صاحبه)»[٣٥].

وتلك اشــارة اخرى الى جشــع الصديقين وســوء تفكيرهم إذ نلحظ حبهما للمال دفعهما الى هذه الخيانة التي ادت بهما الى التهلكة والضياع داخل الصحراء:

«[لفــترة يواصل واحــد منهما زحفــة الثعباني بعكــس وجهة صديقــه اذ يطمئن بأنــه قد نجا من صاحبه ينهض محتضنا الزمزمية يركض باقصى ما يستطيع يبدوان كنقطتين سوداويين وسط الصحراء التي افترشــتها اشعة الشمس الفضية يخرج كل واحد منهما من احد جانبي المسرح]»[٣٦].

وهكذا انتهى المشــهد الســينمائي بتلــك الأحداث التــي تدل على الضياع، ضياع الصديقين وهلاكهما في الصحراء بســبب المال والجشع بعد ذلك يعود الكورس الى الظهور والحوار مع الجمهور مستخدما تقينة اخرى من تقنيات المســرح الملحمي وهي اســتخدام القناع اذ يخــرج أفراد الكورس وهم يرتدون أقنعة تمثل عامة الشعب:

«[خــلال ذلك وبتزامن مــدروس يظهر الكورس واضعــين هذه المرة على وجوههــم أقنعة تمثل فئات متباينة من الناس]

فيبداء الكورس بمخاطبة الجمهور

الكورس: بصوت جماعي

هكذا تفبرك الأحلام هكذا هكذا والا فلا. لا

تغزل وتحــاك الأحلام... بحذق ومهــارة وأحكام تقود الانام

ممرغة انوفهم بالرغام

الى ما يراد الى حيث يرام

صوت منفرد خارج الكورس

أي حذق أي مهارة أي احكام

انــه حلم مصنوع مكشــوف مفضــوح مثل كتاب مفتوح

يقرأه الجاهل الجهول قبل العالم العليم»[٣٧].

إن هذا القناع ليس الا وسيلة تغرببية، «يستخدم ليمثل شــخصيات ثانوية او شــخصيات شريرة، وهو جزء مكمل للمســرحية، ويعمل مستقلا عن العناصر الأخرى، ويعلق على بعض الأحداث»[٣٨].

وهكــذا اســتخدم الكورس القناع هنــا ليدل على مجموعــة مــن الناس قامــوا بالتعليق علــى أحداث المسرحية. واستخلاص العبر منها.

وبعد فمسرحية (حكاية صديقين)، صورت لنا مخاطر وســلبيات البحث عن المال والانشــداد اليه وحبه حبا عنيفا، والتضحية بكل القيم الاخلاقية النبيلة مــن اجله، وجاء هــذا التصوير عن طريق شــخصيتين هما (حسن وحســين)، كما صورت لنا المسرحية حب الذات والمصلحة الشخصية اذ لاحظنا ان الوالديــن دفعــا بولديهما الى التهلكة في ســبيل تحقيــق رغباتهما الدنيويــة، والكاتب عرضت تلك الصور عن طريق الدراما الملحمية مســتخدما بذلك عنصــر التغريب. وبهــذا فهو يريــد ان يجعل من الجمهور مدركا المغزى العام من المســرحية ليكسب منها الدروس والعبر.

الهوامش

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان (١٩٧٩) : ١٩٧.

(٢) مسرحة المسرح، رياض موسى سكران، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ٢٠٠١ : ١٧.

(٣) الدراما التجريبية في مصر ١٩٦٠ – ١٩٧٠ والتأثير الغربي عليها : ٦٧.

(٤) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية : ١٥٥ – ١٥٦.

(٥) نظرات في فن التمثيل، د. عقيل مهدي يوسف، المكتبة الوطنية ببغداد (١٩٨٨) : ٢٠٠ /. وينظر الارجانون الصغير – نظرية، برتولد برنخت في المسرح الملحمي : برتولد برنخت ت فاروق عبد الوهاب /مركز الشارقة للابداع الفكري : ١٣ – ١٤-١٥ وينظر / التيارات المسرحية المعاصرة: ١٦٨ – ١٦٩ .

(٦) نقلا عن : الدراما التجريبية في مصر ١٩٦٠ – ١٩٧٠ والتأثير الغربي عليها : ٦٩.

(٧) الدراما التجريبية في مصر ١٩٦٠ – ١٩٧٠ والتأثير الغربي عليها : ٦٩.

(٨) م. ن : ٧٠

(٩) ينظر : نظرية المسرح الملحمي : برتولد بريخت، ت : جميل انصيف : ٨٨-٨٩.

(١٠) الدراما الملحمية في مصر ١٩٦٠ – ١٩٧٠، حياة جاسم محمد، مجلة (عالم الفكر) مج ١٥٦ ع (١٩٨٤) : ٨٣.

(١١) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية : ١٥٦.

(*) نشرت هذه المسرحية في مجلة الاقلام، ع، ١٩٨٧ ثم اعيد نشرها ضمن كتاب (عشرة نصوص مسرحية)

(١٢) نظرات في فن التمثيل : ٢٠٠.

(١٣) عشرة نصوص مسرحية : ٣٠١.

(١٤) الدراما التجريبية في مصر ١٩٦٠ – ١٩٧٠ والتأثير الغربي عليها : ٧٦.

(١٥) الاغتراب في المسرح المعاصر من خلال مسرح برتولد برنخت، منى ابو سنة، عالم الفكر (١٩٧٩)، مج، ع| : ١٥٤.

(١٦)عشرة نصوص مسرحية : ٣٠١.

(١٧) م.ن : ٣٠٣.

(١٨) عشرة نصوص مسرحية : ٣٠٣.

(١٩) سردية النص المسرحي العربي : ١٦٩.

(٢٠) عشرة نصوص مسرحية : ٣٠٣ – ٣٠٤.

(٢١) الدراما في القرن العشرين، بامبر جاسكوين، ت : محمد فتي، دار الكتاب العربي – القاهرة : ١٤٨.

(٢٢) عشرة نصوص مسرحية : ٣١٦ – ٣١٧.

(٢٣) م.ن : ٣١٧ – ٣١٨.

(٢٤)عشرة نصوص مسرحية : ٣١٨ – ٣١٩.

(٢٥) عشرة نصوص مسرحية : ٣٠٤ – ٣٠٥.

(٢٦) م.ن : ٣١٤ – ٣١٥.

(٢٧) نظرات في فن التمثيل : ٢٠٢.

(٢٨) عشرة نصوص مسرحية : ٣١٦.

(٢٩) م.ن : ٣٣٧.

(٣٠)عشرة نصوص مسرحية : ٣٥٧.

(٣١) اشكالية التغريب وأسلوب التمثيل في المسر ح الملحمي، رياض موسى سكران، الموقف الثقافي، ع ٢٤، ١٩٩٩ : ٧٥.

(٣٢) عشرة نصوص مسرحية : ٣١٦.

(٣٣) عشرة نصوص مسرحية : ٣٥٨.

(٣٤) م.ن : ٣٦٠.

(٣٥)عشرة نصوص مسرحية : ٣٣٨٠ - ٣٨١.

(٣٦) م ن : ٣٨١.

(٣٧)عشرة نصوص مسرحية : ٣٨١.

(٣٨) الاغتراب والتغريب في مسرحيات الغريد فرج : وجدان توفيق الخشاب، اطروحة دكتوراه، كلية التربية جامعة الموصل، ٢٠٠٤ : ٣٢.

مسرحيات مفخخة

حين يكون الكاتب المبدع اداة مجابهة

محي الدين زەنگەنه

في مسرحية «زمرة الاقتحام» نموذجا



تحسين گەرميانی

فيما يشبه التقديم

فيما يشبه التقديم: يمتلك الكاتب المسرحي والروائي الكردي البارز (محي الدين زنكنة) الكثير من مقومات الشخصيّة الأنموذج،مما يمكن الاستعانة بها لتجسيد دور البطل في أي نص مسرحي ثوري يواكب الواقع ويعطيه زخماً حياتياً دافعاً،ليس قولنا هذا من باب التملق أو التجميل والمزايدات الثقافية الشائعة في ثقافتنا الحالية،فالدارس لإبداع هذا الإنسان لابد أن تستوقفه جملة خصائص هي هرم الرجال الأبطال،فهو متواضع يمكن الانتباه لهذه الخصلة من خلال عدم لهاثه وراء الأضواء، أو الترويج لما أسس من مكانة مسرحية نالت الإعجاب وحصدت جوائز الإبداع والتقدير في معظم المهرجانات المسرحية،وهو شجاع،لم يهادن أو يتزلف في تسويق أفكاره،كتب ما أراد كتابته،في أحلك الظروف التي مر بها المثقف العراقي ظل ينشر علناً أو تحت أسم مستعار ما وجده سلّماً للارتقاء بالمسرح النبيل والأَصيل والهادف في زمن ساد المهرجون المسارح وراحوا يروجون لثقافة التجهيل والعنف عبر التهريج والرقص على حساب قداسة الكلمة التي كانت البدء كما تؤكد ملحمة (كلكامش)، في مسرحياته،زاوج التراث المطموس بالواقع (المعلوس)، دافع عن الإنسان المهضوم والباحث عن الحقيقة،عبر توليفة توازنت فيها الكوميديا السوداء بالدراما،ومرر فلسفته حول ما يجري على أرض الواقع بلغة مرنة حافظت على إيقاع النص وفعّلته لخدمة الغرض،ليس ما نبغيه دراسة شخصية الكاتب أو الخوض في محيطات أفكاره،قدر تعلق الموضوع بتلك الومضة الساحرة لشخصية(محي الدين زنكنه) التي تلهب حماس أصحاب النظرات العميقة وتشغل مخيلتهم لتتويجه بطلاً جاهزاً لخدمة أي نص قابل التجسيد- قبل التشكل،لقد وجده الكاتب المسرحي والناقد (صباح الأنباري) شخصية تستحق الخلود لما تطوي من مقومات التكامل والتوازن في الصفات ما بين كتاباته وبين شخصيته الثقافية واللمحات الإنسانية التي تسكنه،تمكن رغم ضبابية المناخ وحراس السلطة المتأهبين لكل بادرة

أن يجسّده بطلاً في نصّين من نصوصه ونالت إحداهما جائزة قديرة لما طوت من براعة في الصياغة وجرأة في الطرح وتجديد في الأسلوب،كانت المسرحية (زمرة الاقتحام) التي نحن بصدد تشريحها وفق ميزان الواقع لا موازين التنظيرات السفسطائية والتي راكمتها أقلام غير واعية أو مسؤولة وأغرقت سفينة الثقافة الحيّة في برك الحداثة المزعومة،لم تكن سوى اللعب الحر بالكلمات واستعراض غير موفق للعضلات،أمّا النص الملحمي الآخر (ليلة انفلاق الزمن) فأرجو أن نتمكن من الكتابة عنه في وقت لاحق كونه يتطلب جهداً ووقتاً حافلاً بالأمان وتحسن فولتية الكهرباء،وربما يجد من قرأ مسرحية(من أجل صورة زفاف) التي نشرتها جريدة التآخي (أبعاد ثقافية) العدد ـ ١٢٩ ـ ٢٠٠٦/٣/٣٠،العدد الخاص باليوم العالمي للمسرح،يجد أن كاتب هذا المقال استهوته شخصية (زنكنة) مع (صباح الأنباري) وتمكن من تجسيدهما بطلين لمسرحيته..

***

تشريح مسرحية (زمرة الاقتحام) لصباح الأنباري

رغم يقظة الرقباء تمكن المسرح العراقي أن ينأى من مثلبة الانزلاق إلى برك التأويل المضاد على أيدي صنّاع مهرة ظلوا في قلب المشهد الحياتي الساخن دون اللجوء إلى مسميات أو أساليب قد تكون وبالاً على رؤاهم من جهة ومن جهة ثانية تضيع من بين أيديهم فرص الارتقاء ومجابهة الواقع عن قرب،طالما أهلوا أنفسهم محاربون ثقافيون،ومن النصوص المسرحية التي عبرت حواجز الرقباء (زمرة الاقتحام)../لصباح الأنباري/.. والتي حازت على جائزة مجلة الأقلام للعام ـ١٩٩٣ ـ ونشرتها في العدد ـ١٠ / ١١ ـ ١٩٩٤.في هذا النص المسرحي، يحاول الكاتب أن يرسم لنا مشهداً واقعياً يعادل لما يجري عياناً،فالشخصية المركزية ـ بروفيسور ـ يبغي تحويل الدمى إلى بيادق تتحرك وتأتمر بأمره،قبل أن تتنامى أطماعه وتتشظى ليكون القطب الأوحد،ومن خلال تجارب علمية هي من بنات خياله العليل يخضع ـ الدكتور جيم ـ لعملية تحويل ملامحه لصالح دمية بعد جملة تجارب فاشلة بلغت (١٠٣).. تجربة وهذا دليل مادي على عناد أصحاب النزعات التدميرية وعدم احتكامهم للعقل أو العدول عن رغباتهم والاعتراف بفشلهم القيادي والسياسي، يريد (البروفيسور) إخضاع مدينة لنفوذه كخطوة أولى باتجاه العالم بأسره،فهو يبحث عن (زمرة كاملة) تتمكن بـ(خمس دقائق).. تحقيق حلمه،يريد رؤوس تحمل أفكاره ولا تتحرك إلاّ بإيحاء من خياله،لا يتورعون من ارتكاب أيما عمل يقربه من حلمه،لا يمانع من استخدام كافة السبل والوسائل الكفيلة حتى لو تطلب الأمر اللجوء إلى (سلاح التدمير الخلوي ـ السلاح الشعاعي ـ السلاح الفوتوني).. يمرر الكاتب جملاً صريحة لا تقترح تحريك الذهن واستنفاره لتأويلها،فهو يدرك أن الإنسان (كتلة مادية خلوية تؤثر وتتأثر بجميع العوامل المحيطة) لكنه يجهر برغبته ويريده كائناً (يؤثر ولا يتأثر بالعوامل المحيطة).. يريده إنساناً خاضعاً مجرداً من صفاته البشرية مادام أختار الدمى جنداً يحركهم كيفما يقترح مزاجه،هذا النص هو عبارة عن واقع حال كل دكتاتور يناضل من أجل تجيير كل شيء لصالحه،وهي إشارة لتوحيد وتسيس الرؤوس بعد تفريغها من مبادئها الفطرية،كي يكون الفرد محصناً من فايروسات ما يجري خارج حدود مملكته،ولا يشكل موت ـ الدمية جيم ـ هاجساً أو إرهاصة لديه مادام يصرح (بقرص التحكم الذاتي الذي زرعته في دماغه).. أن ما يهمه فهو تنفيذ ما يركبه من طيش ولابد من تضحيات وأن كانت جسيمة،وهو لم يبال بأحد ولا يريد من كائن أن يبدي رأياً،بعد نجاحه في ترفيق الطبقات الدنيا يريد أن يحقن تجربته في (إنسان القرن العشرين) الإنسان الواعي والمثقف،الإنسان الذي ترك الثورات والنوم في المزاغل والكهوف من أجل تحرير بلاده، (أقرها وأعترف بصلاحيتها لتجربتنا).. ينبذ فكرة الاستعانة بالأشباح لحقن مبادئه وإنتاج زمر مؤهلة أن تموت من أجله،يريد كائنات مادية تتعذب وتتلوى بين يديه،تنزف حد الانسلاخ من جلده البشري، وما يفه به معاونه ما هو

إلاّ درس تلقنوه وكلما ينظر إليهم يرددون ما يريد، (أنكم تقصدون الشخصيات الروائية والمسرحية التي خلفها أسلافنا القدامى).. دائماً يضع الدكتاتور المثقف نصب عينيه كونه صاحب الحقيقة ويمتلك دروباً للخلاص من مخالب السلطات القمعية،فالمثقف الذي أقض مضجع (غوبلز) وزير الثقافة النازية وجعله دائماً متأهباً لسحب مسدسه،هو كائن متمرد،وغالباً ما نجد الطغاة يلتجئون إلى الرموز التاريخية كي يتستروا بهم لإضفاء القدسية على أنفسهم وتحقيق أكبر قدر من التأثير الساحر في نفوس الضعفاء،هنا يريد الكاتب أن يعلن وعلى لسان (البروفيسور) أن الغزو موجود كنبوءة كما تؤكد الكتب التراثية،لذلك يحاول أن يستعين بشخصيات هي من الماضي تتصف بصفات لا تخرج من فلك مبادئه ورؤيته للحياة،كذلك يرفض اللجوء إلى (حيوانات متوحشة شرسة).. قد تنقلب وتغدو متمردة عليه (نريد قوة تعقل الكيفية التي يتم على وفقها تنفيذ مخططنا).. يريد شخصيات (تتصف بالوحشية والشراسة..أعني الغدر والعنف) يختار الكاتب مدينة (بعقوبة).. مكاناً،ليس لأنه مع الشخصية المقترحة لأجراء التجربة من قبل البروفيسور ـ محي الدين زنكنة ـ من أبنائها، بل كونها مدينة تاريخ وحضارة ولابد أنها تحتضن مواهب وطاقات بشرية غير محمودة الجانب وكونها مدينة تربط (شمالاً) –كردستان- ظل عنيداً وعصياً على السياسات الشمولية الهاضمة حقوق الأقليات المتناصرة، بـ(وسطٍ) قبع تحت أوزار التخلف والنسيان والتهميش، وأنها مدينة تتحاذى مع جارة لدود أو مقلقة وربما كونها مدينة الثورات والأحزاب السياسية كما تذهب بعض الأدبيات الحزبية غير الموثوقة، يمكننا أن نستشف سبب اختيار الكاتب لهذه الشخصيات/ الدكتورة باء ـ الدكتور ألف ـ الدكتور جيم/ نجد أن الدكتاتور قد أختار لنفسه ثلاث شخصيات كنواب للرئيس، أحدهم كان أشبه بالمرأة،كما ذهب المثل (لا يحل ولا يربط)..!! يستقر الرأي على اختيار (محي الدين زنكنة).. كونه كاتب المدينة من جهة وأن شخصياته حملت هموماً إنسانية كبيرة،تمردت وقاومت وحملت كل صفات التناقض، (لا حاجة لي باسمه).. أنه يريد عقله يريد أفكاره تؤرقه شهرته الشخصية،واختيار (ستة) لتشكيل (زمرة اقتحام مثالية).. نجد أن الاختيار قد وقع على من كان متطرفاً ومؤهلاً للقيام بما هو شر وأن العدد المنتخب هو عدد أعضاء ما كان يسمى (بمجلس قيادة الثورة) وكان الكاتب جريئاً وذكياً حين علّق في الواجهة (مسرحية من الخيال العلمي) وبذلك نجا من مقصلة التأويل أو أوهمهم بأوهن الأسلحة وحقق الخرق المادي والمعنوي ودق فوق ضريح السلطة وتد الاحتجاج،قبل أن يرسم المصير غير المأسوف لرجل مريض أحلامه، (أيّ كاتب شرير هذا) هكذا يخبر الكاتب السلطة دون اللجوء إلى اللف والدوران في تقديم الأدباء المتمردين، يحاول ـ الدكتور جيم ـ أن يفرغ سموم أفكاره (ضيق الخناق على ما يسمونه قوى الخير كي لا تنتصر أبداً) وهذا ما حصل على أرض الواقع،يقوله الكاتب علانية (ترك لقوى الشر حرية التحرك الواسع على رقعة أعماله الكبيرة والصغيرة) ونجد أن الكاتب (صباح الأنباري) حاول من خلال المسرحية أن يستعرض جانباً من اهتماماته النقدية خصوصاً نقد أعمال (محي الدين زنكنة) وإبراز أهم ملامحها الملحمية وما فيها من مجابهات علنية تصب في خانة عدم الولاء أو في دورق المعارضة، يقدم الكاتب لمحات مّما جرى لدى بعض سدنة السلطة ورقبائها والذين سهروا وتدارسوا كل جملة من جمل المسرحيات بحثاً عن كلمة قد تغدو طلقة قاتلة ونالهم الفشل الذريع من غير أن يتمكنوا من حفر حفرة تلقي بالمسرحي في غياهب الجب،وقد يرى البعض أن المسرحية حملت أشياء ثقيلة كان يمكن أزاحتها، وأعتقد أن مهمة المسرح هي تبسيط الأمور الحياتية وعرض أوجه الحياة الدائرة ووضع الحلول الملائمة إن لم نقل المناسبة لها وأن الكاتب يوم قدم نصه المسرحي أراد أن يجازف ويحاول الاختراق جراء ما ناله من ظلم وسجن،يتصف الطاغية بصفة الواحدية (لا تحدثاني بأكثر من هذا) أنه لا يريد شخصية أو أسم الرجل المنتخب لأغراض التجربة،يريد

فقط ذاكرته وسر العبقرية الممنوحة له،ومن خلال الشخصيات ـ الست ـ يحاول تطويع الكاتب وضمه لحاشيته،ولا نستبعد (من خلال الظلام شيئاً فشيئاً) عملية تذليل الرعية على وفق تدرج ضخ الجهل كما يفعل السرطان بالجسد،(أعرف أنكم جاهزون وما أريد أن تعرفوه أنتم هو أنني قد جئت بكم من حيوات مختلفة)/ (لأمنحكم فرصة تحقيق ما سعيتم لتحقيقه)/ (لكم من القوة ما لم يكن لكم من قبل) ويمضي البروفيسور في تلقين الشخصيات قبل إدخالهم إلى الحاسوب الآلي وتحميلهم أيديولوجياته لتنفيذ مآربه وكل ما يقوله لهم من كلام لا يبعد عن الواقع المعاش وما حل بالبلد من خراب وتفكيك، (وأن أحداً لم يعد قادراً بعد على مواجهتكم إلاّي، فبدوني لن تستطيعوا فعل أي شيء) وقد تكون المباشرة كما يزعم أهل النقد وبالاً على النص الحديث،لكن لا يجب أن ينطبق هذا على المسرح كونه خطاباً مباشراً مع الناس وأن المسرح السياسي يقترح التبسيط الممكن لتوضيح القضايا الحيوية الراهنة وإن كانت تدخل في حيز المغامرة وتوقع العراقيل،ولكي نبرهن على أن هذا النص كان مفخخاً بالحقائق وكان يعني به الكاتب التصوير الصادق لمرحلة خطرة نجد أن من الواجب التقاط أقوال(البروفيسور) كونه القرين الذي وجده الكاتب للطاغية (أنا أوجهكم إلى حيث يمكنكم ويمكننا تحقيق رغباتنا في امتلاك العالم) فالطاغية غزا الشرق وغزا الجنوب ولولا العوارض التي وقفت بدربه لسار بعيدا من باب توحيد وتحرير ومسميات سلفية كان يحقنها في رؤوس رعية سلموا له أمرهم وباتوا قرابين مهيأة للنحر من أجل تحقيق هدف بمجرد ما يخطر بباله، (البروفيسور) يقف أمام لوحة المدينة ويزعم أنه تمكن من لملمة التفاصيل (بمساعدة عدد من الخبراء المتعاونين معي) أننا إزاء خطاب مسرحي مجابه وراصد محترف لكل التفاصيل الدقيقة رغم الهالة الإعلامية التهريجية والاستار الحديدية الحاجبة لكل ما هو منافي للحقيقة، لقد زرع الطاغية حشداً من الوشاة لفرض هيمنته ويعلن الكاتب هذا صراحة يمنحهم صفة خبراء، لنقترب أكثر من مكامن الخطر،هناك ثلاثة مراكز في المسرحية (مراكز المدينة الثلاثة ذوات الدفاعات الذاتية المشتركة والمستقلة) وهي واقعياً أو جغرافياً مناطق توزيع المهام الحزبية أو ما تسمى بمكاتب تنظيم شؤون (الشمال والوسط والجنوب) أوان كتابة المسرحية قبل أن تولد مكاتب أخرى.. (وكل مركز من هذه المراكز يمكن أن يعمل ذاتياً في حالة تمكنكم من قطع الصلة بين مركز وآخر) كان لأركان السلطة صلاحيات تنفيذ القتل والإبادة كونها من بنات أفكار الطاغية، لا يعنيه أي شيء سوى أهوائه النفسية ولا قيمة للموجودات والبشر لديه كونها قرابين ليس إلاّ، يبدي نوعاً من الغزل المبطن وهذا شعور بالهزيمة وطريقة لتحبيب النفس لدى المارقين، يتولى القيادة من قمقمه ولكن الخرق المزعوم يبوء بالفشل (المؤشرات والبيانات تؤكد ذلك) فيصاب باكتئاب وتردد فاقداً السيطرة على نفسه (لقد قضيت عشر سنوات من عمري وراء قضبان رهيبة)/ (حتى أصل إلى حلمي) لنسترجع شيئاً من التاريخ ونقل كم من السنوات قضى الدكتاتور وهو (ظل لرئيس).. قبل أن يزيحه،من العام ـ ١٩٦٩ ولغاية ١٩٧٩ ـ تلك هي سنوات عشر يعتبرها سجناً كون الفرصة لم تكن متاحة له لتسيس العقول وترويضها لصالحه،ومن ميزات الكاتب الموهوب هو خلق وقائع مقترحة قابلة الحدوث كنوع من النبوءة أو استشراف المستقبل أو قراءة واعية لمجريات الأحداث ورسم النتائج لها،أن حالة الضعف والاكتئاب لدى الطاغية لم تكن بدافع الانتقام من قبل الكاتب أو محاولة تشويهية ليس غير بل هو واقع حال (لأنني تسببت في قتل طفلتين، طفلتين ليس إلاّ) رغم أن الكاتب قال هذا عام ـ ١٩٩٣ ـ نجد أن هذه النبوءة قد حصلت بالفعل يوم نحر (صهريه) وبالتالي هو قتل معنوي لابنتيه،وسبق أن أشرنا الى أن الطاغية لا يتورع من إعلانه المباشر بصفته الفوقية (أنا جئت بكم من عصوركم وازمانكم لتنجزوا ما لم تستطيعوا إنجازه في الحياة التي منحكم إياها خالقكم)قد تكون هنا إشارة إلى

(محي الدين زنكنة) لكن (لم تستطيعوا) تدل على تفرده كونه خلق شخصيات حقيقية وليس كما فعل الكاتب شخصيات لا تعمل خارج سطح الورق،ولحظة يلقى القبض على (محي الدين زنكنة) بغية إخضاعه إلى التجربة (يبدو أنكم من البوليس) و (أليس هذا كرسي إعدام كهربائي) كناية عن الوضع الذي يعيشه الأديب والنهاية الحتمية لكل من يستدعى للاستجواب أو الاعتقال، يبدو لنا من خلال المسرحية أن النصوص الملحمية والمثقلة بالوقائع ظلت حصينة أمام مشارط التفكيك والتأويل وعلى هذا الأساس أشتغل كل من (محي الدين زنكنة و صباح الأنباري) في إيجاد فضاءات تحتمل الواقع ولا تعطي نفسها بيسر، ويمكن الرجوع إلى نصوص الكاتبين وللمزيد من التوضيح.. (ألا ترى أنني أمسك بحياتك ومصيرك) يرده الكاتب (بل أرى أنك تمسك بأوهامك) وهذا يوازي خطاب رهط السحرة يوم حادوا عن فرعون (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) فقتل المبدعين لا يعني القضاء على أفكارهم، يريد الكاتب أن يخبر السلطة بتمرد الأديب الحقيقي والوقوف بوجهه مادام يحمل قلماً ينزف دماً مغمساً باليقين، (سترى أنك لا تستطيع إلاّ أن تنفذ أوامري) يرده (وأن لم أفعل).. (ستفعل) هذا الشد السرّي حصل بطريقة أو أخرى لكسب النخبة وجعلهم أبواقاً لتلميع بروازة السلطة وبالتالي هو كسب للماضي من خلال شخصيات الكاتب، (أذن أنت تريد احتلال العالم)/ (أنت مجنون) رد فعل (زنكنة) لحظة يصرخ (البروفيسور): (لنحتلها ولنحولها إلى قاعدة لانطلاقنا نحو المدن الأخرى ولنقم نظامنا العالمي الموحد) كما أراد هو دائماً وأبداً توحيد الأمة في كل خطاباته اليومية،بل نجد أنه يتفوه بكل وقاحة (أنا أريد أن أخدم الأرض فأقيها شر الفضاء) ترى أي شر يأتي من الفضاء أو السماء،زرعه الكاتب في ذاكرة رجل عليل وجد الحياة مختبراً كبيراً لتحقيق أحلامه، (إدخال التغييرات على الشخوص بنفسي) فيه شيء من عملية كتابة التاريخ كما ينشد لا كما جاء، وهنا يستوضح لنا الكاتب أن اللجوء إلى المبدعين كي يقوموا بتحريف التاريخ من خلال تغيير نوعية كتاباتهم كونهم أدرى بشعاب الماضي ويتحقق الإقناع من قبل الآخرين أيضاً،كونها جاءت من أقلام لها مكانتها وترسخت في الأذهان، يرتقي الكاتب بالفعل الدرامي من خلال مواجهة كلامية يمرر من خلالها ما يريده من حقائق هي لسان حال النخبة المثقفة،دكتاتور يبغي إلغاء الماضي وقولبته لصالحه وكاتب يستميت في الذود عن ما أنتجه عبر مسيرة حافلة بالأشواك والتابوهات (فبتحررهم منك يمكن لي أن أحقنهم بالمزيد من الصفات الجديدة) يريد انسلاخهم من ماضيهم كي يتمكن من احتوائهم بيسر (سأمنحك نصف المدينة)و (يا عزيزي الأستاذ) غزل مبطن بالكراهية وطعم معسول لتحقيق المآرب (حتى لو وضعتم الكواكب كلها في يميني) يقول ذلك الكاتب وعلى لسان (زنكنة) وهذا الرفض مستل من الرفض الذي جابه به رسول البشر معارضي الرسالة السماوية/ بلا تشبيه/ (لم نجرب من قبل تأثير الأشعة على الإنسان) وأظن أن الكاتب قد وضع نصب عينيه أسلحة الدمار الشامل وكل ما ينضوي تحت هذه التقليعة الحداثية لمعالجة الشعوب والأقليات غير المطيعة لساستها، وشل (زنكنة) واحتجاز شخصياته لا أجد غير تفسير قائم هو حجب المبدعين وتهميشهم، كل من لا يواليه وعدم الترويج لكتاباته أو خنقه بعدم جواز التحدث عن أعماله كما حصل واقعياً يوم تم إبلاغ (رؤساء تحرير الصحف والمجلات) بعدم ذكر أي أديب هرب خارج البلاد، يبحث (البروفيسور) عن نقاط الضعف لدى الضحية كي يتمكن من اختراقه وليس هناك حل سوى اللجوء إلى من هو مؤثر ولديه الأسرار(صباح الأنباري) كونه صديق (زنكنة) وناقد أعماله ويعرف كل صغيرة وكبيرة عنه،أن السر الذي يكمن وراء هذه المسرحية هو أن الكاتبين قد تعرضا إلى السجن إبان السبعينيات من القرن الماضي من قبل رجال الأمن كونهما كانا يقدمان الأعمال المسرحية المثيرة للشبهات والجدل وتعرضا لمسائلات وانتهاكات وضغوطات كي يتركا العمل المسرحي،رفضا ذلك وتم توظيف ذلك بعقلانية واعية وهما يعلنان الرفض

علانية ومن خلال حوار لا يحتاج إلى الوقت كي يتم تنسيبه أو تأويله،ويأتي موت (زنكنة) عام ـ ٢٠٠٠ ـ هو موت افتراضي،وهو إعلان صريح بأن الكاتب يعرف ما لدى (زنكنة) من أعمال وهو السائر على جمر من النار ولابد أن الاعتقال سيحصل والموت هو الحل الأخير لأصحاب الرأي الرشيد من أمثاله (أ عالم أنت وإرهابي في آن واحد) هو رد (صباح الأنباري) حين يسمع التهديد (العالم كله سيخضع لي فلا حدود لسطوتي وجبروتي)/ (رضيناها منك)/ (ولا تتماد معي فأن عذابي شديد) يرده الضحية (فلا تتعبوا أنفسكم معي) ويلتجئ إلى (آلة شل القدرة) و (أشعة القهر التدريجي) يقول (صباح) لمعذبه (أنتم مجرمون وقتلة وأنذال).. (من أنت حتى أجيبك) هذه الجمل ليس بوسع كاتب أن يدسها في كتاباته في تلك المرحلة المستعرة بالرهبة والجوع،لكن الكاتب قالها وحسناً فعل حين استعان بشخصيته لأداء الدور وكان يعني بطبيعة الحال أنه رافض ومعارض،موته من قبل الكاتب أراد به الخلود والشهادة من أجل الكلمة الصادقة (لأنني كنت أريد أن أمرر الوقت) إشارة لصبر الكتّاب رغم المعاناة وحين يصرخ (البروفيسور): (يالي من غبي).. وما صرخته(ليس قبل احتلال المدينة.. ليس قبل احتلال المدينة) دليل فشله في تحقيق حلمه ونجد أن الطغاة لا يعيرون للوقت اهتماما كونهم يعيشون في أبراج الخلود الوهمية، وما حصل من نهاية لا تسر الطاغية واعترافه العلني قبل اصطياده في (جحره) بـأنه كان على خطأ حين (جوّع شعبه و أشبع كلابه)، في المسرحية تم توظيف كل جملة لا تحيد عن الواقع ولم تخرج إلاّ من فم ـ الدكتاتور ـ ويمكننا أن نقول أيضاً رغم الأسلاك الشائكة والعيون المتأهبة لقنص كل كلام يأتي بالنور إلى رفوف التاريخ،كانت هناك جهود خيرة تمرر هكذا أعمال مادام هناك لوحة (الكتابات تعبر عن آراء أصحابها) أو ربما هو اختيار من لم (يفهم) ليكون قيّماً على حراسة الثقافة السلطوية الهشة، هكذا وجدنا النص عبر مقاربته مع ما جرى على أرض الواقع، وليس بوسعنا سوى التصفيق العالي لمن جنّب قلمه من الانزلاق والتمرغل بوحل التأليه، ونال رضا الناس بعدما تمكن بصبره ونزفه نقل الحقائق إلى واجهة الحياة ولو بعد حين..!!

***

**صباح الأنباري: كاتب مسرحي وناقد غادر العراق مؤخراً متوجهاً إلى (أستراليا) بسبب تدهور الوضع الثقافي والأدبي واحتجاجاً على تهميش دور المثقفين والأدباء وتفويت الفرصة عليهم للمشاركة في العملية السياسية لبناء صرح ثقافي حر،وعدم السماح له العودة إلى وظيفته السابقة التي أقصي منها من لدن السلطة السابقة وهي مدرس مادة المسرح الريفي، رافضاً استعمال ورقة التزكية لغرض قبول عودته،تعرض للسجن بسبب مواقفه الطليعية ومسرحياته المناهضة للواقع.وهو من أكثر الكتّاب والنقّاد ملاحقاً لأدب الكاتب القدير(محيي الدين زنكنه).

نال عدة جوائز أهمها جائزة مجلة الأقلام العراقية عن مسرحية (زمرة الاقتحام) وجائزة الإبداع للعام ٢٠٠٢عن كتابه (طقوس صامتة).

**صدرت له:

*(طقوس صامتة)../ مسرحيات صامتة/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ ٢٠٠٠.

*(ليلة إنفلاق الزمن)../ مسرحيات صائتة/ اتحاد أدباء العرب/ دمشق/ ٢٠٠١.

*(ليلة في ملكوت الصمت).. (مسرحيات) دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ ٢٠٠٤.

*(البناء الدرامي في مسرح محيي الدين زنكنه)../ دراسة نقدية/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ ٢٠٠٢.

له تحت الطبع:

*(السهل والجبل) دراسة في قصص (محيي الدين زنكنه).

***

قراءة في قصة «الغولة خرابكو»

لمحي الدين زەنگەنه

قحطان الهرمزي

اجتاحتني جرأة موجة مخيفة ودفعتني بشكل طاغ في ان اجرؤا لدخول الى عالم "زەنگەنه" المخيف وانا اقرأ قصصه القصيرة في كتاب يحمل اسما يجمع بين نقيضين اليفين (الجبل والسهل) ورغم اني لست في مستوى طرق باب عالمه الملون بايقاعات غير مألوفة باستطيقا حديثة تنبع من اعماق المؤلف نفسه لعدم امتلاكي المفتاح الذي يؤهلني الولوج الى ذلك العالم المجهول الذي يجمع بين الفجر والغسق كما يجمع بين الجبل والسهل، الا ان جرأتي التي واتتني على غير قاعدة، وعلمي بتواضع محيي الدين زڤنطڤنة الفلسفي مهدا السبيل امامي للقيام بهذه المغامرة.

قرأت قصص المجموعة المثيرة للدهشة، والفلسفة هي اثارة الدهشة كما قرأت في كتاب يبحث عن الفلسفة، وتساءلت بيني وبين نفسي ماالذي يحدث لو انني فشلت في قراءتي هذه؟! فجاءني الجواب من اعماقي: اذا فشلت فان زڤنطڤنة الانسان سوف يستقبلني بابتسامته الهادئة الودودة ويربت على كتفي ويبرر فشلي باحجية تسمح من وجهي خجل الفشل.

بدأت اتحرك وفق قياساتي المتواضعة المحدودة، ورأيت انني لا استطيع بفرشاتي رسم ماجاء في كل قصصه المشحونة بالخراب الروحي الشامل الذي يتعرض له بعض الناس.. التعاسة والتوتر.. الفاجعة على الابواب، وكذلك لا استطيع تحت اجوائه المخيفة في اساطير من ابداعه وفضاءات تحتضن كل مايدور ومايرجي ومايتغير في اماكن عاش فيها واحبها.. لذلك توقفت على باب قصة واحدة من مجموعته القصصية وهي قصة (الغولة خرابكو) وعنوان القصة صاح في وجهي كما صاح (ديدرو) "ان الوضوح يظهر.. ايها الادباء كونوا غامضين" انه عنوان قذفته رؤى انغلاقية لبركان يهدد بالانفجار.. والقصة هذه هي الصرخة[1] الاولى من بضع صرخات من الصمت الاخرس، تقابلك فيها حرية التخيل والخلق والتجديد مع تكثيف اللغة واستخدامها لوصف العالم في اوجاعه ولغة العذاب التي تجيد التعبير عن الحياة الباطنية واعماق اللاشعور.. صديق من اصدقاء زڤنطڤنة عاد بعد غيبة سنوات طويلة وكان قد سافر للبحث عن السعادة والثروة.. لكنه عاد بدونهما، حتى هذه اللحظة المسألة لا اشكال فيها.. ناس كثيرون يغادرون بحثا عن اليوتيبيا، فيعودون بعد فترة دون ان يصلوا الى تلك الجزيرة التي تعد الناس بالسعادة، وقد عاد صديق زڤنطڤنة كأي عائد خائبا يجتر احباطه ويعلن عن عدم وجود مايسمى بالسعادة في اية جزيرة من جزر العالم.. لكن الامر المثير للدهشة والذي يثير تساؤلات كثيرة: ان صديقه عاد بلا ذارعين.. ماالذي فعله؟ ولماذا عوقب ببتر ذراعيه.. ذارعاه كما يصفهما المبدع زڤنطڤنة بكل مافيهما من اوردة وشرايين وعظام ولحم وجلد وشعر ودم.. ثم يتوضح من الحوار الساخن الدائر بين الاول العائد وصديقه، ان الاول فقد ذراعيه ثمنا لسرقة واحدة لاسكات جوع آني.. هنا انسان جائع يدفع ذراعيه ثمنا لقاء رغيف خبز سرقه بينما عروقه تسيل نفطا اسود يشر به الاجنبي ويسمن به ويثري..

من الذي بتر ذراعيه؟! الغولة خرابكو.. الغولة خرابكو هي التي تتولى عملية بنتز الاذرع.. والغولة خرابكو كما



يصفها المسرحي القاص الكبير محيي الدين زەنگەنه: مخلوق خرافي بملايين الايدي والاذرع والارجل والمخالب والانياب والقواطع، تفترس، تقضم حتى العظام بلا تعب ولا كلل.. مرة سأل احد البحارة وهو في حالة غرق شاعرا سورياليا: الم يتعب من القتل؟! اجل تعبت من القتل.. اجابه الشاعر ثم اضاف: والآن آن الاوان لخلق انسان جديد.. الا ان خرابكو لاتتعب من بتر الايدي، لان الجوع مازال قائما.. والجوع يؤدي الى السرقة، والسرقة تؤدي الى بتر ذراع السارق.. الشاعر السوريالي عندما يهدم، غايته البناء بعد الهدم.. غايته الخلق بعد القتل.. لكن الغولة خرابكو تتمادى في عملها بلا قلب ولا رحمة ولا شفقة.. كان من الممكن ان ننظر الى تصرف خرابكو من وجهة نظر قانونية تقر مكافحة السرقة، تصرفا هادفا وان كان صارما، ولكننا عندما نفهم من سياق القصة ان ذلك المخلوق يرتكب في اليوم الواحد سرقات بالبلايين وربما ببلايين البلايين وبعدد رمال الصحراء العربية وكل صحاري العالم وبعدد حصى الخليج العربي.. الغولة هذه تفتعل التجويع بسرقتها لقوت الناس، وعندما يجوع الناس يلتجيء الى السرقة.. والذي سيحدث والحالة هذه: اننا سوف ننهض يوما لنرى الاكثرية بلا ذراعين وقلة من الناس بملايين الاذرع.. بطل رواية (البؤساء) لهوغو ايضا كان سارقا، ولكن سرقته انتهت عندما انتحر سارق قوته.. وظل جاف فالجان، الوجه المشرق للانتصار.. ولكن هل تنتحر خرابكو يوما ما خجلة من فعلتها كما فعل مضطهد فالجان؟! لا.. لان زەنگەنه يقول عنها: انها سيدة مدللة لايقطعون لها اصبعا واحدة، ولا يقلمون لها ظفرا واحدا حتى ولو من قبيل الاخلال بشروط النظافة.. ويصل زقنطقنة الى رأي يرعب العالم جميعا عندما يقول: ان اليد اليمنى لا تقطع اليد اليسرى لانهما خارجتان من جسد واحد.. وهو جسد خرابكو.. اما الاخرون فأياديهم خارجة من جسم آخر.. جسم غريب عن الغولة خرابكو ستظل قابعه على صدر العالم تخنق انفاسه.. ماذا يا زەنگەنه؟ اتظل ترعبنا الى هذا الحد؟! الا توقد لنا ولو شمعة امل واحدة؟ فينتفض زقنطقنة من بين براثن قروده وببغاواته[2] الداخلية ليعلن لكل الآخرين في العالم: ان اي كائن مهما كان خرافيا، اسطوريا لابد وان ينتهي الامر به الى الفناء والاندثاء.

١-بضع صرخات من صراخ الصمت الاخرس نشرت في جريدة الجمهورية في ١٩٩٥/٧/٢٢ وانتظمت في كتاب محيي الدين زەنگەنه الذي صدر حديثا ضمن مجموعة قصصية يحمل عنوان (الجبل والسهل)

٢-اشارة الى قول الشاعر فاليري: انني ملك على قرودي وببغاواتي الداخلية.

مسرحيون عراقيون

محي الدين زەنگەنه



ياسين النصير

واحد من الكتاب الذين طوعوا الادب الى المسرح واستفادوا من المسرح في بناء القصة والرواية وانت تقرأ مايكتبه في الانواع الادبية كلها تجده قاصا في المسرح، ومسرحيا في الرواية "رواية هم" و (رواية البحث عن مدينة اخرى)..

ومحيي الدين زەنگەنه لا يفتعل احداثه او افكاره فهو شديد الالتصاق بالواقع، وبتأريخ المجتمع العراقي الا ان محيي الدين زەنگەنه القاص والروائي غالبا ما يرمز الواقع واحداثه "رواية ئاسوس" وغالبا مايجعل المحيط الاليف والمعاش مادة القصص القصيرة "كتابات تطمح ان تكون قصصا، لذلك فالحياة كل الحياة، بشعبها وافكارها وتأريخها ومعاصرتها مادة اولية له.

وشخوصه من التراث احيانا او من الذهن ولذلك لانجد شخوصه بعيدين عنه او غرباء عنا مادته المعاصرة تخضع الى امتحان فكري و دقيق، انه اذ يكتب الموضوع يكتب في الوقت نفسه ظلال الموضوع: الاحداث الخفية الكائنة في اعماق الحال او الحياة.يبني محيي الدين زەنگەنه هياكل قصصه ومسرحياته على مكان مفترض سواء اكان المكان واقعيا ام متخيلا، فالمكان عنده اليف معروفة حروفه، واضح الدلالة والمعنى لايقصده الكاتب الا متى ما سيطر عليه لذلك ثمة غرابة او اغتراب في اماكن احداثه وهذا النوع من الاختيارات يقرب الكاتب الينا حدثه بل ويحاول ان يجعله معاشا من قبلنا. هذه المعايشة جعلت كتاباته تتراوح بين الجودة والتكرار فهو غالبا مايمسك حدثا او شريحة من التأريخ فيعمل بها اكثر من عمل ليس ذلك دالا على تمحل التجربة او فقر في المخيلة وانما يفرح الكاتب بكشوفاته فلا يبرحها الا به ان يمشي باقدامه على كل بقعها.

في مسرح محيي الدين زەنگەنه يكثر الادب. الادب بمعناه الانشائي المقروء كأدب وهذا لايعني خلو مسرحه من الدراما، او الدرامي، وانما ادبه يحوي الاثنين. بمعنى ان مسرحه يصلح للقراءة كأدب

مسرحي وفكري ويصلح للتمثيل كنص مسرحي يجري المخرج عليه اختباره. الادب بمفهومه العام يكتب فيه جل الكاتب العالميين برناردشو وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ ونتيجة ذلك تحسب للاثنين: ادب مسرحي يمكن ان يكون مسرحا وادب قصصي وروائي يمكن ان يكون رواية وعند محيي يتداخل النوعان لاحظ رواية (هم) فهي رواية حوارية وعلى طريقة اميل حبيبي في انتاجه الادبي وهذه الطريقة جعلت من مسرح محيي مسرح مزاوجة بين الفهم السردي للحدث والفهم الحواري وغالبا مايكون حواره منولوجا طويلا مزدحما بالافكار والتتابع في حين يضعف عنده الديالوج خاصة في المسرحيات التي تبني حدثه فيها على شخصين او اكثر.

لكنه في المسرحيات المركبة وذات البنية المتعددة الاصوات يكون حواره ديالوجا والصراع فيه صراع فئات او طبقات وغالبا مايبتعد عن الحوار النفسي، والمواقف الذاتية ويعوض بدلا عنها المواقف المؤولة، المواقف ذات البنى المتداخلة "مسرحية السؤال مثلا".

في اعمال محيي الدين زەنگەنه الاخيرة "لمن هذه الزهور" و "تكلم ياحجر" نقص واضح للنفس الانسانية المحاصرة. انع يعاشي من ضغوط العالم الخارجي على ابطاله، حيث البناء عنده يبتدأ من لحظة تأزم. ونتيجة لفقدان الحرية في العالم او في الوطن كمثل الحرية بمعناها القول والعيش والممارسة الحياتية معضم شخوصه محاصرون مهمون تلقون وما ان يبتدأ المشهد حتى تنهال انفسهم لتبوح، لتقول او تتكلم ولها في حرية الجسد حرية محبطة، حرية محدورة غالبا مايكون الجسد محاصرا تكلم ياحجر الجسد منهارا. او طفليا لمن هذه الزهور واللسان لايتردد في القول او البوح والمباشرة. العلبة، الحرية، والمسألة التي يعالجها الكتب لاتبدو سهلة او عادية فحرية الانسان هدف كل الكتاب التقدميين هدف انساني جميل ولغته في الكتابة فيها لغة تاملية وحسية معا وتعني انه يعكس معاناة شخوصه المحيطين وفي الوقت نفسه يطرح المعاناة على قطاعات اوسع من الناس.

الكتابة عند محيي الدين زەنگەنه هما من هموم عدم المصالحة مع الحياة فهو لايكتب لصالح الحياة او ليخدرها بل يكتب ليكتشفها ليقول فيها قولا خاصا لذلك تجده مهموما ومسكونا بالكتابة. اذا لايمر يوم الا ويكتب فيه لعل الحياة الاسرية والتقاعد المبكر جعلت منه كاتب لايرى في الحياة الا القلم والورق، ولكنه القلم والورق الكاشف لا المتصالح او المهادن. وتغضب شخصياته غضبا مرا ثم يعاود مصالحتها في عمل ثان حتى يطمئن الى ان انينها تجاوز ذاتها الى المجتمع وتعدى قضيتها الخاصة الى القضية العامة.

نال محيي الدين زەنگەنه احترام الكتاب والمسرحيين العرب وعرف خارج العراق اكثر من عرف داخله ومسرحياته تشكل عمودا فقريا في عروض بعض المسارح العربية قدم في تونس، وفي المغرب وفي مصر وفي البحرين وفي الكويت وفي اليمن، وفي قطر وانتدب ليصبح دراماتورك في المسرح التونسي لكن السفر تأخر عليه.

يعد احد المجددين في المسرح العربي، وكتاباته المسرحية تدرس كما لو انها تكشف بعمق عن استمرارية الحياة التي يعبر عنها فمسرحياته ليست وقتية او آنية. وانما هي ادب حي يتطاول حضورا كلما نظر اليه ناظر جاد.

محي الدين زەنگەنە المبدع والانسان

سعد محمد رحيم

فـي العام 1974 وانا طالب في الصف الرابع الاعدادي، اذكر انني قرأت نصا قصصيا طويلا في مجلة الاقلام وقد حلق بي هذا النص في عوالم باهرة خلابة، كان النص موقعا باسم ذي رنين خاص (محيي الدين زەنگەنە) ساعتئذ صار اسم محيي الدين زقنطقنة في مخيلتي قطبا جاذبا مؤثرا واستحوذ علي مايشبه الحدس بان لهذا الاسم شأن هاما وخطيرا في دنيا الادب وانه يكتب بطريقة تتساوق مع ايقاعات حساسيتي الداخلية.

في ذلك الوقت كنت اعد الادب لغة شاعرية شفافة، تتدفق بجلال غامض وتأسر الروح ومازلت حتى هذه اللحظة احمل شيئا من قناعتي تلك.. وبقيت سنوات طويلة اعتقد جازما ان محيي الدين زقنطقنة قاص من نمط فريد يكتب المسرحيات بين الحين والحين هواية وتزجية للوقت وبخاصة انني لم اقرأ له كتابا مسرحيا واحدا حتى بداية التسعينيات. ذلك النص الاثير الذي ساعرف بعد ربع قرن انه فصل من رواية (بحثا عن مدينة اخرى) قرأته مرات عديدة مأخوذا بفتنة الاسلوب وسحر اللغة وغرابة العوالم. وربما كان مصدر الغرابة هذه لا النص بمتنه وانما يفاعة مخيلتي وطراوة ذهني الذي كان يلج مع نص زقنطقنة ممرات بكرا في دنيا الابداع.

ظلت شخصية محيي الدين زەنگەنە ذات سطوة في ذاكرتي ولما التقيت به للمرة الاولى في العام 1992 تأكدت من صحة حدسي القديم وتطابق لدي التصور مع الواقع. ربما تخيلته قبل ان اراه اطول قليلا، واكثر نحولا. ولكنني ابدا كنت اراه بعين خيالي بنظارات طبية وذا شخصية هادئة وقوية تفرض الهيبة والمحبة.

يضع محيي الدين زەنگەنە بينه وبين العالم مسافة ابداع.. مسافة الشاهد العتيد الذي يصر بشجاعة على الادلاء بشهادته، ومسافة الرائي الذي يخترق ببصيرته النافذة الحجب والجدران والابواب الموصدة ليخرج كائنات الاعماق المظلمة والمغبرة عبر اللغة الى النور والهواء الطلق.. وفي ماوراء صمته الحكيم تشع روح ضارية ويتوقد عقل لايعرف السكينة.

مايميز محيي الدين زەنگەنە هو صدقه المقلق

والمربك.. صدقه مع نفسه ومع الآخرين ومع الكلمة. فزةنطةنة يعرف عن يقين ان هذا العالم مركب بطريقة خائطة وان الكتابة يمكنها ان تلعب دورا ما في تصحيح اخطاء الكينونة الانسانية..

ولانه صارم وحازم ومؤمن حد التطرف بافكاره فان من الصعب اقناعه بما هو على الضد من قناعاته حتى ليبدو احيانا مثل قديس يتحمل الام الدنيا كلها ولا يتخلى عن رسالته.

لم ينل محيي الدين زەنگەنه الشهرة التي يستحقها عربيا بخاصة.. وعالميا ايضا؟

في اعتقادي ان السبب يمكن في شخصه هو.. في طبيعته التي تبهظها كبرياء حادة كحد الموس.. فالشهرة اليوم بحاجة الى داب ذاتي واقتحام اسوار المؤسسات واقامة شبكات من علاقات معقدة ومحسوبة وهو يظن ان النص الادبي يعلن عن نفسه، ولا يحتاج الى اعلان خارجي، وانا اختلف معه في هذه النقطة.. ففي عصر المعلوماتية والاعلامية، وتوفر اجهزة الاتصال الحديثة وتطور تقنيات الدعاية، يضطر كبار ادباء العالم الى ايجاد مريدين لهم، واقامة مؤسسات خاصة بهم ان اقتضى الامر.. والمشاركة في الندوات والمؤتمرات مباشرة واصدار البيانات الصادمة، وافتعال المعارك الادبية وغير الادبية واطلاق التصريحات واجراء المقابلات الصحفية والاذاعية والتلفزيونية لتسويق اسمائهم وعناوين كتبهم.

غير ان محيي الدين زەنگەنه يبقى رمزا من رموز الفكر والادب والفن في العراق وفي الوطن العربي لايغفل شأنه في التأليف المسرحي اولا، وفي القصة والرواية ثانيا، فهو جزء من ذاكرة الادب وتأريخه في النصف الاول من قرننا الجديد. اسم كبير راسخ بقوة واعتداد.

تحية لمحيي الدين زەنگەنه وهو يحصل على جائزة الابداع العراقية.. وتحية له قبل وبعد حصوله على اية جائزة.. فمحيي الدين زەنگەنه يستحق ارفع الجوائز العربية والعالمية مكانة.. ويستحق ان نحتفي به في كل حين، لانه المبدع الفذ والانسان الكبير.

(القيت هذه المداخلة في الامسية التكريمية التي اقامها اتحاد ادباء وكتاب ديالى للكاتب الكبير محيي الدين زەنگەنه بمناسبة حصوله على جائزة الابداع.



محي الدين زەنگەنه روائيا:

ملاحظات اولى

باسم عبدالحميد حمودي

افضل في رواية محيي الدين زەنگەنه الاول (هم- او يبقى العلاقة-١٩٧٥) ان ابدأ من النهاية التي عنوانها (نهايات وبدايات كابوس ونهايات) اذ يقول قسمها الاول (يحشرونه (نك) في صندوق خشبي صغير يدقون الواحة بمسامير حادة طويلة ويلقون (ك) (في) ويقول قسمها الثاني (يستيقظ) (ك) ذات يوم من النوم مبكرا على غير عادته (ك) فيحس (متر) بهواء الغرفة ثقيلا ثقيلا لم يعهده (تو) يجثم على صدره (ك) كابوس وهذا الخلط المقصود بين المتكلم والمخاطب، بين المؤلف والقاريء يحيل معاناة البطل (يوسف) الى قضية عامة لاتقف عند حدود معاناته هي وصديقته سناء وعاملة المطعم رؤيا وكل من يقاوم الظلم والمواصفات القمعية المتعددة.

وفي وقت يفيد فيه الروائي من مثيولوجيا الماء في نهاية روايته ويجعل من بطله شهيدا وسط كابوسه المستمر تطرح الرواية مشكلة المثقف الذي يختار حياته مع الآخرين في جو يجمع بين السرد العادي عن انسان يحب فتاة ويحاصر اهلها حبها هذا وبين جو كابوسي يستخدم فيه الروائي التغريب في صياغة شخصيات ثلاثة تطارده وتتحول الى قرود كثيفة الشعر نادرة والى ثيوس تارة اخرى ان مطاردة البطل لاتقف عند الرجال الثلاثة الذين يستمرون بملاحقته حتى النهاية بل تتعدد صور المطاردة والحصار مرة عند رؤيا فتاة المطعم المهددة من اهلها ايضا ومرة عند ام وليد صاحبة النزل الذي يسكنه وقد خطفوا زوجها وقتلوه ومرة عند مشهد الغول المطارد للبطل وفي المقهى ويشكل الحارس الدائرة (التسلل) وفي بيت سناء (المطاردة) حيث يبدأ مشهد تغريبي آخر لينتهي قسم/ اليوم الاول بطرح صورة المواجهة بشكلها العام بين البطل وسناء ورؤيا وام وليد من جهة وبين الآخرين.

في باب اليوم الثاني تتعدد اشكال المطاردة فالفتاة الكويتية الصغيرة تتحول الى امرأة شمطاء تتعرى عندما يكشف البطل لعبتها والحارس يتحول الى قرد يحمل ظرفا بورقة بيضاء والمرأة التي تركها زوجها

تريد توقيعه على الورقة وعندما يختنق البطل في كابوس مطاردة متصل يلجأ الى طريقين طريق الشرطة التي لاتحقق له شيئا بل تطارده هي ايضا بمراقبة لايريدها وطريق الاهل فقد ارسل لوالده طالبا المساعدة وارسال مسدس له لكن مبعوث الوالد يبلغه برفض تنفيذ الطلب ويدعوه للالتحاق بقريته.

ويعيش يوسف لعبة الروائي المتعددة الفصول والجوانب وسط حصار متصل حيث الخوف من الآخرين مازال قائما والبندقية التي يحصل عليها من حارس ماتبدو فارغة ومديته لا تجديه في مواجهة مع القردة الثلاثة/ ويشاركهما (ق) في ذلك ليبدأ صراع بينهم يتداخل مع مشهد الحصار الذي يواجه فيه يوسف خصومه الثلاثة مواجهة اخيرة قاتل فيها باستبسال لامجدي ينتهي بوضعه في صندوق مغلق وطرحه في مكان لاتتضح صورته امامنا لكنه الماء الذي يقوده الى غير منتهى.

في (ئاسوس) الرواية الثانية التي صدرت عام ١٩٧٦ لتصور احداثا انتهت تفاصيلها (عند بداية عام ١٩٦٧ يطرح محيي الدين زةنطةنة مشكلة حرية الاختيار والعمل من اجلها بصيغة اخرى تتحرك نماذجها في طول الرواية وعرضها بمستويات شتى منها.



من اليمين: محي الدين زەنگەنە وجاسم الزبيدي وجليل القيسي وزبير البياتي و...

وبسببه يقفل البار والمطعم ويطارد الاخرون، ذلك محنته في مواجهة حصار التخلف والقسوة والمساومة يقابله بناء اخلاقي ومبدئي اساسي يرفض الذل ويرفض التوقيع على ورقة بيضاء يلعن فيها تخليه حريته في حب سناء لكن الروائي في فصل (ثلاثة هم) يتمرد على نسقي السرد الاعتيادي والسرد التغريبي الذي تجري خلالهما او بواسطتهما تفاصيل الرواية ويعود مسرحيا يعيش بين بطليه ص و س اللذان لم (ينصنعا) بشكل كامل فيتمردان عليه ويحاورانه

١-مستوى باران خوشناد الموشك على الموت (او انه مات حقا) وابنه فرهاد يستعرض تاريخه النضالي وهو في الطريق اليه من الحلة الى اربيل.

٢-مستوى العم الياس الذي اختار الحرية فزوج ابنته داليا الى فرهاد دون ان تقف امامه اعتبارات اخرى.

٣-مستوى المناضلين الاخرين في مدن العراق وقراه مثل جواد وكريم البغدادي وغيرهما.

٤-داليا واختيارها لحبيبها ويغطي على كل هذه المصائر والاختيارات حركة الرواية الدرامية الاولى

التي تتبلور الصور والشخوص الاخرى داخلها حركة الطفل ئاسو وهو يناجي صديقه الغائب طائر القبج (ئاسوس) ويطالب به بالحاح بعد ان اضطر ابواه الى مغادرة الحلة الى اربيل بعد هاتف تلقياه باحتضار جده فتركا الطائر في قفصه..

في طريق السفر الطويل يكشف الصغير ئاسو عن صدق لوعته واحتياجه الى طائره الجميل الذي يخوض الوالدان والسائق جهادا مريرا من اجل اقناع الصغير بانه سيبقى حيا الحين العودة لكن ئاسو لايصدق ويظل مصرا على العودة الى الحلة خشية موت الطائر، ورغم اغراءات السائق ومحاولات اقناع ئاسو المستمرة لكن صوت الحقيقة يظل عاليا لاينفعه اي تمويه او اغراء او لعب فيضطر الوالدان الى العودة بالطفل الى الحلة بعد ان تردى وانهارت صحته بسبب لوعته على الطائر..

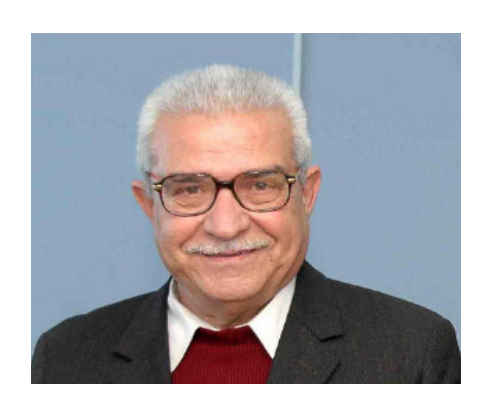
ويكون ئاسو هنا، المستقبل بديلا او معادلا موضوعيا للماضي الذي يمثله جده الموشك على الرحيل ويكون ئاسوس –الطائر رمزا لحرية ممكنة شرط الدفاع عن وجودها وعن الحق باختيارها، ويكون ئاسو هنا ترنيمة اخرى ليوسف بطل (هم) لكنها ترنيمة تفضي الى نهاية اخرى اكثر رقة واقل تغريبا وجزءا من رسالة الروائي في فهم العملية الروائية ككفاح اجتماعي يطرح على عدة مستويات –من اجل الحرية. لغة الرواية هنا اكثر تماسكا والاسترجاعات فيها موظفة بشكل دقيق لخدمة القضية الاساسية (ئاسور ئاسوس) رغم كثرة التواءات مجرى الرواية بالمشاهد النضالية المباشرة وكثرة الجمل الخطابية داخل هذه الرواية.

في روايته الثالثة (بحثا عن مدينة اخرى) الصادرة عام ١٩٨٠ يزداد طغيان الهيكل الفكري على الهيكل الدرامي، ورغم السرعة الواضحة في الانتقالات داخل الفصول يظل البنيان الفلسفي الاساسي للروائي واضحا يرتدي هنا اردية اخرى، فالشاب الذي يقاوم الاخرين هنا ويتركه اصدقاؤه وزوجته تم والده ثم والدته هو يوسف القديم. يوسف الاول (هم) وئاسو في (ئاسوس) وهو في الرواية الثالثة.

ويوسف الثالث هنا يعيش صمته مع صديقه الاول وصراعه الداخلي مع ذاته ومع الخارج، والخارج يتمثل في والده وتصرفاته الطاغية وان المطلقة المتهالكة على زوج جديد، وامرأته المحبة الشاكة به شكا يدفعها لمفارقته فيهم بوجهه الى مدينة اخرى يسكن فندقا مليئا بالاوساخ والذباب ومغرية الخضوع لاسر صاحبة الفندق العجوز التي تطمع به لكن يرفض مساومتها فتطرده من فندقها. الى الفضاء حيث لا فندق اخر ياويه فكل الفنادق ملكها وهو يبحث عن مدينة اخرى، عن يوتوبيا لايحصل عليها ويتمناها وقد حرص على الثبات ضمن اختياره وقناعته بما يفعل مشكلة واحدة تضعف من بنيان الرواية وهي المشكلة التي يثيرها الفصل المعنون بـ (الآباء والابناء) المقدم على شكل مسرحية بين هذا الفصل تعيشها الفصول الاخرى لكن الفصل بعد اضافته الى البنيان الدرامي للرواية فهو لا يأخذ شكل المسرحية بكاملها رغم حواره المتصل، فقد استطاع الروائي ان يغرب داخل النص وان يبني لامعقوله في تشكيل حركة الشخوص وفي تجسيدهم بمظاهر اخرى حيوانية وانسانية ليقلل من نسبة انزياح النص الروائي من بنيانه ويجسد عبر هذا الفصل تجربة اخرى في البنيان الروائي –المسرحي معا.

ان يوسف الاول بطل محيي الدين زەنگەنه الذي يقدم في هذه الروايات ثلاث مرات يظل بطلا رومانسيا يحلم بالعدالة الدائمة وبالحق المجرد الذي ينبغي ان يكون ولكنه يحمل صورة المسيح الجديد المعذب ابدا بسبب من اصراره على حريته وعلى تمتعه بها رغم المصاعب الجمة التي يواجهها، وقد نجح زةنطةنة في تجسيد صورته المثالية هذه باستخدام التقطيع المشهدي والفلاش باكات والصورة المسرحية والصورة الحلمية والغرائبية في تلوين المشاهد وتقطيع رتابتها وجعلها حيوية يستطيع المروي له الاستمرار معها رغم واحدية الفكرة وتنوع سبل الاداء من اجلها.

عن ارهاصات الكتابة وهمومها



محيي الدين زەنگەنە

تنتـاب الكاتـب، وعلى نحو اكثر دقـة وتحديدا، الكاتـب الفنان، الذي تشـكل الكتابة عنده واحدا من اقوى الاسـباب، ان لم تكن اقواها فعلا، في القدرة على خلـق التوازن الذاتي والموضوعي والانسـجام الروحي مع النفس والاشـياء والعالم من حوله، خارج شروط التوافـق او القبـول بالموجود والكائـن وكله ماتفوح منـه رائحة التواطـؤ، لا ذك الكاتب، الـذي تربطه، الى مايكتب، علاقة تشـبه العلاقـة التي تربط كاتب العرائض الاسـترحامية او العرضحالية بحرفته التي يرتزق منها ويعتاش عليها، فترات من اليبس والجفاف وحالات من العقم وتوقف او انقطاع مخاضات الولادة وآلامها الموغلة في الوجع واللذة معا، على صعيد الخلق والابـداع، والتي تتشـعب كتحصيـل حاصل لنضوب او وهم نضـوب ينابيع العطاء عنده، لتشـمل الحياة برمتهـا –واية حياة للكاتب، خـارج الحياة/ الكتابة، الحيـاة/ الابـداع..؟ وهي تـراوده عن نفســه بقوة وضراوة واكتسـاح وادمان. او بضعف وتردد وتقطع، في تناسـب عكسـي مع تعدد وفاعلية الوسـائل التي يبتكرهـا الكاتب، والاسـلحة التي يخلقهـا، لمحاربتها والدفـاع المسـتميت عن وجوده المتحقـق في الكتابة/ الخلق الكتابة/ الوجود.

ولعل اقوى هذه الوسـائل واقدرهـا على مقاومة هذه الحالات والفترات وسـيلة قلما فطن اليها الكاتب. او قلائل هم الكتاب الذين فطنوا اليها واستثمروها و "مكسـيم غوركي" احد هؤلاء. وهي تكمن في الرجوع الى الاوراق القديمـة (العتيقـة) الى الكتابـات وحتى "الشـخبطات" –ان صح التعبير- التـي اهملها الكاتب لهذا السبب او ذلك. ففي الرجوع اليها تجديد لحيوية الفكر وتشـيط لخلايا المخ ودفق طازج لاوردة الابداع وشـرايينه التي.. يخيل له انها نشفت او فرغت.. او.. او.. كادت..

في واحـدة مـن هذه الحـالات، رحـت انقب بين اوراقي القديمة (التي لا افرط باية قصاصة منها مهما صغـرت، او عتقت) فعثرت على قصة قصيرة بعنوان

"المشـجب" او "هـل تؤمن بالقدر؟" كنـت قد كتبتها اوائل السـتينات، بدايات حياتي الكتابية التي قدر لها او خططت لها بتصميم ودراية، ان تسـتغرق سنوات عمري كلهـا.. ماتقدم منها وما تأخر اعني ماتبقت.. الى يوم ينطفي العمر كله، غير مأسوف عليه. فتوقفت عندهـا ورحت اعيـد قراءتها، فشـدتني اليها اجزاء منها، ونفرتني منها اجزاء فيها، الا ان ماشـدني اليها علـى قلته.. كان اقوى واعمق ممـا نفرني عنها على كثرته، فرحت اشتغل عليها من جديد. اقرؤها واشغل بها وبأجوائها فكري.. اياما واسابيع.. واعيشها، مرات ومرات، حتـى النخاع. كما يحدث لـي مع كل نطفة عمل جديد، وحتى قبلما تستحيل جنينا قابلا للطرح والحيـاة.. ثم فجأة، وفي لحظـة ما، في حالة ما، خرج منهـا وهج جرني من انفي وارغمني ان اعيد كتابتها ثانية وثالثة.. و.. عاشـرة.. وللمرة الـ "كم؟" لا ادري بالضبط، ولكني ادري ان ماكنت الهث وراءه واطمح الى تحقيقه هو ان اطلع منها بنص، يمنحني قدرا ما من الرضا ومؤقتا طبعا.. اذ لم يحدث ان منحني اي عمل من اعمالي رضا تاما.. كاملا.. ولا ابديا دائما. وذلك ما يحملنـي ان اكون في بحث دائب وارق دائم متجدد كل يوم وقلق دائم متواصل لم يعرف الاستقرار يوما. ولا احسـبه ولا اتمنى ان يعرفه. لم يدر بخلدي قط انها (المحاولة) يمكن ان تتمرد علي وعلى شكلها القصصي السابق وتسلخ عن نفسها جلدها القديم، وتفرز لها.. او بالاحرى تنسـج لنفسها جلدا جديدا.. بكل مايتطلبه الجلد الجديد هذا مـن الالتحام التام والاندماج الكلي بثيمتها. ومد اوردة الدم وشـرايينه اللامرئية، التي لاتعد ولا تحصى، ونسـج شـبكات الاوعية والقنوات اللازمة لتدفق عناصر الحياة واسبابها في عرقها التي ينبغي ان تنتظم سـائر انحاء الجسد، بصورة تلقائية وعفوية، كما في الحياة الطبيعية، حتى تستحيل بعضا منـه، يتغذى عليهـا وينمو بها.. وتتغـذى به وتنمو عليه وتحيا.

ولكن الذي حدث هو "هذا بالضبط. فكانت" صراخ الصمت الاخرس "المسـرحية، التـي عرضت في بغداد اكثـر من مرة وفي عمان.. وفي المانيا وباللغات العربية والكردية والالمانية وشـاهدها عشـرات المئات وكتبت عنها عشـرات المقالات والدراسـات واثارت اشد انواع الجدل والنقاش. وماتزال.. بين رضا وسخط.. وقبول ورفض.. و .. و.. ولكن المهم انها تشكلت وترتبت، اكاد اقول ولـدت، بصورة طبيعية، دون تخطيط مسـبق ولا قصد غائي او هـدف وظيفي، كي تكون على هذا النحو او سـواه.. وانما باستسلام شـبه كامل لثيمتها الاسـاس وشـخوصها.. وباحترام تام لحقها المشروع في اختيـار او فرز وتحقيق الشـكل الملائم لها، والتنفس الحر الطبيعي لا الاصطناعي عبره.

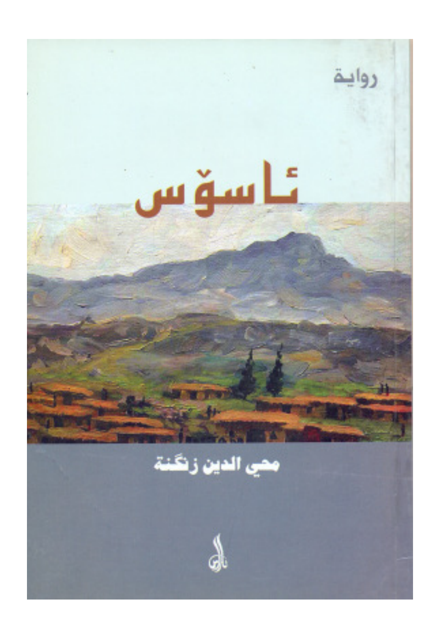
اذكر انـي اطلعت عليهـا، بعد حوالـي العام من كتابتها، صديقا، يهمني رأيه، لما يتسم من الموضوعية والصـدق، وكان عائدا، منذ فـترة قصيرة من الخارج بعد انهـاء دراسـته الاكاديميـة. لم تعجبه بشـكل عـام، ولكنه اعجب بالحوار بشـكل خـاص وقال انه انسـيابي وسـلس وغني بالمعاني والرموز، يقرب من حـوارات بيكت.. لم اكن حينـذاك قد قرأت "بيكت" ولا مسـرحياته، واذ قلـت له ذلـك اندهش.. وكبرت محاولتـي في عينه. وكـبرت معه قدرتـي على ادارة الحوار بتلك الروح الدرامية والشـعرية. ولكني حين قرأت بيكت ومسرحياته، ادهشني انا الآخر وازعجني في الوقت نفسـه، ذلك التقارب "الشكلي طبعا" الى حد ما فتركتهـا وركنتها او بالاحرى وادتها فيما اسـميه "مقـبرة المخطوطات" التي ماتـزال تعلو وتعلو، تحت رحمـة الاتربة التي تتكوم، الا انها لم تتركني اذ ظلت حاضرة في ذهني ووجدانـي تطاردني. وظل الحنين اليها يراودني ويذكرني بها..

وبعدما قـرأت كل ماوقع بيدي من كتابات بيكت وبونسـكو واربـال وشـحاده والبي وجنيـه وغربيه وسـاروت و.. و.. و.. شـرعت احس بقرب محاولتي المظلومة الى نفسـي واشـعر بحب خاص لها، ولا ارى مبررا لرقودها موءودة، او مختنقة بين طيات اكداس

الاوراق القديمــة والجديــدة، والاتربــة التأريخيــة والمعاصــرة، المتجــددة والمضافة كل يــوم، فقد يكون بوســعها الوقوف على قدميها بلا عكازات ولا مساند.. وقــد تتمكن من تنفس هواء العصــر.. ولابد لي بعد كل شــيء، او قبل كل شيء، ان اقر لها بحقها في الحياة وعرض نفســها امــام الآخرين. ومن نافلــة القول ان اقول، ان للآخرين الحق كل الحق، في تأســيس العلاقة التــي يرتؤون معها، ســلبا او ايجابــا، رفضا او قبولا، بتحفظ تام.. او بدونه تماما.

واخيرا يهمني ان اقول:

لــم اقل ما قلــت ولا كتبت ما كتبــت، تباهيا او تواضعــا، واني ابعــد ما اكون عــن التقليل من قيمة كتاباتي، بعــدي عن تعظيمها او المفاخــرة بها.. ولم اسق ماسقت بشــأن واحدة منها (صراخ..) الا كواقعة تأريخيــة.. وكهم من هموم الكتابــة اللذيذة.. الذيذة على الرغم من كل شيء.. وكشذرة من شذرات تجربة ذاتيــة، قد تنطــوي علــى ماينفع البعــض، ويغري بالاحتفاظ بالاوراق القديمة، المســودات "الشخبطات" الــولادات ناقصــة التكويــن.. وعدم التفريــط بها.. والاسراع باتلافها.. لاسيما ونحن نعيش، حتى النخاع، هذه الازمة الخانقة في الورق وســعار الاسعار.. و.. و.. و.. لا احد يدري من اين تأتي دفقة النور.





حول مسرحية «لمن الزهور؟»*

فؤاد دواره

"لمن الزهور؟" من تأليف كاتب عراقي بارز، عرفنا له في القاهرة مسرحية "السؤال" قدمتها بعض فرق الجامعة والثقافة الجماهيرية، وهي محيي الدين زقنطقنة، من مواليد كركوك سنة ١٩٤٠، تخرج في كلية الآداب قسم اللغة العربية سنة ١٩٦٢، وعمل بتدريس اللغة العربية بالمدارس الثانوية حتى العام الماضي، حين احيل للتقاعد لاسباب صحية تتعلق بضعف بصره، نتيجة لكثرة القراءة والاطلاع بلا شك.

من اهم مسرحياته "السر" ١٩٦٨، "الجراد" ١٩٧٠، "الاجازة" ١٩٧٧، بالاضافة الى عدد من القصص القصيرة والروايات والعديد من الدراسات والمقالات الادبية والفنية.

يقول عن مسرحيته الاخيرة "لمن الزهور؟" بتواضع الكاتب الكبير: (لقد قلت كل مااردت —او جل ما اردت- قوله خلال العمل، زمن الكتابة، واذا كان قد جاء - رغم ارادتي ورغبتي وطموحي - عاجزا عن الافصاح عما اردت، او بعض ما اردت في الاقل — فاحسب ان كل ما يمكن ان اقوله، حول العمل، خارج العمل، ضرب من العبث، لا طائل تحته — ولايعدو ان يكون مجموعة عكازات هشة، لا تسعفه في الوقوف على قدميه، ناهيك عن مساعدته في السير والدخول الى قلب وعقل المشاهد. لذا قررت الا اقول شيئا، وان ادع العمل وحده، يقول او.. لا يقول").

والحق ان العمل قال، وقال الكثير في حدود الاطار النفسي "السيكوباتي" الشاعري الذي اختاره الكاتب له. فبطل المسرحية شاب مختل عقليا، يعيش في عالم خيالي منفصل عن الواقع، يطارد فيه الحمامات، ويقطف وصول الحبيبة الموهومة التي لاتصل ابدا. فعالمه مغلق داخل ذراعي امه المحبة المشفقة المزقة، ترعاه وتهدهد احلامه وتساير رؤاه وخيالاته، وتحميه من غوائل الواقع القاسي المحبط بهما.

ومن خلال حوارهما الشاعري المتداعي، نفهم انها كانت ساقطة محترفة، ثم وجدت الرجل القوي الذي احبته، فعاشت في كنفه وانجبت هذا الغلام المعتل،

فلما اغتالوا الاب اضطرت تحت ضغط الحاجة الى استئناف تأريخها المشين، ونتيجة لذلك كثر خروجها، وطال غيابها بالخارج، فلم تجد مفرا من ايداع ولدها بمصحة عقلية.

والمسرحية كلها تدور في مشهد واحد خلال الدقائق السابقة على وصول ممرضي الصحة لاستلامه، ومن الواضح ان الكاتب متأثر بآراء "فرويد" في تصويره لعلاقة الابن الحميمة بامه، وتعلقه الشديد بها، وتصوره لحبيبته المتخيلة على مثالها، بصورة تؤكد ان عقدة "اوديب" تمثل عنصرا اساسيا من عناصر اختلاله العقلي والنفسي.

وقد نلحظ في سياق المسرحية قدرا من التأثر بمسرح العبث، في جو الغموض المسيطر على الحوار، وكثرة الاحالات والتداعيات، وموقف الانتظار الذي يعيشه الابن، بصورة تذكرنا بمسرحية "في انتظار جودو" لصامويل بيكيت.

كما قد تذكرنا خاتمة المسرحية بالمشهد الاخير في مسرحية "ترام اسمه الرغبة" للكاتب الامريكي "تينسى ويليامز" حيث يصل طبيب مستشفى الامراض العقلية وممرضوها لاستلام بطلة المسرحية "بلانش ديبوا" وكانت هي الاخرى تعيش في عالم مضطرب من الاحلام الوردية والخادعة، وتعذبها كوابيس مرهقة من ماضيها الآثم.. وان ظلت مسرحية زقنطقنة محتفظة مع ذلك بكل مقومات اصالتها وتفردها. وليس من شأن هذه النوعية من المسرحيات النفسية الشاعرية ان تتعرض للاوضاع الاجتماعية والمشكلات السياسية بأكثر مما فعلت مسرحيتنا، ولذلك فان اللوم لايقع على كاتبها بقدر ما يوجه لمن اختارها لتقدم في مثل ظروفنا الراهنة، حيث نتطلب من المسرح ان يقوم بدوره الايجابي في توعية المواطنين وحشدهم لمواجهة قوى الشر المتربصة بهم في الداخل والخارج.

ويبدو ان المخرج "عزيز خيون" قد احس ببعد المسرحية عن الواقع العراقي والعربي فحاول علاج هذا العيب، باضافة مشهد واقعي ضاحك، تظهر فيه سيدتان سوفيتان تتحدثان عن سلوك الام الشائن باسلوب بنات البلد المبتذل، وقد اجمع كل من شهد المسرحية على استهجان هذه الاضافة، واعتبارها دخيلة على سياق المسرحية الشاعري، خاصة وانه لايضيف جديدا الى ماسبق ان فهمناه من حوار الابن وامه.

وهو ماينطبق ايضا على المقامات العراقية التي برع المخرج في انشادها بصوته الرجولي العريض، فقد اضاف قدرا غير قليل منها الى الموسيقى التصويرية المصاحبة للعرض، بهدف اضفاء الطابع المحلي العراقي عليه، فبدت هي الاخرى نافرة عن سياق المسرحية ومناخها العام البعيد عن المحلية باستثناء مشهد المرأتين المقحم عليها.

وحرص المخرج على ترجمة اخيلة الفتى المخبول الى معادلات مرئية، فاذا تحدث عن الفتاة الجميلة التي ينتظرها رأينا فتيات جميلات على المسرح، واذا تحدث عن صورة عالقة بذهنه هبط من اعلى المسرح اطار خشبي وهكذا.. حقا لقد جسدت هذه المرئيات المتخيلة وسط اضاءة خاصة توحى بجو الحلم، لكني اعتقد مع ذلك انها اقحمت هي الاخرى على السياق النفسي الشاعري المسيطر على الحوار الثنائي بين الفتى وامه، ولو اكتفى بالاضاءة والموسيقى لكان اكثر اقناعا واقرب لروح النص.

واثبت مصمم الديكور ومهندس الديكور اللذان لا اعرف اسميهما للاسف قدرة عالية على الاستجابة لروح النص الشاعري العبثية فعبر الاول عنها بكتلة كبيرة من خلفية المسرح، وتتوسطها فتحة كأنها كهف وسط صخور بدائية توحى بخفايا النفس واغوارها السحيقة الموحشة، ونجحت الاضاءة في استكمال هذا الجو الغريب القاتم، ومساعدتنا على الانتقال من الحلم السعيد المشرق، الى قسوة المخاوف والكوابيس التي تردد بينها الفتى، مع تأطير بطلي المسرحية، ومتابعة حركتهما السريعة العنيفة وتعبيراتهما

الناعمة الحالمة حينا، القاسية الشرسة حينا آخر.

وهكذا اثبت "عزيز خيون" باختياره للنص ولممثليه، وحسن استخدامه لمفردات العرض المسرحي ببراعة وفاعلية، قدراته غير العادية كمخرج قادر ينتظر منه الكثير، وبقى ان يطامن من حدة انفعاله، ويقتصد في استخدام هذه القدرات العضلية في اعماله التالية، ليتوارى خلفها، بدلا من ان يصرخ في كل لحظة: هنا مخرج ماهر قدير.. وهو العيب الرئيسي - فيما يبدو- في عمل غالبية المخرجين العراقيين، فعلنا لم ننس بعد اشارتنا في المقال السابق الى شكوى المؤلف عادل كاظم من العنف الذي تناول به المخرج الكبير "ابراهيم جلال" حديثنا عن اخراج "الملك لير" حالا.

اطلت بعض الشيء في الحديث عن مسرحية "لمن الزهور؟". لاني اعتبرها من اهم العروض التي شهدتها خلال المهرجان، واكثرها نضجا وامتاعا بالرغم من كل ما سجلته عليها من ملاحظات واختلافات في وجهات النظر.. ومع ذلك لم تحظ بأي تقدير او حتى اشارة من لجنة التحكيم.. ولو ان النقاد العرب الذين اجتمعوا في الليلة الختامية للمهرجان نجحوا في توحيد حد ادنى من اتفاق الآراء، وصدروا بيانهم، ومنحوا جوائزهم، كما يحدث في كل مهرجانات العالم، لكان من المؤكد ان يفوز فريق العمل في هذه المسرحية بعدة جوائز، تعوض تجاهل لجنة التحكيم لهم، ولجهدهم التجريبي الشاق الناجح.

*من كتاب (اطلالات على المسرح العربي خارج مصر)

-منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب- ص١٦٨-١٧٣.

-القاهرة

-سنة الطبع (بلا)



البـــوح المكتـــوم

محاولة كشف بعض الألغام في كتابات زەنگەنه الإبداعية



صباح الانباري

عندما وضعت اللبنات الأولى لكتابي الأول(البناء الدرامي في مسرح محي الدين زنكنه)اعتقدت أنى سأبيح لنفسي البوح بأسرار لم يستطع النظام الرقابي المقبور الوصول إلى جوهرها ومعرفة إلى من يشير رأس السهم فيها.كنت مأخوذا بفرحة الاكتشاف والظفر بخفايا النصوص التي ظلت طوال ذلك الوقت كامنة وراء الكلمات ومتسترة برموزها و إشاراتها الدلالية.

اضطررت، أول الأمر، إلى اللف والدوران حول الكثير منها والدنو من مفخخاتها وتفكيك أنظمتها الإشارية دون أن اترك آثارا وأضرارا على أحد. لقد تعلمت وأنا أقرأ بوح محي الدين زنكنه المكتوم استخدام الأداة النقدية لتكون سلاحا قابلا للهجوم على النظام وازلامه و الدفاع ضد هجومهما في آن. لست زاعما أنى خضت حربا نقدية ضروسا أو حققت تفردا في إسقاط النقاب عن وجه السلطة الغاشمة لان ما فعلته كان دون جرأة زنكنه وشجاعته الأسطورية. ولا يعيبني أن اعترف بخوفي من الرقيب وتهوره والنظام الجائر ودمويته. لقد قمت بالتنويه والإشارة إلى البوح المكتوم دون الدخول فيه أو الخوض في تفاصيله حرصا على سلامة زنكنه أو حفاظا على شهادته وإيمانا مني بنقل تلك الشهادة إلى أجيال ما بعد السقوط.

الآن، وبعد زوال اكبر قلعة من قلاع الاستبداد والدكتاتورية في بلادنا، تفرض الأمانة التاريخية علي أن أكون شاهدا على من كان شاهدا جريئا،على زمن صودر فيه حق الإنسان في التعبير عن رأيه، وكاتبا صادقا افترشت ألغامه المضادة للإرهاب الفكري حقولا لها بين طيات أعماله الأدبية منذ عام ١٩٦٧، عندما كتب أولى قصته القصيرة ((الجراد))، التي تحولت فيما بعد إلى عمل مسرحي كبير لم يجرا أحد وقتذاك على تقديمها من علىخشبة المسرح العراقي، ذلك لأنها تمس كبد الحقيقة متوغلة إلى أقصاها وكاشفة عن اقبح وجه لأشرس هجمة شهدها الوطن عام ١٩٦٣،العام الذي تحول لون الوطن فيه إلى لون الدم،دم الذين قتلوا غدرا وتعذيبا واغتصابا، أو الذين تركوا في الزنزانات

معلقين بالمراوح أو تركت الأنابيب المطاطية لتملأ جوفهم بالماء من فتحاتهم السفلي أو.. أو.. الخ.. الخ..

كان ما يسمى بالحرس القومي مصابا بالسعار، وربما كان السعار مصابا بالحرس القومي فراح يقضم عظام أبناء الوطن فرادا وجماعات، خفافا وثقالا.كانوا يعظون كل من لم يتحول إلى صفهم الجرادي، ثم أشاعوا نوعا جديدا من العلاقات أطلق عليها المرحوم يوسف عبد المسيح ثروة، حين تناول موضوعة المسرحية، بـ ((العلاقات الجرادية))، تلك العلاقات التي فرضت على الناس خيارات ثلاث: الدخول إلى معاقلهم الفكرية/ القومانية أو دفع الفدية أو الموت. فدخل الكثيرون مكرهين، ودفع من كان ميسورا ثمن بقائه حيا، ومات الآخرون في دهاليز التعذيب أو في مواجهات مسلحة جريئة.

يقول زنكنه محرضا في الصفحة الثانية و السبعين[1]:

((أعلنوها حربا لا هوادة فيها على الجراد.. وكل الحشرات القذرة))

ولكن ما فعلته سلطة الجراد هي إنها بدأت بمهاجمة أوكار المقاومة وإبادة المقاتلين والمقاومين لتتفرغ، بعد ذلك، لأبناء الوطن العزل. وقد جسد زنكنه هذا من خلال رموز لم تكن قراءتها مستعصية جدا فقد رمز للمقاومة بالمبيد، الذي جعله عنوانا للمشهد الأول،ورمز لقوة الحرس القومي بالجراد. وإذا كنا قد فسرنا هذين الرمزين، أبان حكم النظام المقبور،وقلنا إن الجراد هو القوة الاستعمارية الغازية وان المبيد هو المقاومة أو وسيلة المقاومة الفعال فلأننا أردنا فقط أن نتحاشى أذى السلطة ودمويتها. ولقد عبر زنكنه بصريح العبارة، عن آلامه، وهو يرى ابشع غزو وطني، إن جازت التسمية،وما تركه من آثار الخراب والدمار والعنف والابتزاز والقتل والإرهاب حد انك لا تصدق إن هؤلاء الموتورين هم من أبناء هذا الوطن. لقد كانوا ناقمين، ممتلئين بالأحقاد والرغبات المهولة في الانتقام ومثابرين بدأب على انتهاك اغلب، إن لم نقل كل حقوق الإنسان العراقي.

يقول زنكنه في الصفحة السادسة والعشرين[٢]:

((إن المرارة تنخر في عظامي وسحابة سوداء تغشي نظري، هذا الواقع الذي أحياه يعصرني عصرا.. يملؤني خجلا وعارا أحياهما حتى أطراف أصابعي.. آه.. لكم أنا خجل منه.. من نفسي.. منكم.. من زماني.. من عصري.. من كل شيء.. كل شيء.. إلا لعنة البشر كله على الجراد.))

لقد أعلن زنكنه موقفه من الطغاة بلا خوف وبلا وجل في الصفحة مائة وثمان وعشرين[٣]:

(لقد اتسخ العالم.. القذارة تدحر النظافة.. تنخر في الماء.. في الخبز.. في الهواء.. حتى النافذة العليا، التي عبرها يأتينا بين الحين نفحة هواء نقية.. قد اتسخت الآن.. أخذت تفوح برائحة الجثث.. الجثث الطافية فوق المياه.. كالجندول.. يا للسخرية.. الماء تغطيه الجثث.. الماء جثث.. وأنا هنا جثة وأنت أيضا جثة.. الكل جثث).

وعلى الرغم من بساطة لغته ووضوح رمزيته لم يستطع أزلام الرقابة التعرف على وجوه نظامهم البوليسي المتخفية وراء هذه الكلمات الا بعد حين، وكان الأوان قد فات على اتخاذ قرار سحبها من الأسواق أو إعلان الموقف منها أو من كاتبها، وبات الرقباء مثل (بالع الموسى).

بمرور الوقت اشتدت الهجمات الجرادية شراسة وصار الحرس المسعور يمارس علانية هوايته في القتل والذبح وقطع الأعناق حتى تحول الوطن إلى بركة دم حمراء دون أن يحرك العالم ساكنا فراح زنكنه يستصرخ الضمير ويسائل نفسه في الصفحة مائة و اثنين وعشرين[٤]:

((ألا يهتز ضمير إزاء ما يجري.. ألا يحتج.. ألا يتحرك..؟))

((من المسؤول إذن؟.. آه إن كل قطرة دم تسفك تتحول صرخة عذاب.. وعلامة إدانة.. لنا.. نحن الذين قدر لنا أن نحمل صليب العالم))

لقد كانت هجمات الجراد/ القومي شرسة إلى ابعد حد. قاسية في مسخ الناس وتشويه أفكارهم الإنسانية. مستأسدة في افتراس البشر وإيذائهم.وموجهة بأيدي خفية لتطلق همجيتها على العراق. أرادت أن تنال من الجميع وفوجئت بوجود من لم يرضخ لها.

يقول زنكنه على لسان الفتاة في الصفحة السادسة والتسعين[5]:

((ستختفي كل الظلمات ذات يوم وسيعم النور والإخاء.. وسنأكل ونشرب ونحب ونتزوج وننجب. و يقول على لسان الشاب في الصفحة مائتين وثلاثين:

((لا.. لا.. لن أكون جرادا.. لن يهزمني الجراد لن نكون جرادا.. لن نكون جرادا)).

وإذ ((يسقط المسرح في عتمة شديدة في الوقت الذي يغمر القاعة نور احمرا بلون الدم)) نخرج من المسرحية متفائلين بهذا النور الذي يشع بقوة الأفكار اليسارية وانتصارها ولو بعد حين.

في قصة زنكنه (نثارات حلم تبحث عن حالم) التي نشرها عام ١٩٩٢ في مجلة الأقلام وتضمنتها، فيما بعد، مجموعته القصصية (الجبل والسهل)[6] عام ٢٠٠٢ يرفع الستار على معاناة الشعب العراقي وتشظياته وعن وعيه وضياعه واختناقه وموته البطيء. كل هذا يضعه منذ اللحظة الأولى، أمام سلطة الطغاة غير هياب بالنتائج وما سيقرره المستبدون.إن معاينة سريعة لعنوان هذا النص تشي بجرأة تسبق الدخول إلى عالم أفكاره الجريئة. في العنونة إشارة واضحة إلى تشظي الحلم إلى نثارات مبعثرة هنا وهناك، ومحاولة جمع شتاتها والحفاظ على وحدتها (وحدة الحلم) عن طريق وسيط ما أو حالم ما. وبدلا من بحث الوسيط عنها تنقلب المعادلة فتبحث هي عنه عبر سلسلة من الأفعال الادائية التي كلما اقتربت من هدفها بعثرتها أيد خفية ونثرتها على أرضية الضياع. يقول زنكنه في مطلع هذه القصة:

(عثرت على نفسي بعد طول ضياع ولهاث واختناق فوق تلة،مسكونا برعب شديد،اجهل باعثه. وعبثا أحاول عاصرا ذهني أن أجد بين تلافيه سببا يبرره، أو، في الأقل، يحمل إلى بعض القناعة والاطمئنان).

وفي هذا إشارة صريحة إلى القوة التي غيبته وضعيته وشوشت عليه حد انه لم يعد قادرا على معرفة مبررات تلك الأفعال لان عالمه غيب عنه، كما يقول زنكنه، العقل والمنطق.كيف لا وقد زرع الطغاة الموت في كل شبر من ارض الوطن حتى حولوه إلى مقبرة وطنية ومارسوا ابشع أنواع الجينوسايد ضد أبناء الوطن حتى امتلأ الوطن بالمقابر الجماعية.. يقول زنكنه واصفا مدينة كركوك إنها:

(تستقبل القادم من الشرق، بدلا من باقات الزهور.. مجموعة هائلة من القبور مجللة، إذ ترتدي المدينة ليلها بحمرة نيران بابا كركر الأزلية المشتعلة ليلا ونهارا وصيفا وشتاء، قبر لصق قبر.. قبر فوق قبر.. قبر تحت قبر.. قبور.. ولا شيء سوى القبور التي بات عددها يزداد على مر الأيام ومساحتها تتسع وهي تمضغ لحم المدينة وضحاياها يكثرون وهي تفتك بالأحياء) أباح لهذه المقابر أن تنمو زاحفة نحو المدينة محتلة إياها ومحولة بيوتها الى مقابر للأحياء؟! بجرأة ووعي وصدق يجيبنا زنكنه إن وجها واحدا أو قناعا واحدا يتجسد في آلاف الأقنعة أو إن آلاف الأقنعة تتجسد في وجه واحد هو وجه المستبد الأحد الأوحد الذي يقرأه زنكنه على الوجه الآتي:

(أقرا بمعونة بابا كركر.. لا أحد.. سوى أحد.. فانكفئ على نفسي مصعوقا..آه إن الحياة تواصل مسيرة شقيقتها التوأم بكل تفاصيلها ووقائعها حتى لا تبقى ثمة غير حياته..واحدة.. سوى حياة واحدة.. وحيثما تعددت صورها وأشكالها وتباينت ألوانها وخطوطها فلها وجه واحد..هو وجه الأحد هو الوجه الواحد... كثير التجاعيد كثير الأقنعة.. ولكن في النهاية كما في البداية هو،آه أين المفر.. أين المفر.. من الوجه المختبئ خلف آلاف الأقنعة؟ كيف الخلاص من آلاف الأقنعة التي تخفي الوجه الواحد؟ كيف؟ كيف كيف.. أين.. أين؟؟؟).

ويستمر زنكنه ببث أفكاره المتدرعة بالحلم،ويستمر بوحه المكتوم عن أفعال الطاغية والخوف الذي زرعه في كل نفس وفي كل بيت ومحلة ومدينة ولا سبيل لقهره حتى بالخوف نفسه بعد أن صارت البلاد بلادا للخوف. يقول زنكنه بجرأة المبدع في الصفحة السادس عشرة(٧):

((الخوف يكاد يلاشيني وخوفا من أن يقضي علي الخوف ويلغي وجودي تماما.. وحرصا على نفسي ونوعي من الانقراض الأبدي يعزز تشبثي المشروع بالحياة).

فالخوف في (نثارات) متعدد الوجوه ومتشعب ومكدس بعضه فوق بعض.وان المقابر الجماعية لا بد وان تؤدي يوما ما , بحكم زيادة مساحتها وعدد سكانها من الأموات،إلى انقراض النوع ولكن أي نوع؟طبعا النوع الذي على شاكلة الراوي الذي يشكل خطرا حقيقيا على وجود الدكتاتور وسلطته المستبدة واز لامه الطغاة الذين لا يتورع زنكنه عن تسميتهم وحوشا:

((أيها السادة الوحوش.. أيها الوحوش السادة))

ويصل البوح المكتوم أقصاه حد أن الفواصل بين البوح وبين الكتمان تزول تماما إذ يتحول زنكنه إلى ما يشبه التصريح والمجاهرة بالرأي والموقف وتشبيه الحال الذي آل أليه الدكتاتور والكيفية التي سلكها للوصول إلى دفة القيادة:

(من بعيد المح.. كبشا غريب الهيئة.. شاذ الخلقة متوجا بقرنين..أشبه بحسامين يقطران دما.. يصعد الخرفان.. كما لو كان جسرا معبدا له،كاشفا بتعمد،أو زهو، عن أرجل مصبوغة من بدايتها إلى نهايتها بالدم، وهو يثغو بعواء متقطع، ويشير بظلفه الذي يسيل دما، إلى جسد خروف ممزق.. كأن مجموعة ذئاب غادرته للتو.. ويقول بكلام فصيح.. هذا عقابي. ابسط عقاب واكثر رحمة.. أنزله بكل من يخرج على الإجماع الخروفي في عالمي الجديد)(٨)

إن التصريح بحقيقة الدكتاتور (الكبش غريب الهيئة) بهذه الطريقة جعل مسألة الاستسلام له أمرا غير قابل للرد أو المناقشة. وصار الانسياق وراء خطواته أمرا مفروغا منه بعد أن تحول الكل إلى خراف وديعة طائعة مطيعة تصفق بحماس للكبش حتى تدمي اكفها من ضراوة التصفيق. كيف لا وهي تدرك تماما إن من يصفق طويلا يعيش متنعما بهبات (القدر القائد) الذي يقود الجميع إلى (مجاهل مجهولة) أو إلى حتوفهم.

لقد بث زنكنه كل معاناته من النظام الدموي المقبور في نثاراته مشخصا طبيعة ذلك النظام وواصفا كيفياته التي على وفقها تسلم السلطة وتربع على دست الحكم مقدما صورا واضحة بينة عن رأس. تلك السلطة بطريقة فنية تمكن من خلا لها البوح بشيء والتكتم على أشياء.

لقد وصف أحد المتابعين لكتابات زنكنه، وقتذاك بان (نثارات حلم تبحث عن حالم) هي العمل الأكثر جرأة من بين سائر أعماله ونصوصه الإبداعية. وهو وصف قد لا نتفق على منحه لهذا النص الإبداعي دون غيره لان اغلب النصوص التي تصدى فيها زنكنه لبطش السلطة وارها بيتها قد اتصف بالجرأة نفسها ولكن يمكننا القول انه لم يبح في عمله هذا بوحا مكتوما بالقدر التي تحصنت به نصوصه الأخرى.ان شفافية الرمز سهلت للقارئ مهمة التوصل الى دلالته بأسرع مما توصل اليها في النصوص الأخرى او لهذا جاءت حماسته واضحة في إضفاء عبارة((الأكثر جرأة)) على هذا النص. وحقيقة الأمر ان زنكنه وهو يكتب نصه الإبداعي يأخذ في الاعتبار مدى تشدد الرقابة السلطوية في ظرف ما، ومدى ترهلها في ظرف آخر. ولهذا لم يستطع ان يقدم نصه القصصي الطويل ((الموت سداسيا))(٩) على سبيل المثال للحصر، إلا بعد ان منح هذا النص عنوانا ساهم بدرجة كبيرة في استغفال الرقيب و استبعاد مقصه عن الموضوعة التي حملها زنكنه كل معاناته و آلامه و حزنه على مدينته التي لم تعد كما كانت قبل استحواذ المستبدين عليها.لقد اطمئن الرقيب لتأويله و اعتقاده ان المستبدين في القصة إنما هم أولئك الذين اغتصبوا الأرض باسم..... ولم يفطن الى انهم أسياده المستبدون المتسلطون على رقاب الكورد بشكل خاص و العرب

بشكل عام. و لو افترضنا جدلا ان القصة استطاعت إيهام القارئ أيضا فان عودة قليلة الى الوراء ستكشف له، بعد إسقاط واقع القصة و أفعالها على واقع السلطة و أفعالها، عن تماهي إحداهما في الأخرى.

تبدأ قصة الموت (سداسيا) بالتصريح ان الحرية عادت للفتى الذي سلخوا حريته زمنا طويلا و سمحوا له بالعودة الى مدينته بعد ان غيبوه في غياهب سجونهم و بعد أن ساموه مر العذاب وعلموه كيف يستخدم حريته مرة ثانية و كيف يتصرف بها في إشارة تهديدية تضمن عدم مطالبته بأي شئ كان فيما مضى ملكا له و جزء من حقوقه فقانونهم يقضي:

«انه.. من حق السلطة السماوية و الأرضية، التي هي ظل للأولى.. و وجه من وجوهها المتعددة.. أن تضع كلتا يديها على الأموال المنقولة و غير المنقولة التي يرثها أفراد.. لا يؤهلهم القانون للتمتع بما يرثون»

و هذا يعني أن زنكنه حاول أن يقول من خلال نصه، بالحرف الواحد، ان ما يحدث للناس علانية، و على رؤوس الأشهاد، يحدث للعراقي في السر والخفاء. وأن السلطة تشرع لاستلاب كل ذي حق حقه بوساطة سنها للقوانين المجحفة أو رجوعها الى اكثر القوانين قدما و رجعية كالقانون الذي كان مفعوله ساريا في العراق قبل أربعة آلاف عام. يقول نص ذلك القانون:

«إذا قيد رجل رجلا آخر، بسبب قضية لا يعرف عنها.. (المقيد) شيئا. ولم تثبت علاقته بها. فعلى الرجل الأول أن يتحمل أي جزاء يترتب على القضية»

و يستمر زنكنه في بوحه المكتوم و إطلاق صرخاته الصماء في وجوه الطغاة و البغاة محولا كلماته الى مرايا تعكس بشاعة وجوههم و سفالة أفعالهم.. و القدر الهائل من القذارة التي تغطي هاماتهم. و على الرغم من إقراره ان القذارة انتصرت على النظافة الا انه يؤكد على ان من الزهو و الخيلاء « ان يحتفظ المرء بضميره نظيفا في دنيا تفيض قذارة و تزداد اتساخا»

و ان قصة (الموت سداسيا) تسوق لنا أمثلة كثيرة على تلك القذارات و قصصا و حكايا و مشاهد مسرحية و أحداث كلها تؤكد على ان السلطة نشرت قذارتها في كل مكان. فمن خلال حكاية زنكنه عن الراعي و الرعية يتضح ان لاحق للراعي بالتساؤل عن لحم قطيعه لان لحمه هو لم يعد ملكا له و عليه أن يغلق فمه أو يغلقونه اغلاقته الأخيرة. و إذ لم يكتف زنكنه بفضح هذا الظلم الهائل يلجأ الى وضع هامش طويل اسفل الصفحة يتحدث فيه بوضوح اكثر عن ظلامية السلطة و قسوتها و قضمها لحوم أبناء الوطن و سترون إذا قيضت لكم العودة الى ذلك الهامش انه موقع باسم زنكنه الصريح. و في هذا حسب رأيي جرأة كبيرة تجاوزت البوح المكتوم الى البوح المعلن الصريح. و في موضع آخر يسوق لنا زنكنه أحداث مشهد مسرحي صغير يكشف من خلاله انسحاق المنظومة الخلقية و تردي الواقع الاجتماعي و بلوغ الفساد مبلغ التدهور و الانحطاط و هو مشهد حاول زنكنه عن صاحب الفواكه الذي يشكي ما حصل له جراء تعرض فواكهه للتعفن بعد أن طال خزنها في محله بسبب الثواني التي تحولت الى أيام مخصصة للقضاء على الوحش كما تدعي السلطة،وبالجرأة نفسها يضع لنا هامشا آخر مختوما باسمه الصريح فضلا عن وجود اسمه في متن ذلك الهامش إذ يقول باعتداد كبير: ((أنا محي الدين زنكنه مؤلف القصة. و خالق أحداثها و شخوصها.فقد استطعت بعد إجراء بحث دقيق. مصنف طويل.. أن أتوصل الى جملة حقائق.. أضعها في خدمة التأريخ و الحقيقة... وكل من يهمه أمرهما تاجر الجملة هذا.. لم يكن اكثر من أحد الأشقياء. و لكنه هنا حيث تتزمكن القصة اصبح فجأة صاحب بستان تفيض بالخير و العطاء. دون أن تخترق قدمه شوكة.. أو يسكب جبينه قطرة عرق. سوى أن حريته اخترقت العديد من الأجساد..و سكينه سكبت سواقي من الدم.)) م. زنكنه

انه هنا يتحدث حديثا مركبا من عنصرين الأول يتركز في حق السلطة في امتلاك كل شئ و الثاني يتركز في بضعة أشياء هي من حق السلطة مثلما أن

هؤلاء الآخرين هم ملكها أيضا ومن حقها التلاعب بمصائرهم و إراقة دمائهم هما إذن وجهان القتل و الجشع و قد يؤدي أحدهما الى الآخر أو الى الدم. هكذا صارت المدينة التي هجرت السلطة ناسها وسلخت حرياتهم و ألقت بهم في السجون و المعتقلات و صادرت ممتلكاتهم كلها يقول زنكنه واصفا مدينته البائسة: «آه.. آه أكاد أتقيأ أحشائي... من رائحة الدم المتخثر التي اكتسحت الروائح الأخرى، كلها، في هذه المدينة، مدينتي، البرتقالية... المشبعة... برائحة القداح... و الأشجار... اللعنة... ما الذي يجري في مدينتي البائسة؟ لقد تسمم حتى الهواء و فسد... ستخنقها العفونة.».

و يستمر بوح زنكنه في هذه القصة حتى و هي تقترب من نهايتها ولم نعثر على ما يشير الى ان هذه البيئة ليست عراقية كما يوحي عنوان القصة بل عثرت على كل ما يشير الى عراقيتها و كركوكيتها تحديدا.. انها مدينة الكاتب و مسقط رأسه وقد خلت من أهلها و اغتصبت بيوتها و انتهك قداستها الداعرون و لكن على الرغم من هذا كله يظل ثمة أمل يلوح في الأفق البعيد الذي يبشر «بحمرة خفيفة. أشبه بحمرة الفجر الوليد».

في قصة (سبب للموت..سبب للحياة) يتحول بوح زنكنه من الكتمان الى المجاهرة،بعد تعرض شخصية القصة الرئيسة للتعذيب و الضرب على مؤخرة الرأس بالمطرقة فيقول منتفضا:

« لقد ملأتم كل القدور و الأواني و البراميل بالدماء فأين ستذهبون بدمي الذي سيظل

يسيل و يسيل حتى تطفح كل الأواني التي تلقيتموها هبات و هدايا.. فان أيا منها لم

يعد يحتاج الى اكثر من قطرة واحدة ليطفح. ليسيل و إذ ذاك سيحدث الطوفان

الذي سيجرفكم أو يخنقكم في عقر دوركم»[١٠].

و يجعلنا زنكنه نزداد نقمة على ازلام السلطة عندما نعرف انهم يمارسون كل ذلك التعذيب مع شخص برئ لم يرتكب ما يؤدي الى تعذيبه. و ليس له علاقة مع أي سياسي تلاحقه السلطة أو أي جهة معارضة أو مقاومة لنظامهم.و إذ يرى هذا البريء قسوتهم و إيغالهم في تعذيبه و إراقة دمه يطلق صرخة مدوية في وجوههم: «انتم وحوش».

ولكن كيف تبدو هذه الوحشية في نظر محي الدين زنكنه؟ و كيف تتجسد في شخصية المستبد من الناحيتين الرمزية و الواقعية؟

رمزيا يرسمه زنكنه في قصة (حيث الناس يعيشون كالهواء) بوجه ملئ بالدمامل،في إشارة لقبحه و قبح نظامه الديكتاتوري، و بأسنان صفراء بعضها أسد و بعضها حصان، في إشارة للؤمه وحقده و قدرته على أكل الزرع و الضرع، ثم يضع له قرونا طويلة تناطح السحاب في إشارة لجبروته و قدرته على النظر الى كل الكائنات من الأعلى نظرة استعلائية و عدائية. ثم يجعل من أنفاسه كريهة لسوء ما ينطق به و لبشاعة ما يصدر عنه من كلمات. انه في نهاية الأمر يشبهه بأشرار الميثولوجيا القديمة. اما من الناحية الواقعية فان زنكنه يصفه بالطاغية المتجبر الظالم المستلب المستغل المغتصب السادي الكبش الوحش.. ولو عدنا الى (نثارات حلم تبحث عن حالم) لوجدنا صفاته الكبشية مرسومة بالصورة الآتية:

« من بعيد المح... كبشا غريب الهيئة.. شاذ الخلقة.. متوجا بقرنين.. أشبه بحسامين يقطران دما.. يصعد ظهور الخرفان.. كما لو كانت جسرا معبدا له.. كاشفا بتعمد، أو بزهو، عن أرجل مصبوغة من بدايتها الى نهايتها بالدم. و هو يثغو بعواء متقطع... و يشير بظلفه الذي يسيل دما... الى جسد خروف ممزق... كأن مجموعة ذئاب غادرته للتو...ويقول بكلام فصيح... هذا عقابي.. ابسط عقاب و أكثره رحمة... أنزله بكل من يخرج على الإجماع الخروفي في عالمي الجديد.).

و في مسرحية (السؤال)[١١] يصف سلطة ذلك الطاغية بانها سلطة غائبة و غافلة عما يحدث للناس

ما دامت قد نامت منتفخة البطن متخمة. و سوف لن تستمد منطقها الا من المرتشين و السماسرة و اللصوص و القتلة.. و عليه ما دام الزمن هو زمن هؤلاء فلن يكون ثمة عدل على الإطلاق ولم يخف هذا على الرقيب فهو يدرك إدراكا تاما ان الزمن هو زمن الكلاب و لهذا حذف من بحثي الذي قدمته للوزارة يومذاك تحت عنوان السهل والجبل حذف جملة « لا عدل في زمن يتسيده المجرمون و القتلة».

لقد كتب زنكنه مسرحية (السؤال) وكانت القوى الوطنية قد تحالفت مع السلطة البائدة في جبهة ائتلافية موحدة ظنا من القوى الوطنية أنها تستطيع من خلال هذه الجبهة الوصول الى أهدافها الوطنية النبيلة فما كان من زنكنه الا أن كتب «السؤال» محذرا فيها الشيوعيين، تحديدا من جريرة هذا الائتلاف و نتائجه التي سوف لن تختلف كثيرا عن نتائج المسرحية.

لقد أراد زنكنه القول ان من الصعوبة الجمع بين الماء و بين النار، بين الحمل و الذئب، بين الخبث و بين الطيبة..وعليه أوصل (صفوان) نفسه و محبيه الى حالة لا أحد يوافقه عليها.و مع ذلك فهو يصر على أن العدالة يجب ان تأخذ طريقها الى القاتل الحقيقي دون أن يبد اهتماما لزمانه المنهار الذي سبقه و تجاوزه، بفكره، الى زمان آخر يسود فيه الحق و الجمال. كما كانت القوى الوطنية تصر على قدرتها على تغيير الواقع و إمكانيتها على تحقيق أهدافها الإنسانية النبيلة و قد كانت النتيجة ان دخل صفوان السجن ليذيقه المتسلطون مر العذاب كما دخلت القوى الوطنية عموما و الشيوعيون خصوصا الى سجون النظام بعد سلسلة من المطاردات و المداهمات و الاعتقال و الضغوط النفسية و الاجتماعية و هكذا نفهم فهما موضوعيا ان (صفوان) سلم نفسه الى قاضي القضاة و صاحب و صاحب البريد و صاحب الشرطة ليذبحوه ففعلوا ذلك ببرود.و هنا لا بد لي ان اذكر مفارقة مهمة حدثت إبان عرض المسرحية على خشبة مسرح بغداد إذ قدم المظلومون أو لنقل من أرادوا أن يكونوا مظلومين باقة ورد لزنكنه إعرابا عن إعجابهم بمسرحيته دون أن يأخذوا في الاعتبار تحذيره من مغبة استمرارهم في التحالف مع الوحش و زبانيته الموتورين.

ان زنكنه لم يرد للمقاومة ان تقدم نفسها للذبح بنفسها،فهو يؤمن بوجود سبب حقيقي للموت كي يمد السور الى الحياة.و ان من الخطأ التحالف مع أية قوة جاهلة غشوم لا تتورع عن إلحاق الأذى بأبناء جلدتها فكيف بها و هي تتآلف مع مجرمي شباط الأسود.

في مسرحية «شعر بلون الفجر»[١٢] التي قامت مؤسسة ذلك النظام بطبعها عام ٢٠٠١ و لم يطلع عليها إلا بضعة أنفار من المتابعين لكتابات هذا المبدع الأكثر أصالة و صدقا بين عدد غير قليل من الكتاب المسرحيين في بلادنا، فظلت مركونة وراء الكواليس،و مكدسة داخل مخازن شركة التوزيع و النشر في بغداد، يواجه زنكنه السلطة بمزيد من السخرية و الاستهجان و هو يتطرق الى اشد مراحل العراق ظلما و ظلاما، بروح عراقية أصيلة. و هي دراما كبيرة يتوهج من داخلها لهب انتفاضة و تمرد و مقاومة بالكلمة و الفعل و الحجارة و الإرادة الحرة. وضعها زنكنه في قالب كوميدي ساخر تحقق الضحكة فيه غرضا معرفيا هادفا،وتشكل المبالغة بنيته الأساس التي تتضخم على نحو مثير كلما انتقلت المسرحية من مرحلة الى أخرى بطريقة تحفز ذهن المتلقي و فاعلية تأويله للموقف الكوميدي،فالوالي،و هو الشخصية الرئيسة في المسرحية، رأس مليئة بالدمامل و القيح، لا تكسو جلدتها شعرة واحدة، تنمي فيه رغبة قهرية مقمعة تبرز معالمها في (فرمانه) الذي يحرم بموجبه الشعر على عامة الناس من الذكور. وما أن يكتب (الفرمان) و يعلن على الملأ حتى تبدأ زبانيته بالتنفيذ فتكتفي فئة منهم بحلق شعور رؤوسهم ثم تأتي فئة أخرى لتبالغ في الأمر فتحلق الشوارب و اللحى، و تبالغ أخرى فتحلق ما تبقى

من شعر في مناطق الجسم الأخرى. و إذ يظهرون في الشوارع، مفاخرين بأشكالهم التي أرادها الوالي على هذه الهيئة يطاردهم الأطفال بالحجارة و السخرية و الضحك و التندر حتى يفقدونهم الصواب و الألباب لتبلغ الكوميديا عند هذه النقطة ذروتها فتكشف للمتلقي ضحالة الوالي و كاريكاتورية اتباعه على الرغم من جبروتهم و طغيانهم الكبيرين.

لقد جعل زنكنه رأس الوالي، تتستر على قبحها بالعمامة التي ما ان سقطت على رأسه حتى تكشف سر قبحها أمام (خديجة) التي أراد امتلاكها بالقوة. و من اجل ستر قبحه اصدر فرمانه ذاك الذي قضى بموجبه أن يحلق الذكور شعورهم في كل أرجاء بغداد كي يضيع (الابتر) على طريقة ابن آوى. ولم يكتف زنكنه بهذا بل جعله عقيما ليدلل بهذا على عقم الطغاة و حتمية زوالهم. فعلى الرغم من مئات الزيجات الشرعية و غير الشرعية لم ينجب الوالي من يخلفه على ولايته. ان زنكنه و هو يقدم هذه الشخصية يلقي، في الوقت نفسه، الأضواء على كل القوى المساندة لها و أولها الدجالون من الملالي الذين يلبسون لبوس الطهر و التقوى و الورع و القداسة. و نزع عنهم أقنعة الزيف لتظهر صور الشياطين المتخفية تحت جببهم.وكذلك فعل مع التجار والمرابين وسائر المستبدين.

و في الجهة الأخرى وضع شخصية (خديجة)، المرأة العراقية التي ترفض الثراء الزائل و الجاه محتفظة بعفتها و محافظة على عهد وفائها لابن بلدها كي يوفر ضدية تشتغل على تأجيج الصراع وتوصيله إلى اشده عندما يتحول إلى رغبة عارمة لهتك العفة (عفة خديجة) ومقاومة شديدة للحفاظ عليها.ثم بطريقة مبدعة ينقل الصراع (صراع خديجة مع الوالي) إلى بقرة خديجة التي ثارت ثائرتها فأرهبت الوالي ومن معه، وهدمت الزريبة عليه ملطخة وجهه بالبراز في مشهد كوميدي بلغ أوج الهزء والسخرية عندما هرب الوالي وسقط مرافقه (جنكيز) تحت أكداس من القاذورات. المسرحية اذن، تنتصر للجمال ضد القبح،وللحق ضد الباطل، وللنور ضد الظلام، و للحرية ضد الاستعباد، وللاستقلال ضد التبعية، و للوطن ضد الاستعمار، بأسلوب كوميدي مهذب يندر أن نجد له مثيلا بين الكوميديات المعاصرة.

ولم يقتصر بوح زنكنه على النصوص القصصية بل تعدى ذلك الى نصوصه الروائية الثلاث: هم،ئاسوس،بحثا عن مدينة أخرى.ففي روايته الأولى[١٣] استطاع على مدى يومين،وخلال سبعة عشر فصلا ان يجعل الحلم فيها يختلط بالواقع،والحقيقة بالخيال،وان يجعل منها رواية مجابهة وتحد واجتثاث للجذور الفاسدة.يروي الأحداث فيها بطلها (يوسف)الذي يعاني من مضايقات (هم)التي جعلته يشعر بالإحباط والحصار والضيق بعد ان داهمته كوابيس (هم)لكنه لم يستسلم على الرغم من ضخامة قوة(هم)وشراستها.ولم يوقع على ما يريدون.وإذ خيروه بين الموت والتوقيع لم يختر الموت ولم يختر التوقيع بل قال بصوت رافض (لا) فانفجر فمه بالدم جراء الضرب على مؤخرة رأسه.وتعاون ثلاثة(هم)على حشره في صندوق أقفلوه عليه ورموه في البحر ولكنه على الرغم من كل حبه و رغبته وتشبثه بالحياة ومحاصرته بالموت المحقق كان يردد والصندوق يتمايل به:

((حسبي أني لم اخسر نفسي..لم أخسر نفسي))

ان تكرار الإشارة الى (هم)يولد في نفس القارئ شكا مستمرا مع استمرار تكرار الكلمة مما يدفعه الفضول الى معرفة هؤلاء الـ(هم)وتكشف حقيقتهم التي تنطوي على مزيد من الظلم والظلام والقسوة والسطوة والهيمنة والإرهاب.

في روايته الثانية[١٤] تناول على مدى ٢٢٨ صفحة من الحجم المتوسط العلاقات والروابط الإنسانية في مجتمع ينقسم على قسمين: يتشكل القسم الأول من نزلاء السجون وزوارهم بينما يتشكل الثاني من المتسلطين والانتهازيين ولعل من اكبر المفارقات

الرقابية هي ان الرقابة فرضت على محي الدين زنكنه تثبيت جملة تفصح عن ان أحداث هذه الرواية تتوقف بحدود عام ١٩٦٧ على الرغم من ان الرقيب يفهم فهما واضحا ان أحداثها تستمر الى ما بعد عام ١٩٦٨ ويبدو واضحا ان زنكنه وضع الرقيب في موضع قلق لا يستطيع معه رفض النص او قبوله من جهة وخوفه من الموافقة ونتائجها من جهة أخرى.

لقد تجلت في هذه الرواية عراقية محي لدين زنكنه من خلال الروابط الحميمة بين العربي و الكردي، بين المسلم والمسيحي، بين الصغير والكبير على وفق تركيبة جديدة محكومة كلها بحب الوطن قبل أي اعتبار آخر. ولعل وقوع الأحداث بين اربيل ((موطن الشخوص ومسقط رؤوسهم)) وبين الحلة ((محل سكناهم واقامتهم)) ووجود أبطال الرواية الاربيليين في الحلة دليل على التمازج والتماسك و التعاضد والاخوة وعمق الروابط الاجتماعية بين أفراد ذلك المجتمع. اما روايته الثالثة(١٥) فتقع في ثلاثة أقسام يشتمل القسم الأول والثاني ((مدينة ١ ومدينة ٢)) على ست ((أوراق)) لكل ورقة منها عنوان خاص. ومن سياق العنوان الرئيس ((بحثا عن مدينة أخرى)) نفهم ان بطلها إزاء مدينة كل ما فيها قذر وقميء ولا يمكن للمرء فيها إلا أن ينفر منها ويتقزز.وإذ يقرر البطل ذلك فانه يسعى للبحث عن مدينة بديلة يتضح ملامحها من خلال ما اتصفت به مدينته من قذارة وبؤس وانهيار وسقوط وبشاعة. في مدخلها البسيط المختزل يخبرنا المؤلف ان بطله يعاني عزلة فرضتها، عليه، ظروف مدينته، فتخلى عن الزوج والأب والأقارب والأصدقاء حتى صار مثل شجرة جرداء لا يتبقى، بعدها،سوى ان تخبرنا الرواية عن الكيفية التي تم فيها التخلي الذي وصل حد تخليه وتناقضه مع شخصيته الداخلية.تلك الشخصية التي تأثرت بالظرف المحيط فتناقضت مع تطلعات نصفها الآخر. وهي لهذا وذاك تتصرف بجنون وشذوذ. او هكذا يبدو سلوكها للآخر.فالشخصية تحاور نفسها وتعكس من خلال حوارها الداخلي (المونولوج) عمق الصراع بينها وبين نفسها ان بحث الكاتب الدؤوب عن مدينة أخرى أمر يدعو الى تغيير الظروف المحيطة وتحسين العلاقات و إقرار العدل و إحقاق الحق و إشاعة الحريات.ولما كانت كل هذه المتطلبات مختفية من عالم المدينة فقد أراد زنكنه ان يبوح لنا بكل ما افتقدته جراء اغتصابها من قبل المستبدين والمتسلطين على رقاب الشعب العراقي وان يقول بالحرف الواحد ان هؤلاء هم السبب في كل ما حصل لمدينتنا من احتلال وخراب ودمار وانهيار وسقوط.

بعد هذا كله نقول باختصار شديد ان ما قدمناه في بحثنا هذا ان هو الا غيض من بوح محي الدين زنكنه المكتوم طوال أربعين عاما آملين، أن يتسع لنا الوقت، فنكمل ما بدأنا به أو يتوسع فيه غيرنا من المبدعين.

إشارات:

(١)...... (٥) مسرحية الجراد - وزارة الثقافة والإعلام -بغداد ١٩٧٠

(٦) الجبل و السهل - مجموعة قصصية صادرة عن دار اراس للطباعة والنشر - اربيل ٢٠٠٢

(٧... (٨) مجلة الأقلام -العدد ٩، ١٠ - عام ١٩٩٢

(٩) مجلة الأقلام -العدد ١١ - عام ١٩٩٠

(١٠) كتابات تطمح أن تكون قصصا - المؤسسة العربية للدراسات و النشر ١٩٨٤

(١١) مسرحية السؤال - منشورات وزارة الإعلام - بغداد ١٩٧٦

(١٢) مسرحيتان - دار الحرية للطباعة ٢٠٠١

(١٣) هم - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٧٥

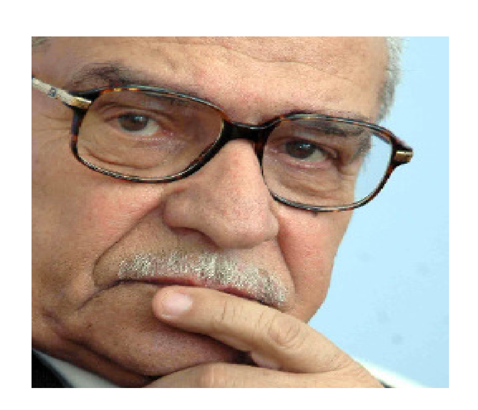
(١٤) ئاسوس - دار الساعة - بغداد ١٩٧٦

(١٥) بحثا عن مدينة أخرى - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٨٠.

الحبق*

العتبة: فذلكة لغوية

فصل من رواية: لـ (محي الدين زەنگەنه)



صَبَرَ.. يَصْبُر.. أَصْبُرْ..
صَبَّرَ.. يُصَبِّرُ.. صَبِّرْ..
صابَر.. يُصابِرُ.. صابِرْ..
تَصَّبَر.. يَتَصَّبَرُ.. تَصَّبَرْ..
تَصابَرَ.. يَتَصابَرُ.. تَصابَرْ..
صابِرٌ.. صَبَّارٌ.. صَبُورٌ..
مَصْبورٌ.. مُصابَرٌ.. مُصَبَّرٌ..
مُصَبِّرٌ.. مُتَصَبِّرٌ.. مُتصابِرٌ..
صَبَّارٌ.. صَبِّرٌ.. صبـ.. صبـ.. صبـ.. صبـ..
الى اخره.. الى اخرها.. الى اخرهما.. الى اخرهم..
الى اخرهنّ.. الى اخر.. الى اخ.. اخ.. أ.. أ.. أ.. أ..

★ ★ ★

لم ادع كلمة اخرى.. او أخرى.. مشتقة، او منحوتة، اصلية.. او مركبة.. معروفة ومألوفة.. معلنة او مخفية.. متداولة او ضائعة.. مبذولة او نادرة.. لها وجود او ليس لها وجود.. صحيحة او غير صحيحة.. سواء اكانت قد وردت كفعل، بكل انواعه. اعني الثلاثي. والرباعي والخماسي والسداسي.. والسباعي والثماني -ان كانت ثمة في اية لغة افعال بهذا القدر الخرافي من الحروف- .. و و و و.. وبكل صيغه، الماضي والمضارع والامر.. ومابعد الماضي والمضارع والامر.. ان كانت ثمة صيغ.. للما بعد.. وحتى ان لم تكن.. فاني اعمد الى خلقها.. غير حافل ان كنت مصيبا، او خاطئا.. وبسائر ازمنته الماضوية والحاضرية والمستقبلية.. وماقبل الازمنة وما بعدها وبسائر اشكالها اللازم منها والمتعدى. سواء عندي ان كانت مصادر.. بجمع اشتقاقاتها.. المقبولة منها والمرفوضة، المستخدمة في الكلام والتعبير.. وغير المستخدمة لا في الكلام.. ولا في التعبير.. ولا في سواهما، من اساليب اللغة والحديث والكتابة والانشاء.. والشعر والنثر.. واللاشعر واللانثر.. مثل لغة كتاب هذا الزمان الحاضر العجيب.. الذين.. انا نفسي واحد منهم، ولا فخر.. والذين لايمكن تصنيف لغة اي منهم.. ضمن اية فصيلة ولا اي قطيع.. من فصائل

اللغات وقطعانها.

اقول.. لم ادع اية كلمة، تعتمد على المادة اللغوية.. لهذه الحروف الصم، البكم.. الهمل.. اعنى.. الصاد والباء والراء –ص، ب، ر- التي وحدها منفردا كل واحد لذاته.. لاتعني شيئا.. اي شيء.. ولكنها ماتكاد تجتمع مع بعضها، اجتماعا مريبا مشبوها.. فائحا برائحة الارهاب الجسدي والروحي.. حتى تستحيل احجارا، بل صخورا من الجلمود.. حادة الاطراف كالسكين الجديدة.. مدببة النتوءات.. كالمسامير الفولاذ.. تفترش الطريق الابليسية التي تقودك.. وتفتح لك ابواب الجحيم كلها.. على مصاريعها.. لتشويك نيرانها الخرافية التي تحرق الاخضر قبل اليابس.. وتحيل الكون كله، ارضا وسماء، بركانا يسيل حمما.

تستوي في الفعل الشرير هذا.. الكلمات التي تتشكل من هذا الحروف اللعينة، وكلها ارواح شريرة تتنافس بخبث شره.. لخلق بحار من العذاب.. اعمق واوسع واشمل.. وذلك ديدن الكلمات كلها، تلك التي تدخل فيها هذه الحروف العدوانية جميعا، او حتى واحد منها او تخرج منها.. وتتفرع عنها.. او التي تنتمي اليها بصلة قربى من قريب او بعيد.. من القريب القريب. والاقرب الاقرب، او البعيد والابعد الابعد، بصورة حميمة او غير حميمة.. حتى باتت هذه الحروف الثلاثة.. من ابغض الحروف بل.. بل.. ابغض الحروف.. بجدارة واستحقاق. من بين ملايين.. او بلايين.

الحروف التي تنظيم لغات الكون.. التي لا اعرف عددها.. ولا النطق.. باية واحدة منها.. ناهيك عن كتابتها او قراءتها.. ماعدا اللغة التي اضطررت الى تعلمها اضطرارا.. وارغمت على معرفتها ارغاما.. طيلة سنوات وسنوات والتي بالرغم من ذلك، مايزال علمي بها محددا جدا[1]. ومعرفتي باصولها واسرارها وحتى استخدامها في الحياة اليومية.. والدراسية.. قاصرة جدا.

فاني حتى الآن اجهل مجهولاتها ومكشوفاتها، ولا اعرف شيئا عن خفاياها.. واسرارها.. ولم اقترب من دهاليزها المعتمة المتشعبة.. ولم اسبر غور بحارها العميقة الشاسعة. التي لايحد اتساعها ولا عمقها حد.. ولا يؤطر فضاءاتها اللا محدودة اطار. ولا يبلغ قعرها غواص، مهما كان علمه ومهارته وحذقه في الغوص والعوم، حتى ولو امتلك خبرات اسماك البحر وحيتانه وسائر حيواناته المائية. مثلما.. يستحيل على اي مخلوق، ان يدرك مدياتها.. حتى اذا قضى حياته كلها، بايامها ولياليها.. وافنى سنوات عمره جميعا بشتاءاتها واصيافها، في البحث والتنقيب عن شواردها.. وشواذها او رام ولو من بعيد، الالمام، بعض الالمام، بآفاقها..

والتأريخ عموما، وتأريخ اللغة تحديدا، مليء بشواهد من هذا القبيل. علماء افذاذ.. استرخصوا الغالي والنفيس.. والمال والولد.. وبذلوا كل مافي الوسع.. من قدرة.. وفي النفس من طاقة.. وفي الروح من قوة.. وفي القلب من ايمان.. وفي الشريان من دم.. زاهدين عن الدنيا ومتعها وملذاتها ومسراتها.. التي يتهافت عليها، امراء الارض وحكامها وملوكها.. وقادة الانظمة والاحزاب وائمة المساجد والجوامع.. ويتعاركون كالكلاب، في سبيل نتف منها.. ويتساقطون عليها كاسراب الذباب التي تتساقط على صفائح الدبس المفتوحة.. بينما عاف اولئك العلماء الاهل والاحباب.. والابناء والبنات والاباء والامهات.. وانغمروا بكل جوانحهم وعقولهم وقلوبهم وركيبوا الاهوال والمشقات الجمة.. للوصول الى مايرومون ويبغون حسب ولم يبلغوا.. او يحققوا بعض القصد في سعيهم وطموحهم.. وماهم ببالغيه.. ناهيك عن تحقيقه..

بيد ان بعضهم، قلة قليلة منهم حسب، استطاعوا ان يصيبوا الاقل من القليل مما كانوا يطمحون الى نيله ويحاولون الارتقاء الى انجازه.. لعلهم يكسبون بذلك بعض رضى الرب وغفرانه.. اذ يفنون اجسادهم، الفنانية على اية حال، وفي كل الاحوال، في لغة كتابه العزيز الحكيم.. بل.. بل في قطرات.. لا

بل قطيرات.. او قطيرة واحدة.. من مياه هذا البحر.. المعجز.. المحير.. المليء بدرر الايمان. الفائض بنفائس الاجر.. واعاظم الثناء.. برضى وقناعة واختيار.. وتصميم واصرار.. لاتراجع عنهما ولا انخذال. ولا توقف لالتقاط الانفاس، والاستراحة بعض الوقت.. مهما كانت العقبات والشدائد وايا كانت المكابدات.. والالام والعذابات.. التي كلما تكومت عليهم.. واغلقت امامهم الطريق والسبيل انطلق لسان حالهم يقول.. بقوة وايمان..

-ربنا الجليل القدير.. هل من مزيد من هذه الكوارث والاهوال اغرقنا في المزيد. مادامت هي للامتحان والاختبار.. وستجدنا باذن الله من عبادك الطائعين الشاكرين.. والاجر يا ربنا الكريم..، كما تعلم ونعلم على قدر المشقة وها نحن نشقى ونشقى ونشقى.

مع انهم لم يحققووا.. شيئا.. اي شي على مستوى الطموح والامل.. وحتى على صعيد واقع الحال.. الا الاقل الاقل من القليل..[2].

على اية حال.. ايا كان جنونهم المجنون، المفرط في جنونه، حد الجنون، باللغة، وتقصي اصولها وجذورها.. وكلماتها وحروف كلماتها.. الشواذ والنوادر منها، وبحثهم الدؤوب عنها.. وجعل ذلك كله شغلهم الشاغل الوحيد في الدنيا والاخرة.. ورسالتهم السماوية والارضية. فذلك امر يهمهم، ولا يعنيني شخصيا، البتة، قلامة ظفر، الا.. بقدر تعلق الامر بكلمة واحدة، من بضعة حروف مسمومة حسب. هي كلمة "الصبر" المجرمة القاتلة، التي لم اسمع كلمة اخرى، ذات علاقة بها من اي شكل كان، لم اردها بيني وبين نفسي، ليل نهار، صباح مساء، ولم امارسها واطبقها على نفسي، كابوسا خانقا، يسد انفاسي، يغلق مسامات جلدي. ولم استخدمها في الوقت نفسه، هي وشقيقاتها واخواتها وصديقاتها العاهرات، احجارا صلدة، قوية، ضخمة، سجنا ابديا لروحي، التي اشعر بها، انها قد هزلت وشحبت.. بل وكادت تتفتت. وتوشك ان تنطفيء وتتلاشي.. متسربة من مسامات جلدي التي ازدادت وكثرت واتسعت حتى باتت مثل ثقوب غربال ممزق..

كل هذا.. وانا احارب، اقاتل.. اهجم، بلا سلاح اي سلاح، جيش الجوع اليومي، الذي يغزوني، كل يوم، بل كل دقيقة وثانية. بلا انقطاع ولا توقف، او بالاحرى جيوش الجوع الجبارة المدججة بكل انواع الاسلحة، التقليدية منها، وغير التقليدية، التي لاتمتلك، حتى الان سائر مستودعات اعتى الطغاة واطغى الجبابرة، بعضا منها..

وفي الوقت نفسه، اجهد.. واجاهد ما وسعني الجهاد واناضل ما استطعت الى النضال سبيلا.. بكل بآسي المشحون بالضعف المدمر.. ان اقاوم. او اتحمل على الاقل ديدانه، النهمة الشرهة الشرسة، التي يلقى حفنات منها وحفنات. في جوفي، كل ساعة، والتي سرعان ماتروح تتناسل في جوفي وتتكاثر.. بسرعتها الشريطية في التكاثر والانجاب، تنافس شراهة الجوع الخرافي الذي يملؤني.. وتتفوق عليه، تفوقا مذهلا استثنائيا.. في عدوانيته. ووحشيته.. وقدرته التي لاتضاهي على.. الافتراس والهرس والمضغ..

الصبر الصبر الصبر.. برررررر.. برررررر.. هرررررر.. هرررررر.. صحارى من الصبر محيطات من الصبر، اوقيانوسات من الصبر، تمتليء السماوات والارضين.. بالصبر.. رررر.. الذي.. يسيل من كل فتحات الحيوان والبشر.. والنبات والحجر.. والهواء والماء.. ليصب في سائر فتحات جسمي.. يفترسني باسنان منشارية.. مخالب سكينة، من كل جانب، من كل موضع، بوحشية الجائع، المحروم من كسرة خبز.. الذي وجد نفسه امام اكلة دسمة، بلا مثيل.. ولا رقيب ولا مانع.. اكلة تعادل عمره الفارغ، البائس، اليائس كله.. فراح ينهبها.. نهبا.. بلا ذمة ولا ضمير، بلا رحمة ولا شفقة.. آه بلا شفقة.. وهو في عجلة اسطورية من امره.. لا.. لا تعرف.. الصبر.

امتلأ حلقي بالصبر طينا دبقا لزجا.. فاض

وجودي كله بالصبر.. حتى طاف فوق الصبر. انسدت مسامات جلدي بالصبر.. رملا.. حجرا متوهجا.. اخترق الصبر اذني رصاصا مصهورا.. صرت اسبح في فضاءات الصبر.. جسما طائفا.. لايعرف استقرارا، يتنفس هواء فاسدا.. نتنا موبوءا يخنق الانفاس بنفثه حولي.. الصبر ويخنق به انفاسي..

كل من اراه.. او يراني اقابله او يقابلني.. اكلمه او يكلمني.. احييه او يحييني أوميء اليه.. او يوميء الى.. ينصحني ويوصيني بالصبر.. يصفعني اينما ادير وجهي بالصبر.. يركلني من دبرى ومن قدامي باقدام الصبر. يغل كلتا يدى وكلتا رجلي باغلال الصبر. الحديد.. يخيط شفتي ولساني وفتحتي عيني وثقبي انفي باسلاك الصبر الفولاذية.. الشائكة.. الحادة، القاطعة كالسكين.. بطعمني بطين الصبر.. المتعفن.. يسقيني تراب الصبر الحارق.. يلبسني دبابيس الصبر.. ينعلني احذية الصبر الاسمنتية.. حتى بت اتناول الصبر.. اشكالا والوانا.. وصنوفا.. لاعد لها ولا حصر، مع كل وجبة من وجبات الطعام، الدسم المعدوم. الف مرة في اليوم الواحد.. حد التخمة، فاكل لحم الصبر.. مشويا.. مسلوقا.. مقليا محشوا بالجوز واللوز.. والفستق والبندق.. فوق موائد.. يعجز امهر الطهاة في الدنيا.. عن تنسيقها وترتيبها.. مزدانه.. بالاف الانواع من الصبر.. الذي احس به في فمي.. طعاما ممضوغا. تقيأته الاف الافواه، بعد ان داسته وسحقته وهرسته الاف الاضراس والانياب والقواطع، البشرية وغير البشرية، الطبيعية والاصطناعية.. النظيفة المغسولة.. بمعاجين الاسنان المعطرة. والقذرة التي لم تغسل، منذ نبتت حتى بالماء.. فاورثته طعمها المقزز ورائحتها الكريهة، المثيرة للغثيان، بقوة لاتقاوم.. وصار مبلولا.. بمياه المستنقعات الاسنة التي تسرح فيها الاف القذارات وتمرح. وصرت اروي ظمأي التأريخي العتيد.. واثلم دبابيس اشواكه المفروشة في جوف فمي.. بانواع من عصير الصبر، حلوه وحامضه.. وحلومضه وحاحلوه، مما يعجز عن صنعه وتركيبه وخلط مكوناته.. سائر شركات الشرابت والاعاصير العالمية ومصانعها المبثوثة في سائر انحاء الدنيا.

واقرقط عظام الصبر.. بعد ان انزع منها.. الشحم واللحم.. وامتص النخاع الدهني.. فيفيض كياني مرة اخرى، بالصبر.. تتلاعب بي.. وتداعبني برقة متناهية.. امواجه الهادئة السارحة الضاحكة تحت شمس الاصيل.. يلامسها النسيم الرقيق. فيرسم تموجات دائرية وخطوطا متعرجة ومستقيمة.. متشابكة متداخلة تارة، ومتوازية متخاصمة مرة اخرى، وهي تتراقص على الحان الاغصان وحفيف اوراق الشجر.. وهديل الحمائم وزقزقة العصافير.. وتتعطر باريج الازهار.. وهي تتهادى بسكينة ووقار، دونهما سكينة المترفين الشبعانين المتخمين بشتى الوان الطعام من غير ان يكون الصبر من بينها بالطبع.. ووقارهم الثقيل الذي زاد من ثقله امتلاء بطونهم.. واندلاق كروشهم.. حتى باتت توشك ان تلامس اقدامهم.

ماالبث ان اسبح، مرة اخرى، في مياه الصبر.. تتقاذفني امواجها الهائجة المائجة الصاخبة.. فاصارعها وتصارعني.. تتقاذفني ذات اليمين والشمال.. تركلني تلطمني.. بقسوة ووحشية.. فارتطم بشواطها الصخرية، الحجرية، الحديدية.. واتهالك على نفسي.. واغدو اشبه بجثة لا حول لها ولا قوة.. فتركبني الامواج.. تمتطيني... تسوقني.. تسوطني.. بسياط مزروعة بالشفرات.. تدخلني الى مجهول.. تخرجني من مجهول.. تدفعني الى.. الى مجاهل الصبر.. ومتاهاتها الظلماء.. ثم تقذف بي بقوة الصبر الخرافية الى مستعمرات الصبر ومستوطناته.. فاستلقي فوق احجار الصبر.. المدببة.. ثم تدوسني اظلاف الصبر المجنزرة.. تهرس كل عظمة من عظامي.. ثم تنزل عليها مطارق الصبر الهائلة.. تهشم.. النتف الصغيرة، التي نجت من الاظلاف الوحشية.. فيرتدي جسدي العاري تماما، الامن اردية الصبر الزاهية الملونة.. بالوان قوس القزح.. واكتسي

بجلود الجوع المشعة.. مثل اشعة الشمس.. المنسوجة اصلا من اشواك الصبر.. الافعوانية.. ومساميرها الحادة اللماعة.. الملتهبة.. وابرها ودبابيسها المنقوعة بسموم الصبر العقربية.. واملاحه الفتاكة المذابة في مياه الصبر الفوارة.. الخانقة الغليظة.. مثل نفط كركوك الخام، الذي سرعان مايستحيل فوق جسدي الممزق.. بسكاكين الصبر.. الى قار اسود مغلي.. فاغلي معه في قدر نحاسية ملتهبة.. تشتعل تحتها نيران الصبر المتوهجة.. التي يلقهما حطب الصبر.. وزيت الصبر.. المزيد والمزيد من التأجج.. والتوهج.

الصبر.. الصبر.. الـ..

آه.. والف آه.. ليت هذا الكائن الخرافي.. المدعو الصبر.. كان رجلا.. او.. او حتى جيشا جرارا من الضواري والوحوش والكواسر.. له بداية هي جسدي الضعيف الناحل الشاحب المتهري. وله نهاية.. هي جسدي ايضا، يعمل فيه افتراسا وتقتيلا وتقطيعا.. والله وبالله وتالله.. وقسما بكل ماهو مقدس ومبجل ومحترم، في العرف والقانون والمجتمع.. لدى الشعب.. ولدى شعوب الارض طرا.. لحاربته.. وقاتلته ونازلته وصارعته بكل الاسلحة، القديمة والحديثة، المحللة والمحرمة، دوليا واخلاقيا.. بما فيها اسلحة الدمار الشامل، والاسلحة الكيمياوية والبايولوجية.. والذرية والنووية.. وكل الاسلحة الاخرى التي لم تخترع حتى الان، والتي بسبب ذلك، لا اعرف اسماءها.. ولا مدى فتاكيتها.. باستثناء سلاح واحد فقط.. هو سلاح الصبر.. لانني بعد كل شيء وقبل كل شيء.. مقاتل شريف، امتلك، بالرغم من كل ما انا فيه، قدرا من النبل والعطف والحنان.. والشفقة، يمنعي من ان اتجرد من انسانيتي والجأ الى احقر الاسلحة.. اعني الصبر، لا.. لا لست نذلا الى هذا الحد.. كي الجأ الى استخدام اشد اسلحة الدنيا والاخرة، والسماء والارض.. دناءة وانحطاطا.. لا.. لا حاشاي والف.. الف.. حاشا.. فاني اربأ بنفسي عن استخدامه.. حتى ضد الصبر نفسه!

بالرغم من كل مافعله بي هذا النذل، منذ الازل.. وسيظل يفعله.. الى الابد..

انجرارا وراء رغبة عارمة في الانتقام والثأر العشائري.. من هذا السلاح الحقير، اقصد من هذه الكلمة السافلة المنحطة. ذات الحروف الثلاثة القوارض.. واستسلاما لخزين الاحقاد الدفينة الماضوية والمعاصرة، في العقل الباطن.. رحت اتلاعب بها، جملة وتفصيلا، بلذة شبقية خاصة.. تعلمتها من بعض عادات الصبر واخلاقيته الرديئة.. كما اشتهى بلا حسيب ولا رقيب، وبغياب كامل للضمير.. ركلا بالاقدام على المؤخرة. وضربا بالايدي على القفا والوجه.. بلا شفقة ولا رحمة.. بل بمنتهى القسوة والتوحش.. كما يلعب هر متوحش بفأرة بدينة لذيذة.. يلهو بها ويلهو.. قبل ان يغرز قواطعه وانيابه في لحمها الطري اللدن وعظامها الرخوة.. ويلقيها في جوفه.. ويخرجها من جوفه بعد ساعات او ايام.. كومة.. قذارات.. تزكم رائحتها الانوف.. الى جهنم وبئس المصير..

وايغالا بالحاق اكبر قدر من الاذى والتشويه الخلقي.. وبكل مافي داخل الانسان المنبوذ.. الضعيف اليائس.. من سادية ورغبات مكبوتة في التسلط.. اخذت اعيد ترتيب حروفها القذرة.. اعني (اخربطها)، كما يروق لي.. تقديما.. تأخيرا.. وتوسيطا. لكل حروفها العواهر.. متلذذا بتلك المعاني الجديدة المشوهة طبعا التي تتشكل امام عيني.. وايضا.. باللامعنى.. الذي تسفر عنه عمليتي التفكيكية التخريبية.. والبنائية التهديمية.. لمعانيها الاصلية.. تلك.. فتكونت عندي مجموعة كلمات غريبة شاذة.. ما انزل الله بها من سلطان.. ولا نطق بها انس ولا جان.. ولا دخلت اذن انسان.. ولا حوتها الكتب ولا المظان. لو سمع بها "ابن يعيش" لخرج من بحره الغارق في اعماقه.. الى الهواء الطلق.. اولا. ثم قتل نفسه بمداسه.

منها على سبيل المثال والذكر لا الكمال والحصر. كما يقول شيخ المسجد، هذه الكلمات: ربص. رصب.

برص. ضرب.. بل وتماديت اكثر، في استهتاري بها وانتقامي منها.. فلم اعد اكتفي بتحريف الحرف من موضعه، وانما اشوه صورته وصوته ايضا واصنع له.. وبالتالي للكلمة نفسها. التي تولد جراء عملي هذا.. صورة اخرى وصوتا اخر، دون ان احفل بغرابة الصورة او اهتم بنشازية الصوت، اللتين صنعتهما وخلقتهما.. ولم احفل او اهتم.. الست خالقا.. انا الآخر؟ اعني.. اعني مادمت قد ابحت لنفسي ان اكون خالقا.. ينبغي ان اكون فظا غليظا.. العب بالكون كيفما اريد.. ومن يلعب بالكون برمته.. ما قيمة بضعة حروف او كلمات ازاء سطوته وجبروته؟

اجل.. بكل تأكيد.. لابد لي ان استمتع بالصلاحيات التي منحتها لنفسي.. واسير بها الى ابعد ابعد مدى.. اليس ذلك مايفعله كل اصحاب الصلاحيات والسلطات المطلقة.. التي لا يقيدها قيد.. ولا يتحكم فيها ولا فيهم.. ضمير؟ وهل انا اقل شأنا منهم كي اتردد او امتنع؟

لا. لا. اني. انا الاخر. صانع. بل خالق.. وان كانت المساحة التي اتحرك فوقها وعليها.. ليست ساحة بلاد.. ولا ولاية ولا حتى مدينة او قرية.. فهي ضيقة.. ضيقة جدا.. لا تتعدى كلمة واحدة.. قائمة.. على ثلاثة اركان حسب، وناسها.. او المخلوقات التي تحيا فيها.. بضعة حروف حسب.. ولكنها حروف "قحاب" تصنع لي الويلات.. منذ ازمان وازمان.. و.. وحتى الممات.. بل.. بل وحتى مابعد الممات ايضا. فانا واثق اني لا انجو من مؤامراتها وبراثنها ومخالبها الدامية.. حتى هناك.. اعني في الحياة الاخرى.. لذا يتوجب علي ان اشفي غليلي منها.. فهي فرصتي.. والفسحة الزمنية الضئيلة الممنوحة.. ستنقضي. باسرع من لمح البصر.. اذ ستقضي علي.. باسرع مايمكن.. ولابد ان انهي صنوف انتقامي منها وتعذيبي لها.. قبل ذلك.. هي كلمات.. شاذة مشوهة.. نعم.. وذلك ما ابغي واريد.. واخطط له بدراية وعلم وذكاء.. ولهذا السبب بالذات.. فانها تسليني.. بل.. بل ان بعضها الذي يخرج الى الوجود.. كالطفل الوليد لتوه.. يحملني على الضحك.. وبعضها يثير في قهقهة تهز اركان جسدي المتضعضعة .. اصلا.. وتملؤني بدفقات من الحياة، تنسيني بالرغم من عمرها القصير.. الام جوعي وبؤسي.. وشقائي.. وتثلم انياب الاوجاع التي تجول في احشائي.. كالوحش الكافر.. بلا شفقة ولا رحمة.

استهوتني اللعبة كثيرا.. (واستمرأتها) الى ابعد حد.. فشرعت، بالاضافة، الى تشويهها.. بتبديل مواقع حروفها.. وتركيب كلمات اخرى منها.. لاتمت الى الكلمة الاصلية الا في بعض اصولها الكلبية، التي لم تعد قادرة، بعيد ذلك. على العض ولا حتى العواء.. اذبح هذه، من الوريد الى الوريد.. على وفق مايقتضي مزاجي السادي.. او اتركها تتناسل فيما بينها، بحرية وديمقراطية، وتتوالد، كما تشتهي احيانا.. واحيانا اخرى كما اشتهي انا.. منطلقا.. من رغباتي الفاشية والدكتاتورية، التي اورثتني اياها الكلمة الداعرة نفسها، فامسخ ولاداتها مسخا.. وانسخ بعضها نسخا، مستذكرا معلوماتي الضئيلة، عن الناسخ والمنسوخ، في كتاب الله العزيز، التي علمنا اياها الشيخ عبدالله، امام الجامع وخطيبه. فتمخضت محاولاتي عن ولادات غريبة.

للوهلة الاولى لم انتبه للمولودات الجديدة.. ولم اولها القدر اللازم من الاحترام.. واذ امعنت فيها النظر واطلت التأمل.. وواصلت عمليات النسخ والاضافة والتغيير والمسخ ووو.. كدت "اخرب" من الضحك.. فاستلقيت على ظهري.. ياالله!! كم في اللغة من اسرار واحرار واضرار.. وابرار واقرار واهوار واخرار واجرار ووو.

اما كان الاولى بالاخ "ابن يعيش" لكي يظل يعيش.. ان يتلهى بهذه الكلمات واشتقاقاتها وتبديلاتها.. وأن يتلاعب بحروفها ونقاطها.. ويستحدث لها ابنية جديدة.. بعدما مايهدم الابنية التالفة.. فيسعد نفسه وسواه من الناس بدلا من ان يدفن نفسه في حرف واحد ومتاهاته.. ويقضي نحبه في قبره الاظلم..

منطفئا الى الابد.. وفي نفسه الحبلي شيء او اشياء واشياء من "حتى"؟؟

حقا لقد كان.. رحمه الله.. وعفا عنه. رجلا احمق!!

غلبتني روح الفكاهة واللهو والعبث.. فعدت الى الكلمات التي سكنتني واستحوذت على كل اهتمامي.. امزقها.. اقطعها.. اشققها.. اشلوها.. شلوا.. شلوا..

بدا لي الامر طريفا.. لو.. لو.. منحت بعضها.. الحياة.. لم لا.. الست الخالق؟ وكيف يكون الخالق خالقا حقا اذا عجز عن ان ينفخ الحياة في بضعة كائنات صغيرة تافهة.. هي بالاساس من مخلوقاته.؟ الم يمنح الكتاب الخلاقون العظام مخلوقاتهم الخيالية، المصنوعة من مادة الخيال والحلم.. حياة اكثر خلودا وثراء وتأثيرا من حياة سائر البشر الذين يدبون على اثنتين او اربع.. الذين سيغنون ذات يوم بكل تأكيد.. كما حدثنا ذات ليلة الاستاذ الجامعي كاكه ديار، الذي حل عندنا ذات ليلة.. وغاب عنا ذات صباح.. وخلا منه الجامع.. دون ان يدري احد.. او يجرؤ ان يسأل كيف حدث ماحدث.. وبرحيله.. خلت منه روحي وعقلي.. اللذين كانا ممتلئين بوجوده. المكثف.. ولم يعد فيهما سواه ذكراه..

لماذا لا اصبح مثلهم.. واهبهم الحياة.. لكي تؤنسني في وحدتي وتسليني وتخفف عني وطأة الشعور الطاغي بالعزلة والوحشة..

عصرت ذهني بكل ما استطيع من قوة. حتى المني.. ولكن دون جدوى.. اعدت المحاولة ثانية وثالثة وعاشرة.. ولكن لم يخرج منه شيء.. صرخت من الالم.. آه.. انه يأبى ان يرتفع الى مستوى المسؤولية الاخلاقية التي امنحه اياها.. ويرفض ان يتشرف بلذة الاسهام في الخلق والابداع..

بيد اني لم ايأس ولا ينبغي لي ان ايأس.. فما ضاع حق وراءه.. مطالب. كما كان الشيخ يقول، ويؤكد دائما، فظللت اعصر.. واعصر واعصر..

ولكن وخيبتاه!! لقد حرن بقوة.. وخذلني.. ورحت الهث وانا اكاد ابكي من.. شدة احساسي بالفشل والخذلان.. صرخ بي صارخ من مكان لا اعرفه.. وبلغة كردية صافية واضحة.. لا شائبة فيها.. ففغمرتني سعادة بلا حدود... اذا استمع الى مفردات لغتي.. التي كدت انساها.. من كثرة ما اعاني من الوحدة والعزلة.. والغربة في مدينتي كركوك.. التي امتلأت بالاغراب.. من كل حدب وصوب.. وخلت او كادت من لغتها ودمها:

-يا ساوا.. يا حمار.. البطن الخاوي، المقعر اللاصق بالظهر.. الفارغ حتى من الهواء.. لايعطي الذهن شيئا.. اي شيء.. فكف عن تعذيب نفسك.. يا.. مغفل!!

والعمل يا ربي العمل.. ماالعمل؟

واخترقني الصوت، من حيث لا ادري.. ثانية.. جاءني هذه المرة قويا.. مدويا. رصاصا مصهورا. احيا في داخلي ماحسبته قد مات.. وشيعته الى مثواه الاخير.. الى جهنم وبئس المصير.. مصحوبا.. باقذع الشتائم واللعنات

-اصبر.. يا ساوا.. اصبر.. ان الله.. مع الصابرين!!

الصبر؟ الصبر مرة اخرى؟ لا.. لا.. لا.

ووجدتني اصرخ باقوى ماستطيع. ولا ادري اذا كانت صرخاتي قد اخترقت جدران جسدي.. ام.. اختنقت من غير ان تدخل اذنا.

تهالكت على بعضي.. اشبه بجثة هامدة.. او توشك ان تهمد وتخمد الى الابد...

لا.. لا.. لاينبغي ان استكين.. لابد ان انتفض.. لابد ان.. ان.. ولكن متى؟.. آه.. حتى..؟

ذلك هو السؤال الذي يجوفني.. انا الاجوف.. ويشرخني شرخا كالسكين.. انا المشروخ تماما..

---

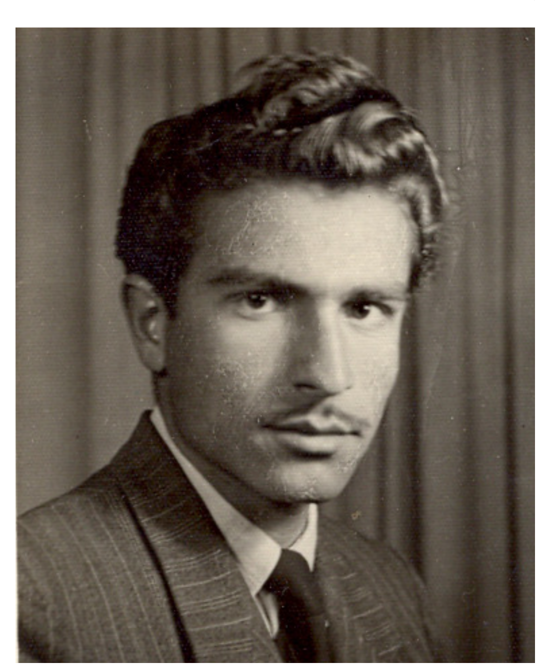
*الفصل الاول من رواية يشتغل عليها الكاتب منذ اعوام وقد فرغ منها قبل ايام.. خص به مجلة "سردم العربي".

١-اقول ان علمي بها محدود.. و محدود جدا كواقع حال، وتحصيل حاصل، وليس من باب التواضع، الذي هو

صنو الغرور البغيض لاسيما حين لايكون في موضعه، اذ يغدو حينذاك مجرد قناع ممزق مهلهل لاقصى حالات التكبر المقيت والاستعلاء الاجرف. واشدها.. بؤسا ونفاقا. وكذبا واختلاقا، وقانا والله تعالى شر كل اولئك وجنبنا السقوط في تلك الرذائل جميعا.. كما اني لا اقول ذلك منطلقا من ارضية الاستهانة بمعارفي او التقليل من رصيد معلوماتي.. بقصد المكر او الخداع.. فجل مااعرف واعلم ضئيل حقا لايتجاوز في اقصى مداه، وابعد مرماه/ ماتلقيت من دروس!! في حلقات غير منظمة ولا اصولية، عن هذه اللغة، العصية على فعلا والشاقة حتى على ابنائها الشرعيين، والغريبة عني تماما. التي اسمعها ولا اقول اقرؤها او اكتبها، للمرة الاولى في حياتي، والتي لاعهد لي بها من قبل على الاطلاق. من الشيخ عبدالله، امام الجامع الذي وجدت نفسي، مع مجموعة من الصبية والغلمان تحت سقفه العالي وقبته الضخمة، وبين اروقته وغرفة العديدة، بعد ان ضاقت بي الدنيا على اتساعها، واتعلمها رويدا رويدا، كما كتب علي ان افعل على ايدي بضع افراد من ائمة المسجد الصغار، الصغار عمرا وعلما ومعرفة، ممن يسعى الشيخ الى جعلهم اهلا لان يصيروا باذن الله تعالى. ائمة كبارا، بعد عمر طويل، او زمن قصير، تحدد طوله او قصره حاجة المساجد والجوامع والتكايا الاخر، التي تفترش ارجاء المدينة واطرافها وشوارعها وازقتها وقراها، الى جهود هؤلاء ومعارفهم، التي ماتزال ناقصة، ولم تبلغ حد الكمال بعد. ولا حتى حدا قريبا من حدود الكمال، وما هي ببالغته قط ولو "طقت" ارواحهم، فالكمال لله وحده.. ولا كمال لسواه. كما كان الشيخ يكرر ويؤكد على الدوام. ولكنهم مع ذلك يفون بالغرض، وتسد معارفهم الناقصة، الحاجة الماسة التي تشتد وتتعاظم اليها واليهم يوما بعد يوم. بسبب الازدياد المتواصل في بناء المساجد والجوامع. ضمن الخطة الخمسية التي تبنتها الدولة بحماس منقطع النظير.. وايضا على يد شاب جامعي، لم ينه تعليمه. ولكنه، بالرغم من ذلك، كان الافضل، ولا وجه للمقارنة بينه وبينهم.. بمن فيهم شيخ الجامع نفسه.. ولكن واحسرتاه، كانت الفترة قصيرة جدا.

٢-"ابن يعيش" على سبيل الذكر لا الحصر، الذي قضى عمر كله.. وسفحه حتى اخر قطرة منه في اوقيانوس اللغة، صيادا، ماهرا، نشطا، لايكل ولا يمل، يخوض البحر يوميا لاصطياد حرف واحد فقط، من حروف اللغة المقدسة، هو الحرف "حتى" حسبما يعلمنا شيخ مسجدنا، ولكن (حتى) هذه لم تبق حرفا، مخطوطا بالمداد الاسود على صفحة بيضاء.. قابلا للرؤية.. بل استحال سمكة صغيرة جد صغيرة، في ذلك الاوقياس الكبير، اللانهائي.. لا.. بل صار جنية او حورية مشتهاة، تظهر له جزءا من جسدها اللدن المثير.. واذ يحاول الامساك بها تنزلق من انامله بحذق ومهارة. وخبث وشيطنة. ويروح المسكين، يندب حظه العاثر ويتساءل مجنونا بها، شاكا بنفسه وبقواه العقلية. هل لمستها انامل حقا ام تهيأ لي ذلك حسب؟ حتى مات الرجل وفي نفسه شيء من (حتى). كان الشيخ شديد الاعجاب به وبتضحياته في سبيل حرف واحد،/ من حروف كلام الله.. بينما كان الاستاذ، الشاب الجامعي لذي التجأ الى المسجد، على الضد منه. يرى في كل ذلك، ان صدق الشيخ، عبثا لاطائل تحته. ولا فائدة ترجى منه، لا لنفسه، ولا للناس.

وبعد طول درس وتأمل واعمال الفكر ملنا. نحن التلامذة، او اكثرنا الى رأي الاستاذ. وصرنا نرى رأيه تماما.



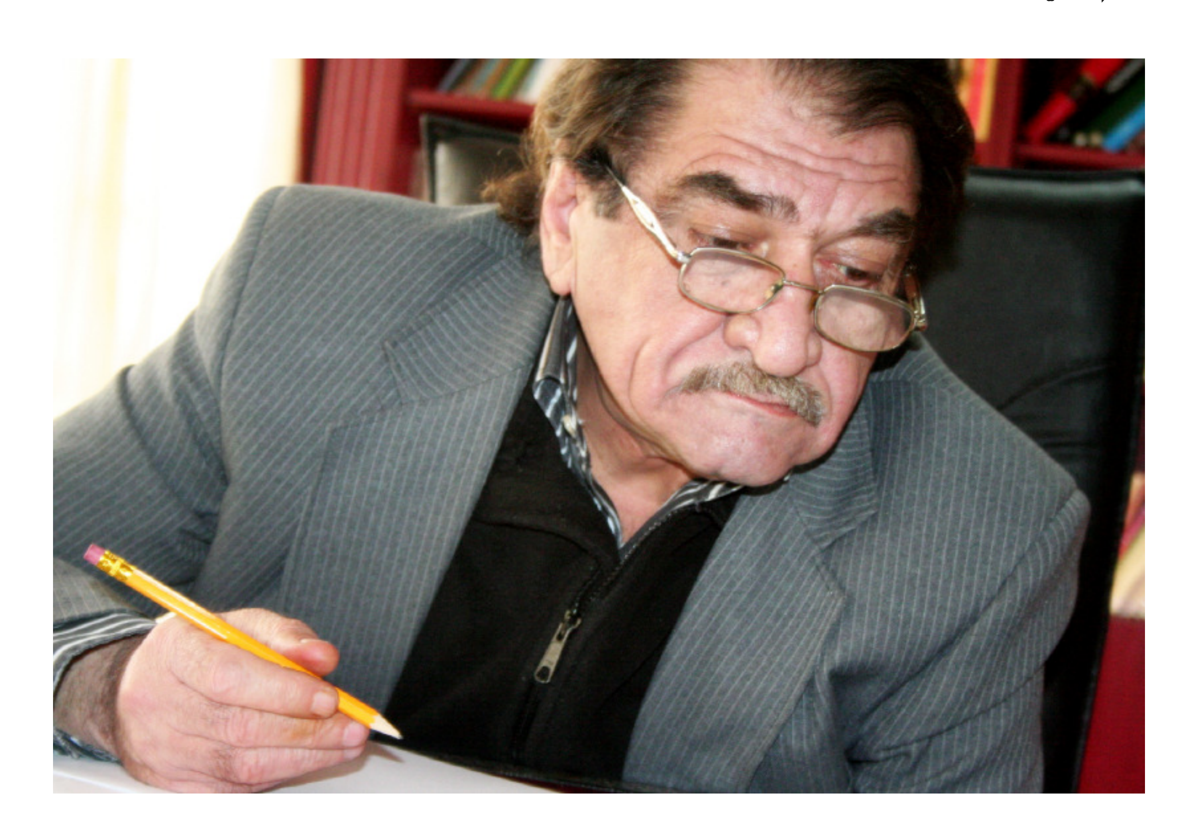
يكتب بالكردية ويقرأ بالعربية
لكن بعد حلبجة اتسعت الهوة بين الثقافتين

شێركۆ بێكەس: نكتب قليلاً ونعبّر كثيراً
وعلينا أن نجد لغة بين السرد والمجاز

اجرى اللقاء: احمد بزون

يعتبر شـيركو بيكه س أشهر شـاعر كردي. أنتج ما يقرب عشـرين ديواناً، ترجمت إلى العربية ولغات أجنبية عدة، وحصد عنها الكثير من الجوائز. هو ابن الشـاعر فائق بيكه س الذي قاد انتفاضة السليمانية عام ١٩٣٠. ولد في مدينة السـليمانية - كردستان عام ١٩٤٠. أول مجموعة شعرية صدرت له كانت عام ١٩٦٨. كتب قصائد قصيرة برقية أطلق عليها اسم «بوستر»، وقصائـد ملحمية وطويلـة كان من بينها كتابه الذي صدرت ترجمته حديثاً عن دار المدى بدمشق بعنوان «الكرسـي»، وقد اتخذ شـكل الرواية الشعرية. كتب مسرحيتين شعريتين، وترجم رواية «الشيخ والبحر» لأرنسـت همنغواي من العربية إلى الكردية. انتقل إلى بغداد، ثم إلى السـويد قبل أن يسـتقر في السليمانية، حيث قاتل في صفوف البيشـمركة مع الإتحاد الوطني الكردستاني، حمل مآسي بلاده مناضلاً وكاتباً، وحتى وزيراً للثقافة في حكومة إقليم كردستان.

حول لغته الشعرية التي يتميز بها، وكتابه الأخير، ورؤاه الشـعرية والثقافية، وإشكالية العلاقة بالثقافة العربية، هذا الحوار الذي أجريناه معه في أربيل أثناء مشاركته في مهرجان المدى الثقافي، وبعد أمسية شعرية القى فيها عددا من قصائده الجديدة.



***سمعناك تردد في إحدى قصائدك الجديدة، خلال الأمسية التي شاركت فيها، جملة «أنا لا أكتب الشعر دائماً». ماذا تقصد؟ متى تكتب الشعر؟**

-ليس كل الوقت للشعر، ولا للإلهام الشعري، الحياة كبيرة وواسعة الجوانب. الشعر لا يجيء في كل وقت، تماماً كما للمطر وقته، وللمواسم أوقاتها. إذا كتبنا الشعر كل يوم نقلل من هيبته. علينا أن نكتب قليلاً ونعبّر كثيراً. التعبير بالكتابة ليس كالمسألة الشفوية، نحن في حاجة إلى التأني والصياغة. أما الكتابة الدائمة فتفقد الكثير من العمق، لهذا ليس كل الوقت لكتابة الشعر.

***البعض يتحدثون عن حياة شعرية، أي أنهم يمارسون الشعر في كل شيء لا في الكتابة وحدها، فهل تعيش الشعر خارج الكتابة؟**

-ربما بمعنى آخر نقول إن الشاعر عاشق كل الوقت لعمله. والشعر من دون عشق لا يستمر. يجب أن يعيش الشاعر مع عشقه، ويندمج به، أما وقت الكتابة فهو وقت المطر، والسحابات يجب أن تتجمع قبل أن تنهمر.

طبعاً هناك اقتصاد في الكتابة، أما القراءة المستمرة فتعطي الكثير. الشاعر في اعتقادي هو عبارة عن ثلاثة مفاهيم: أولاً، الموهبة الشعرية مثل من عنده صوت جميل. ثانياً، المتابعة والثقافة، فالشاعر اليوم إنسان بعث في عصر يجب أن يكون فيه على علم بما يجري ومعرفة تاريخية بمحيطه، وهذا يكون بالمتابعة. الشعر اليوم درامي ذو أصوات متعددة، وهذا في حاجة بالطبع إلى ثقافة. وفي الوقت نفسه، على القصيدة أن تتحدث بعدة أصوات وتحمل الكثير من المعلومات. ثالثاً، التجربة، تجربة الكتابة والحياة، ما يمد الموهبة والثقافة بنوع من الاستمرارية.

بعد فترة هناك شعراء يتوقفون عن الكتابة،

هذا الأمر يتعلق بالبنديـن الثاني والثالث، فمن دون التجربة لا نستطيع متابعة الشعر، ومن دونها لا نلتقي بالآخرين. التجربة هي تجربة الآخرين، هي ما نقرأ وما نرى، وهذا يمد الشعر بالقوة، قوة البقاء والاستمرارية والسيرورة.

***في كتابك الأخير «الكرسي» قدمت نصاً مفتوحاً، جمعت فيه الشعر والقص والنثر والمسرح، وهذا ما فعلته أيضاً في «القلادة». فأي مشروع كتابي تأخذنا إليه؟**

-أنا منذ التسعينيات بدأت كتابة القصيدة الديوان، أو القصيدة الطويلة. وفي نتاجيّ الأخيرين «الكرسي» و«القلادة» قدمت تجربتين مختلفتين. في النصوص الأخيرة حاولت ألاّ يهيمن على النص عنصر واحد.

الشعر لا يهيمن على كل الكتاب ولا المسرحية، لكن الكل يتشارك في كتاب واحد. هذه محاولة لوضع العناصر الأدبية المجتمعة كخرزات القلادة.

في «الكرسي» هناك أنسنة للجماد، من خلال كرسي، والكرسي يروي ويتحدث، وهو ذاكرة المدينة التي نعيش فيها. هو يتذكر ولادته الأولى في الشجرة، ثم الولادة الثانية على يد إلهه الثاني النجار، فلكل شجرة أمنيات، بعضها أن تصبح مكتبة أو منضدة أو عوداً يعزف عليه...الخ.

الكرسي هنا، بعد الولادة الثانية، يسافر إلى المدينة، فيدخل إلى المقهى مع كراسٍ أخرى. وفي فترة ما من شبابه كانت تقعد عليه العرائس، فهو يتذكر هذه اللذة، ثم في مشهد آخر، يكون الكرسي في اجتماع لمناسبة عيد نوروز، يجلس عليه شاعر، فيتذكر قصيدته وشعره. وفي موقع آخر يتحول الكرسي إلى بيت يجلس فيه عاشق فيروي الكرسي ما بداخل هذا العاشق. بعد البيت، عندما يباع الكرسي مع الأثاث يصير في دكان، كل مساء يأتي إليه شاعر ويجلس عليه، فيتذكر الكرسي ويروي. بعد ذلك نتعرف إلى مكان لكتابة العرائض، بعد ذلك يتحول الكرسي إلى كاتب عرائض، حينها يحدث تحوّل كبير بالنسبة إلى الكرسي، إذ عندما يذهب كاتب العرائض إلى البيت يقلب الكرسي خلفه. في الليل لا عمل للكرسي، وما عليه حينئذ إلا أن يستسلم للقراءة، وبعد مرور عدة شهور يصبح الكرسي متعلماً، وفي الفترة نفسها تجري حادثة تاريخية في السليمانية، في حزيران ,١٩٦٣ حين شـرّد وقتل العديد من الناس، يتذكر الكرسي كل ذلك. في ذلك اليوم ينتظر الناس صاحب العرائض، فلم يأت، فيقول الكرسي: لا تنتظروا صاحبكم قتل... بعدها يبيعون الكرسي في مزاد علني إلى جانب أشياء أخرى.

***يبدو أن الكرسي هو الشاعر، هو أنت.**

-نعم. الكرسي هو أنا. كاتب النص ربما هارب إلى خارج الوطن، عندما يرجع يبحث عن الكرسي فيقول له صاحب المطعم إنه «مؤنفل» (من الأنفال). يرفع كاتب النص رأسه، فيجد كرسياً يشبه كرسيه، فيتخيله بجانب عرش الله، وينتظر الحرية التي تجلس عليه.

لكن النص في «الكرسي» لا تنطبق عليه صيغة النص المفتوح بالمعنى المتعارف عليه، فهو نص متعدد يتنقل من نوع إلى آخر في طرقات مفتوحة على مصاريعها.

النص المفتوح في اعتقادي، ذلك النص الذي يجمع العناصر الأدبية المختلفة جنباً إلى جنب، مع الحفاظ على خصوصيات تلك العناصر. الشعر هو الشعر والقصة هي القصة، وكذلك المسرحية. فتلك العناصر مجتمعة تكوّن «الكرسي». في مقطع نرى الشعر، وفي آخر الحوار المسرحي، والقصة.

أريد أن أقول شيئاً، إن هذه التجربة لم أرها في النصوص العربية. ربما توجد. المهم أن كل هذه العناصر، أخيراً، تكوّن نوعاً من الرواية.

الفضاء هو فضاء شعري، والنص مفتوح على اللغتين المجازية والواقعية اللتين تسيران جنباً إلى جنب. هناك مقاطع مجازية وأخرى تتضمن لغة عادية.

***حتى في قصائدك القصيرة الخاطفة التي قرأتها،**

وجدنا ذلك النفَس السردي. يظهر أنك بتّ لا تتحمل الشعر البحت أو الصافي.

-الشعر البحت لا يتحمل قصيدة طويلة كالملحمة مثلاً. والقارئ ربما لا يتحمل ذلك. ماذا نفعل إذا كانت القصيدة طويلة. هذه المسألة أعتبرها مهمة في اقتراب الشعر من قلوب الآخرين.

***نحن نتحدث عن القصيدة القصيرة.**

هذا هو أسلوبي في كتابة الشعر. كل شاعر له أسلوبه. أنا أبتعد عن الذهنية.

***يمكن أن تنبني القصيدة على صور حسية.**

-السرد لا يتم بالصورة الحسية. السرد هو أن يروي الكاتب شيئاً عن نفسه أو عن الآخرين. منطقة الشعر هي منطقة الأحاسيس. يجب أن نخلق لغة جديدة ما بين اللغتين السردية والمجازية حتى تكون أكثر وضوحاً في الرؤية.

***لغة السهل الممتنع هي وسيلتك في تقريب الشعر من الجمهور العريض، أو في تقرّبك من اللغة الشعبية؟**

-هي تقرّب من لغة الشعر. في الكثير من الأشعار العالمية تجد تلك البساطة الصعبة. ثم أنا في تجربتي ملتصق كثيراً بالطبيعة.

***لذلك دائماً تسمي الأماكن بأسمائها، وتجول كثيراً في الطبيعة. هل كردستان الغنية بجماليات الطبيعة تفرض هذا النوع من الكتابة؟**

-طبيعة كردستان غنية، خصوصاً في السليمانية. كان والدي معلم مدرسة ابتدائية، وهو شاعر وطني قاد انتفاضة السادس من أيلول ١٩٣٠. سجن وشرّد. كنا كل سنة ننتقل من منطقة إلى أخرى، ومن قصبة (ناحية أو قضاء) إلى أخرى، ما جعل ذاكرتي البصرية غنية جداً. وأول ما لفت نظري عندما كنت طفلاً تلك الكهوف الجبلية، وأشكال الجبال التي تشبه مرة أسداً، ومرة أخرى رجلاً أو امرأة.

***لكن شعرك ليس مسكوناً بالطبيعة فقط، إنما بالأماكن، حتى كأنه أحياناً يشبه خارطة لنقاط حميمة.**

-لديّ علاقة حميمة بالأمكنة والشوارع والضواحي. المكان له وجود مهم ومتحرك، وهو يعطينا نوعاً من التعددية في النظر إلى الأشياء، ودائماً من خلال الأمكنة.

***نخال القصيدة عندك، أحياناً، تولد من المكان، لا من الحس. ماذا تقول؟**

-المكان والحسية في داخلي يشتركان في خلق القصيدة. لا وجود للأدب إذا لم يكن هناك خيال ومخيلة. بامتزاج التخيل والأشياء الموجودة حولنا والأمكنة نخلق الإبداع، أو اللغة الجديدة، أو التفرد الأسلوبي.

***تفكر في جعل الأشياء والأماكن ترتقي وتسمو؟**

-نعم. فالكرسي لا يبقى كرسيّاً. يصبح إنساناً بفضل الخيال.

***في قصائدك القصيرة نلاحظ استخدامك الكثير لما يسمى بيت القصيد في الشعر العربي. هل هذا من عدة اجتذاب الجمهور بالنسبة إليك؟**

-نعم. في القصائد القصيرة نستطيع أن نعبر بأقل الكلمات عن أحاسيس كثيرة. في بداية كتاباتي أطلقت على هذا النوع اسم «القصائد البوسترية». فالقصائد هذه مهمتها جذب الجمهور في لحظة قصيرة، مثلما هي مهمة البوستر.

أول مرة استخدمت هذا المصطلح عام ١٩٧٥، ثم عام ١٩٨٧ في ديوان «الفجر» الذي تضمن مثل هذه القصائد. وفي كثير منها توجد تلك الضربة الأخيرة التي ربما يتوقعها القارئ.

***تكتب شعرك باللغة الكردية وتقرأه أحيانا مترجماً إلى العربية التي تعرفها تماماً كما يبدو. أين يلتقي الشعر العربي والشعر الكردي وأين يفترقان بشكل عام؟**

-لست قوياً بالعربية. الافتراق يبدأ بطبيعة اللغة. الشعراء الكرد الذين يعيشون في دول عربية كانوا متأثرين بالشعر العربي وبلغته. في الزمن الماضي كانت البحور الكردية هي البحور العربية نفسها، لكن

هناك منطقة في كردستان اسمها هورامان، شعراؤها لم يكونــوا يكتبون وفق العروض العربية، كانوا يكتبون حســب أوزان الأغانـــي الكرديـــة الفولكلورية. وعند مجيء الحداثة، في مرحلة ما بين الحربين العالميتين، كان عبد الله گۆران رائد الشعر الكردي الحديث ورأس جســر كبير في الحداثة الشعرية، اتجه وأصدقاؤه نحو الأوزان الكرديـــة، وكذلك أجيـــال بعدهم مثلنا ومثل آخريـــن يكتبون على هـــذا المنـــوال. في الحداثة تغير الشكل طبعاً. الشــعر القديم، أو الكلاسيكي عندنا هو مثل الشــعر العمودي عندكم، يخضع للبحور نفســها، لكن مع مزيد من الزحافات التي تتســع أكثر مما هي عليه في الشعر العربي. وهذا ينبع من علاقتها باللغة، وهي تشبه بذلك الشعر الفارسي.

مرّ الشــعر الكــردي بمراحل البيت الشــعري ذي الشــطرين المتســاويين، ثم بعد ذلك تطور مع تطور الشعر نحو التفعيلة وغيرها.

أريد أن أقول شيئاً هو ان جودة أو جمال القصيدة له علاقة بالشــكل، لكن التحول المهم يكمن في الرؤيا. وهذا يحفز للقول مثلاً إن ما فعله رواد الشعر العربي ينبع من رؤيا جديدة.

***أي شكل هو الغالب في الشعر الكردي المعاصر أو الشعر السائد حالياً؟**

-لا غالب ولا مغلوب. الشــعر شعر سواء كان يكتب بالشــكل النثري أو التفعيلي. والشعر لا يقاس بزمن. هناك شــعر قبل خمسمئة سنة ولا يزال باقياً، وشعر جديد يموت بسرعة.

***هل تشعر كشاعر كردي باليتم الشعري، أم يوجد في التاريخ الشعري الكردي شعراء كبار كالمتنبي في العربية مثلاً؟**

-نحن لدينـــا أحمدي خاني، نالي، ســـالم، كردي، ومحـــوي. أمـــا مولـــوي فـــكان أول شـــاعر ملتصـــق بالرومنسية الكردية.

***الشعراء الكرد الذين كتبوا بالعربية، هل منهم من عاد ليكتب بالكردية في إقليم كردستان؟**

-نحـــن نكتب بالكردية. الشــعراء الآخرون الذين يكتبـــون بالعربيـــة ربما درســـوا وتربـــوا في مناطق عراقيـــة أخرى، فهـــذا ليـــس اختيارهـــم. الظروف أجبرتهـــم على ذلك. هناك العديد من الشــعراء الكرد الذين يكتبون بالعربية، كسليم بركات ومحيي الدين زەنگەنـــه وعبد المجيد لطفي في العراق، وهنالك في ما مضى أحمد شـــوقي الذي كان كردياً وإن لم يشـــر إلى أصله، بخلاف بركات المتمسك بالروح الكردية، وكذلك هو زەنگەنه.

***كيف تفهم علاقتك بالثقافة العربية؟**

-عندمـــا كنـــت طالبـــاً في الصفـــوف الابتدائيـــة والثانوية، كنت أدرس باللغة الكردية، وكانت للعربية حصة واحدة فقط، لذلك أنا تعلمت العربية متأخراً. بعدما عشت في بغداد فترة معينة صارت لغتي العربية أقوى. وقد حصل عندي تحول مهم هو قراءتي الشعر والأدب العربيـــين، ومـــن خلال العربيـــة اطلعت على الشـــعر العالمي، لذا فأنا أكتب بالكردية وأتابع ثقافتي بالعربية، لأن اللغة الكردية لا تزال فقيرة، ولا شك في أن أعتبر العربية لغتي الثانية بعد الكردية. ربما لدينا في كردستان جيل لا يعرف إلا القليل من العربية، وقد يعـــرف لغات أخرى، لكن قلت لك مـــا هي ظروفي أنا. ثم ان علاقتي بالشـــعراء العرب، في الستينيات وبداية الســـبعينيات، كانت متينة جداً، وقد كنت ألتقيهم في المقاهي عندما أزور العراق، وأحضر الأماسي والأنشطة التي يحيونها. كل ذلـــك فتح الطريق أمامي وجعلني على معرفة بالعديد من الكتاب العرب المعروفين.

علاقة الثقافة الكرديـــة بالثقافة العربية في ذلك الزمـــن كانت أقوى مـــن اللحظة الحاضـــرة، لكن بعد الأحداث المأســـوية التي جرت في كردستان حدث نوع من التباعد، حتى صار هناك جيل بعمر ٢٥ و٢٦ سنة في كردستان لا يعرفون كلمة عربية واحدة. بعد مأساة الشـــعب الكردي والأســـلحة الكيماوية التي ضربوا بها والتهجار والتدمـــير في الأنفال حصلت هوة كبيرة بين الثقافة الكردية والـــروح الكردية من جهة، والثقافة

العربية والعرب عموماً من جهة أخرى. حينها شعرنا بأننـــا وحيدون. لم نســمع إلا أصـــوات عربية قليلة دافعت عنا.

***إلى أي حـــد تشـعر بـأن مثل هذه الحساسـية باتـت شــاملة وعامـــة لـــدى المثقفـين الكـــرد؟**

-يختلف الأمر بين مثقف وآخر. هناك مثقفون لديهم علاقات وشيجة بالعرب، وهناك من هم بالعكس.

***لكن لمَ يُخلط هنا الخلاف السياسي بالثقافي؟**

-لقد مررنا في العراق بمراحل بائسة وتراجيدية، وهذا ما خلق الكثير من التســاؤل، ليس بين المثقفين فقـــط، وإنما بين عامة الناس. من حق كل شـــعب أن يقرر مصيره، وليس الشـــعب الكردي فقط. المسألة أو الإشكالية الكبيرة تكمن في اللجوء إلى الشعب من خلال اســـتفتاء عام. ولننتظر الإجابة من الشـــعب، إن كان يريد الانفصال أم لا. منذ تشكيل الدولة العراقية عام ١٩٢١ لم يُســـأل الشـــعب الكردي عن مصيره. كان يجب أن يُســـأل حينها. هذا الغدر التاريخي ربما سوف نرى آثاره.

***تتحدث عن ردة فعل عامة. أنت ماذا تقول، ماذا تشعر؟**

-أقول، كأي إنسان كردي، إني أرحب بدولة كردية مســـتقلة، وهذا ليس عيباً، ولا أخاف قول هذا الحق، فلأي شـــعب حق طبيعي أن يعيش في دولة مســـتقلة على أرضه. لكن أريد أن يتحقق ذلك بصورة ســـلمية ومن دون ســـفك دماء. أنا لست مع القسوة واستخدام الســـلاح. هناك طرق عصريـــة ديموقراطية، لنلتجئ إليها. أنا لا أرى أن الظروف الإقليمية والدولية مؤاتية لتحقيـــق هذا الحلم، ســـواء من جهـــة دول الجوار أو الولايـــات المتحدة الأميركية أو الاتحـــاد الأوروبي. هم ليسوا مع تحقيق هذا الحلم في الوقت الحاضر.

أنت تسألني عما في قلبي، وأنا أجبتك.

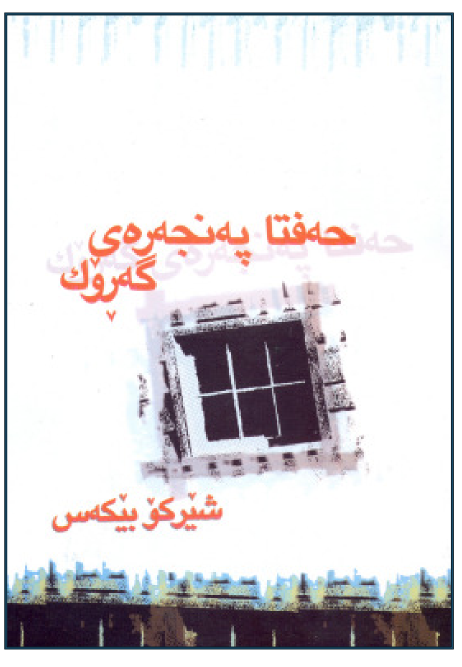
***عـــن أي حلم تتحـــدث الحلم بإقليم كردســـتان المستقل، أم بكردستان الكبرى؟**

-طبعـــا الحلم الكبير، كردســـتان الكبرى. من حق شعب مجزء أن يتحد ويقيم دولته المستقلة.

أثنـــاء انتخـــاب البرلـــان العراقـــي، وبجانب تلك الانتخابـــات، كانت هنـــاك انتخابات غير رســـمية، إذ وضعت بعيداً عن الصناديق صناديق أخرى لاستفتاء النـــاس حول قيام دولة كردية مســـتقلة، حول البقاء أو الانفصـــال، فكانت النتيجـــة أن ٨٨٪ صوّتوا لدولة مستقلة.

أربيل

نشر الحوار في السفير الثقافي بتاريخ ٢٠٠٧/٥/١٤



سبعون نافذة متجولة
قصائد: شێركۆ بێكەس
مطبعة رەنج - سليَمانية - ٢٠٠٧

عن العقلانية، والعنف، والهوية، ونقد المركزيات الثقافية

المفكر والناقد د. عبدالله ابراهيم:

لا أجد صراعاً بين المذاهب والطوائف التي تقر جميعها بالانتماء إلى الدين الإسلامي، إنما الصراع بين جماعات متطرفة داخل هذا المذهب أو ذاك

اجرى الحوار: عدالت عبدالله

يروي لنا في هذا الحوار الفكري، المفكر و الناقد العراقي الكبير د. عبدالله إبراهيم جذوره الفكرية والمعرفية و حيثياتها المتغيرة و المتبدلة بفعل مواكبة الواقع و المعطيات المعرفية و الإكتشافات العلمية التي أثرت على نمط تفكيره و منهج تناوله للظواهر و الأحداث و تفسيرها، كما أنه يلقي منتقداً الضوء على المركزيات الثقافية الغربية منها و الإسلامية فضلاً عن انتقاده لوجوه معينة تتسم بها ظاهرة العولمة و تُخفي مآربها غير المفكر فيها .. و كذلك يقف بشكل نقدي على مسألة العنف و يفسر علله و مسبباته البنيوية و الظرفية و يقدم طروحات و أفكارا معينة تراها مساعدة للحد من هذه الآفة العصرية .. فيما يلي نقرأ نص الحوار..

التجارب الفكرية والمعرفية

*** بعد قراءتي لسيرتك الفكرية التي ربما جَعَلّتَها بمثابة هوية لتعريف منهجكم الفكري والمعرفي في النظر الى عالم الأشياء و الكلمات، وجدتك هبراقليطسي الرؤية، بعض الشيء، في منظورك ومفهومك للمعرفة، إذ قرأتكم غير مؤمنين على ما يبدو بتشبث المفكر أو الباحث بأية ثوابت فكرية، ودليلي يتمثل في رصد رؤيتكم للتجارب الفكرية والتي تتسم، كما لاحظتها، بروح حداثية، سيما حينما ترون أن التجارب الفكرية والمعرفية يجرى تشكيلها بفعل مؤثرات كثيرة، وهي مفتوحة على آفاق لا نهائية، وليس من الصواب- كما تقولون- حصرها ضمن مقولات ثابتة ونهائية، لأنها ستضيق بنفسها، وتتعطل فاعليتها المعرفية إذا ما قيدت إلى مرجعيات قارة، وادعت اليقين المطلق فيما تذهب إليه، هذا على حد قولكم. سؤالي هنا هو ما الذي يجعلنا نرى المعرفة ومفهومها بهذه الصيغة المُنَمَّطة، هل الأمر راجع الى تجذّر نزعات تحديثية في روحنا أصبحت الآن هاجساً لا تنفك عنّا، أم العلة كامنة في استهلاك وتَعَطُّل ما اكتشف علمياً من قبل، وعدم فاعليته في تفسير الظاهرات والأحداث أو مواكبة المعطيات والمستجدات وتجلياتها الخارجة عن الكشف و الفهم؟ و إذا كان هذا الأخير هو عين الصواب، فكيف بإمكاننا إذن النظر الى العلم ، هل هو المعيار لمعرفة الحقائق أم أنه ليس سوى مجرد وسيلة انتقالية للمقاربة والافتراض؟**

- أوافقك الرأي فيما شرحته في سؤالك، فمنذ فترة مبكرة في حياتي الثقافية وجدتني خارج الإيمان بأي نسق ثقافي أو أيديولوجي، وربما تكون المرويات الكبرى للثقافة التي أنتمي إليها قد صاغت بعضا من أفكاري. وأنا أميز بين مستويين في هذا المجال، مستوى أول أزعم فيه أنني كنت في منأى عن الأخذ بأية مسلمة ثقافية أو أيديولوجية أو دينية زائفة، فقد أعددت نفسي لمقاومة ذلك، فامتلكت ما يعرف بـ«الوعي الأصيل»بهذا المستوى، ويعود ذلك إلى ممارسة النقد الفكري، والمراجعة، والشك، وفتح باب الاحتمال لكل جديد، وتقليب وجوه الحقائق، والأفكار، والعقائد، والأيدلوجيات، ومقاومة الدوغمائية، والامتناع عن حبس نفسي في أسوار فكرية جاهزة، والقدرة على تغيير وجهة نظري في ضوء تغيير المعلومات والمعطيات،


د. عبدالله أبراهيم

فكل موقف يقوم على معطى ومعلومة، وفي حال تغيير ذلك فمن اللازم تغيير الموقف والرؤية، وإلا أصبح الأمر نوعاً من التعلق بالأوهام، والدفاع عن جملة من الأكاذيب. وآمل أن أكون نجوت من أي خداع ممكن في هذا الجانب. أما المستوى الثاني، المستوى غير الواعي، فلا استبعد، لا لي ولا لغيري، أن تكون تسربت بصورة غير واعية كثير أو قليل من المسلمات والفرضيات إلى المنظومة الفكرية الخاصة بي، فما أدراني بالتأثيرات غير المدركة للأفكار، وبخاصة النسق الثقافي والديني في رؤيتي لنفسي وللعالم. وذلك لا يمكنني حالياً ضبطه والتأكد منه، فربما يكون غير مفكر به بالنسبة لي،

وأترك للآخرين أن يشيروا إليه، فما أنا إلا فرد يصاغ وعيه ولاوعيه داخل نسق ثقافي عام ومهيمن، ولن يكون بمنجى من الأخذ ببعض مسلمات ذلك النسق. علماً أنني أسعى دائماً لممارسة النقد الذاتي حتى في هذه المنطقة شبه المعتمة وغير الواعية. وعساني ألا أكون متورطاً من حيث لا أعي في الأخذ بما يرفضه فكري النقدي.

على أنني أعترف بأن لغتي النقدية المباشرة، والجارحة أحياناً، قد توحي للقراء بأنني قاس ومنحاز؛ وذلك يكون صحيحاً إذا أخذت فكرة واحدة، وانتزعتها من سياق النقد العام الذي أمارسه في نقد الأفكار الدينية والعرقية والثقافية، وبخاصة في نقدي للمركزيات الكبرى، ولكن لو نظر لأية قضية ضمن السياق النقدي الحاضن لها لظهر أنني لا أتقصد أبداً معاداة فكرة معينة، ولا الترويج لايديولوجيا محددة، إنما أسعى لتوفير ظروف منهجية تساعد على ضبط المسلمات وفضح أخطارها. فحينما أصدرت كتابي «المركزية الغربية» في عام ١٩٧٧ ذهب كثيرون إلى أنني متحامل على الغرب وثقافته بدليل أنني حللت مقومات المركزية الغربية بتفصيل أخذ مني أكثر من ثماني سنين، لكن هؤلاء أنفسهم غيروا وجهة نظرهم حينما أطلعوا على كتابي «المركزية الإسلامية»الذي صدر في عام ٢٠٠١ إذ أنني مارست النقد ذاته هذه المرة لتفكيك قواعد التمركز في الثقافة الإسلامية، ومن اطلع فقط على الكتاب الأخير ذهب مذهب قراء الكتاب الأول، فقد وجدوا تحليلات صارمة وقاتمة للأسس المقدسة دينية وفكرية، ولكن التوازن المنهجي اعتقد انه منحنى البراءة من تهمة التحيزات المسبقة. ولكي ننصف باحثا، أو ناقدا، أو مفكراً فلابد أن ننظر إليه نظرة شاملة، ونستحضر السياق الكلي لأفكاره. أما التنقيب والحفر في ثنايا الأفكار الجزئية، بقصد ضبط الأخطاء فذلك أمر لا ينجو منه أحد، فليس لكائن من كان أن يضع نفسه خارج احتمال الخطأ. وهذا يقود إلى القول أنني في الوقت الذي أشك فيه بالمنظومات الفكرية والعقائدية، فانني لست عدمياً، فأنا أنتمي إلى الفكر العقلاني- النقدي الذي يستند إلى النظرة التاريخية لكل الظواهر، بما فيها العلم والفلسفة، فكل الأحداث في حراك متواصل، وأنا كائن أرضي أرتب أفكاري في منطقة دنيوية، ومعياري لتفسير الأشياء والظواهر معيار نسبي وليس مطلقاً، والحقائق لها قيمة بمقدار اندراجها في سياق التاريخ المعيش. وليس لها قيمة مطلقة بذاتها. وأنتمي فكرياً إلى حال تقرّ التحول والتغيير، وأنأى بنفسي عن الانحباس في حال الثبات والجمود الذي لا أريده لنفسي ولا لغيري.

نقد المركزية الغربية والمركزية الإسلامية

*** كرست، فكرياً، جهوداً حثيثة وكبيرة في كشف أوهام وتصورات إستعلائية كامنة في الثقافة الغربية، وقد اصطلحت على عنوان الموضوع الذي تشتغل عليه دراسةً و تحليلاً أو كشفاً ونقداً بـ«المركزية الغربية» وقد طالعت بدقة على وجوه انتقادكم لهذه المركزية التي لها أبعاد ثقافية وسياسية وعرقية، ولكن الأمر الذي لاحظته في طريقة تفكيركم تجاه هذا الموضوع، هو أن مفهومكم غير نقدي إزاء مفهوم الأنا أو (الذات) والآخر ورؤيتكم إليهما، وكأنهما ثنائية مطلقة/ حقيقية لا تقبل النقاش، الأمر الذي أوقعكم من حيث تدرون أو لا تدرون- من باب الدفاع عن الذات بوجه جبروت الآخر- في الفخ الذي وضعه الآخر الغربي للآخرين الذين يعتبرهم متخلفين ثقافياً وحضارياً. بمعنى أوضح، أن نقدكم للمركزية الغربية يتناسى الوجهة الأخرى، أي نقد الغرب لذاته وتاريخه وتراثه الحضاري والسياسي على أيدي فلاسفة وعلماء غربيين وتيارات فكرية وفلسفية، خاصة التيارات التي تسمى تيارات ما بعد الحداثة. كما ينسى أن الذات التي نعني بها مجتمعات وثقافات غير أوروبية أو الخارجة عن المركزية الغربية، هي الأخرى دخلت أيضاً في تعاطٍ نقدي مع تراثه وأصوله، ولكن من خلال ما أكتشفه الغرب نفسه من مفاهيم ومصطلحات**

أو نظريات ومناهج علمية ومعرفية في القراءة و التحليل أو النقد والتشخيص، وخير مثال هنا هو ما يجسده نقد صديقك محمد أركون للإسلام عبر منهجياته الحديثة وترسانته المعرفية التي انتجها الآخر، أي الغرب نفسه. ما هو تعليقكم على هذه الملاحظة النقدية؟

- إذا أخذنا بظاهر هذا السؤال الذي تذهب فيه إلى أنني تخطيت نقد الذات وانصرفت إلى نقد الآخر، أي نقد الغرب، فهذا يرجح لدي بأنك لم تطلع على مشروع (المطابقة والاختلاف) بكامله وهو مشروع فكري أمضيت في الاشتغال عليه نحو خمسة عشر عاماً، ويتكون من ثلاثة كتب الأول: مخصص لنقد المركزية الغربية وإشكالية تكونها، والثاني مخصص لنقد المركزية الإسلامية وإنتاج الصورة النمطية للآخر في المخيال الإسلامي، والثالث مخصص لنقد استجابة الثقافة العربية الحديثة للمركزيتين الغربية والإسلامية. فالكتاب الثاني كرس بكامله لنقد الذات؛ بما في ذلك تحليل أسباب النظرة الدونية للعقائد والأقوام خارج «دار الإسلام» ذلك أنني أرى بأنه لا يستقيم نقد جذري إلا إذا مارسنا تفكيكاً شاملاً لمركزية الآخر ومركزية الأنا، فالتحيزات الثقافية تنطمر داخل تلك المركزيات، ولا سبيل إلى ضبطها وفضحها إلا بنقد لأسسها ومرتكزاتها. ويخيل لي بأنني مارست نقداً مزدوجاً لكل من الثقافة الغربية والثقافة العربية-الإسلامية على نفس الدرجة من اليقظة، وبنفس المفاهيم التحليلية، وقد اتبعت المنهج ذاته في نقد الاثنتين، واصطلحت على الثقافة التي تستجيب لهما بأنهما ثقافة (المطابقة) فأمر ثقافة تستعير مفاهيمها ومحتواها مباشرة من التجربة الغربية لا يقل خطراً عن استعارة مفاهيم ومقولات ثقافة لاهوتية جاءت من الماضي. فإذا كانت استعارتنا لثقافة الغرب هي استعارة مكانية استولينا فيها على ثقافة ظهرت في بيئة أخرى، وبشروط تاريخية خاصة، وضمن سياق اجتماعي خاص، فإن استعارتنا للثقافة اللاهوتية الدينية هي استعارة زمانية. إذ أننا نستعير من الماضي البعيد نموذجاً ثقافياً نعتقد أنه الأصلح والأكمل لتفسير شؤون حياتنا الحالية. وهذا نوع من المطابقة السلبية لا يقل ضرراً عن المطابقة مع الثقافة الغربية.

ومع ذلك أوافقك الرأي بأن الثقافة الغربية قد انخرطت في معمعة النقد الذاتي، ولا يمكن النظر إليها بوصفها كتلة صماء متمركزة حول نفسها بدون أية إمكانية للنقد، فالحداثة الغربية انطلقت حينما فتحت الأبواب أمام النقد، وبخاصة نقد الموروث الديني-الكنسي، وأنا على دراية بجوانب من هذا النقد، ولست غافلاً عنه، وفي كتابي»المركزية الغربية»وقفت مطولاً على كيفية انهيار الأخلاق اللاهوتية، ونقد الموروث الإغريقي الذي قام به: روجر بيكون، وغاليلو، وبيكن، ثم لوك، وهيوم، وباركلي، وصولاً إلى ديكارت، وسبينوزا، وعمانوئيل كانت، وهيغل، وماركس. ثم وقفت بالتفصيل على نقد جاك دريدا، وهابرماس للتجربة الغربية. وهما يمثلان تجربتين نقديتين معاصرتين على غاية من الأهمية، فدريدا نقد التمركزات الخطابية في الثقافة الغربية منذ افلاطون إلى دوسوسير، وهابرماز نقد الممارسات الواقعية في التجربة الغربية، بما في ذلك اعتبار العقل أداة مجردة خالية من النزعة الانسانية، ودعا الى العقل التواصلي على خلفية منهجية ماركسية.

باختصار الثقافة الغربية لا تقبل الاختزال والتبسيط والمصادرة، ومع ذلك ففيها من مظاهر التمركز حول الذات ما لا ينبغي إغفاله أو نكرانه، فهي في عمومها ثقافة متعالية، متمحورة حول نفسها، قوامها النظر إلى الآخر نظرة دونية منذ الفلسفة الإغريقية إلى الآن. فقد جرى استبعاد للمؤثرات الخارجية، وبخاصة الشرقية، وأعيد إنتاج ثقافة غربية صافية لا تقبل المزاحمة والشراكة، وبالمقابل وجدت بأن الثقافة الإسلامية في القرون الوسطى قد نهجت الطريق نفسه، فقد نظر إلى (دار الإسلام)

على أنها الحيز الكامل للخير فيما كانت (دار الحرب) مكاناً للشرور والدونية. والاختلاف بين المركزيتين الغربية والإسلامية هو أن الأولى انخرطت في ممارسة نقد ذاتها، فأدرجت نفسها في التاريخ، فيما حبست المركزية الإسلامية نفسها خلف حواجز لاهوتية، ورفضت ممارسة النقد، ولعل أول ما تحتاج إليه هو النظرة التاريخانية لتتخطى حبسة الأنا وصولاً للاعتراف بالآخر.

وأشكرك على الالتفاتة الخاصة بمحمد أركون، فقد كان من أوائل المنخرطين في هذه المعمعة، إذ حدد مجال فاعلية العقل الإسلامي، وطوال أربعة عقود مضى يقلّب وجوه الصلة بين الأديان السماوية الكبرى ومنها الإسلام للوصول الى المشترك الاعلى فيها، وهو الديانة الإبراهيمية، فالمرجعية الإبراهيمية تمثل رأس المال الرمزي للعقائد السماوية، وهي اللحظة الكبرى التي انبثقت عنها التأملات الدينية اللاحقة. وفي كل هذا يريد أن يزحزح سوء التفاهم بين الأديان، ويوقف تأثير الصور المتخاطئة التي تشكلها كل عقيدة عن غيرها، وهذه الخلفية هي التي تنظم مفهومه لحدود حرية التعبير، لكن أهمية أركون بوصفه مفكراً تكمن أيضاً في أمور أخرى كثيرة، منها أنه أبطل مفعول الاستشراق التقليدي في دراسته للإسلام، وأقترح منهج (الاسلاميات التطبيقية) ونقد على الفكر المدرسى الضيق، وأفاد من منهج الأفكار الحديث إذ حلل الظاهرة الدينية عبر مستويات كثيرة، ونقد التعصب، والانغلاق، وفكك الجمود العقائدي، وأطلق مفاهيم مهمة مثل(اللامفكر فيه)و(المسكوت عنه) وبحثهما بالتفصيل في الفكر الإسلامي، وبالإجمال فهو أبرز المستفيدين من كشوفات الانثربولوجيا، واللسانيات، والسوسيولوجيا في مجال الدراسات الثقافية، فأركون بمنهجه الفكري العميق، وحيوية أفكاره، هو من أهم من مارس نقدا لإبطال التفكير الخرافي الرافض للمعرفة، وشخص هيمنة الأسطورة في العقل العربي- الإسلامي، وقد دفع ثمنا كبيرا جراء سوء الفهم الذي تعرضت له أفكاره لأنه حفر في المنطقة المجهولة، وذهب إلى الأصول، وهو يمثل الآن حقبة التفكير النقدي في الثقافة الإسلامية.

ولعل أهم ما له صلة بموضوعنا هو إشارته إلى أن الحداثة تجربة غربية ظهرت في سياق الثقافة الغربية في العصر الحديث، ومع أنه قدم نقدا جذريا لهذه الحداثة التي لم تنجز كثيرا من وعودها، فإنه دعا بقوة للإفادة منها، وبخاصة في الطريقة التي مارس فيها العقل نقده للظواهر الاجتماعية والدينية. وربما يكون هذا الموقف النقدي هو الذي قاد أركون إلى دراسة التجربة الثقافية الإسلامية حيث وقع صراع بين اللاهوتى والعقلي، وهو صراع استغرق قرونا من السجال والجدل، وقد انتصر للعقلانية، وربطها بالفكر الإنساني الذي بلغ أعلى ذرى تجلياته في القرن الرابع الهجري. ومن المعلوم أن أركون فرّق الظاهرة القرآنية والظاهرة الاسلامية، فالظاهرة الأولى هي القرآن والحاشية النبوية عليه، أما الثانية فهى التراث السجالي من تفاسير وشروحات ولاهوت ومذاهب، وهو موروث ضخم جدا تراكم حول الكلام الإلهي المقدس، وإذا كنا في عصرنا ملزمين بالظاهرة القرآنية، أى آخذين بالقرآن والحديث الصحيح، فقد أصبحنا أقل حاجه للالتزام الكامل بالظاهرة الثانية، أي بالشروحات القديمة التي انتجتها العصور الماضية، وخلفها رجال مضوا، وآن الأوان لتجديد تصورنا للإسلام بالإفادة من علوم ومناهج عصرنا. وهذه الفكرة هي التي تشكّل مرتكز مفهوم العلمانية، فالعلمانية لا تهدف الى تهديد الدين، واستبعاده، ومحوه، إنما، على العكس من ذلك، تسعى للحفاظ عليه كقوة روحية عليا وسامية موجهة للأخلاق العامة، وفي هذا تتبدد الغيوم الداكنة التي تحيط بالعلمانية في ثقافتنا الحديثة.

وهذا يقودني الى ما اشرت اليه بخصوص الهوية الرمادية في مشروع(المطابقة والاختلاف) إذ لا يقتصر الأمر في المركزيات الكبرى على إنتاج ذات

مطلقة النقاء، وخالية من الشوائب التاريخية، إنما-وهذا هو الوجه الآخر لكلّ تمركز-لا بد أن يتأدّى عن ذلك تركيب صورة مشوّهة للآخر. وبين الذات الصافية التي تدّعي النقاء المطلق، والآخر الملتبس بالتشوه الثقافي، والديني، والعرقي، ينتج التمركز أيديولوجيا إقصائية ضد الآخر، وأيديولوجيا طهرانية مقدسة خاصة بالذات؛ فينقسم الوعي على ذاته، والنقد هو الذي يكشف هذه التناقضات الكامنة في صلب الثقافة المتمركزة حول ذاتها، وهو الذي يدفع بها إلى أن تُفصح عن مضمراتها؛ لأنه يتتبّع بدقّة الممارسات الملتوية للمفاهيم التي تكوّنها، ولا تقف مهمة النقد عند إظهار أخطار التمركز، إنما يهيّئ لهوية ثقافية جديدة قائمة على مسار متحوّل، ومتجدّد، ومتشعّب الموارد من المنظورات والمكوِّنات الثقافية المنتجة. وبما أنّ هوية التمركز تظهر مجردة عن بعدها التاريخي بوصفها هوية ثابتة، فإنّ الهوية الثقافية التي تقوم على الاختلاف لا تقرّ بالثبات، ولا الشمول، وتحرص على بعدها التاريخي، وفيما تصطنع هوية الثقافة المتمركزة أصولاً عرقية، ودينية، وفكرية توافق مضمونها، فإنّ هوية الاختلاف المركّبة من موارد عدّة، تتجنّب إنتاج أيديولوجيا لها صلة بهذه الركائز؛ فاتصالها بالركائز المذكورة اتصال تاريخي طبيعي ليس له بعد أيديولوجي متصل بمعنى الهوية المختلق، الذي يفترض الصفاء المطلق والديمومة. هوية التمركز تدّعي الصفاء المطلق، فيما هوية الاختلاف رمادية، تمتزج فيها بتفاعل تام الأطياف المتنوعة، والمؤثرات المتعدّدة. وفيما تقوم هوية الثقافة المتمركزة بطمس كل العناصر التي تتعارض مع مفهوم الهوية كما أنتجتها تلك الثقافة واستبعادها، بحيث تجعل الهوية أسيرة شبكة من المفاهيم التي تحميها من المتغيرات التاريخية، فإنّ هوية الاختلاف تجعل من تلك العناصر مكوِّنات فاعلة فيها، وهي تمثل جانباً من جدلها الذاتي مع نفسها وغيرها.

العولمة والنموذج الكوني

*** اختزلت في عدة بحوث لك، حقيقة ظاهرة العولمة ومفهومها وأبعادها المختلفة في نظرية ترى أن الغرب وتعميم ثقافته وحضارته هو المرمى أو المسعى الإستراتيجي لهذه الظاهرة. هذه النظرية نجدها أحياناً لدى الكثير من المفكرين والمثقفين في العالم العربي أيضاً، ولكن يبدو أن هناك أقلية منهم تدعو الى ممارسة سياسات انفتاحية تجاه هذه الظاهرة، وعدم التقوقع و الانغلاق على الذات أو الكف عن النظر الى العولمة، وكأنها مؤامرة على الشعوب، خاصة أن الدول والقوى والشركات التي تقف وراء تعولم العالم ثقافياً واقتصادياً وسياسياً، هي ليست غربية فقط وإنما تتمثل في دول أخرى آسيوية وأفريقية وعالم ثالثية، ومن بين هؤلاء الذين يدعون الى سياسات الانفتاح ومواكبة العولمة ولاسيما على صعيدها الثقافي هو صديق آخر لك: أعني د. برهان غليون في كتابه الذي ألفه مع د. سمير أمين و الذي يحمل عنوان(ثقافة العولمة، وعولمة الثقافة) وبالمناسبة هذا الكتاب مُتَرجَم الى اللغة الكوردية .. أسأل هنا: ما هو موقف عبدالله ابراهيم الآن من هذه الظاهرة، و كيف يقرأ هذا الحدث العالمي المتواصل..؟**

- واكبت ظاهرة العولمة منذ بداية ظهورها في النصف الثاني من ثمانينات القرن العشرين، وكتبت عنها حتى قبل أن يقع الاتفاق على تعريب المفهوم على(العولمة) فقد كان المصطلح قلقاً، وفي أحد كتبي أشرت إليه باسم»الكونية»ومن يعود إلى الأدبيات الخاصة بهذا الموضوع خلال الثمانينات وبداية تسعينيات القرن العشرين يجد هذا الاضطراب. والآن وبعد مرور حوالي عشرين سنة على كل ذلك، وقد أصبحت العولمة أمراً واقعاً له تجليات في مجال المعلومات، والإعلام، والاقتصاد، والسياسة، والثقافة، وغير ذلك، فمن اللازم

القول أن تطور مفهوم العولمة فرض أيضاً تطوراً في قبول المفهوم وممارساته على الصعيد العالمي، وفي نهاية المطاف فأنا لست واعظاً يحذر الناس من أمر، أو يغريهم به، إنما أحاول الانخراط في ممارسة فكرية نقدية تكشف لي ولغيري التحيزات الخاصة بالمفاهيم والظواهر، ومنها العولمة، فأقول بأن العولمة تهدف إلى تشكيل عالم شبه متجانس تهيمن فيه وحدة القيم والرؤى والغايات محل التنوع والتعدد والاختلاف الذي يميز الثقافات والحضارات.

والقول بتوحيد نسق القيم، ووحدة الأهداف، يختزل تطلعات الإنسان إلى مفهوم واحد، وبدل أن نتعرف على بني الإنسان بوصفهم تشكيلاً متعدداً من الثقافات والرؤى والتجارب والتطلعات والإرادات، فإننا نختزلهم إلى كتلة صماء ذات هدف واحد، وتؤمن بنسق محدد من القيم، ومن ناحيتي أجد أن وحدة لا تؤمن بمبدأ التنوع الخلاق، ولا تأخذ به، وتنفتح عليه، ستقود، لا محالة، إلى تفجر الخصوصيات المطلقة، والتعصبات الإثنية، والمذهبية، والدينية، وهذا هو ما يموج به العالم حالياً، فالعولمة تريد تعميم نموذج كوني عابر للثقافات والعقائد والأعراق، وتجعل الثقافة الغربية المعيار والقيمة لكل شيء، واستبعاد التشكيلات الأصلية التي تؤسس للهويات الطبيعية، والانتماءات غير الأيديولوجية، وهذا نوع من الاستبداد لأنه يقصر الأمر على محتوى العولمة، وهو الثقافة الغربية المتمركزة حول نفسها. واستبعاد كل ما لا يتوافق مع سلم القيم الخاص بها. ولا أجدني من ناحية فكرية متسقاً مع هذه الفرضية، فأنا أقر بالتنوع والتعدد، ولا أقبل بفرض نموذج وإلغاء نماذج أخرى.

تعميم الثقافة الغربية على مستوى العالم يقصد منه تحويلها إلى لاهوت كوني. فلسنا بحاجة لا إلى اللاهوت ولا المرويات الكبرى الخادعة التي تقترح حلاً لكل شيء كالماركسية، والأيدلوجية القومية أوالأيدلوجية الدينية، أي أننا لسنا بحاجة إلى عولمة تتحول إلى عقيدة مغلقة ذات محتوى مستعار من التجربة الغربية. فأنا من القائلين بضرورة وجود عوالم وثقافات متعددة تتفاعل فيما بينها، وتتشارك بعيداً عن فكرة الإقصاء والاستحواذ والاستبعاد. ولعلي أفسر كثيراً من نزعات التعصب والتشدد والغلو والتطرف إلى أنها نوع من المقاومة الذاتية ضد فكرة الضياع والذوبان والتلاشي، وعلينا أن نتذكر أن المجتمعات التقليدية تدافع عن نفسها عبر ترويج نوع من «الهوية المغلقة». وفي ظل عولمة تنزع إلى استئصال الخصوصيات وطمسها واعتبارها معيقة للتقدم والتطور، تنبثق مقاومة، قد تكون سلبية، ضد ذلك، ولكي تنخرط العولمة في الإجابة عن مشكلات عصرنا فلابد لها من الاعتراف بالخصوصيات، وتقدير مبدأ التنوع. وألا تكون موجة عاتية عابرة للقارات شأنها في ذلك شأن الغزوات الاستعمارية التقليدية. أرغب في أن تنزع العولمة عن نفسها طابع الاستئصال والعدوانية، وتأخذ بمبدأ الشمول والاعتراف بالآخرين كائناً ما كانت هوياتهم وأهدافهم وتطلعاتهم.

العنف الأعمى

*** لنتحدث الآن عن ظاهرة العنف السياسي في العالم العربي و الإسلامي. أنكم في العديد من دراساتكم تنتقدون وبشدة المركزية الإسلامية ونظرتها الى الآخر غير الإسلامي، هل هناك علاقة عضوية بين هذه النظرة، التي تقسم الآدميين الى ثنائيات ضدية: المؤمن والملحد، أو المسلم والزنديق، أو دار الحرب و دار الإسلام .. الخ وبين العنف السياسي الذي تمارسه قوى سياسية ودينية وأصولية في العديد من المجتمعات العربية الإسلامية أم أن لهذا العنف أبعاد أخرى ليست لها صلة بقايا المركزية الإسلامية واستعلائيتها العقيدية والثقافية.**

- ينبغي التأكيد على أن العنف طاقة حبيسة لها

مغذيات شخصية أو اجتماعية، أو سياسية، أو دينية، وحينما تتفجر تكون ممارسة عمياء تحرق الأخضر واليابس، وفي العموم ينبغي تجفيف منابع العنف وليس قمعه، أي معالجة السبب وليس النتيجة، وذلك لا يكون إلا بالعدالة والمساواة والشراكة، وهذه تقتضي وجود المؤسسات المدنية والدستورية التي تقوم بتنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم بما يحقق مصالحهم، وينظم واجباتهم وحقوقهم. وينبغي الاعتراف بأن مجتمعاتنا تعيش ما قبل هذه المرحلة، أي أنها تعيش حقبة العلاقات الاجتماعية لمرحلة القرون الوسطى، حيث السطوة للعلاقات القبلية والمذهبية، وحيث الجماعات لم تنصهر بعد لتكون مجتمعاً تربطه فكرة المواطنة، وهذه العلاقات القائمة على الولاء وليس الشراكة تؤدي إلى احتقانات لا نهاية لها، وهي تأخذ أشكالاً كثيرة من العنف يمارسها الأفراد أو الجماعات إيماناً بوهم أو معتقد، أو مصلحة. ومن هذه الناحية فالجماعات المذهبية أو الإثنية تكتنز طاقة هائلة من العنف المدمر الذي يتفجر أحياناً لأقل سبب، فما بالك إذا توهمت بعض الجماعات أنها صاحبة الحق المطلق، واليقين النهائي، فهي تمارس العنف بدرجة كبيرة من الوحشية ذوداً عن مفاهيم ومعتقدات وتصورات.

ومن المعلوم أن الأمم، والقوميات، والأعراق، إنما هي جماعات متخيلة تنتظم في أيديولوجيات ومرويات كبرى، وهي تتشبع بالأفكار السائدة، وتعدها من مكونات هويتها العرقية أو الدينية وكل مساس بهذه الهوية المتخيلة سيؤدي إلى تغذية الجماعات بالعنف المتطرف، وهو عنف يتفجر عند أول اختبار أو مواجهة. يضاف إلى أن التفسيرات الضيقة للدين تشحن المؤمنين بفكرة رفض الآخر المختلف عقائدياً، ولا ننسى النزعات التربوية الضيقة قومية أو مذهبية التي توهم أتباعها بالتفوق وتعم الآخرين بالدونية. وحتى على مستوى الأفراد فالنظام الأبوي القائم على التراتب والهرمية يخلق أفراداً مشوهين ثقافياً ومجهزين بفكرة العنف، ولكن لو توسعنا في تقصي فكرة العنف بشكل كامل، نجد أن التجربة الاستعمارية قد انتهكت خصوصية الجماعات الأصلية، وجرحت كرامتها الجوانية، وخلخلت علاقاتها، وكل ذلك بذر العنف فيها كرد فعل يأخذ طابع المقاومة، والحضارات الكبرى، ومنها الغربية والإسلامية، اكتنزت كماً هائلاً من الممارسات العنيفة التي هبت كالأعاصير المدمرة ضد الجماعات والشعوب الأخرى، ومن الطبيعي أن ينشأ عنف مقابل بدواعي الحماية والمقاومة والحفاظ على الهوية.

إن رصيد العنف يتكون ببطء، ولا يعرف أحد متى يتفجر فيخرب كل شيء. وبدل أن يكون طاقة خلاقة وإيجابية ينحرف إلى السلبية، وإذا نظرنا لحال العالم من هذه الزاوية نجد أن أسباب العنف منبثة في كل مكان. ولعل العنف السياسي المدعوم بأيديولوجيات عرقية ومذهبية متعصبة هو الأخطر لأن الجماعات تمارسه بوصفه حقاً مقدساً، ومسؤولية أخلاقية لتقرير مصيرها، وتعديل أوضاعها، واستعادة حقوقها. وأحياناً يأخذ طابع الانتقام والثأر فيكون بشعاً ولا يقف عند حد ما. ولكي نطفئ لهيب العنف فينبغي إطفاء جذوته، وذلك أمر صعب أو مستحيل في الوقت الحاضر، فالعلاقات بين الدول والجماعات قائمة على فكرة الغلبة والقوة، وليس الحوار والشراكة، وما دامت الأمور بهذه الصورة فالمتوقع هو ازدياد أمواج العنف، وحتى على المستوى الفردي ينظر لكثير من الأفراد على الغلبة والهيبة والقوة، حتى تلك المجردة عن أية أخلاقيات إنسانية، نظرة ملؤها التبجيل والإعجاب، فالغلبة سياج تحتمي خلفه الجماعات والأفراد على حد سواء، وهذا هو الذي يؤدي إلى الحروب، وبخاصة الحروب الأهلية حيث تعتصم الجماعات بزعماء متعصبين للاحتماء بهم، وذلك لا يكون إلا بالترويج لايدولوجيا قائمة على مبدأ العنف الذي تفهمه الجماعات على أنه عنف مقدس يفضي إلى استعادة الحقوق القومية أو المذهبية، وأحياناً الوطنية.

ولا أستبعد أن يتحول العنف إلى معتقد تتبناه

الجماعات، ويأخذ به الأفراد، في ظل غياب العدالة على مستوى العالم، وعلى مستوى الأفراد. وينبغي ملاحظة أن فكرة «الإمبراطورية» تقوم على مبدأ العنف، منذ الإمبراطوريات القديمة الفارسية والرومانية والعربية وصولاً إلى العصر الحديث حيث المغامرة الاستعمارية التي اكتسحت العالم، وأحد أكثر تجليات عصرنا عنفاً هو ما تمارسه الإمبراطورية الأميركية التي أضفت على مبدأ العنف طابع حرب الأفكار والأيديولوجيات. وفكرة الحروب الاستباقية هي تسويغ للعنف الإمبراطوري على المجال الكوني بأجمعه، وأميركا بنزعتها الإمبراطورية تلجأ إلى تفجير طاقة العنف الهائلة الموجودة لديها للاقتصاص من أعداء حقيقيين أو وهميين، بعد أن جرحت كرامتها القومية في ١١ سبتمبر. ولم تعد قادرة على إعادة السيطرة على ذلك العنف الذي أصبح جزءاً من الهوية الأميركية الحالية. وكل هذا يتعارض مع مكاسب الحداثة العقلانية التي كانت تريد إحلال نسق من علاقات التفاعل والتواصل محل النزعات التدميرية التي تدفع بالأفراد والأمم إلى البحث عن حلول فردية قائمة على مبدأ العنف.

وأود الإشارة إلى أن الفكر البراغماتي الأميركي ينظر إلى المجتمعات التقليدية على أنها جماعات منفرطة، وغير متجانسة، فهو فكر لا يعنى بفكرة المجتمع بوصفه بوتقة تنصهر فيها التشكيلات الإثنية والمذهبية والثقافية بما يؤدي إلى نشوء هوية وطنية جامعة، إنما ينظر إلى المجتمع بوصفه جماعات متنافرة تنتظمها قوة القانون والمصالح، وهي تنسج هوياتها الضيقة في منأى عن الجماعات الأخرى، وما أن تتعرض مصالح الجماعات للخطر إلا وينبغي لها تعتصم بذاتها حماية لنفسها وتحقيق مصالحها، وربما تبنّي العنف لتحقيق ذلك. فلا وجود لفكرة المصير المشترك، والهوية الشاملة، والثقافة الجامعة، إنما حلت محل كل ذلك انتماءات مدرسية ضيقة. وطبقاً للبراغماتية الأميركية فالعراق-على سبيل المثال- لا يوجد فيه مجتمع عراقي، إنما هو تشكيل هش من جماعات شيعية وسنية وكردية وتركمانية وآشورية، وعلى هذه الجماعات أن تعتصم بهوياتها الأصلية لانتزاع حقوقها بدل الاندماج والتفاعل والشراكة حيث تنتظم مصالحها الكلية ضمن هوية واحدة تقبل التنوع الخلاق.

وهذا التفسير للهويات يفرض تحيزات مذهبية وعرقية يؤدي إلى إنتاج العنف، ثم ممارسته على الجماعات الأخرى. وطبقاً للتفسير البراغماتي تتلاشى الجماعة إن لم تكن لها شوكة وقوة، والغاية تبرر الوسيلة، فالعنف مبدأ أساسي من مبادئ هذا التفكير. ولا يمكن التنكر له، مهما حاول منظرو الفكر الأميركي الجديد إخفاءه. وأظن أن ما يعصف بمنطقة الشرق الأوسط من عنف له صلة بهذا التفسير، وبخاصة بعد أن أخفقت مشاريع التنمية السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وحل الاستبداد محل التعدد والشراكة والديمقراطية. والنموذج العراقي يفضح فشل مبدأ، وتبني مبدأ لا يقل خطراً عنه. وسنرى أن العنف سوف يتخذ طابعاً مؤسسياً، وسيصبح نوعاً من العقيدة المذهبية أو الإثنية.

النزاع بين المركزيات الثقافية والدينية والعرقية

*** بعد أحداث١١من ايلول٢٠٠١ وتفجر صراعات أو اضطرابات ذات أبعاد ثقافية وحضارية، من حين لآخر، بين المسلمين والهندوس في الهند، أو بين الأقباط والمسلمين في مصر، أو بين المسيحيين والمسلمين في لبنان، وهنالك أمثلة متفرقة في العالم من هذا القبيل، هل يمكن أن نسلم الآن بنظرية صدام الحضارات لهنتنجتون ولاسيما أن هذا الأخير وفي لقاء صحفي عقب أحداث١١ سبتمبر، قال وبكل ثقة أن تنبيهاته المتعلقة بـ«صدام الحضارات»قد تحققت على أرض الواقع، ولكن يبدو أنكم لستم مع هذه النظرية وقد انتقدتها أكثر من مرة، ما هي آخر ملاحظاتكم حولها**

؟ وهل هي معكم مازالت قيد النقد؟.

- أطلعت على كتاب صاموئيل هنتنجتون حال صدوره في مطلع التسعينيات من القرن الماضي بصورة بحث قبل أن يصدر بعد سنوات ككتاب، وبالنسبة لي فهنتنجتون كان مصيباً في إعادة وصف حال الجماعات الكبرى في العالم بعد مرحلة الحرب الباردة، وبخاصة في تأكيده على أهمية العمق الثقافي والحضاري للصراع في العالم. كان يريد القول بأن العالم انخرط في حقبة تشكيل الهويات الثقافية، وكثير من تلك الهويات اعتمدت الأوهام والمخاوف لأنها لا تستطيع مواكبة التطور الذي انجزته الحضارة الغربية، ولكن مهما أدعى هنتنجتون الموضوعية في الوصف والتحليل فقد كانت أحكامه مشبعة بالإرث الاستعماري الاستعلائي، شأنه في ذلك شأن «فوكوياما» في كتابه حول «نهاية التاريخ» الذي كان صدر قبل كتاب «صدام الحضارات». فكلاهما يعيدان ترتيب العلاقات على أسس هرمية قائمة على استشعار الخطر من الآخر المختلف ثقافياً ودينياً. وكلما تأملت في أطروحة هنتنجتون أجدها عرجاء وتفتقر على السلامة، فالحضارات بذاتها لا تتصارع؛ لأنها المكسب النهائي للعقل البشري، إنما أذهب إلى ما يذهب إليه صديقي التروتسكي «طارق علي»من أن الحضارات وهي تتفاعل فيما بينها، تنتج أصوليات راديكالية، وأن هذه الأصوليات هي التي تتصادم وليس الحضارات الكبرى، فما نجده الآن هو ليس صراعاً بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، إنما هو نزاع عنيف بين أصولية إسلامية لها تفسيرها الضيق للدين وبين مزيج من أصولية إمبريالية-أميركية ذات بطانة مسيحية تقول بالتفسير نفسه، وإذا كانت الجماعات الجهادية والسلفية تمثل الطرف الأول فالمركزية الغربية، ومنها العولمة الاقتصادية والثقافية القائمة على الاحتكار والاستغلال، بما في ذلك الأصولية المسيحية التي نشطت في الفكر الديني خلال العقود الأخيرة تمثل الطرف الثاني، إذا يحاول كل طرف خلق مجال ثقافي وديني للتحيزات الخاصة به، فيمارس العنف باسم الحضارات التي ينتمي إليها، لكن تلك الحاضنات الكبرى لا علاقة لها بصراعاتهم. وعليه تبطل بعض جوانب فرضية هنتنجتون القائلة بصراع الحضارات، فالأصح هو أن جماعات راديكالية أصولية او احتكارية تؤجج العنف داخل هذه الحضارة أو تلك ضد مجموعة مضادة. فنحن بإزاء صدام للأصوليات وليس للحضارات. وبعبارة أخرى هنالك نزاع بين قوى تريد فرض هوية كونية وقوى إقليمية تدعي الحفاظ على الهويات الخاصة.

ولو تتبعنا هذا التحليل إلى نهايته لاتضح المقصد بصورة أوضح. فعلى المستوى الإسلامي نفسه لا أجد شخصياً صراعاً بين المذاهب والطوائف التي تقر جميعها بالانتماء إلى الدين الإسلامي، إنما الصراع بين جماعات متطرفة داخل هذا المذهب أو ذاك، وهذه الجماعات سواء كانت دينية أو قبلية أو عرقية تحاول تأميم رأس المال الرمزي للدين أو العرق أو الثقافة لصالحها، لتبدو وكأنها تنطق باسم الجماعة، وتعبر عن تطلعاتها الكبرى، والتحليل النقدي يكشف زيف هذا الادعاء. فالروابط بين الحضارات الكبرى تزداد قوة يوماً بعد يوم بفعل الاتصالات والمصالح والهجرات، لكن الأصوليات المتعصبة تلجأ إلى تفسيرات ثقافية متحيزة لها صلة بنظام القيم فتتصادم فيما بينها.

واقترح بأن نعيد النظر بكل ذلك، لامتصاص شحن الغلواء التي تدفع هذه الجماعات إلى ممارسة العنف فيما بينها، بما يلحق ضرراً بالحضارات نفسها، وقد حللت هذه الظاهرة في كتابين من كتبي هما «المركزية الغربية» و «المركزية الإسلامية». ووجدت أن الخلاف هو خلاف بين المركزيات القائمة على أساس تفسيرات مغلقة أو شبه مغلقة للعقائد والثقافات، ولابد من زحزحة الحدود الوهمية الفاصلة بينها، وتفكيك الركائز والفرضيات الوهمية القائمة عليها. ولابد من إعادة النظر بكل ذلك بواسطة فكر نقدي عقلاني، فأنا أذهب مع «هابرماز» إلى ضرورة ظهور

نوع من «الدين العاقل»الذي يجعل من العقلانية النقدية الوسيلة الأساسية لاقتراح الأفكار والأنظمة، لكي تنطفئ جذوة «الدين المتعصب» التي تؤججها تفسيرات مغلقة للظاهرة الدينية.

لابد من التأكيد على أن ما يمور به العالم من تنازعات كبرى مرجعه - في الغالب-الانحباس في تصورات مغلقة تغذيها رؤى تستند إلى تصوراتٍ متعصبة، ومع أن المجتمعات في العصر الحديث طوّرت ما يكفي من أسباب التنازع كالأيديولوجيات المطلقة، والاستبدادِ، والاستغلال، والمصالح، لكن التنازعاتِ الكبرى هي نتاجٌ لمركزيات ثقافية وجدتْ لها دعما من أطراف التنازع، وبسبب غياب النقد الذي يجرّدُ تلك المركزياتِ من غلوائها، في نظرتها المغلقة إلى نفسها وإلى غيرها، فقد تصلّبتْ تصوراتُها، واصطنعت لها دعامات عرقية أو دينية أو ثقافية، أدّت إلى زرع فكرةِ السموِّ والرفعةِ في الذات والدونيةِ والانتقاص في الآخر، ومع أن كثيرا من أطراف العالم تداخلتْ في مصالحِها، وثقافاتها، وأفكارها، لكن ضَعفَ الفكرِ النقدي حال دون أن تتلاشى المركزياتُ الكبرى. ثمةَ عوائق ثقافية استجدت، فلم يعد تبادل الأفكار، والقيم، ميسورا بالدرجة التي نتصورها، إذ نشأت حدود رمزية فاصلة بين المجتمعات بفعل النزاعات السياسية والدينية والثقافية، وبذرائع المحافظة على الأصالة والهوية ظهرت ردود أفعال مناهضة للتغيرات الاجتماعية والقيمية، ففي ظل توترات تجتاح العالم، وقوى إمبراطورية تريد إعادة تشكيله طبقا لرؤاها ومصالحها، لجأت كثير من المجتمعات إلى الاعتصام بنفسها، وبقيمها، وبثقافتها، وذلك في رغبة عارمة للحماية الذاتية. ومن الطبيعي أن الرغبة في صيانة الذات ستؤدي إلى درجة من الانقطاع عن جملة التحولات الجارية في العالم، فيحل الرفض محل القبول، ويسود الخوف بدل الأمان، والريبة مكان الطمأنينة، وتندلع نزاعات ثقافية بموازاة الصراعات العسكرية والاقتصادية والسياسية.

الدكتور عبدالله إبراهيم

مفكر، وأستاذ جامعي من العراق

حاصل على جائزة شومان للعلوم الإنسانية عام ١٩٩٧ متخصص في الدراسات الثقافية والسردية.

باحث مشارك في موسوعةCambridge history of Arabic literature

اشترك في عشرات المؤتمرات والملتقيات النقدية والفكرية.

عمل أستاذا للدراسات الأدبية في الجامعات العراقية، والليبية، والقطرية.

من مؤلفاته

١.المطابقة والاختلاف، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤

٢. موسوعة السرد العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥

٣.المركزية الغربية، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧وط٢المؤسسة العربية للدراسات والنشر،٢٠٠٣

٤.المركزية الإسلامية: صورة الآخر في المخيال الإسلامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠١

٥.الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر،٢٠٠٤

٦.التلقي والسياقات الثقافية، بيروت، دار الكتاب الجديد،٢٠٠٠وط٢ دار اليمامة ،الرياض،٢٠٠١ وط٣الجزائر، منشورات الاختلاف ٢٠٠٥

٧.السردية العربية، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢، وط٢المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠٠

٨. السردية العربية الحديثة، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣

٩.المتخيّل السردي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠

١٠.معرفة الآخر ، بيروت، المركز الثقافي العربي،١٩٩٠،ط ٢، ١٩٩٦

١١.التفكيك: الأصول والمقولات، الدار البيضاء ،١٩٩٠

١٢.تحليل النصوص الأدبية، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ١٩٩٩

١٣.النثر العربي القديم، الدوحة، المجلس الوطني للثقافة، ٢٠٠٢

١٤. الرواية والتاريخ، الدوحة، المجلس الوطني للثقافة، ٢٠٠٦

١٥. عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، أبوظبي، المجمع الثقافي ٢٠٠١ وط٢المؤسسة العربية للدراسات والنشر٢٠٠٧

وثائق جديدة تدين صدام حسين واعوانه بضرب كردستان بالاسلحة الكيمياوية عام ١٩٨٧





تلقي الوثائق الرسمية العراقية التي نشرتها وزارة الدفاع الأمريكية مؤخرا على الأنترنيت الأضواء على الهجمات الكيمياوية التي تعرضت لها المواقع والقرى الكردية في النصف الأول من عام ١٩٨٧. وتظهر هذه الوثائق وبوضوح مشاركة دوائر ومؤسسات عسكرية واستخباراتية عديدة في التخطيط والتحضير لتلك المجازر وتنفيذها. كما توضح بجلاء مسؤولية الرئيس العراقي السابق صدام حسين شخصيا عنها. لقد بقيت التفاصيل المتعلقة بهذه الهجمات واثارها المريعة مخفية عن العراقيين لسنين عديدة. بينما اطلع العالم على جانب من هذه الماسي بعد ضرب حلبجة في ١٦ اذار من عام ١٩٨٨ بالأسلحة الكيمياوية. وجاءت انتفاضة اذار ١٩٩١ لتلقي المزيد من الأضواء على جرائم النظام في كوردستان ومن بينها ضرب العديد من القرى والمواقع بالأسلحة الكيمياوية، اذ توفرت لأول مرة الفرصة امام العديد من ضحايا وشهود تلك الحملات لرواية ما جرى لعوائلهم وقراهم عام١٩٨٧.

في المقابل بقيت أخبار التخطيط والتحضير لتلك الهجمات والآليات البيروقراطية التي اعتمدتها اجهزة القمع الحكومية لتنفيذها خافية على الناس بل المهتمين بدراسة تفاصيلها حتى السقوط المدوي لنظام الجريمة المنظمة والمقابر الجماعية في التاسع

من نيسان عام ٢٠٠٣. لقد عملت مؤسسات القمع الحكومية كل ما في وسعها للحفاظ على سرية تلك الجرائم مع القضاء على كل أثر يمكن ان يفضح ممارساتها في كوردستان ومناطق العراق الأخرى. لقد سهل اعلان الحكومة لأكثر اراضي كوردستان مناطق محرمة فضلا عن قتل الشهود وكل من حاول النجاة من تلك المجازر امر الحفاظ على سريتها واخفاء معالمها. وبقيت الوثائق المتعلقة بتلك المجازر والتي تظهر الآليات البيروقراطية والمنهجية في التخطيط لتلك الحملات وطريقة تنفيذها و(استثمار نتائجها) حسب وصف المؤسسات الحكومية المشاركة فيها، بعيدة عن متناول الناس حتى سقوط النظام في بغداد.

من المؤسف ان الوثائق الرسمية الحكومية المتعلقة بجرائم النظام وسياساته القمعية والعنصرية والطائفية جرى نهبها واتلاف جزء مهم منها، فيما سيطرت القوات الأمريكية والميليشيات الحزبية واللصوص على قسم كبير منها وجرى تهريب اطنان منها الى دول الجوار، وبذلك فقد العراقيون جزءا مهما من ذاكرتهم التاريخية. كما خسر الباحثون فرصة نادرة لدراسة تلك الوثائق لرسم صورة واقعية عن المآسي والكوارث التي الحقها النظام بالبلاد والعباد.

يبدو ان النخب السياسية والثقافية في بغداد لا تستطيع في ظل الفوضى والعمليات الإرهابية التي تنغص على الناس حياتهم ان تعير الموضوع اي اهتمام. الغريب ان القيادات السياسية الكردية التي كان ابناء شعبها من بين ابرز ضحايا النظام لم تخط على هذا الطريق اية خطوات جادة رغم المطالبة الملحة من لدن الباحثين و المتخصصين.

تضم الوثائق الجديدة هذه مراسلات جرت بين رئاسة الجمهورية والاستخبارات العسكرية العامة ورئاسة اركان الجيش وقيادتي الفيلقين الأول والخامس خلال الفترة من العاشر من اذار ١٩٨٧ وحتى بداية حزيران من العام نفسه والتي تخص التحضيرات لتوجيه ضربات بالأسلحة الكيمياوية على المواقع الكردية في مناطق تكية وبلكجار التابعتين لناحية قرداغ وحوض باليسان على الطريق العام بين جوارقورنة - خليفان ومواقع عديدة في مناطق بهدينان.

تتضمن هذه الوثائق بطبيعة الحال مفردات الخطاب البعثي المعروفة بحق معارضي النظام، فهم وفق توصيفة ذلك الخطاب مخربون، خونة، أدلاء الخيانة وعملاء ايران. وتماشيا مع النهج البعثي في التعامل مع معارضيه وخلق المبررات للتعامل معهم بتلك الطريقة الوحشية تخلط الوثائق عن قصد بين قوات الأنصار الكردية وعناصر المعارضة العراقية في كوردستان العراق وبين ما كان الأعلام الرسمي يسميهم بحرس خميني.

اثرنا عرض نصوص الوثائق كما هي دون اي تدخل في صياغاتها او محاولة تهذيب لغتها البعثية السوقية المليئة بالشتائم بحق معارضي النظام واتهامهم بالعمالة لهذا الطرف او ذاك. لابد ان شتائم النظام لمعارضيه وحقده الأعمى عليهم امر تشرف الاخيرين.

تخلو المراسلات في الغالب من الاشارة الى اسماء المسؤولين بل تكتفي الوثائق بذكر مناصبهم ومسؤولياتهم عندما يضعون تواقيعهم على الكتب الرسمية. سادت هذه الظاهرة الدوائر والمؤسسات العراقية مع اتساع مديات الدولة البوليسية وهيمنة صدام ومنظوماته السرية على البلاد واندلاع الحرب مع ايران. اذ لم تعد الكتب الرسمية تشير الى اسماء المسؤولين بل كانت تكتفي بذكر مناصبهم ومسؤولياتهم الرسمية مع تواقيعهم.

صدام حسين يصدر الأوامر الصريحة بضرب الكرد بالأسلحة الكيمياوية

تكشف الوثائق بصورة لا لبس فيها ان صدام حسين وليس غيره كان يأمر بتنفيذ الهجمات الكيمياوية بحق المواقع والقرى الكردية من خلال كتب رسمية صادرة عن رئاسة الجمهورية تحمل شعارها وتوقيع

سكرتيره الشخصي. كما توضح انه لم يكن لأحد ان يفكر اويخطط اوينفذ تلك الهجمات دون العودة الى رئاسة الجمهورية وعرض ادق التفاصيل عليها. وتروي الوثائق الآليات التي اعتمدتها رئاسة الجمهورية في تنفيذ تلك الجرائم بحق الشعب الكردي وحركاته السياسية. فضلا عن انها تصور المديات المرعبة لتلك الهجمات والدوائر والمؤسسات العسكرية والأستخبارية المشاركة فيها. لندع الوثائق تتحدث عن نفسها.

ينص الكتاب سري للغاية وشخصي وعلى الفور الصادر من رئاسة الجمهورية ويحمل توقيع رئيس الجمهورية بالعدد ٩٥٣ / ٩٦٥ / ك بتاريخ ٢٩ /٣ /١٩٨٧ والموجه الى مديرية الأستخبارات العسكرية العامة على الآتي:

(مديرية الاستخبارات العسكرية العامة. م/ استخدام العتاد الخاص. كتابكم المرقم ش ٣ /ق٢ / ٦٨٨٥ في ٢٥ /٣/ ١٩٨٧. حصلت الموافقة على توجيه الضربة على ان يتم استثمار النتيجة ... حيث ان القصد ليس ايذاء المخربين فحسب. لأتخاذ ما يقتضي وبالتنسيق مع الفيلق المعني،واعلامنا قبل المباشرة بالضربة. مع التقدير. توقيع سكرتير رئيس الجمهورية). ويحمل الكتاب هوامش مكتوبة بخط اليد لاطلاع المدير العام على مضمون الكتاب الخاص باستخدام العتاد الخاص بانتظار اوامره لأحالة الكتاب الى المعاونية الأولى لاتخاذ ما يلزم.بينما يؤكد هامش الشعبة الثالثة على ضرورة اجراء التنسيق مع رئاسة اركان الجيش باعتبارها الدائرة المسؤولة ومراجعة كتاب بخط اليد بخصوص الموضوع وموافقة الرئاسة. وطالبت الشعبة الثالثة في هامشها ايضا بضرورة التنسيق مع اللجنة الخاصة للأتفاق على التفاصيل وتحديد الوقت واشعار الرئاسة قبل التفيذ. وتحمل الهوامش تواقيع الضباط المسؤولين من دون ذكر اسمائهم مع تدوين تواريخ هذه الهوامش. ويحمل الكتاب الشعار الخاص برئاسة الجمهورية العراقية. (انظر الوثيقة الرقم ١).

وفي كتاب ىخر صادر من رئاسة الجمهورية ايضا ويحمل توقيع سكرتير رئيس الجمهورية الى رئاسة اركان الجيش ويحمل ايضا العدد ٩٥٣ / ١٠١٦ /ك وتاريخ ٢ / ٤ / ١٩٨٧، سري للغاية وشخصي وعلى الفور نقرأ ما يأتي:

(رئاسة اركان الجيش.م / استخدام العتاد الخاص. اشارة لكتاب مديرية الاستخبارات العسكرية العامة المرقم ٧٣٧١ والمؤرخ في ٣١ /٣ / ١٩٨٧. لا تنفذ الضربة قبل اعلامنا بكيفية استثمار نتائجها.مع التقدير. توقيع سكرتير رئيس الجمهورية). ارسلت نسخة من الكتاب الى مديرية الاستخبارات العسكرية العامة، اشارة الى كتابها المشار اليه اعلاه وللعلم. وتقترح الهوامش الأيعاز الى الشعبة الثالثة إتخاذ ما يلزم ومتابعة الأجراءات (انظر الوثيقة الرقم ٢).

تلمح هذه الوثائق الى ان مقترح ضرب المواقع الكردية بالأسلحة الكيمياوية جاء اصلا من مديرية الاستخبارات العسكرية العامة، اذ يشير الكتاب السري للغاية والشخصي الصادر من رئاسة الجمهورية والذي يحمل توقيع سكرتير رئيس الجمهورية بعدد ٧ / ج٢ / ٨٠٨ / ك وبتاريخ ٣/١٢ / ١٩٨٧ الى ما نصه:

(مديرية الاستخبارات العسكرية العامة. م/ معلومات. نشيركم لكتابكم ذي الرقم م ١/ ش ٣/ ق ٢/ ٥٨٠٩ والمؤرخ في ١٩٨٧/٣/١٠. أمر السيد الرئيس القائد بأن تدرس مديريتكم مع الأختصاصيين توجيه ضربة مباغتة (لقواعد حرس خميني ضمن مقرات مخربي الفرع الأول لزمرة البارزاني) بالعتاد الخاص وامكانية تنفيذها بأي من الوسائل التالية: (القوة الجوية، طيران الجيش، المدفعية). لأتخاذ ما يقتضي..واعلامنا. مع التقدير. توقيع سكرتير رئيس الجمهورية). ويحمل الكتاب هامشا الى المعاون الأول لمدير عام مديرية الأستخبارات العسكرية العامة يطلعه على الكتاب ويقترح المباشرة فورا بدراسة توجيه صدام حسين من قبل الشعبة الثالثة. ولا يمانع التنسيق مع م/٥ حول نفس الموضوع للأستفادة من خبرتهم في هذا

المجال.كما ويخبره بانه اودع نسخة من الكتاب لأطلاع المدير العام (انظر الوثيقة الرقم ٣).

ويعود سكرتير رئيس الجمهورية ليعلم مديرية الأستخبارات العسكرية العامة بحصول الموافقة على مقترحاتها اذ يشير في كتاب سري للغاية وشخصي وعلى الفور صادر ايضا من رئاسة الجمهورية ويحمل توقيعه بعدد ٧/ ج٢/ ٨٧٧/ ك وبتاريخ ٣/١٩ / ١٩٨٧ (مديرية الاستخبارات العسكرية العامة:

م/ استخدام العتاد الخاص نشيركم للفقرة (٢-أ وب) من كتابكم المرقم م١ /ش٣ /ق٢ / ٦٤١٤ في ١٨ / ٣ / ١٩٨٧. حصلت الموافقة على المقترحين الواردين فيها. لاتخاذ ما يقتضي. مع التقدير. توقيع سكرتير رئيس الجمهورية) ويشير الهامش المرفوع من المعاون الأول لمدير الاستخبارات العسكرية الى رئيسه بان الأمر يتعلق باستخدام العتاد الخاص ضد ما يسميها زمرة البارزاني وعملاء ايران.ويعلمه بان نسخة من الكتاب سلمت باليد الى مدير طيران الجيش وان الأخير بين انه بالأمكان استخدام الطائرات السمتية في تلك المناطق ليلا. وحسب الهامش نفسه اضيفت تلك الفقرة الى الكتاب قبل ترويجه واودع الأصل عند المعاون الأول لمدير الأستخبارات العسكرية لأتخاذ ما يلزم بشأنه. ويؤكد هامش المدير العام بتاريخ ٢٠ /٣ / ١٩٨٧ على ضرورة حضور اللجنة الخاصة لتنفيذ التوجيه الخاص باستخدام العتاد الخاص ضد ما سماها بمناطق عملاء ايران (انظر الوثيقة الرقم ٤).

هناك نسخة ثانية من هذا الكتاب تحمل نفس العدد والتاريخ رفع بهامش الى المعاون الأول لمدير الأستخبارات الععسكرية العام للأطلاع واتخاذ ما يقتضي. (انظر الوثيقة الرقم ٥).

تظهر هذه الوثائق بوضوح لا لبس فيه أن صدام حسين يتحمل المسؤولية الأولى عن الهجمات بالأسلحة الكيمياوية على القرى والمواقع الكردية في النصف الأول من عام ١٩٨٧. وتوضح الوثائق التي سننشرها تباعا مسؤولية الدوائر والمؤسسات التي شاركت في التخطيط والتحضير لهذه الهجمات وتنفيذها. يبدو ان مصطلح (العتاد الخاص) كان بمثابة شفرة او كود سري بين الدوائر والمؤسسات العسكرية والأستخبارية للدلالة على الأسلحة الكيمياوية. الغريب ان هذه المؤسسات عادت في مراسلات لاحقة لها وفضحت حقيقة هذا العتاد الخاص عندما اشارت الى مكوناته الكيميائية وقومت تاثيرات تلك المكونات وتأثرها بالعوامل المناخية.

دور الأستخبارات العسكرية في الهجمات الكيمياوية

لعبت مديرية الاستخبارات العسكرية العامة دورا مهما في التخطيط والتحضير للهجمات بل وتشير مراسلاتها وكأن المقترح رفع من قبلها اصلا الى رئاسة الجمهورية. مهما يكن الأمر فان الوثائق توضح دور الأطراف المختلفة في تلك الجرائم بطريقة افضل من اي كلام يقال في الموضوع.

ففي كتاب سري للغاية وشخصي وعلى الفور من مديرية الاستخبارات العكسرية العامة الى رئاسة اركان الجيش يحمل العدد ٧٣٧١ بتاريخ ٣١ اذار ١٩٨٧ نقرأ ما نصه:

(الى / رئاسة اركان الجيش. الموضوع / استخدام العتاد الخاص

١-امر السيد الرئيس القائد (حفظه الله) بأن تدرس مديريتنا مع الأختصاصيين توجيه ضربة مباغتة (لقواعد حرس خميني ضمن مقرات مخربي الفرع الأول لزمرة البارزاني) بالعتاد الخاص وامكانية تنفيذها باي من الوسائل التالية (القوة الجوية - طيران الجيش - المدفعية).

٢-تم دراسة امر السيد الرئيس القائد (حفظه الله) مع الأختصاصيين واقترحنا ما يلي.

أ-ارجاء تنفيذ الضربة على قواعد حرس خميني ضمن مقرات زمرة البارزاني حتى شهر حزيران المقبل لوقوع الأهداف في منطقة الشريط الحدودي العراقي - التركي يفضل اختيار الأهداف خارج التأثير المحتمل على القطعات الحدودية التركية او القرى التركية.

ب-المباشرة بالتخطيط لتنفيذ عمليات محددة مماثلة باتجاه مقرات عملاء ايران.

٣-حصلت الموافقة على المقترحين في (٢) اعلاه وقامت مديريتنا بدراسة اماكن تواجد مقرات عملاء ايران وانتخاب الأهداف ادناه استنادا الى حجم التواجد المعادي فيها وتأثير هذا التواجد على الأمن الداخلي في المنطقة الشمالية بما يتلائم والأمكانيات المتيسرة من العتاد الخاص ووسائل الأطلاق.

أ-مقرات عملاء ايران في منطقة حوض باليسان (قرى باليسان، توتمة، ختي، شيخ وسان) الكائنة قرب الطريق العام جوارقرنة - خليفان.

ب-مقرات عملاء ايران في حوض قرى (تكية-بلكجار - سيوسنان) التابعة لناحية قره داغ.

٤-ان الأهداف المشار اليها في (آ-ب) من المادة (٣) اعلاه من المقرات المهمة لعملاء ايران وافراد العدو الايراني وهي بعيدة بعدا كافيا (كأهداف للعتاد الخاص) عن مواقع قطعاتنا وتعتبر ملائمة اكثر من غيرها لاستخدام هذا العتاد لوقوعها في مناطق منخفضة تساعد على ركود ابخرة العامل الكيمياوي وبالأمكان معالجتها بالوسائل المتيسرة (القوة الجوية - القاذفات الأنبوبية والسمتيات ليلا).

٥-اقترحت مديريتنا توجيه الضربة للهدفين المشار اليهما في (٣) اعلاه خلال هذه الفترة وباستخدام ثلثي المتيسر من العتاد الخاص (عامل الزارين) اضافة الى ثلث المتيسر من العتاد الخاص (عامل الخردل) والأحتفاظ بالمتبقي للحالات الطارئة في قواطع العمليات.

٦-كتاب رئاسة الجمهورية - السكرتير السري للغاية والشخصي وعلى الفور ٩٥٣ / ٩٦٥ ك في ٢٩ اذار ٨٧ المتضمن ما يلي (حصلت الموافقة على توجيه الضربة على ان يتم استثمار النتيجة... حيث ان القصد ليس ايذاء المخربين فحسب... لأتخاذ ما يقتضي وبالتنسيق مع الفيلق المعني... واعلامنا قبل المباشرة بالضربة).

يرجى التفضل بالأطلاع وامركم الأيعاز لتنفيذ ما ورد بكتاب رئاسة الجمهورية - السكرتير اعلاه واعلامنا تنسيبكم... مع التقدير. توقيع اللواء الركن مدير الإستخبارات العسكرية العامة.

نسخة الى : رئاسة الجمهورية- السكرتير- كتابكم السري للغاية والشخصي وعلى الفور ٩٥٣/ ٩٦٥: ك في ٢٩ اذار ٨٧.يرجى التفضل بالأطلاع... مع التقدير). (انظر الوثيقة رقم ٦).

يبدو ان مديرية الأستخبارات العسكرية العامة كانت مرتبطة مباشرة برئاسة الجمهورية عبر سكرتير رئيس الجمهورية الشخصي. وكانت مراسلتها تجري من خلال كتب تحمل شعار رئاسة الجمهورية - السكرتير - مديرية الأستخبارات العسكرية العامة.

يفضح كتاب الأستخبارات العسكرية هذا نوعية (العتاد الخاص) الذي تحدثت عنه الوثائق الرسمية، اذ تقترح الأستخبارات استخدام ثلثي المتوفر من عامل الزارين الكيمياوي و الثلث المتيسر من عامل الخردل الكيمياوي مع الأحتفاظ بالمتبقي للحالات الطارئة في قواطع العمليات.

وتعطي الأستخبارات العسكرية تفصيلات اكثر عن تاثيرات العتاد الخاص و العوامل الكيمياوية في كتاب اخر سري للغاية وشخصي وعلى الفور الى رئاسة الجمهورية - السكرتير سري للغاية ويحمل العدد م١/ ش٣/ ق٢/ ٦٤١٤ بتاريخ ١٨ اذار ١٩٨٧، اذ تقول ما نصه (الى رئاسة الجمهورية - السكرتير. الموضوع / استخدام العتاد الخاص. كتابكم السري للغاية وشخصي ٧/ج٢ / ٨٠٨ / ك في ١٢ اذار ٨٧.

مايلي الامكانيات المتيسرة لدينا لاستخدام العتاد الخاص تجاه قواعد حرس خميني ضمن مقرات مخربي الفرع الأول لزمرة البارزاني:

أ-لاتساعد الظروف الجوية على استخدام عامل (الزارين) في الوقت الحاضر نظرا لتغطية منطقة الأهداف المعنية بالثلوج التي تؤدي الى تحليل العامل وتحويله الى مادة غير سامة وتنطبق هذه الحالة على

عامل (التابون) ايضا.

ب-تتيسر لدينا كميات جيدة من عامل (الخردل) الا ان تأثيراته المتوقعة تعتبر (معجّزة) الا في حالة استلام جرعة مركزة منه اضافة الى انه بطئ التبخر في المناطق الثلجية.

ج-يمكن استخدام القوة الجوية والقاذفات الأنبوبية وكذلك السمتيات ليلا لهذا الغرض.

٢-نقترح مايلي:

أ-ارجاء تنفيذ الضربة على قواعد حرس خميني ضمن مقرات زمرة البارزاني حتى شهر حزيران المقبل لوقوع الأهداف في منطقة الشريط الحدودي العراقي - التركي يفضل اختيار الأهداف الواقعة خارج التأثير المحتمل على القطعات الحدودية التركية او القرى التركية.

ب-المباشرة بالتخطيط لتنفيذ عمليات محددة بأتجاه مقرات عملاء ايران.

يرجى التفضل بالأطلاع واعلامنا تنسيبكم... مع التقدير. توقيع اللواء الركن مدير الأستخبارات العسكرية العامة.) (انظر الوثيقة الرقم ٧).

يوضح هذا الكتاب ان الضربات التي وجهت الى القرى والمواقع الكردية في حوض باليسان ومناطق قره داغ قد جرى تنفيذها في نيسان من عام ١٩٨٧. وكانت هذه الضربات ضد القرى الكردية في المنطقة ومواقع البيشمركة التابعين للأتحاد الوطني الكوردستاني والأحزاب الكوردستانية الأخرى التي كانت تتواجد في هذه المناطق. بينما اجلت الضربات ضد القرى و المواقع التي كانت تتواجد فيها قوات الحزب الديموقراطي الكوردستاني ومعسكرات اللاجئين الكرد الهاربين من مناطق النزاع الى داخل الأراضي الأيرانية الى شهر حزيران من نفس العام.

لعبت الشعبة الثالثة في رئاسة اركان الجيش دورا محوريا في التخطيط لضرب المواقع الكردية والتنسيق بين القوات والدوائر المكلفة بتنفيذ الضربة كالأستخبارات العسكرية ورئاسة اركان الجيش وقيادتي الفيلقين الأول والخامس المكلفتين بتنفيذ تلك الهجمات.

ففي كتاب مرفوع من المقدم الركن مدير الشعبة الثالثة الى المعاون الأول في الأستخبارات العسكرية نقرأ ما يأتي:

(السيد المعاون. الموضوع / استخدام العتاد الخاص.

١-بمقترح من مديريتنا حصلت موافقة رئاسة الجمهورية - السكرتير على توجيه ضربة بالعتاد الخاص الى مقرات عملاء ايران في حوض (تكية،بلكجار) التابعة لناحية قره داغ وحوض (باليسان) على الطريق العام جوارقرنة - خليفان وتنسب عدم تنفيذ الضربة الا بعد اعلام رئاسة الجمهورية - السكرتير بكيفية استثمارها.

٢-استنادا لأمر الرئاسة اعلاه تنسب بكتاب رئاسة اركان الجيش المرفق والمعنون الى (فل ١ وفل ٥ وصورته الينا) مايلي:

أ-القيام بعمليات ضرب عملاء ايران وحرس خميني في الأماكن المشار اليها في المادة (١) اعلاه بالأستفادة من العتاد الخاص.

ب-يقوم فل١ باعداد خطة استثمار الضربة في حوض (تكية،بلكجار) وعرضها أمام السيد رئيس أركان الجيش خلال زيارة سيادته لمقر الفيلق يوم ٩ نيسان ٨٧.

ج-تعد قيادتي فل١ وفل ٥ الخطة المشتركة لضرب مقر عملاء ايران في حوض (باليسان) وترسل الى رئاسة اركان الجيش للقرار عليها.

د-ترسل زمرة العتاد الخاص الى فل١ يوم ٧ نيسان ٨٧ لتقديم المشورة.

٣-سنتابع الأجراءات. يرجى التفضل بالأطلاع. توقيع المقدم الركن مدير الشعبة الثالثة. ٦ نيسان ٨٧). (انظر الوثيقة الرقم ٨).

هناك هامش مرفوع من المعاون كما يبدو من مقارنة التواقيع الى المدير العام يحمل تاريخ ٦ نيسان ويتضمن متابعة الأجراءات والتنائج.

وكان المعاون قد بعث بكتاب سري للغاية وشخصي

الى مدير الشعبة الثالثة بتاريخ ١٣ اذار ١٩٨٧ يورد فيه ملحوظاته بصدد العملية. أذ يقول:

(السيد مدير ش٣ رجاء. كتاب الرئاسة طيا. مايلي ملحوظاتي بصدد الموضوع.

١-أرى ان تكون الضربة بالقوة الجوية للأسباب:

آ-اكثر تأثير ودقة.

ب-تحقيق مباغتة عالية.. إذ ان حركة المدفعية لنفس الغرض قد يمثل كشفا مسبقا لنوايانا.

ج-لاشك ان البعض من الأهداف خارج مدى المدفعية والسمتيات.

٢-ظروف ومتطلبات الضربة الجوية (الخاصة) لغرض احداث التأثير المطلوب وجعلها شديدة التأثير:

أ-معلومات دقيقة عن الأهداف وتزويد القوة الجوية بها.

ب-من الضروري التفكير بايجاز الطيارين استنادا لمعلوماتنا عن الأهداف واي وصف لها.. والاستفادة من الصور الجوية للأيجاز.

ج-تنفيذ الضربة وقت الضياء الأول أو بعده بقليل.

د-تخصيص جهد فائق (اكثر من طائرة.. لكل هدف) وكذ التفكير بتكرار الضربة بطائرات متعاقبة.. او جعل الضربة مركبة (عتاد خاص وقنابل انفجار عالي وصورايخ جو/أرض) بالتداخل أو بالتعاقب.

هـ.ضرب جميع الأهداف بوقت واحد وبأقصى جهد ممكن تخصيصه.

٣-يمكن التفكير باستخدام المدفعية بعد فترة مناسبة (ايام) لضرب الأهداف الكائنة ضمن المدى..

أرجو بيان ملحوظاتكم بصدد الموضوع لاجابة الرئاسة. توقيع ١٣ اذار ١٩٨٧). (انظر الوثيقة الرقم ٩). وفي كتاب اخر يحمل تاريخ الخامس من حزيران ٨٧ يضع مدير الشعبة الثالثة اللمسات الأخيرة على الجريمة النكراء بعد دراسة الدوائر المختلفة لطلب صدام حسين، اذ نقرأ ما يأتي:

(ملاحظة حول حصول موافقة رئاسة الجمهورية - السكرتير على المقترح الوارد في الفقرة (آ) من المادة (٢) من كتابنا المرفق و المتضمن ارجاء الضربة بالعتاد الخاص على قواعد حرس خميني ضمن مقرات الفرع الأول لزمرة البارزاني الى شهر حزيران ٨٧.

١-في ٤ حزيران تمت دراسة موضوع توجيه ضربة جدية بالعتاد الخاص الى تلك القواعد والى مقرات الفرع الأول لزمرة البارزاني في (زيوه، بارزان، كاني رش، كلي رش) وتمت الدراسة في مديرية التخطيط بحضور ممثلين عن (ضباط مركز البحوث، التخطيط، طيران الجيش، مديريتنا والصنف الكيمياوية.

٢-تم تأييد ضرب قرية زيوه مع ملاحظة قربها من الأراضي التركية ولم تؤيد ضرب الأهداف ادناه للأسباب المؤشرة ازائها،

آ-كاني رش - قربها من الأراضي التركية.

ب-كلي رش - قربها من قطعاتنا في جبل كويتا (كذا).

ج-بارزان لتوزيع قوة المخربين وحرس خميني على شكل مجموعات صغيرة في عموم قرى حوض بارزان وانهم لا يشكلون هدفا ملائما. توقيع م / مدير ش٣,٥ / ٦ / ٨٧) (انظر الوثيقة الرقم ١٠).

هناك مراسلات أخرى بين الأستخبارات العسكرية والدوائر الأخرى ذات العلاقة وتتضمن معلومات كثيرة عن المواقع التي جرى تحديدها وضربها بالأسلحة الكيمياوية ربيع وصيف ١٩٨٧ سنعود اليها في المستقبل القريب.

دور الأستخبارات العسكرية في الهجمات الكيمياوية

نشرنا في الحلقة الأولى من هذه السلسلة الأوامر التي اصدرها صدام حسين شخصيا والتي تضمنتها كتب رسمية تحمل شعار رئاسة الجمهورية وتوقيع سكرتيره الشخصي. وقضت تلك الأوامر بضرب القرى والمواقع الكردية بما سمته الكتب الرسمية بـ (العتاد الخاص) عام ١٩٨٧.

(انظر الحلقة الأولى من هذه السلسلة والتي نشرت

تحت عنوان : ضرب كوردستان بالأسلحة الكيمياوية عام ١٩٨٧ كما ترويه الوثائق العراقية).

تؤكد تلك الوثائق بشكل لا لبس فيه بان صدام يتحمل المسؤولية الأولى في التفكير باستخدام تلك الأسلحة واصدار الأوامر بتنفيذ تلك الهجمات ضد المدنيين الكرد وقراهم ومواقع البيشمركة على حد سواء. ولم يكن لصدام حسين ان ينفذ جرائمه تلك دون امتلاك التكنولوجيا الحديثة وشبكة واسعة من المؤسسات القمعية.

لعبت مديرية الاستخبارات العسكرية العامة دورا مهما في التخطيط والتحضير للهجمات بل وتشير مراسلاتها وكأن المقترح رفع من قبلها اصلا الى رئاسة الجمهورية. مهما كان الأمر فان الوثائق توضح دور الأطراف المختلفة في تلك الجرائم بطريقة افضل من اي كلام يقال في الموضوع.اثرنا عرض نصوص الوثائق كما هي دون اي تدخل في صياغاتها او التصدي لتهذيب لغتها البعثية السوقية المليئة بالشتائم بحق معارضي النظام واتهامهم بالعمالة لهذا الطرف او ذاك. من المؤكد ان شتائم النظام لمعارضيه وحقده الأعمى عليهم امر لابد ان يشرف الأخيرين.

ففي كتاب سري للغاية وشخصي وعلى الفور من مديرية الاستخبارات العكسرية العامة الى رئاسة اركان الجيش يحمل العدد ٧٣٧١ بتاريخ ٣١ اذار ١٩٨٧ نقرأ ما نصه:

(الى/ رئاسة اركان الجيش. الموضوع/ استخدام العتاد الخاص.

امر السيد الرئيس القائد (حفظه الله) بأن تدرس مديريتنا مع الأختصاصيين توجيه ضربة مباغتة (لقواعد حرس خميني ضمن مقرات مخربي الفرع الأول لزمرة البارزاني) بالعتاد الخاص وامكانية تنفيذها باي من الوسائل التالية (القوة الجوية - طيران الجيش - المدفعية).

٢-تم دراسة امر السيد الرئيس القائد (حفظه الله) مع الأختصاصيين واقترحنا ما يلي :- آ. ارجاء تنفيذ الضربة على قواعد حرس خميني ضمن مقرات زمرة البارزاني حتى شهر حزيران المقبل لوقوع الأهداف في منطقة الشريط الحدودي العراقي - التركي يفضل اختيار الأهداف خارج التأثير المحتمل على القطعات الحدودية التركية او القرى التركية. ب. المباشرة بالتخطيط لتنفيذ عمليات محددة مماثلة باتجاه مقرات عملاء ايران.

٣-حصلت الموافقة على المقترحين في(٢) اعلاه وقامت مديريتنا بدراسة اماكن تواجد مقرات عملاء ايران وانتخاب الأهداف ادناه استنادا الى حجم التواجد المعادي فيها وتأثير هذا التواجد على الأمن الداخلي في المنطقة الشمالية بما يتلائم والأمكانيات المتيسرة من العتاد الخاص ووسائل الأطلاق :-

أ-مقرات عملاء ايران في منطقة حوض باليسان (قرى باليسان، توتمة، ختي، شيخ وسان) الكائنة قرب الطريق العام جوارقرنة - خليفان.

ب-مقرات عملاء ايران في حوض قرى (تكية- بلكجار - سيوسنان) التابعة لناحية قره داغ.

٤-ان الأهداف المشار اليها في (آ-ب) من المادة (٣) اعلاه من المقرات المهمة لعملاء ايران وافراد العدو الايراني وهي بعيدة بعدا كافيا (كأهداف للعتاد الخاص) عن مواقع قطعاتنا وتعتبر ملائمة اكثر من غيرها لاستخدام هذا العتاد لوقوعها في مناطق منخفضة تساعد على ركود ابخرة العامل الكيمياوي وبالأمكان معالجتها بالوسائل المتيسرة (القوة الجوية - القاذفات الأنبوبية والسمتيات ليلا).

٥-اقترحت مديريتنا توجيه الضربة للهدفين المشار اليهما في (٣) اعلاه خلال هذه الفترة وباستخدام ثلثي المتيسر من العتاد الخاص (عامل الزارين) اضافة الى ثلث المتيسر من العتاد الخاص (عامل الخردل) والأحتفاظ بالمتبقي للحالات الطارئة في قواطع العمليات.

٦-كتاب رئاسة الجمهورية - السكرتير السري للغاية والشخصي وعلى الفور ٩٥٣ / ٩٦٥ ك في ٢٩

اذار ٨٧ المتضمن ما يلي (حصلت الموافقة على توجيه الضربة على ان يتم استثمار النتيجة... حيث ان القصد ليس ايذاء المخربين فحسب... لأتخاذ ما يقتضي وبالتنسيق مع الفيلق المعني... واعلامنا قبل المباشرة بالضربة).

يرجى التفضل بالأطلاع وامركم الأيعاز لتنفيذ ما ورد بكتاب رئاسة الجمهورية - السكرتير اعلاه واعلامنا تنسيبكم... مع التقدير. توقيع اللواء الركن مدير الإستخبارات العسكرية العامة.

نسخة الى: رئاسة الجمهورية - السكرتير - كتابكم السري للغاية والشخصي وعلى الفور ٩٥٣ / ٩٦٥ : ك في ٢٩ اذار ٨٧.يرجى التفضل بالأطلاع... مع التقدير).(انظر الوثيقة الرقم ٦).

يبدو ان مديرية الأستخبارات العسكرية العامة كانت مرتبطة مباشرة برئاسة الجمهورية عبر سكرتير رئيس الجمهورية الشخصي. وكانت مراسلتها تجري من خلال كتب تحمل عبارة رئاسة الجمهورية - السكرتير - مديرية الأستخبارات العسكرية العامة.

يفضح كتاب الأستخبارات العسكرية هذا نوعية (العتاد الخاص) الذي تحدثت عنه الوثائق الرسمية، اذ تقترح الأستخبارات استخدام ثلثي المتوفر من عامل الزارين الكيمياوي و الثلث المتيسر من عامل الخردل الكيمياوي مع الأحتفاظ بالمتبقي للحالات الطارئة في قواطع العمليات.

وتعطي الأستخبارات العسكرية تفصيلات اكثر عن تاثيرات العتاد الخاص و العوامل الكيمياوية في كتاب اخر سري للغاية وشخصي وعلى الفور الى رئاسة الجمهورية - السكرتير سري للغاية ويحمل العدد م١/ ش٣/ ق٢/ ٦٤١٤ بتاريخ ١٨ اذار ١٩٨٧، اذ تقول ما نصه:

(الى رئاسة الجمهورية - السكرتير. الموضوع/ استخدام العتاد الخاص. كتابكم السري للغاية وشخصي ٧/ج٢/ ٨٠٨/ ك في ١٢ اذار ٨٧.

مايلي الامكانيات المتيسرة لدينا لاستخدام العتاد الخاص تجاه قواعد حرس خميني ضمن مقرات مخربي الفرع الأول لزمرة البارزاني:

أ-لاتساعد الظروف الجوية على استخدام عامل (الزارين) في الوقت الحاضر نظرا لتغطية منطقة الأهداف المعنية بالثلوج التي تؤدي الى تحليل العامل وتحويله الى مادة غير سامة وتنطبق هذه الحالة على عامل (التابون) ايضا.

ب-تتيسر لدينا كميات جيدة من عامل (الخردل) الا ان تأثيراته المتوقعة تعتبر (معجّزة) الا في حالة استلام جرعة مركزة منه اضافة الى انه بطئ التبخر في المناطق الثلجية.

ج-يمكن استخدام القوة الجوية والقاذفات الأنبوبية وكذلك السمتيات ليلا لهذا الغرض.

٢-نقترح مايلي:

أ-ارجاء تنفيذ الضربة على قواعد حرس خميني ضمن مقرات زمرة البارزاني حتى شهر حزيران المقبل لوقوع الأهداف في منطقة الشريط الحدودي العراقي - التركي يفضل اختيار الأهداف الواقعة خارج التأثير المحتمل على القطعات الحدودية التركية او القرى التركية.

ب-المباشرة بالتخطيط لتنفيذ عمليات محددة بأتجاه مقرات عملاء ايران.

يرجى التفضل بالأطلاع واعلامنا تنسيبكم... مع التقدير. توقيع اللواء الركن مدير الأستخبارات العسكرية العامة) (انظر الوثيقة الرقم ٧).

يوضح هذا الكتاب ان الضربات التي وجهت الى القرى والمواقع الكردية في حوض باليسان ومناطق قره داغ قد جرى تنفيذها في نيسان من عام ١٩٨٧. وكانت هذه الضربات ضد القرى الكردية في المنطقة ومواقع البيشمركة التابعين للأتحاد الوطني الكوردستاني والأحزاب الكوردستانية الأخرى التي كانت تتواجد في هذه المناطق. بينما اجلت الضربات ضد القرى و المواقع التي كانت تتواجد فيها قوات الحزب الديموقراطي الكوردستاني ومعسكرات اللاجئين الكرد الهاربين من

مناطق النزاع الى داخل الأراضي الأيرانية الى شهر حزيران من نفس العام.

لعبت الشعبة الثالثة في رئاسة اركان الجيش دورا محوريا في التخطيط لضرب المواقع الكردية والتنسيق بين القوات والدوائر المكلفة بتنفيذ الضربة كالأستخبارات العسكرية ورئاسة اركان الجيش وقيادتي الفيلقين الأول والخامس المكلفتين بتنفيذ تلك الهجمات.

ففي كتاب مرفوع من المقدم الركن مدير الشعبة الثالثة الى المعاون الأول في الأستخبارات العسكرية نقرأ ما يأتي:

(السيد المعاون. الموضوع/ استخدام العتاد الخاص.

١-بمقترح من مديريتنا حصلت موافقة رئاسة الجمهورية - السكرتير على توجيه ضربة بالعتاد الخاص الى مقرات عملاء ايران في حوض (تكية،بلكجار) التابعة لناحية قره داغ وحوض (باليسان) على الطريق العام جوارقرنة- خليفان وتنسب عدم تنفيذ الضربة الا بعد اعلام رئاسة الجمهورية- السكرتير بكيفية استثمارها.

٢-استنادا لأمر الرئاسة اعلاه تنسب بكتاب رئاسة اركان الجيش المرفق والمعنون الى (فل ١ وفل ٥ وصورته الينا) مايلي:

أ-القيام بعمليات ضرب عملاء ايران وحرس خميني في الأماكن المشار اليها في المادة (١) اعلاه بالأستفادة من العتاد الخاص.

ب-يقوم فل١ باعداد بأعداد خطة استثمار الضربة في حوض (تكية،بلكجار) وعرضها أمام السيد رئيس أركان الجيش خلال زيارة سيادته لمقر الفيلق يوم ٩ نيسان ٨٧.

ج-تعد قيادتي فل١ وفل ٥ الخطة المشتركة لضرب مقر عملاء ايران في حوض (باليسان) وترسل الى رئاسة اركان الجيش للقرار عليها.

د-ترسل زمرة العتاد الخاص الى فل١ يوم ٧ نيسان ٨٧ لتقديم المشورة.

٣-سنتابع الأجراءات. يرجى التفضل بالأطلاع. توقيع المقدم الركن مدير الشعبة الثالثة ٦ نيسان ٨٧). (انظر الوثيقة رقم ٨).

هناك هامش مرفوع من المعاون كما يبدو من مقارنة التواقيع الى المدير العام يحمل تاريخ ٦ نيسان ويتضمن متابعة الأجراءات والتنائج.

وكان المعاون قد بعث بكتاب سري للغاية وشخصي الى مدير الشعبة الثالثة بتاريخ ١٣ اذار ١٩٨٧ يورد فيه ملحوظاته بصدد العملية. أذ يقول (السيد مدير ش٣ رجاء. كتاب الرئاسة طيا. مايلي ملحوظاتي بصدد الموضوع.

١-أرى ان تكون الضربة بالقوة الجوية للأسباب:

أ-اكثر تأثير ودقة.

ب-تحقيق مباغتة عالية.. إذ ان حركة المدفعية لنفس الغرض قد يمثل كشفا مسبقا لنوايانا.

ج-لاشك ان البعض من الأهداف خارج مدى المدفعية والسمتيات.

٢-ظروف ومتطلبات الضربة الجوية (الخاصة) لغرض احداث التأثير المطلوب وجعلها شديدة التأثير :

أ-معلومات دقيقة عن الأهداف وتزويد القوة الجوية بها.

ب-من الضروري التفكير بايجاز الطيارين استنادا لمعلوماتنا عن الأهداف واي وصف لها.. والاستفادة من الصور الجوية للأيجاز.

ج-تنفيذ الضربة وقت الضياء الأول أو بعده بقليل.

د-تخصيص جهد فائق (اكثر من طائرة.. لكل هدف) وكذ التفكير بتكرار الضربة بطائرات متعاقبة.. او جعل الضربة مركبة (عتاد خاص وقنابل انفجار عالي وصورايخ جو/أرض) بالتداخل أو بالتعاقب.

هـ-ضرب جميع الأهداف بوقت واحد وبأقصى جهد ممكن تخصيصه.

٣-يمكن التفكير باستخدام المدفعية بعد فترة

مناسبة (ايام) لضرب الأهداف الكائنة ضمن المدى..

أرجو بيان ملحوظاتكم بصدد الموضوع لاجابة الرئاسة. توقيع ١٣ اذار ١٩٨٧). (انظر الوثيقة الرقم ٩).

وفي كتاب اخر يحمل تاريخ الخامس من حزيران ٨٧ يضع مدير الشعبة الثالثة اللمسات الأخيرة على الجريمة النكراء بعد دراسة الدوائر المختلفة لطلب صدام حسين، نقرأ ما يلي:

(ملاحظة حول حصول موافقة رئاسة الجمهورية - السكرتير على المقترح الوارد في الفقرة (آ) من المادة (٢) من كتابنا المرفق و المتضمن ارجاء الضربة بالعتاد الخاص على قواعد حرس خميني ضمن مقرات الفرع الأول لزمرة البارزاني الى شهر حزيران ٨٧.

١-في ٤ حزيران تمت دراسة موضوع توجيه ضربة جدية بالعتاد الخاص الى تلك القواعد والى مقرات الفرع الأول لزمرة البارزاني في (زيوه، بارزان، كاني رش، كلي رش) وتمت الدراسة في مديرية التخطيط بحضور ممثلين عن (ضباط مركز البحوث، التخطيط، طيران الجيش، مديريتنا والصنف الكيمياوية.

٢-تم تأييد ضرب قرية زيوه مع ملاحظة قربها من الأراضي التركية ولم تؤيد ضرب الأهداف ادناه للأسباب المؤشرة ازائها،

أ-كاني رش - قربها من الأراضي التركية.

ب-كلي رش - قربها من قطعاتنا في جبل كويتا (كذا).

ج-بارزان لتوزيع قوة المخربين وحرس خميني على شكل مجموعات صغيرة في عموم قرى حوض بارزان وانهم لا يشكلون هدفا ملائما. توقيع م / مدير ش٣,٥ / ٦ / ٨٧). (انظر الوثيقة الرقم ١٠).

هناك مراسلات أخرى بين الأستخبارات العسكرية والدوائر الأخرى ذات العلاقة وتتضمن معلومات كثيرة عن المواقع التي جرى تحديدها وضربها بالأسلحة الكيمياوية ربيع وصيف ١٩٨٧ وهو ماسنعود اليه في الحلقة التالية من هذا المقال.

دور رئاسة اركان الجيش والفيلقين الأول والخامس في تنفيذ المجازر

استندت الهجمات الكيمياوية على القرى و المواقع الكردية في قره داغ وباليسان ومناطق بادينان على المعلومات التفصيلية التي جمعتها وحللتها مديرية الأستخبارات العسكرية العامة عن تلك المواقع مع خرائط عسكرية كان من شأنها ان تسهل على الطيارين وقوات المدفعية مهمة تحديد الأهداف بصورة دقيقة وتجعل الضربات مدمر ة وصاعقة على المدنيين الكرد ومعارضي النظام على حد سواء.

بعثت مديرية الأستخبارات العسكرية العامة في العاشر من اذار ١٩٨٧ بكتاب سري للغاية وشخصي بعدد م١/ش٣/ ق٢/ ٥٨٠٩ الى رئاسة اركان الجيش يتضمن المعلومات الأستخبارية التفصيلية التي جرى جمعها عن تواجد قوات البيشمركة وعدد افرادها في كل موقع في (كاني رش، الزيبار، بيبو، ميركه سور، بارزان، خواكورك، كلي رش، شيروان مزن وغيرها). ويفهم من مضمون الكتاب ان خرائط عسكرية ارفقت به حددت عليها المواقع لتجري دراستها من قبل الجهات المنفذة اي رئاسة اركان الجيش والفيلقين الأول والخامس وزمر العتاد الخاص وغيرهم.

من ناحية اخرى لابد ان الأستخبارات العسكرية والأطراف المشاركة في تنفيذ الهجمات كانت تجد صعوبة في تبرير القيام بهذه الأفعال الشنيعة لأفرادها، من هنا كان الحديث الدائم عن التواجد الايراني في تلك المناطق وذلك في المراسلات التي كانت تجري بين الدوائر والمؤسسات العسكرية والأستخبارية، الأمر الذي لم تكن تؤكده الوقائع على الأرض.

الغريب انه في الوقت الذي كان يجري فيه هذا الحديث المتكرر عن التواجد الأيراني وحرس خميني وتهديد هذا التواجد للأمن الوطني العراقي بخاصة في كوردستان، وهو امر يمكن تفهم اسبابه نتيجة استمرار الحرب العراقية - الأيرانية العبثية التي الحقت الكوارث بالبلدين، الا ان السلطات العراقية

لم تكن تجد ضيرا في تبادل ضباط الأرتباط مع الجانب التركي في المنطقة. فقد جاء في كتاب مديرية الأستخبارات العسكرية العامة المشار اليه اعلاه مايلي (...وان عملية التسلل من قاعدة (حياة) الى قاعدة (بارزان) وبالعكس تجري من خلال الأراضي التركية الكائنة شمال منطقة شيروان مازن ولغرض احكام السيطرة على هذه المنطقة اقترحنا تبادل ضباط الأرتباط مع الجانب التركي في المنطقة المشار اليها وسيجري تبادل ضباط الأرتباط حال حصول الموافقة على ماورد بكتابكم السري وشخصي وعلى الفور ٢٤٠٤ في ١ اذار٨٧).

من الجدير بالذكر في هذه المناسبة انه رغم تحالف الحكام العراقيين على مدى عمر الدولة العراقية مع حكومات دول الجوار ضد جزء كبير من شعب بلادهم، الا ان صدام حسين بزهم جميعا عندما استقوى بالأجنبي لقمع هذا الشعب والحركة الكردية على وجه الخصوص، ووفر بذلك فرصة لا تفوت لتلك الدول ان تتدخل في شؤون العراق الداخلية كما تشاء. لقد شهدت نهاية السبعينات وعقد الثمانينات تحالفا قويا بين صدام حسين والحكومة التركية اذ عقدت الأتفاقيات الأمنية بين الطرفين سمح صدام بموجبها للقوات التركية بالتوغل في عمق الأراضي العراقية لملاحقة قوات الأنصار الكردية على طرفي الحدود.

واشارت مديرية الأستخبارات العسكرية العامة في كتابها المشار اليه اعلاه الى الهجمات الجوية التي قامت بها الطائرات العراقية ضد المواقع الكردية في تلك المناطق، اذ جاء في الكتاب انه (سبق وان تم توجيه اكثر من ضربة جوية من قبل طائراتنا على القواعد المشار اليها وكان تاثير الضربات الجوية محدودا «بسبب طبيعة الأرض ولكون القواعد بحجم لا يشكل هدفا «ملائما « للقوة الجوية). (انظر الوثيقة الرقم ١١).

وارسلت نسخ من هذا الكتاب الى ئاسة الجمهورية - السكرتير ومكتب امانة سر القيادة العامة للقوات المسلحة ولجنة شؤون الشمال بمجلس قيادة الثورة وديوان وزارة الدفاع وقيادة الفيلق الخامس.

نشير الى هذه المؤسسات والدوائر بهدف اظهار حقيقة بسيطة وهي ان شبكة الدوائر والأفراد التي قامت بالتخطيط لتلك الضربات وتنفيذها لم تكن مجرد دائرة ضيقة تحيط بصدام حسين كما تحاول ان تصورها المزاعم التي تنشرها هنا وهناك قوى سياسية بعثية الهوى، بل ساهمت فيها اطراف ودوائر عديدة وعدد كبير من الضباط والمسؤولين العراقيين. وتفضح هذه الوثائق حقيقة ان استخدام نظام صدام حسين لهذه الأسلحة على جبهات القتال كان امرا روتينيا قبل عام ١٩٨٧ بسنوات. كما لم يأتي استخدامها ضد الحركة القومية الكردية وبعض قوى المعارضة العراقية في لحظة غضب منفلتة بل وفق سياسة منهجية قامت على اسس الأبادة الجماعية للكرد كشعب وتدمير مواطنهم وقراهم. كما انها كانت رسالة واضحة الى المجتمع العراقي ككل وجهتها الدكتاتورية بعد ان احكمت سيطرتها على مختلف مرافق الحياة وفرضت العسكرة على الناس وبددت ثروات البلاد في شراء الأسلحة المدمرة مفادها ان الأبادة تنتظر كل من يفكر بمعارضتها.

كان صدام والمحيطين به يريدون من وراء تلك الضربات زرع اليأس في قلوب المعارضين لنظامه واجبارهم على الأستسلام لدكتاتوريته مادام النظام يمتلك تلك الأسلحة التي لا يمكن مقاومتها. كما كانت الضربات رسالة قوية الى النظام في ايران مفادها ان استمرار الحرب لن يكون في صالح الأخير ولن يؤدي الى اسقاط نظام صدام حسين.

ويبدو ان انتاج مؤسسات السموم البشرية لم يكن يساير مديات استخدام النظام لها،اذ يشكو كتاب سري للغاية وشخصي ومستعجل من مديرية الأستخبارات العسكرية العامة الى رئاسة الجمهورية - السكرتير يحمل العدد س٣ / ق٢ / ٦٨٨٥ بتاريخ ٢٩ /٣ / ١٩٨٧ من قلة المتوفر من الأسلحة الكيمياوية داعيا الى

الإستخدام (الرشيد !) للكمية المتوفرة ومؤكدا على ضرورة انتاج المزيد منها.

فيما يلي نص ماورد في هذا الكتاب:

(الى رئاسة الجمهورية - السكرتير.

الموضوع - استخدام العتاد الخاص. كتابكم السري للغاية والشخصي وعلى الفور ٧ / ج٢ / ٨٧٧ /ك في ١٩ اذار ١٩٨٧...

تمت دراسة اماكن تواجد مقرات عملاء ايران وانتخاب الأهداف أدناه إستنادا الى حجم التواجد المعادي فيها وتأثير هذا التواجد على الأمن الداخلي في المنطقة الشمالية بما يتلائم والأمكانيات المتيسرة من العتاد الخاص ووسائل الأطلاق:

أ-مقرات عملاء ايران في منطقة حوض باليسان (قرى باليسان، توتمة، ختي وشيخ وسان) الكائنة قرب الطريق العام جوارقرنة - خليفان...

ب-مقرات عملاء ايران في حوض قرى (تكية، بلكجار وسيوسنان) التابعة لناحية قره داغ...

٢-الأهداف المشار اليها اعلاه من المقرات المهمة لعملاء ايران وأفراد العدو الأيراني وان حجم التواجد المعادي فيها يؤثر على الأمن الداخلي في المنطقة الشمالية وهي بعيدة بعدا كافيا (كأهداف للعتاد الخاص) عن مواقع قطعاتنا وتعتبر ملائمة اكثر من غيرها لأستخدام هذا العتاد لوقوعها في مناطق منخفضة تساعد على ركود ابخرة العامل الكيمياوي وبالأمكان معالجتها بالوسائل المتيسرة (القوة الجوية / القاذفات الأنبوبية واسمتيات ليلا)...

٣-لمحدودية الكمية المتيسرة من العتاد الخاص في الوقت الحاضر يفضل العمل بأحد البديلين ادناه:

أ-البديل الأول: توجيه الضربة للهدفين المنتخبة خلال هذه الفترة باستخدام ثلثي المتيسر من العتاد الخاص (عامل الزارين) إضافة الى ثلث المتيسر من العتاد الخاص (عامل الخردل) والأحتفاظ بالمتبقي للحالات الطارئة في قواطع العمليات...

ب-البديل الثاني تأجيل تنفيذ الضربة الى منتصف شهر نيسان ١٩٨٧ ولحين تيسر الكميات الكافية من العتاد الخاص وتحسن موقف الأنتاج...

٤-نؤيد العمل بالبديل الأول... يرجى التفضل بالأطلاع وما ترونه مناسبا واعلامنا... مع التقدير. توقيع اللواء الركن مدير الأستخبارات العكسرية العامة). (انظر الوثيقة الرقم ١٢).

بعد كل هذه التحضيرات حان وقت التنفيذ وجاء دور رئاسة أركان الجيش والفيلقين الأول والخامس الذين كانا يتمركزان انذاك في كركوك وأربيل.

الأمر الذي يثير الأهتمام في هذه الوثائق والتي تتحدث عن الدور الذي لعبته رئاسة أركان الجيش في الضربات الكيمياوية الموجهة ضد الكرد عام ١٩٨٧، ان المسؤولين فيها يوقعون الكتب الرسمية الصادرة عنها بأسمائهم الصريحة. فقد حملت احدى هذه الوثائق توقيع رئيس أركان الجيش الفريق الأول الركن سعدالدين عزيز مصطفى، فيما اشارت وثيقة ثانية الى اسم أمين السر الأقدم لرئاسة أركان الجيش اللواء الركن طارق حسين نجيب.

أعطت رئاسة أركان الجيش اوامرها في وقت مبكر بضرب القرى ومواقع البيشمركة.

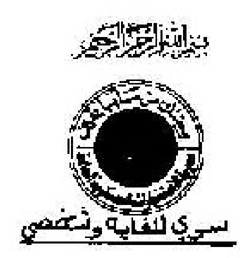
ففي كتاب صادر من المكتب الخاص برئاسة اركان الجيش بعدد ٢٧٨٦ بتاريخ ١١ اذار ١٩٨٧ سري للغاية وشخصي جاء ما نصه:

(الى قيادة الفيلق الخامس. الموضوع / معلومات. نشيركم لكتاب مديرية الأستخبارات العسكرية العامة سري للغاية وشخصي ٥٨٠٩ في ١٠ اذار ٨٧. تنسب اتخاذ الأجراءات اللازمة للحد من نشاط المخربين المشار اليهم والعمل على تدمير قواعدهم التي يرتكزون عليها. نرجو التفضل باتخاذ ما يلزم واعلامنا. توقيع اللواء الركن طارق حسين نجيب. امين السر الأقدم لرئاسة اركان الجيش). (راجع الوثيقة الرقم ١٣).

ارسلت نسخ من هذا الكتاب الى مكتب امانة سر القيادة العامة للقوات المسلحة، مجلس قيادة الثورة -لجنة شؤون الشمال، ديوان وزارة الدفاع ومديرية

بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة الجمهورية
السكرتير
مديرية الاستخبارات العسكرية العامة



العدد: ٦٧٧١
التاريخ: ٢١/٣/١٩٨٧

سري للغاية وشخصي

ب. مقرات عملاء ايران في حوض قرة (تكيه - بلكجار - سيوسنان) التابعة لناحية قره داغ.

٤. ان الاهداف المشار اليها في (أ-ب) من المادة (٣) اعلاه من المقرات المهمة لعملاء ايران واقزام العدو الايراني وهي بعيدة بعداً كافياً (كأهداف للعتاد الخاص) عن مواقع قطعاتنا وتعتبر ملائمة اكثر من غيرها لاستخدام هذا العتاد لوقوعها في مناطق منخفضة تساعد على ركود ابخرة العامل الكيمياوي وبالامكان معالجتها بالوسائل المتيسرة (القوة الجوية، القاذفات الانبوبية والمدفعيات ليلاً).

٥. اقترحت مديريتنا توجيه الضربة للهدفين المشار اليهما في (٣) اعلاه خلال هذه الفترة وباستخدام ثلثي المتيسر من العتاد الخاص (عامل السارين) اضافة الى ثلث المتيسر من العتاد الخاص (عامل الخردل) والاحتفاظ بالمتبقي للحالات الطارئة في قواطع العمليات.

٦. كتاب رئاسة الجمهورية - السكرتير السري للغاية والشخصي وعلى الفور ٩٥٣/٩٦٥/ك في ٢٩ آذار ٨٧ المتضمن مايلي :-
(حصلت الموافقة على توجيه الضربة على ان يتم استثمار النتيجة.. حيث ان القصد ليس ايذاء المخربين فحسب.. لاتخاذ مايقتضي وبالتنسيق مع الفيلق المعني... واعلامنا قبل المباشرة بالضربة).

يرجى التفضل بالاطلاع واوامركم الشفهية لتنفيذ ماورد بكتاب رئاسة الجمهورية - السكرتير اعلاه واعلامنا تنسيبكم ... مع التقدير.

اللواء الركن
مدير الاستخبارات العسكرية العامة

سري للغاية وشخصي

الوثيقة رقم (6)

الأستخبارات العسكرية العامة.

ولكن اوامر التنفيذ جاءت في كتاب اخر من المكتب الخاص برئاسة اركان الجيش سري للغاية وشخصي وعلى الفور ويحمل العدد ٣٦٥٦ وتاريخ ٥ نيسان ١٩٨٧، اذ نص على:

(الى/ قيادة الفيلق الأول.قيادة الفيلق الخامس. الموضوع/ استخدام العتاد الخاص.

تنسب القيام بعمليات مكافحة المخربين وعملاء ايران وحرس خميني في قاطعيكما وكما يلي بالأستفادة من العتاد الخاص.

أ-مقرات عملاء ايران في حوض باليسان (قرى باليسان، توتمة، ختي، شيخ وسان) الكائنة قرب الطريق العام جوارتة - خليفان.

ب-مقرات عملاء ايران في حوض قرى (تكية- بلكجار- سيوسنان) التابعة لناحية قره داغ.

٢-اشارة الى المؤتمر المنعقد في رئاستنا يوم ٥ نيسان ٨٧ نسبنا ما يلي:

أ-يقوم الفيلق الأول باعداد الخطة بما يخص الفقرة (ب) من المادة (١) اعلاه وعرضها علينا لمناقشتها خلال زيارتنا لمقركم يوم الخميس ٩ نيسان ٨٧.

ب-تعد قيادتيكما الخطة المشتركة الازمة لتنفيذ ما جاء بالفقرة (أ) من المادة(١) اعلاه وارسالها لرئاستنا بيد مأمورين للقرار عليها والتنسيق. نرجو اتخاذ مايلزم واعلامنا. توقيع الفريق الأول الركن سعدالدين عزيز مصطفى رئيس اركان الجيش).
أرسلت نسخ من الكتاب الى:

رئاسة الجمهورية- السكرتير.كتابكم سري للغاية وشخصي ومستعجل ١٠١٦ في ٢ نيسان ٨٧ وسنخبركم لاحقا بتفاصيل الخطة وكيفية استثمار نتائجها. ديوان وزارة الدفاع - للأطلاع ... دائرة العمليات - اشارة الى المؤتمر المنعقد برئاستنا يوم ٥ نيسان ٨٧ نرجو إرسال زمرة العتاد الخاص الى مقر فل١ يوم الثلاثاء ٧ نيسان ٨٧ لتقديم المشورة للفيلق ووضع الخطة لغرض التنفيذ. مديرية الأستخبارات العسكرية العامة- كتابكم سري للغاية وشخصي وعلى الفور ٧٣٧١ في ٣١ اذار ٨٧ نرجو الأطلاع. (انظر الوثيقة الرقم ١٤).

هكذا تلقي هذه الوثائق الأضواء على التحضيرات التي سبقت ضرب مناطق كوردستان بالأسلحة الكيمياوية قبل تنفيذ جريمة حلبجة بحوالي العام، فضلا عن الآليات البيروقراطية التي اعتمدتها المؤسسات المختلفة لتنفيذ هذه الجرائم الكبرى بحق الكرد بل بحق الأنسانية جمعاء. كما تشكل أدلة دامغة تدين صدام حسين وتحمله المسؤولية الأولى عن هذه الجرائم دون ان تعفي الدائرة المحيطة به ومسؤولي العديد من الدوائر القمعية والمؤسسات العسكرية والأستخبارية من المسؤولية الجنائية.

ملاحظة/ توجد اخطاء لغوية واملائية في الوثائق آثرنا ان نبقيها كما هي، وذلك صونا لامانة النقل.
"سردم العربي"

الايروسية في الاغنية الكردية (النهد)



روهات آلاكوم
الترجمة عن الكردية: خەلات احمد

«يعتبر الفلكلور مرآةً للوضع الاجتماعي، نستطيع من خلاله، أن نرى أوجهاً عديدة للتطور الاجتماعي. وقد أشاد جميع المثقفين والمستشرقين الذين وقفوا على الفلكلور الكردي، ونقبوا فيه، بثرائه، خاصة الشفاهي منه، وللأسف، لم يُجمع ويدون بشكل كامل حتى الآن، وما تم جمعه وتدوينه، لم تجرِ عليه دراساتٌ وافيةُ؛ وفي تدقيقنا لهذا الفلكلور الشفوي، فإننا نرى أن موضوع المرأة أخذ دائماً مكانة رائعة، وهذا أمرٌ يؤكده معظم الباحثين في هذا المجال.

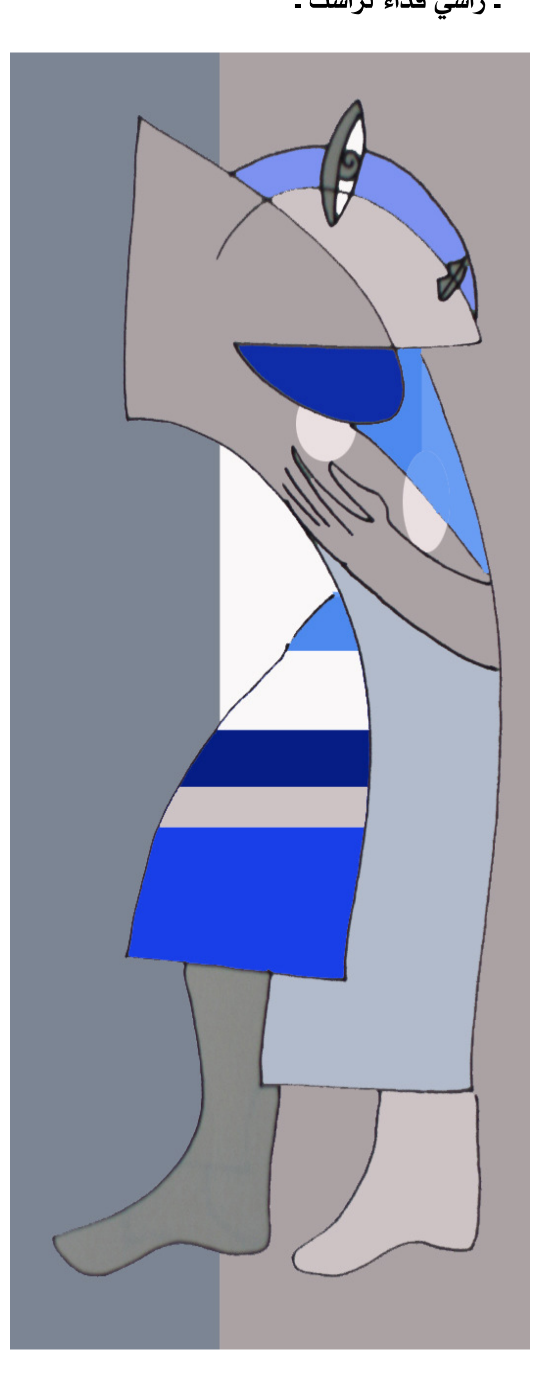
كيف نظر المجتمع الكردي إلى المرأة في القرن التاسع عشر؟، تستطيع الاجابة على هذا السؤال بمساعدة مادة الفلكلور.

لقد دافعت المرأة الكردية عن إرادتها قدْر ماستطاعتْ. وتحدت جميع المصاعب التي اعترضتها، وهربت مع عشيقها عندما أرادت: "هروب المرأة من عادات الدنيا"، مثل يوضح وفاء وجرأة المرأة الكردية؛ لكن الحصار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ضيّق الحلقة حولها باستمرار، وسدّ أمامها سُبُل الخلاص، وهي بدورها، لم تنحنِ لتلك المصاعب، خاصة الهجوم على العشق، والذي تمت ادانته عن طريق الأغاني والملاحم والأمثولة والأساليب الأدبية الأخرى.»

عندما نتمعن في الأغاني، نرى بأن "النهد"، قد أخذ مكانة خاصة فيها. ففي كل أغنية عن العشق، قد ذكر فيها النهد، قليلاً، أو كثيراً، وهي، بلاشك، تؤسس لأدب إيروتيكي، حيث تظهر تدفقاته جلية في هذه الأغاني التي استخدمت فيها لغة راقية؛ فالفتاة ترغب أن يكون عشقها مقروناً بالصداقة، وتطلق على فتاها صفةَ الضيف، وترمي بالمال والجاه جانباً، وترى العشقَ، أسمى مافي الوجود:

تعالَ، عزيزي
"أيها الشاب "أمينو"، تعال ليلة،
ضيفاً على والدي،
لتطوف بنهديّ، أنا الحورية.
هذا أشهى لك من آغاوية الرمانية".(١)

كلّتْ عيناي من مراقبة طريقك
"أقبلْ أيها الشاب.
- رأسي فداءً لرأسك -



في ليلة من ليالي الخريف،
وكن ضيفاً على صدر ونهدي صديقتك"(٢)

إن الإيروتيك حاضرٌ بقوة في أغاني العشق، والتي لانستطيع التأكد بأن هذه الأغاني قد ألفت من قبل العامّة، والطبقة الأرستقراطية ليست بأية حال هي مؤلفتها. إنه الشعب نفسه، وقد بقيت دائماً بمنأىً عن أدب الدعارة، والذي يرتكز كما هو معروف على إثارة الغرائز الجنسية لدى القارىء، بالرغم من أن الحدودَ تضيق أحياناً بين هذين الأدبين، والأغنية الفلكلورية الكردية بثرائها واسلوبها الراقي، ظلت دائماً بعيدة عن تخوم أدب الدعارة، وحافظت على تميزها عبر السنين، وهذا في حد ذاته، يشكل مقياساً على قوتها واستمراريتها.

نرى، في الميثولوجيا الكردية، وفي الملحمة الخالدة "مَمْ و زِيْنْ"، كيف أصبحت زين رمزاً للعشق تضاهي الآلهة اليونانية "آروسا"، والرومانية "آمورا"، وظلت تدور على ألسنة الكرد عبر السنين، دون أن تفقد شيئاً من قيمتها وشهرتها، وفي نفس الملحمة، تمرّ عدة شهادات عن النهد، من قبيل "فتيات بنهود كالرمان"، أو "فتيات بنهود مستديرة"(٣)؛ وهذا يدل على أنّ النهدَ قد أخذ مكانته الخاصة في الأدبيات الكردية، سواء الشفوية منها، أو المكتوبة، وأصبح موضوعاً إيروتيكياً، ومن ناحية أخرى، فإن التشبيهات والنعوت التي أطلقها أحمدي خاني، مبدع ملحمة "مم وزين"، ستأخذ مكانتها في وصف النهد، فيما سيلي من الأدب الكردي.

النهد: كلمة ايروتيكية

يعتبر النهد رمزاً للأنوثة، وقد عدّ عبر السنين، وفي كافة الأجناس الأدبية رمزاً للبركة والجمال، لِما له من أهمية في عملية الرضاعة، إضافة، إلى وظيفته الأهم: "الإيروتيك".

النهدان مثل باقتان من الورد، عندما ندسُّ رأسَنا

بينهما، تهتز مشاعرنا، ونثمل برائحتهما وملمسهما البضّ، ولهما الدور الهام وصداهما المؤثر في أي منا. وقد اعتبرت نهود الفتيات دليلاً على نضجهنّ وزينة لهن، وعاملاً في جذب الرجال إليهنّ كما أعتبر حجمهما، مقياساً للإنوثة، ويمكن للنساء، وبعامل النهدين أن يجعلن الحياة الجنسية أكثر إثارة.

في قصة التطور الانساني، نرى بأن ذكر النهدين أصبح أكثر سهولة، في القرون الماضية، ولم يسبب هذا، أبداً، أية اشكالات اجتماعية حتى الآن، وكما نرى في وسائل الإعلام، ثمت عدة قبائل أفريقية، تكشف نساؤها عن نهودهن دونما أي خوف. تُرى ماهو الأثر الذي تركته الحضارات القديمة في الأغنية الكردية؟، بالرغم من أن جواب هذا السؤال، ليس موضع بحثنا، لكن، يمكن في كل الأحوال الإجابة عليه.

في اللغة الكردية، هناك مفردات كثيرة تدل على النهد، واستخدام هذه المفردات، يختلف باختلاف مناطق كردستان، وكلمة "نهد" بالكردية (Memik)، تنحدر من الكلمة اللاتينية (Mama)، وتأخذ هذه الكلمة معنى الأم في لغات متعددة، وعندما ينادي الأطفال والدهم يقولون (Mama)، وبما أن نهود الرجال قد ضمرت، وبقيت بلا مهمة، فليس هناك أي ترابط بين الرجال وكلمة (Mama)، كما تسمى بعض المواد الغذائية المعدة للبيع بـ (Mama)، وباضافة الحرف المساعد K، تصبح الكلمة (Memik)، والكلمات الكردية، والتي تستخدم للدلالة على النهد:

Cicik بز . Sing صدر . Pisir تلابيب. Pasil عب. Singber قطوف الصدر. Guhan ضرع. Hingl ثدي.

وتستخدم كلمتا "ضرع، وثدي" في أوساط العامة، أكثر مما في أوساط الإرستقراطية، ومن ناحية أخرى، فإن كلمة ضرع، تستخدم بشكل واسع للحيوانات، مثل ضرع البقرة، وبالرغم من استخدام كلمتي التلابيب والعب للدلالة على النهد، إلا أنهما تدلان على جزء من البدن، أو مايحيط بالنهدين من ألبسة، مثل "أغلقي تلابيبك"، أي أغلقي الأزرار التي في ثوبك ناحية الصدر، أو "ضعْ نقودك في عبك"، كمكان لحفظ الأشياء الثمينة، وسنقف فيما بعد على بعض الأمثلة: "عبها مليء بالتمر"، "عبها مليء بالزبيب"، والتي تمر في بعض الأغاني الكردية، وتمر كلمتا التمر والزبيب، كناية على النهدين، بمعنى أن زمان وسياق استخدام هاتين الكلمتين، تحددان معناهما، ولهذا نستطيع استخدامهما للرجال أيضاً، وفي المناطق المحيطة بـ قُونَيه (كردستان تركيا)، يقولون: يرضع الصغير من تلابيب أمه، بدلاً من قول: يرضع الصغير من نهد أمه.

تستخدم في الكثير من الأغاني الكردية كلمة "Singber/قطوف الصدر" للدلالة على النهدين، وتستخدم كلمة "Sing/الصدر"، في اللغة الكردية، وكما في لغات متعددة أخرى، للدلالة على القسم العلوي الأمامي من الجسم، وكذلك للدلالة على النهد كما في اللغة الألمانية: "Brost"، والسويدية "Brust"، وفي اللغة الكردية وفي الأغاني الفولكلورية خاصة، تستخدم كلمتا الصدر والنهد مترافقتين مترادفتين إيروتيكيتين، وكما تستخدم فيها كلمة "Singber/ قطوف الصدر"؛ لكن، من أين تأتي كلمة "Ber/ قطوف"؟ تستخدم هذه الكلمة في اللغة الكردية للدلالة على حمل أشجار الفاكهة، وكذلك الجزء الأمامي من صدر المرأة، وعندما نربط بين معنى الكلمتين، نلاحظ منطقية الربط. وبالرغم من الاستخدام المتكرر لكلمة Cicik/البزّ، في اللغة الشفوية للدلالة على النهد، فاننا لانراها في اللغة المكتوبة. كما أن الحلمة بشكلها ولونها قد أخذت مكانتها الخاصة في الأغنية الكردية، وكذلك المنطقة المحيطة بها: شاماتها ونتوءاتها اللحمية الصغيرة، والتي تسمى باللاتينية "Areol Mamme/حديقة الشامات"، وقد ذكرت هذه المنطقة في الأغنية الكردية بـ حديقة الورود، مثلما يقال: "نضجت قطوف صدر عيشاني، ازدانت بشاماتها الصفراء والحمراء"(٤)، كما ترد "شامات وخطوط النهود"، وعليه، فاننا نرى بأن الحلمة

والمنطقة لمحيطة بها قد أخذت مكانتها في الأغنية الكردية.

مَنْحُ النهدين

الأمر المثير للانتباه أكثر من غيره، هو أن أغلبية الأغاني في أوصاف النهدين، قد غنيت من قِبَل النساء أنفسهنَّ، وهذا ماينفي عدة أحكام عن فعالية النساء في العلاقات الجنسية، وكذلك يلقي الضوء على مكانتهن ودورهنَّ في المجتمع. وهذا الأمر قلَّما حدث في المجتمعات الاسلامية، وهو موضوع لم يورد ذكره بكثرة في اللغة التركية، وليس بنفس المستوى من الانفتاح والحرية، كما في اللغة الكردية. تُرى، هل نستطيع وبالاعتماد على هذه الأغاني الفلكلورية القديمة، أن نعتقدَ باستقلالية المرأة الكردية؟ بالرغم من أن المقال غير مقام مثل هذا السؤال. لكنه، من الأهمية بمكان ذكر ذلك، فالمرأة الكردية عندما تعشق، فان أول هباتها لرجلها "نهديها"، تقدمهما لـ "حليل روحها"، و"عزيز قلبها الجميل"، وترى في هذه الهِبة، أغلى من كل شيء عندها، ترمي بخوفها، وترتبَ عطايا عشقها في ترانيمها:

درويشي عفدي

"هذا وشاحي الأحمر المزهّر،

أعقد فيه نهدي الأشقرين، وأهبه لعزيز قلبي".(٥)

أحمدو روني

"أحمدو روني، لعليّ فداءٌ لك،

اسمي "بسنه"

أناملي مرمر شاميّ

صدري، وقطوفه، قصر ومروج،

أدرّ عليه قطيعك المشاكس،

أني سمحتُ لك، راضيةً".

ولتسعد حبيبها، تقدم المرأة له كل ماتطاله يداه، والهِبة الأكثر أهمية في هذه الأغاني هي "النهد"، ويتضح ذلك من أغنية "أيها العزيز":

"ليتني فداؤك،

سأحضر عزيز داري للرحيل

سأجهز فطوراً لعزيز داري،

سأسفح عليه السمن البلدي.

إذا لم يرض ذلك عزيز الدار،

سأقدّم له نَهديّ،

آهٍ.. أيها العزيز.

لعلي فداؤك.

برية ماردين، برية صعبة

يلهث فيها أشقر "قره داغ" المحروقة.

الحلى الذهبية والفضية، تلتهب

على صدر حبيبي، أنا المسكينة".(٦)

في هذا العشق الحار الشفاف، تستطيع الفتاة أن تهدي أحد نهديها، لمن يبشرها بقدوم حبيبها، مع أنه ليس بحبيبها، لكن، ولروعة الخبر الذي يحمله، تقدم له أحد نهديها ـ طبعاً، فقط في الأغنية ـ، وهذا يبرهن على عمق عشقها في الواقع:

"فتاي، أنا فداؤكَ، وجبل آرارت شاهد،

من يناديني: "كدو"، لقد جاء فتاكِ،

سأهبه عيني اليسرى، ونهدي الأيمن".(٧)

وفي أغنية "عزيز البرية"، الفتاة مستعدة لتقديم "قبلة خدها اليمنى"، لمن يحمل لها خبراً من حبيبها:

عزيز البرية

"حلفتُ اليمين الأعظم،

مَنْ يبشّرني بخبر من عزيز الدار،

سأمنحه طواحينَ والدي السبعة

على نهر نصيبين.

وإن لم يرضَ بذلك،

سأمنحه قبلة من خدي الأيمن".(٨)

في بعض الأغاني، تكون المرأة مستعدة دائماً للقاء حبيبها، وأحياناً تفقد الصبر، ولكي يصل إلى نهديها، تجهز بنفسها الزمان والمكان، عندما تواجهها المصاعب من جهة الأب، الأم، أو الزوج السيء، تزجّ بنفسها في مآزقَ، وفي الوقت نفسه، لاتريد أن ينتبه أحدٌ إلى

لقائهما. المرأة الكردية في رؤيتها للعشق كأسمى ما في الوجود، شكّلت أساساً فلسفياً: "ليت الذي يقف بين قلبين وأربع عيون، لايرى الخير أبداً"، عندما نفكر في هذه الكلمات الذهبية، نتلمس الهدوء والراحة التي فكرت بهما في حريتها ومتطلباتها، ومع ذلك، فان هناك العديد من التحفظات، تنأى بنفسها عنها: "عندما يغيب القمر"، أي في الظلام، عندها فقط، تستطيع أن تلتقي بحبيبها بأمان:

"قمر قريتنا، صافٍ مشرقٌ
وكأنه لأجلنا، لايريد الغياب،
يافتاي..
تعالَ، عندما يغيب القمر.
أفتح لك صدري، أنا العاشقة،
نهداي قشدة بلدية مرشوشة بالسكر".(٩)
بلى، أيها الضيف
"ياضيفنا، إن كنتَ تسأل عن المذاق في دار والدي،
ثمت على جدرانها، جرتان
وضعتا على تربيعتين
ثمت كوة، خلف إصطبل دار والدي،
في الليل، في منتصفه، انسلَّ منها،
وإن أحسَّ بك والديّ،
سأقول: لم تكن ضيف صدري ونهدي،
بل حارس ليلي تائه،
عَطِشٌ يبحث عمّن يسقيه".(١٠)

في عدد من الأغاني، يصبح لقاء الفتاة والفتى، لاهداء النهدين، عادة معاصرة، وكما سنرى، في الأغنية التالية، فإن الفتاة تفصح لوالدتها ولاتخفي عنها بمكنون صدرها:

"اقصد دار والدي.. أنا الفتية،
سأدخلكَ بين فراشي وفراش عزيز قلبي،
وإن نادت والدتي: من هذا؟ ولِمَ الضوء؟
سأقول لها: أيتها الثكلى،
هذه من عادات فتيان وفتيات هذا الزمان،
اليوم.. ثلاثة أيام، وعزيز قلبي زعلان،
سأضع نهديّ في فمه، ليرضي".(١١)

منح المرأة نهديها لرَجلها، يزيل كل أشكال الشك واللاثقة في علاقة الحب بينهما، وتصبح هديتها هذه ـ عن طريق الأغاني ـ قواعد وقوانين العشق، وتأكيداً له، ومن جهة أخرى، تستطيع اختراق القوانين، ورميها جانباً، لتتكشف حالة اللاحب وبرودة المشاعر؛ فهي في منحها لنهديها لرجلها، لاتمنحهما فحسب، بل تتحدث، أحياناً، عن تثبيت ملكيتهما له:

بافي سَيْرو
"بافي سيرو، ليتني فداؤك،
لِمَ أنت صامت؟
لاتجاوز منازل "آلوجا" الأربعة وراء الديار،
صدري ونهدي ـ أنا الصبية ـ كحدائق طور ماردين،
لِمَ لاتثبّت ملكيتكَ لها؟".(١٢)

الوظيفة الثانية للنهدين

أ ـ كدواء: أرادت المرأة في عدة أغانٍ، أن تجعل من نهديها دواءً لمعالجة زوجها أو حبيبها: كريماً تضعه على موضع الجرح، لتروّح عن قلبه، وهي لم تجد ماهو أنجع وأغلى من نهديها لمعالجة الجرح:

بافي فَخْرو
" ذهبتُ إلى "بولِنْدي" صبري حجي ليس في الدار،
لأجل استقلال "الشيخ سعيد"، قامت مجازر الأتراك،
توجه صبري وهو كليل إلى الألمان،
أخشى أن جروح صبري حجي ـ وهو أسفل الخط ـ
بلاطبيب، بلا دواء،
سأشق نهديّ،
ليكونا له مصلاً ومرهماً، وأنجع دواء".(١٣)

من ناحية أخرى، فإن هذه الأغاني تقترب من أغاني الحِداد، وإن لم يكن ثمت من موت أو قتل؛ لكن النواح والبكاء موجودان، وفي حالة كهذه، أعتقد بأن ذكر النهود مرتبط بالرغبة في سرعة شفاء الجرحى،

حيث ترغب الفتاة وبهبة نهديها لحبيبها الجريح، من رفع معنوياته، وزيادة فسحة الأمل للشفاء، والترويح عنه، ولهذا، فهي باڤي فخرية

"باڤي فخرية، ليتني فداؤك،
من الجمعة إلى الجمعة،
هذا هو اليوم الثالث، وباڤي فخرو جريح،
يرقد بين الأغطية ـ أنا المفجوعة ـ،
سأرفع أكمامي وأطراف ثوبي،
أقصد الحكيم "آراكل"، في خرائب "هادهاكا"
"آراكلو"،
استخرج من صدري ونهدي ـ أنا الفتية ـ
مرهماً لمداواة جراح حبيبي".(١٤)

ب ـ كغطاء: اعتبرت النهود، لدفئها وملمسها البض الناعم، كغطاء ثمين، وشُبهت بالمضافة والقصر؛ وترمي هذه الأغاني إلى أن المرء، يستطيع أن يستريحَ حقاً، وفقط، على صدر ونهدي حبيبته، ويتدفأ بهما في ليالي الشتاء: "ليتني في ليلة من ليالي كانون الشتائي، كنتُ ضيفاً بين نهدي الجميلة"(١٥)، والاحتضان بين الرجل والمرأة، عُرف كأحد مقومات الحب، ودخول الرجل بين نهدي حبيبته، يؤكد هذا الحب، ويظهر ذلك جلياً في عددٍ من الأغاني:

هَسّو
"إنه الليل، رطبٌ ونديٌّ،
يالصبايَ،
اصطبلنا موحل
تعالَ، ادخل بين غطائي وفراشي، أنا المتضرعة إليك،
إن لم يعجبك،
ستجد عند رأسك، زوجاً من النهود الشقراء،
حلماتها حمراء، وأرضيتها بيضاء".(١٦)

جـ ـ كضوء: في عدة أغانٍ، يضيء النهدان "كإنارة الليل"(١٧)، فالضوء والأشعة التي تحيط بهما، تبدد الظلام الذي يغلف المغني (المغنية):

عيشي
"عيشي، ليتني فداؤكِ،
صبايا وعرائس هؤلاء "الكوجر"، أخذن بقلبي،
صدر ونهد عيشانتي
قمرٌ مضيءٌ فوق بيادر هذا الخريف".(١٨)

د ـ كتسلية: في ليالي الشتاء الطويلة، حين يمر الوقت بطيئاً، أو عندما يضيق صدر الفتى، ويفكر بالرحيل والاغتراب، فإن الفتاة، وفي عدة أغانٍ، تعاتب فتاها، ليدخل بين نهديها، ويتسلى ويسرَّ بهما، وباختصار، فان النهدين هما مصدر للترويح عن النفس، وتزجية الوقت الطويل من الليل، وبهذا الشكل، يمر ذكر النهدين في عدة أغانٍ:

شاهينو
"شاهينو، ياالمجنون، كم أنت مجنون!
لاتأخذني، ولاتخطفني،
من أين ستأتي بمهري الغالي،
أنت لاتخاف الله، لتهزَّ عطف الفضة على صدري.
صدري بستان الزهر والتفاح،
إذا ضاق صدركَ،
اقصده فترة
لتروّح عن قلبك الهموم".(١٩)

حوريتان
"ياروحي، ياروحي،
تقف حوريتان أمام دار والدي،
تقول الأخت الكبرى، للصغرى:
حلَّ الليلةَ ضيفٌ على دار والدي ووالدكِ،
هو عزيز جداً،
وأنا لاأعرف ماذا سأقدّم له؟ ماذا يليق به؟ مايجوز له؟
في الليل، في منتصف الليل،
سأسلّم له نهدي الأشقرين.
ليالي الشتاء، طويلة ليالي كانون، طويلة،
انهض، اجلس، وداعبهما".(٢٠)

ومن ناحية أخرى، عندما يذهب حبيب الفتاة

إلى الجيش، أو يغترب في بلادٍ بعيدةٍ، عندها تقدم له نهديها، لضيق صدره:

الحذاءُ الأسودُ

"إذا حللتَ ضيفاً على دار والدي،

سأفرش لك قرب غرفة الإيوان،

سأقدم لك نهدي الأشقرين لشهوة روحك،

وليسرَّ قلبُك بهما حتى الصباح".(٢١)

هـ ـ كطعام: في أغانٍ كثيرة، يتمّ ذكر النهدين، كأنواع متعددة من الأطعمة، مما يدل على أن مذاق ولذة النهدين، بقيت ولفترة طويلة، ترنيمةَ المغنيين (المغنيات)، كما سنرى فيما بعد، إن النهد يشبه بالفاكهة، فيما عدا ذلك، فإنه شبيه بـ الفطور، الغداء، الاسحار، المكسرات، الكباب، العسل:

"سأقطف حلمتي نهدي،

أجعلهما فطوراً للكهول،

وغداء للشباب".(٢٢)

تأثيرات الذكور الذين لايمنحون النهودَ حقَّها

كما يبدو، وفي عدد من الأغاني الكردية، فإن المرأة، ليست مسرورة بزوجها دائماً: "الأزواج الذين لايوفون حقوق النهدين"، وهؤلاء، لايعدّون في رأي المرأة رجالاً، وتطلق عليهم ألقاباً معينة: "أجرب، بوم، عاجز، مبلول، أبرص، مخفوس، متهدل، حيوان، شرشوح، نسوانجي" رخو..الخ"، وأسباب هذا الجفاء كثيرة، كأن تكون المرأة قد خطفت بالرغم من ارادتها، الزواج دون حب، الزوج البصّاص، الضعف الجنسي، وأسباب أخرى كثيرة، وأخيراً، البرود في العلاقات العائلية والجنسية، والذي يصل إلى حد الجفاء، إلى درجة تتعذر فيها الراحة للمرأة، والنساء لايحبذن "الرجال الذين يديرون ظهورهم للنساء حتى الصباح". إن هذه الأسباب، مهدت للمرأة امكانية البحث عن عاشق جديد، كما سيتبين ذلك في أغنية إمرأة تشكو إلى عاشقها الجديد: "تعالَ، واقتل زوجي العاطل". وتبدو النساء في هذه الأغاني حزينات كسيرات:

"بوابة دار والدي ـ أنا اليتيمة ـ مغبرّة وضبابية،

انهض، واقتل زوجي، الكلب العاطل،

دسَّ فمكَ في عنقي الأميري،

وامتصَّ نهديَّ".(٢٣)

خليلي قازي

"أتمشى في دياربكر المحروقة بمشمشها،

أطواقي وسلاسلي تتهدل على قدي الأهيف،

ليفعل والدي الخير، ولايراه،

لم يرض بتزويجي من "خليلي قازي"، الفتى الكرمانجي،

وأعطاني لهذا المدني، ذي القبعة المثقوبة،

يسهر على صدري حتى الصباح".(٢٤)

تبدو في هذه الأغاني، المرارة وعدم رضى المرأة من زواجها، ونستطيع تلمس حالة عدم الرضى هذه بسهولة في أغنية "أيها السيء"، لَما تحتوي من تنديد شديد بالزوج السيء، وهي تُغنى من قبل إمرأة في قلبها حسرة كبيرة. وكما نفهم من مضمون الأغنية، فإن الزوج (بصّاص) يخدع النساء، يدور بين البيوت. وأثر النهدين في الأغنية كبير جداً، حيث تحاول المرأة بتأثير نهديها، أن تستعيد زوجها، فهي تمزج الرجاء بالعتاب بالشكوى بالنُصح، لتعبر عن مشاعرها؛ وتبدأ الأغنية هكذا:

"لايسعد الرعديد بصدر الجميلة، أيها السيء.

صدري ونهداي، أنا الظبية

كقصر ماردين المحروقة بزجاجه الجديد

لا، والله،

كمثل عنقود عنب في بساتين "علي رمّو"

نضج بتأنٍ على عريشته".

...

"أيها السيء، يامحروق الدار،

أدعوكَ، كل ليلة من ليالي الله،
لتطوف، ولتقبّل صدري ونهدي، أنا الظبية،
هما لك
صحن عنب طري طازج
في "ميركا ميرا"، أسفل قره داغ،
امضغهما كالكِتّان،
اعصرهما، حتى يسيل منهما الماء،
اثلمها بقلم سكينك،
وعضّهما، ليخرج السكر.
أيها السيء
كل ليلة من ليالي الله،
أدعوك، لتجلس قربهما،
التهمهما، ولاتبقِ شيئاً". (٢٥)

وصْفُ شكل النهدين

عندما ذكر المغني النهدين، شبّه شكلهما ولونهما ونضوجهما بأشياء محددة، وبنى التشابيه بينها على أسس منطقية، وقد أخذ هذا الأمر مكاناً واسعاً في الأغنية الفلكلورية الكردية.

أ ـ شكل النهدين: في أغانٍ عديدة، شبه النهدين بأنواع معينة من الفاكهة، لماذا الفاكهة؟.

أعتقد أن هذا التشبيه قد بني على أساس استدارة النهدين وقرب شكلهما من أنواع معينة من الفاكهة، وكذلك بشكل أكبر اللذة التي استمدها المغني من الفاكهة يوماً ما، فأعاد اكتشاف هذه اللذة في النهدين، فتمازجت استدارة ولذة الفاكهة مع النهدين في هذه الأغاني، ومن الفاكهة التي استخدمت كرمز للنهدين: التفاح، العنب، البرتقال، التمر، التين، الجوز، الشمّام، اليقطين، الرمّان: "نهداها ـ مخروبة الديار ـ احمرّا، كشمّام سهل هَسِنا". (٢٦)

بلى مَيْري
"نهدا ميرمتي
تمرتان من تمر بغداد،
تينتان من تين شنكال،
عنب من عنب بِسِندر،
يقطين من يقطين دياربكر،
لاأعرف ـ أنا الفتي ـ ماذا أفعل بهما، في ليلتي هذه". (٢٧)

كما أن المغني، بالاضافة إلى استدارة ولذة الفاكهة، يعيد اكتشاف فوحها الطيب في رائحة النهدين، ويشير إلى ذلك في عدة أغانٍ: "امتصتْنا رائحة النهدين، التهمتْنا رائحة النهدينّ"، وذلك لأنهما يبقيان تحت الثياب طويلاً، فيتدفآن، ويعرقان ويسخنان كالبيض، وعندما تختلط رائحة ودفء بخار النهدين، تصبح الدنيا ملكاً للمغني؛ كما وشبههما بأشياء أخرى، تظهر المقارنة صفاتٍ مشتركةً، مثل: "النبع، الزهور، الحديقة، البستان، الفنجان، الذهب والفضة"، ماهو وجه الشبه بين النبع والنهد؟ أعتقد أن هذا يعود إلى كون الحليب والماء يشربان، فرأى المغني أن النهدين نبعان يدران الحليب بدل الماء. ماهو المقدار الذي تهدأ به مياه هذين النبعين لوعة قلب المغني؟ يتوارى جواب هذا السؤال وراء وظيفة النهدين التالية:

ياأنتِ
"آهٍ، ياأنتِ، أيتها السمراء،
في قرية "دودو"، واديان
نهداكِ الأشقران، فيهما نبعان،
ياأهلي، أنتم لاتقولون شيئاً!
أني (أموت) بعيني وحاجبي السمراء،
وأنتم لاتصدقون". (٢٨)
أيتها السمراء
"عصرتُ الحلمتين،
سال منهما مقدار ثلاثة فناجين ماء،
شربتُ فنجاناً،
صرتُ ثملاً،
خفيفاً كتبن طائر" (٢٩)
في عدة أغانٍ شبه النهد بالفنجان، خاصة فناجين

البورسلان، وذلك لتشابه الشكل الدائري والجمال ووظيفة الرشف المشتركة بينهما، وأحياناً توصف النهود بـ "الفناجين التي في أيدي الحكّام"(٣٠)، أو "الفناجين التي في أيدي الآغاوات"(٣١)، وذلك لأن فناجين هؤلاء قديماً كانت ثمينة جداً، فأراد المغني أن يبيّن أن نهدي حبيبته بهيان ثمينان:

أمَينتي

"خرجتْ "أمينتي" من دار والدها،

لم تحادثني!

لاأعرف السبب؟!

هيفاء القوام كمحراث في حقول القمح،

نهداها ناصعان كفناجين الحكام،

موبوءة دار أبيك

ذوبتِ لحمي

أجزاءاً ونثراً،

ذوبتِ عظامي، جعلتها شمعاً".(٣٢)

ليوضح المغني بهاء ولذة النهدين بأبهى شكل، استخدم كل الأساليب الفنية، فالصدر، أحياناً حديقة، والنهدان باقتا ورد، كما في أغنية "عيشاني":

"صدر سمرائي حديقة، عيشاني،

فيها باقتي ورد، عيشاني".(٣٣)

نستطيع أن نتبين بسهولة أن باقتي الورد هما النهدان، وأحياناً ترد كلمتا صدر ونهد معاً، فيشبه الصدر بالسهل أو الحديقة أو البستان الواسع، ليأخذ النهدان مكانهما، وفي هذه الحالة، فإن كلمة الصدر لاتعني النهد، لأن النهد نفسه يتم ذكره، لكن، إذا غابت كلمة النهد، فإن الصدر كناية له.

ب ـ لون النهدين:

يختلف لون النهد من أغنية إلى أخرى، وكذلك أجزاؤه: الحلمة، القاعدة، الشامات؛ وفي أغانٍ كثيرة يكون لونهما أبيض كالثلج، للدلالة على أنه تمت حمايتهما جيداً، ولم يكشفا للشمس.. لكن، وعندما يكمل النهدان نضوجهما، نصادف استخدام كلمة أحمر: نهدا غزالتي أحمران كشمام سهل هسنا، كما أن المنطقة المحيطة بالحلمة أيضاً تتغير عندما ينضج النهد:

عيشان

"نضج صدر ونهد عيشانتي،

أينعت شاماته: صفراء وحمراء".(٣٤)

نضوج، وتمرد النهدين

في الأغنية الكردية، أجمل النهود، هي تلك التي تنضج على مهل، أي دون أن يلمسها أحد، والنهد الأشهى والأجمل في هذه الأغاني، هو نهد الفتيات ذوات الأربعة عشر ربيعاً: "ياليت الشاب الذي يتلمس نهدين أشقرين في ربيعهما الرابع عشر". النهد الناضج للفتاة البكر العذراء، عدَّ في الأغنية الكردية بمثابة قصر، عمران يشمخ ويكتمل يوماً بعد يوم، وليس نهد المرأة المتزوجة عديدة الأطفال، حيث يكون قد فقد الكثير من صلابته واستدارته:

أيها السيء

"حلمتاي، أنا الخاتون،

مثل عنب بستان علي رمو،

تنضجان بهية في أوانها،

ويكتمل استواؤهما على العريشة،

مثل قصر بيروتا، فوق تلة مشكين في مدينة ماردين".(٣٥)

وقد أعدت هذه المرحلة بـ "ثورة النهدين"، وهما، وكما هو معروف، يظهران تأثراً سريعاً في التقارب والاتصال الجسدي، خاصة الحلمتان، لحساسيتهما المفرطة: "حلمتاكِ حادتان، مثل رؤوس الإبر".(٣٦)

كُلِيْ، كُلِيْ

"دسَّتْ يدها في عبِّها،

عبٌّ ربَّاني

انتصبت الحلمتان.

النهدان قسمة الشباب".(٣٧)

وقد عدت ثورة النهدين، حدثاً بحد ذاته في الأغنية الكردية، فهما يتحدثان، يلقيان السلام، ويتغير لونهما، ويحمرّان ويصفرّان:

أمان، أمان، ياابنة العم
"هذا قطيع، ماأكثره،
تيسه كثور،
يقصد فتاي صدري ونهدي،
بادره بالتحية نهداي".(٣٨)
دِلْبَرْ
"نهداي حجلان جميلان، أنا الفتية،
في برودة الصباح
يتنازعان على صدري، أنا الصبية".(٣٩)

إن نهدا الصبية في بداية اكتمالهما هما "الوشاح الذي يلفُّ أيدي الشباب": قاسيان، مستديران مثل تفاحتين: "نهدا حبيبتي حمراوان، أعضهما بهدوء"(٤٠)، فالأشياء القاسية تعض، ولهذا يشابه المغني بين التفاح والنهد: "نهدا، ملعونة الأب، قاسيان، مثل حلاوة عنتاب"(٤١)، كما شبههما بالفاكهة الناضجة، التي تهمي من أغصانها:

الجميلة
"أيتها القره داغيه، صانعة السمن،
احمرَّ خداكِ، وظهرت شاماتُهما،
العام الماضي، مثل الآن، لم يكن ثمت من حجلين نهدين،
هذا العام، الآن، آن لهما أن يقطفا."(٤٢)

إن مثل هذا الوصف الجميل لاستدارة، قساوة، لذة النهدين، يختفي في عدة أغانٍ، ونرى بالمقابل، كلماتٍ أخرى: "مص، خض، عض، عصر.."، ومن الملاحظ، أن أغلبية هذه الأغاني قد غناها رجال، وهذا يدل إلى عدم رضائهم ورفضهم لتغيير شكل النهدين: "نهدا بنت الكلب هذه، ارتخيا من المصِّ"(٤٣)، أو كما يتضح من أغنية "ياروحي"، حيث يظهر المغني، هذه المرة، شكواه من كثرة خض النهدين: "انظر إلى صدر ونهدي نفيستي/ ترهلهما دليل خضهما"(٤٤)، كما نرى، ولعدة أسباب مثل الفراق، أو برودة المشاعر، يبقى نهدا المرأة "بلاعلاج":

ثلاثة بيوت، أيتها القرية
"قصدتُ الأنهارَ - أنهاراً باردة،
مراعي والدك الصيفية عالية،
يهمي عليها الثلج والمطر،
السنة، هي السابعة،
وفتايَ في بلاد الغربة،
صدري ونهداي، أنا الفاضلة،
بلاعلاج،
حبيبي، حبيبي، حبيبي، ياقرية الخراب".(٤٥)

بسبب المص، الخض، العض، ولأسباب أخرى، يتغير شكل نهد الحبيبة، إلى نهد إمرأة مسنة، يتهدل، ويفقد مظهره اليانع، ويذوي، وهذا الأمر لفت انتباه المغني كثيراً.

لصوص النهود، ومعجزة فتح الأزرار

الأزرار، كلمة وردت مرات عديدة في الأغاني الفلكلورية الكردية، التي غُنيت عن النهدين.

ماالعلاقة بين النهدين والأزرار؟

لم تكن المرأة الكردية، قديما، تحمي نهديها بحمَّالات النهود/السوتيان، إنما هما فقط، تحت ثيابهن ذوات الأزرار، ولذلك، كانت فرصة رؤية النهدين، أقل، لذلك تظهر فعّالية الأزرار ودورها؛ من ناحية الرجال، فإن قلةُ أو اختفاءُ الأزرار، فرحة كبيرة، وفي الأغنية، لايتم فتح الأزرار بأيدي الرجال، وهذا مما يدل على أن رغبة الرجال، لاتلعب دوراً كبيراً، إرادة المرأة هي الأهم؛ في حال التفاهم وتبادل الحب، نرى أحياناً بأن الأزرار تفتح وحدها، وعندها يتقافز النهدان خارج الثوب، فإن رغبة المرأة وارادتها تلعبان الدور الأهم في هذه العملية، ولهذا فإن لصوص النهود، غالباً مايفشلون في تحقيق رغائبهم.

ترى المرأة الكردية في نهديها تميزاً مهماً عن الرجال الذين ضمرت نهودهم، ولذا، فإن حمايتها لنهديها، ثم هبتهما لحبيبها في هذه الأغاني، تأخذان أهمية ومكانة خاصة، بمعنى أن فتح الأزرار، أو بقائها مغلقة، مرهون بارادة المرأة وحدها، فيعود لصوص النهود خائبين غالباً: "أردتُ سرقة النهدين الأشقرين/

وقعتْ يداي على خلخال القدم".(٤٦).

يحاول اللصوص كل جهودهم للوصول إلى النهدين:

"أهٍ.. أيتها المهيبة،
لتحترق بوابةُ مشكين الخراب، ومقامها السيء،
ليحترق أنف قلعة ماردين المطلة عليها.
ليتني ذهب "محمودِّيٌ"،
تدليه السيدة الجميلة من جيدها،
على صدرها، ومابين نهديها.
صدر ونهدا الجميلة الناصعان،
كحديقة من حدائق السلطان عبدالحميد،
يتناوب عليها الحرّاس ليلاً نهاراً.
آهٍ.. يالي أنا، يالي أنا،
حالتي صعبة ياإلهي".(٤٧)

عندما تعشق المرأة، فإن الأزرار تفتح وحدها..، لماذا؟ نفهم من مضمون الأغاني، أنه عندما يجتمع قلبان في قلب واحد، عندما يعشق شخصان بعضهما البعض، فإن كل شيء يسير من تلقاء نفسه، فالأزرار تفتح لوحدها، لاأحد يفتحها، ويشار إلى ذلك كمعجزة عشق، كما يرد ذكر ذلك في إحدى الأغاني: "ستة وثلاثون زراً فضياً، انفتحت":

"ياعزيزي..
اشتقتُ إليكَ،
اشتقت إليَّ،
انتظرنا بعضنا البعض، في الوادي،
على طريق "مندار"،
اندفعتْ أزراري من عرواتها،
ونصع صدري".(٤٨)

"ظلّلنا الطود،
انقطعتِ الأزرار، نصع الصدر.
كان عمري مائة عام،
تناصفته معك".(٤٩)

في أغنية "إبنة العم الصبية"، وأغنية "ماردين"، وفي الحوارية بين الفتى والفتاة التي تتحدث عن النهدين، نجد اختلافاً في وجهات النظر؛ ثمت صراع بينهما، كما يتضح من سياق أغنية إبنة العم الصبية، فإن الفتاة عندما تقصد قطيع والدها، تسقط أرضاً، فتنقطع "ستمائة وستة وثلاثون زراً"، وعندما يبصر الشاب نهديها، فإنها ترفض أنه رأى نهديها، وتدافع عن نفسها ضد هذه الافتراءات، وتسأل الشاب:

إبنة العم الصبية

"يافتى، ياابن الدار الموبوءة، التي حل فيها الافتراء،
إن كنتَ قد رأيتَ نهديّ الأشقرين،
ماهي علاماتهما؟
ياابن الدار الموبوءة، أين شهودكَ؟
عندما رأيتَ نهدي الأشقرين، من هم؟".

ثم تدور بينهما حوارية، يتأكد للفتاة من خلالها، أن الشاب قد رأى نهديها حقاً، وله بهما دراية:

"ياصبية، ياموبوءة الدار، عندما رأيتُ نهديكِ الأشقرين،
كان ثمت تسعة أشخاص واقفين،
ثلاثة منهم جلاليين،
ثلاثة منهم روجكيين،
ثلاثة منهم سيبكيين".
فتردّ الفتاة:
"يافتى، ياموبوء الدار،
الثلاثة الجلاليون، مهربون في الجبال،
الثلاثة الروجكيون، كذبٌ وافتراءٌ،
الثلاثة السيبكيون، صدقتَ، هم جيران دارنا،
وهكذا، فأنتَ لم ترَ نهديّ الأشقرين".(٥٠)

في أغنية "إبن العمة الصبية"، كما في أغنية "ماردين:، يتضح أن هؤلاء الشباب قد رأوا حقاً نهود الفتيات، ولهذا تقدم الفتاتان نهودهما إلى "حليل الروح"، وكما يتضح في أغنية أخرى، فإن المفتاح دائماً في يد المرأة: "إن كنتَ تسأل عن المفتاح، القفل والمفتاح هما في يدي".(٥١). في أغانٍ كثيرة، وقبل

أن تفتح الأزار، فإن اليدَ تتحسس الحلى التي تلتف حول العنق وتتدلى على الصدر، وهي تنقطع في كل مرة، تمتد فيها اليدُ إلى النهد، وأياً كان تأثير هذه الحلى، فإن وجودها ووجود الأزرار، يمنحان جمالية مثيرة، وفنية عالية إلى لغة الأغنية، فعندما ترفض المرأة بأن تلمس نهديها، فإن كل الأبواب تقفل، والمرأة الكردية عنيدة جداً في هذه الناحية، ولاتتراجع أبداً عن تمنعها. عندما تعشق "زين"، "مم"، وترى فيه أغلى شخص في الوجود، وتبقى بوابات منزل والدها الفولاذية السبعة مقفلة، تقول زين:

"بوابات دار والدي سبعة، البواباب السبع الفولاذية،

يتوزع على جميعها حراس جبابرة،

والد مَنْ له الحق، هذا المساء

على ايصال فمه إلى شامات صدري ونهدي".(٥٢)

ليس الأمر أن الرجل يسعى دائماً إلى المرأة ويطلب ودّها، بل، وأحياناً، فانها تسعى إلى الرجل، وترمي بالقواعد والأعراف جانباً، وحسب العادات والتقاليد الكردية، تسمى هؤلاء النسوة بـ "دوّارات البيوت". ففي ملحمة "زمبيل فروش/بائع السلال"، وعندما تعشق السيدة الغنية بائعَ السلال، وتتمنى أن يكون حبيبها، لكنه، يصدها عنه، فانها تلجأ إلى المكيدة به، وتفتح له صدرها، وتهم أن تعري له نهديها: "الباب مغلق/ فرشتْ له صدرها ونهديها".(٥٣)، ولاشك أن المرأة إذا كشفت عن صدرها ونهديها فجأة لرجل، فإن هذا كفيل بتشتيت وشل تفكيره وارتجافه.

النزاع على النهود

في عدة أغانٍ كردية، اعتبرت المرأة ازدياد عشاقها، تهديداً لنهديها، وجعلتْ حماية نهديها سؤالاً رئيساً في عدد من الأغاني، وشبّهت النزاع القائم عليهما، أحياناً، بتشبيهات سياسية، كما وقارنته بالنزاع القائم على كردستان، فتداخلت هذه التعابير السياسية، مع العشق، وأعطت قيمة ضافية جمالية للأغنية:

"قامتي هيفاء، شتلة ريحان رشيقة،

وجهي كذا، عرموشٌ لذيذٌ،

صدري ونهداي

عرش ومكانة كردستان،

يتنازع عليهما ، منذ سبع سنوات

إثنا عشر ملكاً".(٥٤)

نجد مثل هذا التشبيه أيضاً في أغنية "مريم علو كركي": "..لا والله، مثل السلطان رشيد، تتنازع سبع دول غريبة عليها..."، هذا التشبيه السياسي التاريخي، يدخل لوناً فنياً مميزاً على هذه الأغاني، وبه أرادت المرأة الدفاع عن أنوثتها، كما وتظهر التهديدات التي تحيق بها. في أغنية "ياهَمٌّ"، ترى المغنية أهمية نهديها، بأهمية "عاصمة أمراء كردستان":

ياهَمٌّ

" أما قلتُ لكَ أيها الفتى،

لسانكَ قلم، وصدري دفتر،

فجراً، ومثل كهل باثني عشر عَلَماَ،

تستذكر عن ظهر قلب،

صدري ونهدي،

مثل عاصمة كردستان،

اثنا عشر شهراً في السنة،

نزاع وغوغاء اثنتا عشرة

دولة أجنبية، مستمر عليها".(٥٥)

النهد، وعدة مؤثرات أخرى

نلاحظ في عدة أغانٍ، التأثيرات الدينية أيضاً، المرأة الكردية في هذه الأغاني، تضيف في مدح نهديها اعتماداً على تشبيهات دينية، وتؤسس بذلك "أدب النهود"، فنرى كلمات مثل:"فطر، زكاة، ملك، الله، الصوم، الاسحار، الافطار":

"والله، صدري ونهدي، أنا عبدة الله،

كاحدى حدائق طور ماردين،

تستحق عليهما زكاة الله، ثلاث مرات في السنة".(٥٦)

وفي أغنية "ياصبية مجنونة"، والتي يعشق فيها شاب كردي فتاة تركية، يشبه نهديها بالافطار:

ياصبية مجنونة

"ياغزالة شقراء،

يانبع جمال الدار،

ليتني آكل نهديك.

نهداك كالافطار.

تعرفين، ياصبية مجنونة،

أنك ذوَّبتني، فتلتني،

لاتجيدين الكردية،

الحديث إيماءً، ليس بحل".(٥٧)

في أغنية "عيشي"، كما نَرى في هذه المرة: "يقرأ ملاكان على نهديها".(٥٨)

تواجد موضوع "بائعات النهود"

يأخذ هذا الموضوع مجالاً واسعاً في الأغاني التي غنّاها رجالٌ أصابهم العشقُ، ولم يصلوا إلى مبتغاهم، لذلك، أوجدوا لأنفسهم عن طريق الحلم والخيال امكانات جديدة للحصول على النهدين، فاستغرقوا في أحلام اليقظة، ولهذا ترد في أغانيهم العديدة، مفرداتٌ مثل: "دكان، سوق، بازار، مشترٍ، الشراء، البيع". ولانعدام أية امكانية للاقتراب من نهدي المحبوبة، فإن المغني رمى بنفسه في أحضان الخيال، وأعطى للمرأة دورَ البائعة، وطبعاً للشاب، دورَ المشتري:

حليم جان

"كوني روحاً، ياحليم جان،

ياحليم جان،

ليتني فداؤكِ، لستُ عطشاً،

لستُ جائعاً،

أجلس تحت ظلال "بدليس" الخَرِبة،

ياأنتِ، ياحليمِ جان،

إنْ كنتِ ساقيةً، فأنا عطشان،

إنْ كنتِ خبّازة، فأنا جائع،

إنْ كنتِ بائعةً لنهديكِ، فأنا مشترٍ،

إن رفضتِ البيع،

في يوم لقاء الحق،

على جسر الصلاة،

سأشكوكِ لله،

ويدي تشد أطراف ثوبكِ،

ياحليم، جانتي".(٥٩)

إن المفردات: "بائعة، النهد، المشتري"، تظهر بشكل جليٍّ لوعة العاشق ورغبته الشديدة في الوصال الى حبيبته، والاستحواذ على نهديها، وهنا لانستطيع اعتبار الأمر صفقة تجارية: "بكبرياء تهادت حبيبتي إلى الدكان/أخذ النهود للبيع"(٦٠)، مانفهمه من هذه الأغنية، ليس عملية بيع وشراء للنهود..، إنما أمنية الحصول عليهما، وتبقى الأمنية في إطار الأمنية. وكما قلنا سابقاً، فإنّ المغني، لم يرَ من فارق بين النهدين والفاكهة والزبيب: "صدرها مليء بالزبيب"(٦١)، هنا جاءت كلمة الزبيب كناية عن النهدين، أين يُباع ويشترى الزبيب؟ أي أن خيال المغني شطَّ به إلى امكانية الحصول على النهدين أيضاً من هناك، ولذا، سلك طريق السوق، وسأل الصبية: "ألا تبيعين النهود الشقراء؟!".(٦٢).

المصادر

١ـ اليوم الجديد، العدد٢٧، مجلة صدرت باللغتين: الكردية والفارسية، مابين أعوام ١٩٤٣ ـ ١٩٤٦، بيروت. الطبعة الجديدة، أوبسالا١٩٨٦.

٢ـ حاجي جندي، الأغاني الشعرية للشعب الكردي، يريفان١٩٧٢، ص٣٩.

٣ـ أحمدي خاني، مم وزين، استانبول، ترجمة: محمد أمين بوزأرسلان١٩٧٥، ص١٠٨و١٩٣.

٤ـ نورا جواري، الأغاني الكردية الشعبية، يريفان١٩٨٣، ص١٢٨.

٥ـ نفس المصدر، ص١٦٦.

٦ـ Kurt Halk Turkuleri: (اللغة والأغاني الكردية)، أنقرة ١٩٩١، ص١٧٨، اعداد: محمد بيرق.

٧ـ جندي، ص٧١.

٨ـ جكرخوين، الفلكلور الكردي، ستوكهولم١٩٨٨، ص١٣٣.

٩ـ أورديخانه جليل وجليلي جليل، Zargotina Kurda، موسكو١٩٧٨، الجزء الأول، ص٣٧٣.
١٠ـ جندي، ص١١٠.
١١ـ جليلي جليل، Zargotina Kurde Suriye، يريفان١٩٨٥، ص٢٤١.
١٢ـ بيرق، ص١٠١.
١٣ـ جليلي جليل، ص٢٢٣.
١٤ـ جكرخوين، ص١١٦.
١٥ـ جكرخوين، ص١٦٥.
١٦ـ جندي، ص٧٣.
١٧ـ فرهات، Kurtleri Turkulerinden Ögrenmek، كولن١٩٩٠، ص١٣.
١٨ـ أوردخان وجليلي جليل، مصدر مذكور، الجزء الأول، ص٤١١.
١٩ـ هاوار، العدد ٣٧.
٢٠ـ جندي، ص٣٣.
٢١ـ جواري، مصدر مذكور، ص١٤٥.
٢٢ـ هاوار، العدد ٣٨.
٢٣ـ جليلي جليل، ص٢٤٥.
٢٤ـ جليلي جليل، ص١١٦.
٢٥ـ اليوم الجديد، العدد٣٦.
٢٦ـ سكفان عبدالحكيم، محمد عارف جزراوي، ستوكهولم، ١٩٩٠، ص٣٠.
٢٧ـ جواري، ص١٤٩.
٢٨ـ جندي، ص١٢٢. ٢٩
ـ اليوم الجديد، العدد٦.
٣٠ـ جندي، ص٢٠١.
٣١ـ جندي، ص١٩٨.
٣٢ـ جندي، ص٢٠١.
٣٣ـ جليلي جليل، ص٢٧٠.
٣٤ـ جواري، ص١٢٨.
٣٥ـ زين العابدين زنّار، ستوكهولم، ص٤٥.
٣٦ـ اليوم الجديد، العدد٥٦.
٣٧ـ جندي، ص١١٥.
٣٨ـ اليوم الجديد، العدد٤٥.
٣٩ـ جندي، ص١١٥.
٤٠ـ زين العابدين، ستوكهولم١٩٩٠، ص١٠٩.
٤١ـ جندي، ص٣٠.
٤٢ـ جندي، ص٧٠.
٤٣ـ جندي، ص٤٧.
٤٤ـ هاوار، العدد٦٠.
٤٥ـ جندي، ص١٠٨.
٤٦ـ جكرخوين، ص١٤٦.
٤٧ـ جليلي جليل، ص٢٤٥.
٤٨ـ أورديخان وجليلي جليل، الجزء الأول، ص٣٥٣.
٤٩ـ جندي، ص٨٨.
٥٠ـ هوار، العدد٢٨.
٥١ـ جواري، ص١٦٢.
٥٢ـ ج. س. موسيلان، زمبيل فروش: الملحمة الكردية وامتداداتها، موسكو١٩٨٣، ص١٣٨.
٥٣ـ جندي، ص١٦٣.
٥٤ـ اليوم الجديد، العدد٣٢.
٥٥ـ اليوم الجديد، العدد١٠.
٥٦ـ جكرخوين، ص١٤٧.
٥٧ـ اليوم الجديد، العدد٢٢.
٥٨ـ أورديخان وجليلي جليل، ص٤١١.
٥٩ـ اليوم الجديد، العدد٢٢. ٦٠
ـ جندي، ص١٤٥.
٦١ـ نورا جواري، أغاني الدبكات عند الشعب الكردي، يريفان١٩٦٤، ص٦٤.
٦٢ـ جميلة جليل، أغاني الشعب الكردي، يريفان،١٩٧٧، ص٣٤.

شخصيات كردية

المفكر مسعود محمد.. ذلك الجبل الكردي الشامخ

حكيم نديم الداودي

لا أدري أهو من أقدار أمته المشتتة بفعل المعاهدات والاتفاقات الدولية عبر قرون من مأساتها المستديمة، أن تفقد علما من أعلامها البارزين ومفكرا كبيرا من بقايا جيل فلاسفة المنطق وعرفان الحقيقة.

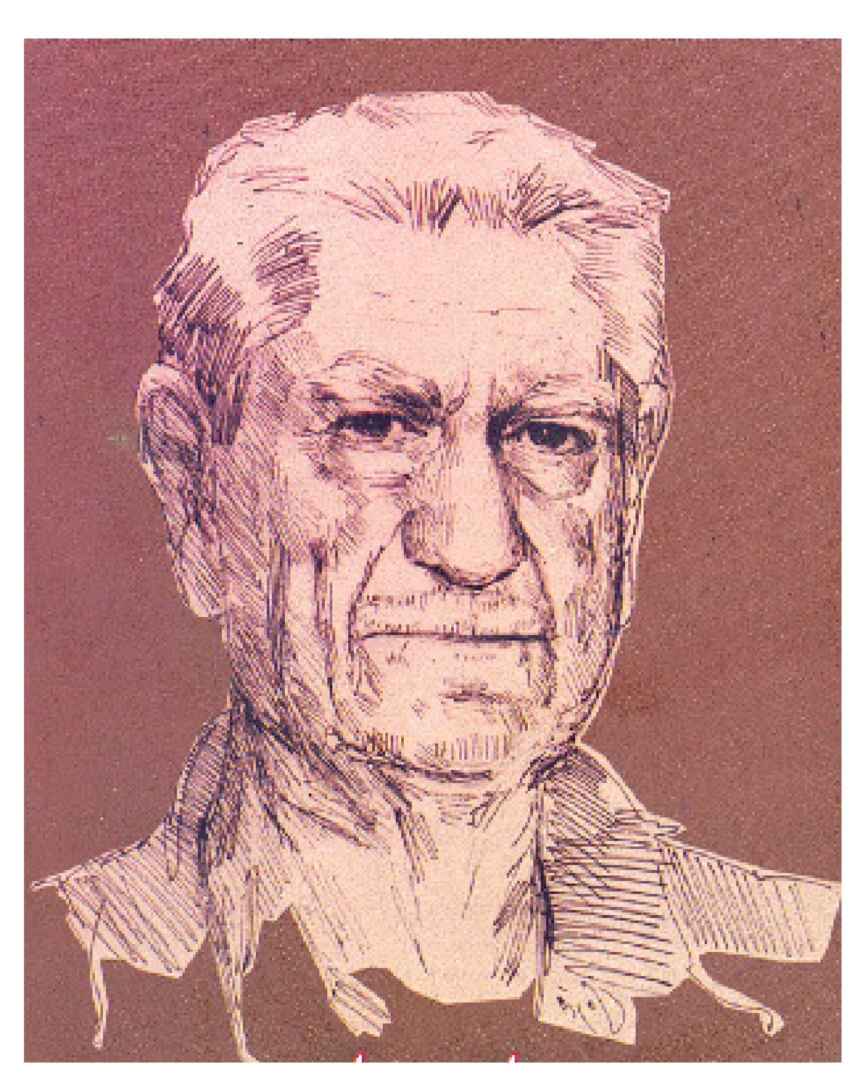
مسعود محمد، خير من نبش تراث الأجداد وأستخلص العبر واستنبط الدرس القاسي من تاريخ أمته الذي شهد الجحود والغدر والصمت. ذلك المعلم النابه الذي كتب للجيل القادم أنصع صفحاته كي يعيشوا الواقع بعمق التفكير، ويمضوا نحو الأمام دون البكاء على طلل المجد الغابر.

مسعود محمد أول من نفض غبار الزمن عن حقائق تاريخية منسية من تراث الكرد. وأول من جاهر عبّاد الكراسي بأن الحق لا ينازعه الباطل. أول من تسلح بالفلسفة الجمالية في إتقان حوار العقل وتبسيط مفاهيم الإستنباط من الماضي دون التقوقع في رقعة الإكتفاء بالقدر. أول من شهر سيف المحاججة بوجه أصنام حب الذات وأصحاب العنجهيات الفارغة. وهو الذي دخل مبكراً وبكل قوة ميدان المنازلة والوقوف بوجه الأفكار المستوردة والمريضة. وهو الذي يكسب المناظرة منتصرا بعد كل معركة فكرية مع قوى الظلام محتفظا بمكانته العالية بذاكرة الأمقه الحيّة. فهو ذلك النابغ و الذي نازع الفكر بالفكر النيّر بعيدا عن نزعة التعصب والتقليد الأعمى. مناقشا أساطين النظريات الفكرية بطروحاته العلمية السليمة وإفحامهم بأدلته القوية في المنطق والفلسفة وسلامة اللغة.

مسعود محمد سليل ذلك البيت الكردستاني من أحفاد جلي زادة. وأول بيت في كردستان دعا إلى التحرر من القيود البالية، ومحو الأمية ونبذ التقاليد البالية والمراوحة في دهاليز الظلام.، أول بيت دعا إلى تعليم المرأة، وتحريرها من قيودها الجاهلية. أول مفكر كردي الذي خاطب بجرأة الزعيم السفوفياتي آنذاك ميخائيل غورباتشوف. في محاججة فلسفية علمية بالبراهين والشواهد في عام ١٩٨٨ وتحت عنوان إلى العظيم غورباتشوف،

معيداً له التوازن و لميزان عالمه المختل منذ ظهور النزاع على المصالح الحيوية والكيل لها بمكيالين.

انه إنسان خالد في ضمير البشر أينما كان، إنسان كان همه بكبر أمته، وصمته ناطق لتأمله العميق في أبعاد صراع الخير والشر وعدم تلاقي المصالح.عقله الواسع لايمكن حصره بمقالة محتصرة في جريدة أو مجلة أوحتى في مقابلة تلفزيونية عابرة.



مسعود محمد فيلسوف في خضم هّم إنساني قبل همّه القومي. ولهذا كان دائم التأمل والصمت فيؤرقه دوما وباستمرار. همه في جانبه يتمحور حول مأساة شعبه الذي ينتمي إليه.وكما نعته لنا د. عبد الباسط سيدا في بحثه القيم «مسعود محمد هم قومي وأصالة فكرية» والمنشورفي العدد الرابع من مجلة دراسات كردستانية في السويد سنة ٢٠٠٠ ان المعاناة القاسية والحلول المقترحة لا ترتقي إلى المستوى المطلوب وعلى الرغم من حبه لشعبه إلى درجة الهيام، فهو لا يتعامل مع المسائل بصورة رومانسية، بل يشخص الداء بشجاعة وواقعية، ويختتم بحثه بالقول: (لأن الظرف الخاص لا يسمح بالاستمرار أكثر في استعراض ودراسة الجوانب الأخرى في فكر مسعود محمد الفلسفي بمزيد من التعمق والشمول).

منذ نصف قرن وهو في بحث دائم عن المغزى المعرفي لملاحم شعراء الكرد الفطاحل أمثال الشاعر الكردي الخالد نالي. ذلك الفطحل الذي هام به مسعود محمد مبكرا بجمالية قصائده، معتبراً قلمه السيّال أفضل

من كتب ودرس بعمق عالم الشاعر نالي مبدياً رأيه حوله وبكل تواضع استطعت بعد هذا التأمل الطويل أن أفهم شيئا يسيرا من عالم نالي المتشعب. فأعداد مجلة المجمع العلمي في بغداد لخير شاهد إثبات لكتابات هذا الناقد الموضوعي في معظم تحليلاته النقدية لآثار و تراث شعرائنا الكبار. وغوصه بتأنٍ بالغ في أعماق الشعراء وانتهاجه منهجا نقديا فريدا في تحليله القصائد العظام. يجد القارئ نفسه في أغلب دراساته النقدية بأنه أمام ناقد حاذق. وقبالة قريحة شاعر فذ وملتزم. وعند مجلس عالم لغوي مقتدر في إبداء ملاحظاته اللغوية السديدة حول منهج قواعد وإشتقاقات اللغة الكردية. بالإضافة الى إمكاناته الفذة في معرفة جواهر اللغة العربية. ومرجعا مهما في قواعد لغة الضاد واعتماده كمصدر للتحكيم عند اختلاف الآراء حول موضوع سلامة اللغة. كتب عنه الأستاذ والصحفي العراقي حميد المطبعي كتابا قيما تناول فيه سيرته بإسهاب، مع صور نادرةً تنشر له لأول مرة عندما كان شابا يافعا، وفي صور أخرى نائبا في البرلمان العراقي في القرن الماضي.

مسعود محمد ذلك الوطني الغيور الذي استطاع أن يمثل بكل إخلاص ضمير الشعب. وفي حقبة تاريخية مهمة عندما انتخب نائبا من قبل أبناء أمته في البرلمان العراقي في منتصف الخمسينيات منصفا فيه المظلوم ومقارعا سلطة الإقطاع طيلة وجوده في البرلمان. ولم يسعَ يوماً للمناصب رغم صداقته الكثيرة مع جهات عليا في المجتمع العراقي آنذاك. جاءه كرسي الوزارة بنفسه موشياً برجاء القبول ومحيلا بينه و بين ذلك المنصب جدار سميك من القيم والمبادئ.مردداً لو دام لغيري..... خاتما مطافه في الوزارة بالإستقالة، محتجّاً على المذابح الدموية التي ارتكبت بحق بني جلدته في فترة الستينيات.

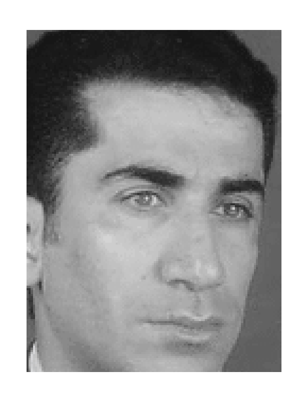
وعندما كان نائبا فعالا في مجلس الخدمة العامة لم يهزه صوت الباطل يوما ولم ينصع أبدا لأوامر العسكر في خرق القانون والدستور. لم يخش على نفسه وعلى وظيفته محتفظا بين محبيه على كبريائه. سائرا في طريق العدل والإنصاف، شامخ الأنف ثابت الرأي في رد أوامر المتحايلين على تطبيق القانون والنظام العام في البلاد.

انه ذلك المتواضع الذي رأيته لأول مرة مع والدي المرحوم في عام ١٩٦٧ في غرفته المتواضعة في بناية مجلس الخدمة العامة، شهماً ووفياً مخلصاً لأصدقائه مقدراً فضل محبيه أينما كانوا.

وفي ذكرى رحيله وإن غاب جسداً فيبقى أبداً في القلب، وخالداً بذاكرة الأجيال كقصيدة حيّة. المثقف الكردي البارز مسعود محمد هذا الذي ودعنا قبل عامين وبكل هدوء في مستشفى مدينة أربيل، مزهوا بشموخ الجبال، وبكرامة فارس لا يعرف كبوة الموانع. حاملا معه هموم قرنه الغابر، متأملا في عيون أبناء جيله الجديد فضاءً أوسع، وتفاؤلا أكبر من فضاء التناحر والكوارث.

رحل عنا عملاق الفكر والأدب، وفي مآقيه دمعة حزن مستديم. تنحدر بكل كبرياء نحو رقاده الأبدي بثرى كويسنجق، حيث مثوى شاعر البلاغة والتندر حاج قادر كويي.، ورمز آل جلي زاده الملا محمد كويي، والعديد من رموز خنادق النضال وطريق الحرية.

محطات ثقافية



من يدير «الدولة الخفية» في تركيا.. ولمصلحة من..؟

هوشنك اوسي

لم تكد تمضي أربعة شهور على اغتيال الكتاب والصحفي التركي، الأرمني الأصل هيرانت دينك، في كانون الثاني الماضي، حتى كشف الإعلام التركي عن ذبح ثلاثة مبشرين، أحدهم ألماني، في مدينة ملاطيا التركية يوم ٢٠٠٧/٤/١٨، على أيدي شبَّان أتراك متطرفين. وفي حديث له لإحدى شبكات التلفزة التركية، وتعليقاً على اغتيال دينك، اعترف رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان وقتها، بوجود «دولة خفيَّة» ضمن الدولة التركية، هي المسؤولة عن عمليات الاغتيال السياسي، وحبك المؤامرات والدسائس السياسية، مشيراً إلى تورُّط بعض مؤسسات الدولة، وخاصةً منها الأمنية، وبعض المافيات السياسية، في تشكيلها، ذاكراً: «إن الدولة الخفيَّة في تركيا قديمة، ومن الصعوبة بمكان مكافحتها». وهذا ما أكَّدته حينئذ، الصور الفوتوغرافيةالتي كشفت عنها قناة «TGRT" التركية، والتي تظهر الجنود الأتراك وهم يلتقطون الصور التذكارية، في احد مراكز البوليس، مع قاتل دينك، وكأنه «بطل»، ما اعتبره الإعلام التركي بأنه «فضيحة». ناهيكم عن أن بعض رموز المؤسسة العسكرية والقومية المتطرفة في تركيا، وصفت قاتل دينك بأنه «شاب جيد».

والحقُّ إن جذور «الدولة الخفيَّة» في تركيا تعود للحقبة العثمانية، واستمرَّ هذا الموروث للجمهورية الحديثة، مروراً بفترة الانقلابات العسكرية، وصولاً ليومنا هذا. وتجمع «الدولة الخفيَّة» تحت سقفها، المؤسسة الأمنية، وبعض مراكز القوى في الأحزاب السياسية اليمينة، معطوفاً عليها بعض المؤسسات الإعلامية والاقتصادية، ذات الميول القومية. وبعد أن فرغت هذه «الدولة» من سحق قوى اليسار التركي المتنامية في منتصف الستينات والسبعينات، ولجم وتدجين بقاياه، اتجهت لسحق الحراك الكردي المتنامي في تركيا بقيادة حزب العمال الكردستاني. وكانت الخطوة الأولى نحو ذلك، هو انقلاب ١٢ أيلول سنة ١٩٨٠. وقد استفادت مراكز إدارة «الدولة الخفيَّة»

من استثمار البعد الديني في مواجهة الحراك الكردي، عبر تأسيس مجموعات وأحزاب مناهضة للنزعات القومية، كـ «حزب الله» التركي، بحجَّة حماية «تركيا الإسلامية» من نزعات الانفصال الكردي. واتهام الحراك الكردي بأنه «ردَّة وإلحاد» يستمد قوته من الأرمن والشيوعية. وكاد المجتمع الكردي في تركيا، يتعرَّض لشرخ عميق، عبر قيام «حزب الله» التركي، الذي كان معظم عناصره من الأكراد، بارتكاب مئات جرائم الاغتيال مطلع التسعينات، والتي طالت النشطاء السياسيين والصحفيين الكرد كالبرلماني الكردي أحمد سنجر والكاتب والصحفي الكردي موسى عنتر سنة ١٩٩٢. وجاءت حادثة «سوسورلك» المرورية، منتصف التسعينات، لتميط اللثام عن أحد أوجه «الدولة الخفية»، حيث كانت السيارة تقلُّ مدير أمن كان على رأس عمله، هو «محمد آغار» (زعيم حزب الطريق القويم اليميني حالياً)، ورجل مافيا هارب من وجه العدالة، هو «عبدالله جاتلي» ورئيس ميليشا قبلية مناهضة للعمال الكردستاني، هو «سادات بوجاق» مع راقصة، وهم مخمورون. فما الذي يجمع هؤلاء في سيارة واحدة؟.

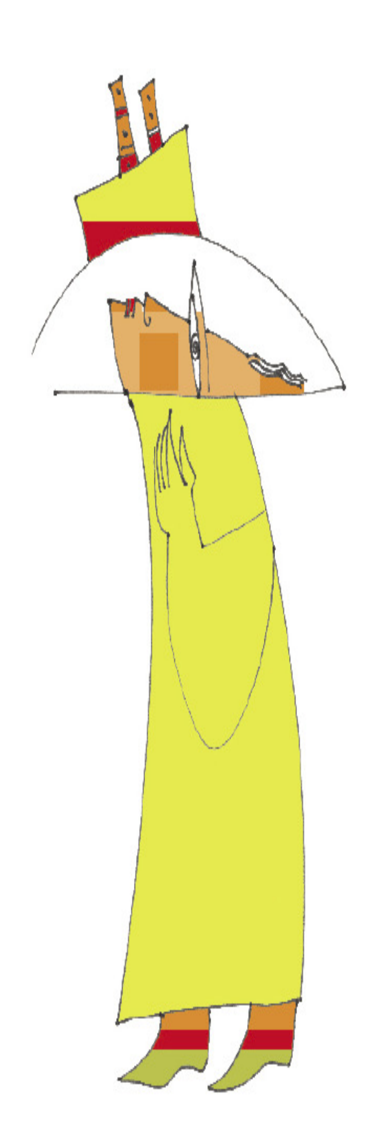
بعض المراقبين للشأن التركي، يعتبرون «موت» الرئيس التركي السابق تورغوت أوزال مدَّبراً، بسبب طلبه من جلال طالباني التوسط بينه وبين أوجلان سنة ١٩٩٣، وتتحمَّل مسؤوليته «الدولة الخفيَّة». كما أن هذه «الدولة» اتجهت لتبديد «الإسلام السياسي» المتعاظم في تركيا. وكانت الخطوة الأولى هي إبعاد زعيمها نجم الدين أربكان عن الحياة السياسية بقرار قضائي، ثم حظر حزبه «حزب الرفاه»، ما دفع هذا الحزب لتغيير اسمه لـ«حزب الفضلية»، فاتجهت «الدولة الخفيَّة» لتمزيقه، وتشكيل حزب العدالة والتنمية، والمتبقي من «الفضيلة» سمَّى نفسه «حزب السعادة» بزعامة رجائي كوتان. وهذان الحزبان يتزاحمان ويتنافسان على استقطاب الشارع الإسلامي التركي، حيث يتهم حزب السعادة زعيم العادلة والتنمية بأنه «مارق، وخاضع للأجندة الأمريكية». كما يتهم أردوغان رفاقه القدامى في حزب السعادة بأنهم «منغلقون ومتزمتون». لكن ما بات في حكم المؤكَّد بأن أردوغان صار في مرمى «الدولة الخفيَّة»، وأنه تحت عباءة العدالة والتنمية وحزب السعادة، بدأت تظهر بوادر مناخ خصب لـ «القاعدة» وبعض الحركات القومية الدينية المتطرفة. وهذا ما كان يحِّذر منه مراراً الزعيم الكردي أوجلان: «بأن تركيا شارفت على المنزلق الشوفيني، بفعل الاتحاديين الجدد»، في إشارة منه لجماعة الاتحاد والترقي التي حكمت تركيا نهاية عهد السلطنة، وارتكبت المجازر الفظيعة بحق العرب في الشام، والأرمن والكرد في تركيا.

ويبدو أن الخطأ الذي وقعت فيه أمريكا، حين دعمت «المجاهدين» في أفغانستان، في موجهة المدِّ الشيوعي، فانقلب السحر على الساحر، نفس الأمر حدث مع المؤسسة العسكرية، حين غذَّت وحمت الإسلام السياسي في مواجهة الحراك اليساري، ثم الكردي، فباتت قوى الإسلام السياسي على وشك أن تبتلع «علمانية» تركيا، هذا، إن لم تكن قد فعلت ذلك. لذا، فالصراع على أشدَّه بين «الدولة الخفيَّة» التي تتحكم بها «مافيات الحرب والسياسة» في تركيا، وبين «الإسلام السياسي»، وما فرَّخ من تيارات راديكالية نامية، تجمع بين القومي الطوراني والديني الإسلامي. وهذا هو أحد أوجه الأزمات الداخلية التي تعصف بتركيا حالياً. وقد ساهم الإعلام التركي في زيادة توتير الأجواء، عبر تصعيد الخطاب القومي والديني، بضخ جرعات كبيرة من الحقن العنصري والشحن الأتاتوركي في الشارع التركي. عبر إثارة مقولات وأفكار، تشير إلى أن «علمانية» تركيا مستهدفة داخلياً، وإن الممانعة الأوروبية لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي ذات منشأ ديني _ مسيحي...الخ، وليس الشروط والمطالب الإصلاحية التي يجب أن تفيها تركيا، ما من شأنه زيادة الكراهية والسلوك العداوني لدى

الأتراك حيال المسيحيين والأوروبيين على حد سواء. وعليه، لا يمكن الفصل بين جريمة اغتيال هرانت دينك والمبشرين الثلاثة، عن هذه الأجواء التي تعيشها تركيا، والتي أقل ما يقال فيها: بأنها نتاج عقلية أو ذهنية الأزمة التي تدير «الدولة الخفيَّة».

وبديهي أن جريمة اغتيال المبشرين سوف تنعكس سلباً على مساعي تركيا في الانضمام للاتحاد الأوروبي، وهذا ما أشارت له صحيفة « لافانغوارديا» الاسبانية في عددها الصادر يوم ٢٠/٤/٢٠٠٧، حيث ذكرت: «يتبنى القوميون أسوأ مخلفات الاعتقاد، وخصوصاً معاداة الأجنبي ونفي الإنسانية عن غير الأتراك... وليست اغتيالات ملاطيا غير حلقة من أعمال ترمي إلى استقطاب المجتمع وتقسيمه وتقويض الحكومة... ويراد من وراء هذه الهجمات عرقلة انضمام تركيا إلى الإطار الأوروبي، وتعطيل انجازه».

على ضوء ما سلف، الأسئلة المطروحة هنا؛ في ظل قائمة المطالب والشروط والإصلاحات الأوروبية الطويلة التي يجب أن تطبِّقها تركيا، كي تنضم للنادي الأوروبي، ومحاولة «الدولة الخفيَّة» المناورة والتحايل عليها، ووسط رفض الديمقراطي المسيحي الحاكم في ألمانيا لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي، والاستعاضة عن ذلك بـ«شراكة مميزة»، وهذا ما صرَّحت به المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل أثناء لقاءها الأخير بأردوغان، ومشاطرة المرشَّح اليميني للرئاسة الفرنسية نيكولا ساركوزيه، المتوَّقع أن يخلف شيراك، لهذا الموقف، ناهيكم عن الحرب الدائرة جنوب شرق تركيا، واحتمالات اجتياح كردستان العراق، في ظل هذه المعطيات: أليس بقاء «الدولة الخفيَّة» هو من مصلحة تجَّار الحرب في تركيا؟ أليس من يجرُّ تركيا للوراء، بحجَّة أنهم حماة العلمانية، والحريصون على وحدة تركيا، هم أنفسهم من يعطِّلون ويعرقلون رحلة تركيا نحو أوروبا؟. أليس انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي، يعني تقويض بل إلغاء «الدولة الخفيَّة؟. وإذا كانت أوروبا صامتة حيال إحراق ٤٠٠٠ قرية كردية جنوب شرق تركيا، واغتيال المئات من المثقفين والنشطاء السياسيين الكرد في السجون والمعتقلات وفي الشوارع، فهل ستصمت عن استهداف الكتَّاب والمبشرين المسيحيين في تركيا؟. مآل القول: إن لم تصل تركيا لحلول ناجعة لمشاكلها الداخلية، فلن تجد نفسها في أوروبا. وتالياً، تركيا سائرة نحو مزيد من الأزمات الخانقة التي قد تفضي لفوضى عارمة، لا تحمد عواقبها.



كوردستانية كركوك وانحائها في مشاهدات بريطاني

د. فرست مرعي

لقد ثار جدل حول أحقية الكرد في مدينة كركوك وأنحائها، ولا أجدني في هذه العجالة بحاجة إلى إيراد الشواهد التاريخية والجغرافية والديموغرافية حول كردية هذه المدينة وأنحائها.. وكنت قد اطلعت قبل أربع سنوات على رحلة لبريطاني موظف في شركة الهند الشرقية وهي الشركة الإنكليزية التي مهدت لبريطانيا احتلال الهند، وفي هذه المرحلة يغادر البريطاني جاكسون الهند عائداً إلى بلاده بريطانيا عن طريق العراق وتركيا فأوربا قبل أكثر من قرنين وتحديداً عام ١٧٩٧م.

هذه الرحلة دونها جاكسون تحت عنوان (مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧م) ترجمة الدكتور خالد فاروق عمر، إصدار الدار العربية للموسوعات في بيروت عام ٢٠٠٠م.

هناك نقطة مهمة لابد من الالتفات إليها عند قراءة كتب الأسفار والرحلات التي يضعها الأجانب عن بلادنا، هذه النقطة هي كثرة الأخطاء الفاضحة التي يقع فيها أولئك الأجانب ليس بالنسبة لأسماء المدن والمواقع التي يمرون فيها فحسب وإنما بالنسبة إلى كثير من الأحداث التاريخية والتقاليد والعادات المرعية.

وهذا الخطأ يعود إلى جهل معظمهم باللغات الشرقية (العربية، الفارسية، الكردية، التركية وغيرها)، أو لتغليب بعض العصبيات الدينية والقومية.

ومع أن مشاهدات هذا الرحالة لم تذكر الكثير من الأحداث البارزة التي مرت بها كوردستان في تلك الفترة ولم يسهب في وصف الأماكن التي اجتازها ووقع في كثير من الأخطاء، ومع ذلك فإن الأسطر القليلة التي دونها عن كوردستان في أواخر القرن الثامن عشر يؤلف حلقة مهمة من حلقات تاريخية قلما أشار إليها المؤرخون أو الباحثون.

ولكن مهما يكن من أمر فإن الموضوعية والحيدة هي طابع هذه الرحلة على أقل تقدير بالنسبة لموضوع بحثنا فالرحالة بريطاني والمترجم عربي

عراقي لذلك لم يكونا منحازين للكرد أو التركمان في أحقيتهم في كركوك وأنحائها.

وإليكم النصوص التي دونها عن أطراف مدينة كركوك وتحديداً مدينة ألتون كوبري وكيف أنه جعلها عاصمة لكردستان التركية.

(واصلنا سيرنا باعتدال حتى الساعة الثانية من يوم الاثنين الرابع والعشرين من تموز (١٧٩٧م) حين وصلنا مدينة كركوك التي تقع في ذات الوادي الذي أتينا على ذكره قبلاً، ولقد استأنفنا الرحلة على خيول جديدة في الساعة الثالثة وشرعنا نصعد سلسلة الجبال القائمة على يميننا، ولقد وجدنا على مقربة من القمة عدة حفر للنفط، وهذه الحفر قد نقبت في الصخور ويبلغ عمق الواحدة منها ثلاثة أقدام والنفط متوفر فيها بشكل سائل كثيف وله رائحة قوية أشبه برائحة القار الذي نستخرجه من الفحم الحجري وقد شاهدنا فوق هذه الصخور عدة صخور ملحية)[١].

ثم يضيف بعد وصوله إلى مدينة ألتون كوبري قائلاً: ((وما أن هبطنا الوادي وقطعنا معظم الطريق عدداً حتى اندفعنا نحو (ألتون كوبري)[٢]، التي وصلناها في الساعة السابعة والنصف، وألتون كوبري هذه مدينة كبيرة آهلة بالسكان، وقد أنشئت فوق جزيرة لفها نهر (ألتون) الذي ينقسم بذاته على مقربة من المدينة ثم يعود فيتحد جنوبها في حين تشمل المدينة مساحة الجزيرة كلها، تقوم هنا في الوقت الحاضر حامية كبيرة من الجنود الأتراك وتحد المدينة من الحصون المنيعة التي يصعب افتتاحها والمدفعية غير معروفة فيها)). بعدها يشير الرحالة إلى أن مدينة ألتون كوبري هي عاصمة كردستان التركية بقوله: ((وتعتبر هذه المدينة في الوقت الحاضر (١٧٩٧ م) عاصمة لكردستان التركية ويقيم الباشا فيها))[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن المترجم كتب في هامش هذه الصفحة ما يلي: ((يقصد المؤلف بكردستان التركية الأجزاء التي استوطنها التركمان من كردستان، وهي المنطقة الممتدة من أربيل إلى ألتون كوبري وكركوك حتى طوز خورماتو في الجنوب، وذلك بفعل العوائل التركية التي جاءت من تركيا وأسكنت في هذه المناطق واستقرت منذ عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م).

والحقيقة أن مدينة كركوك كانت عاصمة أيالة (ولاية) شهرزور، وفي الوقت نفسه هي عاصمة كردستان العثمانية، حيث كان الباحثون والرحالة الغربيون يطلقون على الدولة العثمانية اسم تركيا، ويبدو أن الرحالة قد جانب الصواب ما بين مدينتي ألتون كوبري وكركوك، وعلى أية حال فإن هذا الخطأ البسيط لا يؤثر في موضوع بحثنا وهي انتماء كركوك والمناطق المحيطة بها من ألتون كوبري وداقوق وطوز خورماتو وغيرها من المدن والقصبات إلى كردستان بالوثائق والمستمسكات العثمانية.

(١) مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧م، ترجمة د. خالد فاروق عمر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١١١-١١٢.

(٢) المدينة المشهورة الواقعة في الطريق بين كركوك وأربيل، وألتون كوبري كلمة تركية تعني (قنطرة الذهب)، وهي تقع على نهر الزاب الصغير في الجزء الذي يطلق عليه اسم جدول ألتون، وحالياً يطلق الكرد عليها اسم بردى.

(٣) المرجع نفسه، ص١١٣-١١٤.

فضل الكرد على العرب!!



د. هاتف جنابي

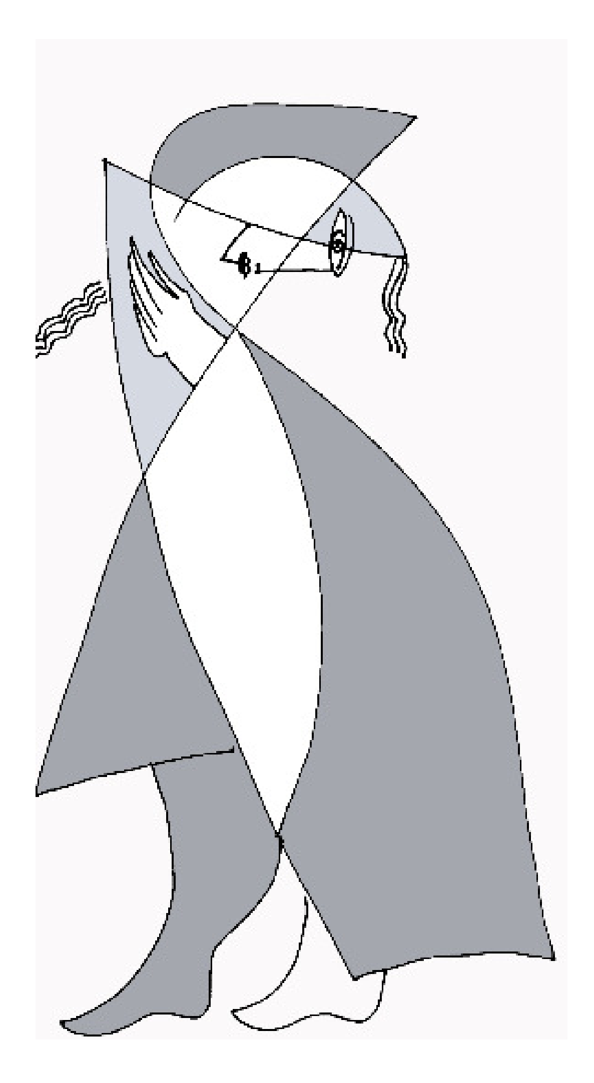
ينتمي الكرد إلى أقدم الجماعات الأثنية الساكنة في منطقة الشرق الأوسط، وفقا لكافة الدراسات التاريخية المنصفة. وعليه فإذا كان العرب، مثلا، من بين أقدم سكان شبه جزيرة العرب وبعد الفتوحات الإسلامية، انتشروا في ما يعرف اليوم بالمنطقة العربية، فلا يعني هذا أن الجديد ينسخ القديم، أو أن القديم سيلغي الجديد. هذا من جهة ومن الجهة الأخرى، فإن الأقوام القاطنة في المنطقة المذكورة، سواء عبّرت عن نفسها من خلال دولة خاصة بها، أو بدونها لأسباب تاريخية وجيو- سياسية(كما هو الحال مع الكرد الذين يشكلون أكبر مجموعة أثنية في المنطقة بدون دولة!) فإنها، أي هذه الشعوب والأقليات تقوم بدورها حسب الظروف المؤاتية لها وضمن نطاق ما تسمح به التعقيدات والتشابكات مختلفة الجذور في المنطقة، وحسب قدرة هذه الفئة أو تلك على تجاوز الموانع. يعني أن تقوم بدورها من خلال التداخل والتثاقف والتنافذ مع سكان المنطقة الآخرين. إن عدم وجود دولة ذات حدود ومؤسسات للكرد لا يعطي إطلاقا الحق للآخرين، مهما كانت طبيعة توجهاتهم، بإلغاء دورهم ومساهمتهم في حضارة المنطقة، ولا حتى في التشكيك في هذا الأمر. صحيح أن للكرد حلمهم الخاص في أن تكون لهم دولة، وأتساءل بدوري: هل أننا بعيدون أو مجردون من مثل هذا الحلم بدولة عريضة من المحيط للخليج، ولو على حساب مصالح الآخرين؟ والسؤال الآخر ألا يحق للكرد مثلا وليس حصرا، أن يقرروا مصيرهم ذات يوم؟ ثم أين كان الآخرون من العرب العاربة والمستعربة، إبان حكم النظام الصدامي البائد من مأساة الشعب العراقي؟ ألم تكن المناطق الكردية حليفة ومعقلا للمعارضة العراقية(سواء اتفقنا معها أو لم نتفق) في ظل صمت عربي ودولي مطبق في عهد الطاغية الذي استند أساسا على فكر عفلقي مستورد؟ ولم هذا التخوف والتطاير من مساهمة الكرد أبناء العراق وسكانه الأصليين في السلطة؟ أليسوا (هم كقومية ثانية) شركاء في الوطن العراقي؟

شخصيا لا أعتقد بأن القيادة الكردية الحالية(رغم عدم قناعتي النهائية بهذه الممارسة أو تلك) تفتقر إلى بعد النظر، بحيث تسعى للإنفصال في ظل الظروف المحلية والإقليمية الراهنة، كما وأعتقد جازما بأنه سيكون أفضل للأكراد، فيما لو أرادوا ذات يوم، تقرير مصيرهم وحدهم، بأن يقوموا بذلك والبلد في حالة تماسك، لا تفكك. لأن عدم تماسك العراق غير الكردي سيؤدي في النهاية إلى عرقلة تحقيق الحلم الكردي ذاته مستقبلا، وربما إلى إجهاضه! على أن ما أردت أن أقوله له علاقة بموضوع آخر، بعيد عن السياسة وأحابيلها، وضيق الأفق القومي والمذهبي.

نعود الآن إلى صلب الموضوع الذي قد يثير حفيظة المتطرفين وغلاة الفكر القومي (القومجي) والمتطفلين والباحثين عن نظرية المؤامرة. فنقول: إن نظرية المؤامرة، موجودة في التاريخ، والكرد من أوائل من وقع فريسة فضحية لها. حيث انتهكت أعراضهم وحقوقهم واستبيحت مناطق سكناهم، مرة باسم القومية العربية وأخرى باسم مصالح الأمة التركية، وثالثة باسم الأمة الفارسية وفيما بعد الأمة الإسلامية، وفي حقل آخر، باسم الحفاظ على مصالح المستعمرين كما حصل في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. على أنني هنا لست في معرض الدفاع عن الكرد، ولا مصلحة لي في ذلك سوى التذكير بالمنسي أو ما يجري تناسيه. فالكرد سبق أن تعلموا كيفية الدفاع عن حقوقهم عبر كفاحهم المسلح وصبرهم التاريخي اللامحدود حتى تمرسوا في ذلك، وأعتقد أنهم قادرون أيضا على تعلم الكفاح السياسي بكفاءة عالية. وأزعم أن غالبيتنا نتذكر جيدا حديث الرسول الكريم: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى». والأعجمي هو غير العربي، وأنا أفهم التقوى على أنها لا تعني فقط الإيمان الحقيقي بالله، وإنما أيضا المساهمة في البنية الحضارية والثقافية للمنطقة والإنسانية عموما، فماذا قدمنا نحن الأكثرية، يا ترى، للعالم في العصر الحديث؟

من هذا المنطلق، أود، في هذا المقام، التنويه وباختصار إلى دور ومساهمة الكرد في تاريخ المنطقة الثقافي، رغم تشتتهم هنا وهناك. إذا تركنا جانبا دور صلاح الدين الأيوبي محرر بيت المقدس من أيدي الصليبيين(وهو كردي بلا منازع)، وأستميح العروبيين عذرا، قبل الكرد، لأنني لا أحب الوجه الآخر لصلاح الدين، المتمثل بديكتاتوريته وقسوته المفرطة، رغم كل ما قيل عنه من إيجابيات. فلماذا يتذكرونه بطلا إيجابيا ويتحدثون عن أبناء جلدته بسلبية؟ وإذا كان علينا أن نعود القهقرى فلربما تذكر البعض منا التابعي ميمون الكردي، وعلى الأرجح أن (جابان أبي ميمون) كان صحابيا. وقائمة القادة الكرد، سواء في جيوش المسلمين أو في صفوف السياسيين ورجالات الدين، طويلة.، وتكفي مراجعة الوجود الكردي في الجيش العراقي، والاشارة إلى نوري باشا السعيد رئيس وزراء العراق في العهد الملكي، ووزير الداخلية فيما بعد، سعيد قزاز، والمعروف أن أم عبد الكريم قاسم كردية. ولم أسمع، في يوم من الأيام، بانقلاب قام به الأكراد ضد إخوتهم العرب من قبل.

على أن ما يعنينا هنا هو دور الكرد الثقافي والعلمي في تاريخ العرب والمسلمين. إن أسماء مثل المؤرخ القاضي ابن خلكان، والآمدي، وابن كثير، وأبي الفداء، وزرياب الموسيقي الشهير، وفضولي، والشيخ أبي البهاء خالد الشهرزوري البغدادي المعروف بـ«مولانا خالد ذي الجناحين» — شيخ الطريقة النقشبندية، والشاعر جميل صدقي الزهاوي، والعلامة محمد كرد علي، والشاعر بلند الحيدري، والشاعر عبد القادر رشيد الناصري، والفنان خليل شوقي، والمخرج المصري علي بدر خان (الذي اعترف نفسه بأصله الكردي) وعازف العود نصير شمه، والشاعر والروائي سليم بركات، والروائي يشار كمال، والشاعر المتميز جلال ملكشا الذي يكتب بالفارسية والكردية، وملا خليل السيرتي صاحب المائة مؤلف (بالكردية والعربية)، وأسماء أخرى كثيرة. كما وأرجو مراجعة أصول شخصيات



كبيرة أخرى، من قبيل أحمد شوقي (المعروف بأمير الشعراء)، والعقاد، و حتى سعاد حسني!! وهذا غيض من فيض.

فالكرد وبقية الأقليات هم جزء من سكنة ومواطني وبناة الشرق الأوسط، ولا منة لأحد منا عليهم بذلك، مثلما ليست لهم منة علينا، لأننا نعيش معهم في المنطقة. أما النعيق والزعيق والتململ هنا وهناك، ونكران حق الآخرين بالعيش الكريم والمساهمة الفعالة في صنع مصير المنطقة، وتشويه الحقائق وتأليب الرأي العام من مخاطر الكرد وسواهم من الأقليات أثنيا ودينيا، فلا أعتقد أنها تخدم المنطقة، والعرب على الخصوص. الشوفينية وضيق الأفق القومي نجده لدى الجميع وبنسب متفاوتة. المخاطر الحقيقية التي تعاني منها منطقة الشرق الأوسط تتمثل، قبل كل شيء، بضيق الأفق القومي، والمذهبي، والتطرف الديني ممثلا بالتيارات السلفية المنغلقة وذات الطابع التكفيري. الخطر يكمن أيضا في ضيق حيز احترام الآخر. مشكلة المنطقة أيضا هو في تخلفها وتحجرها الفكري والثقافي، وغياب دور مؤسسات المجتمع المدني، إضافة إلى تهميش دور الخبرات والكفاءات وغياب القانون واستشراء الفساد الإداري، وانعدام الخطط العصرية الناجعة لتحديث المنطقة. الخطر إذن لا يأتي من الكرد والأقليات الأخرى التي تعيش بهذه الطريقة أو تلك منذ مئات، بل حتى آلاف السنين.

تركيا امام مشاكلها والتغيرات الحاصلة في العالم



معتصم سالەیی

الدولة التركية الراهنة تمر بمراحل عصيبة لا تحسد عليها. بل ان مشاكلها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تزداد سوءاً يوما أثر يوم. يقع الوزر الاكبر من مشاكلهم على عاتقهم، لأن افاقهم الفكرية والسياسية بشكل عام من الضيق بحيث لا تستوعب ماهية المتغيرات الحاصلة في العالم وفي المنطقة بالذات. وانهم منهمكون دوما في السعي الحثيث وراء ضم دولتهم الى الاتحاد الاوروبي والدخول في السوق الاوروبية المشتركة، عند النظر ملياً الى هذا الجانب نستشف بأن الابواب ليست مفتوحة امامهم بتلك السهولة. بل ان توقعات بعض الساسة الاوروبيين الكبار تفيد بأن امامهم مدة تتراوح ما بين عشر الى خمس عشرة سنة لتحقيق ذلك الهدف.

خلال سنوات الحرب الباردة بين الكتلة الرأسمالية الغربية والكتلة الاشتراكية السوفيتية، كانت الدولة التركية تتمتع بموقع استراتيجي هام من اجل تحقيق التوازنات السياسية في المنطقة. ومن اجل ابقاء تلك التوازنات قامت الولايات المتحدة الامريكية بالتضحية بالقضية الكوردية في منتصف سبعينيات القرن الماضي.. لكن بعد انهيار الاتحاد السوفيتي تغيرت المعادلة السياسية ولم تعد الدولة التركية بذلك الثقل الهام والمتميز الذي كانت تتمتع به طوال فترة الحرب الباردة.. والآن بعد التغيرات الحاصلة في العالم، تتطلب اجراء التغييرات في وجهات النظر القديمة البالية من اجل مواكبة العصر، لكن المؤشرات تدل على ان الكثيرين من الساسة الترك ينظرون الى العالم النظرة القديمة نفسها والتي اكل الدهر عليها وشرب. وبالاخص الى القضية الكوردية. في حين من الناحية العددية يتجاوز عدد سكان الكورد في تلك الدولة اكثر من خمسة عشر مليوناً. احد الشروط الاساسية التي وضعتها الدول الاوروبية امام تركيا من اجل انضمامها الى الاتحاد الاوروبي، يتمثل في تحسين ملفات حقوق الانسان وبالاخص اعطاء الحقوق الثقافية والاجتماعية والسياسية للشعب الكوردي الذي يعاني من الاضطهاد

القومي في بلد كتركيا المتاخمة لأوروبا والتي تدعي العلمانية.. عندما قامت الشرطة التركية بضرب النساء لدى مطالبتهن بحقوق المرأة، تلك الحادثة اضرت بسمعة تلك الدولة في جميع المحافل الدولية. تشهد تركيا الحالية انتهاكاً في مجال حقوق الانسان والاضطهاد الأثني للعديد من القوميات كالكورد والارمن والعرب وغيرهم. الشيء المثير للاستغراب هو اننا نعيش في القرن الحادي والعشرين، بالرغم من كل ذلك نجد في بلد يضم العديد من القوميات ينص دستورهم على ان الجمهورية التركية تتكون من الشعب التركي فقط..! فحقاً هذا المسلك المشين والمغاير لجميع المعايير يشكل نكتة مضحكة ومأساوية في الوقت نفسه. وتضاهي في خوائها وتفاهتها مهزلة الانتخابات التي اجريت في عهد صدام المقبور، والذي حصل بموجبها الدكتاتور على مئة في المئة من اصوات الناخبين في العراق..!.

المستشار النمساوي «فولكانك شوسيل» اشار الى العراقيل التي تعترض طريق تركيا للانظمام الى الاتحاد الاوروبي. في مقدمتها تأتي الكثافة السكانية لتركيا. وفي المرتبة الثانية حسب وجهة نظر «سوشيل» هي ضعف القدرة الشرائية للفرد التركي والتي تعادل خمس القدرة الشرائية للفرد الاوروبي ونصف القدرة الشرائية للفرد الواحد في تلك الدول العشر التي نالت العضوية في الفترة الاخيرة.. ويأتي في المرتبة الثالثة العدد الهائل للفلاحين والمزارعين في تركيا والذي يعادل ثلاثة اضعاف اعداد المزارعين في الدول الاوروبية.

نسبة «٦٥٪» من السكان الفرنسيين يعارضون انضمام تركيا الى الاتحاد الاوروبي. ذات مرة تساءل سياسي فرنسي قائلاً بأنه عند انضمام تركيا يا ترى الا نكون نحن ايضاً في تلك الحالة من مستعمري كوردستان تركيا..!؟ يأتي النمساويون بعد الفرنسيين في معارضتهم لمساعي انقرة في ذلك المضمار. النمساويون يتذكرون بمرارة عندما وقفوا قبل «٣٢٤» عام امام الجيوش الغازية للعثمانيين. واستطاعوا ببسالة من انقاذ اوروبا من السقوط وذلك على مشارف مدينة «فينا».

المعترضون في اوروبا يحثون النواب في برلماناتهم على اثارة ملف حقوق الانسان في تركيا. وبالاخص مواقف تركيا بحق الكورد والارمن. كل تلك الانتهاكات التي ترتكب بحق السكان تدفع بأعداد هائلة من المواطنين الى اللجوء اللاشرعي نحو الدول الاوروبية.. بعض السياسيين والمحللين يرون ان الهوية الاسلامية لتركيا وامتداداتها الاثنية في بعض الدول المجاورة كتركمانستان وقيرغيزيا وآذربيجان وغيرها تحول دون انضمام تركيا الى المجموعة الاوروبية، لكن الاعلام الاوروبي يتصدى لذلك التوجه ويرفض ان يكون الدافع الديني يفعل فعلته في هذا المجال، لغرض بطلان هذا الادعاء يستشهدون بـ«بوسنة»و «هرسك» واللتين بالرغم من كونهما تحملان الهوية الاسلامية لكنهما تتمتعان بالعضوية في الاتحاد الاوروبي. اضف الى ذلك ان الدول الاوروبية تضم بين جنباتها اكثر من اثني عشر مليون مسلم..

الحجج والاعذار التي يستند اليها المعترضون الاوروبيون لدعم وجهات نظرهم كثيرة. وتتركز في عدة نقاط اساسية اولها تفيد بأن نسبة خمسة اسداس من الاراضي التركية فقط تتمركز ضمن القارة الاوروبية. وتستوطن نسبة «٨٪» من سكان تركيا في تلك البقعة من القارة الاوروبية. ومن جانب آخر تتاخم الحدود التركية حدود دولتين اوروبيتين فقط وهما اليونان والمجر. والبقية الباقية من حدودها تقع على حدود الدول الآسيوية كايران وارمينيا وسوريا والعراق..

اما بخصوص الناحية العددية والكثافة السكانية فان عدد سكان تركيا يبلغ «٧٣» مليون نسمة. وتفوق من الناحية العددية السكانية الكثير من الدول الاوروبية ماعدا المانيا. ويفترض ان يتصاعد هذا الخط البياني ليصل عدد سكان تركيا بعد عشرين

عاما الاتية الى «٨٩» مليون نسمة. في الوقت الذي يبلغ العدد الاجمالي لسكان المانيا «٨٢» مليوناً وفرنسا «٦٤» مليوناً وبريطانيا «٦٣» مليوناً.

انهيار الكتلة الشرقية الاشتراكية شكل كارثة حقيقية للساسة الحاكمة المتزمتة في تركيا. لأنه بعد تلاشي الخطر الشيوعي فقدت تركيا موقعها الاستراتيجي في المنطقة. الطامة الكبرى حدثت بعد رفض تركيا المشاركة في عملية تحرير العراق وعدم فسح المجال من خلال اراضيها للقوات المتعددة الجنسيات. تلك المواقف زعزعت موقع تركيا في نظر الولايات المتحدة الامريكية وولدت نوعا من الفتور في العلاقات بين البلدين. واصابت العلاقة التركية الامريكية ضربة اخرى في الحادثة التي وقعت في شهر يونيو لسنة «٢٠٠٣» في مدينة السليمانية، عندما وضعت القوات الامريكية الاكياس في رؤوس الجنود والضباط الترك، بعد افتضاح امرهم في محاولة القيام بالتآمر على الشعب الكوردي وخاصة في مدينة كركوك.

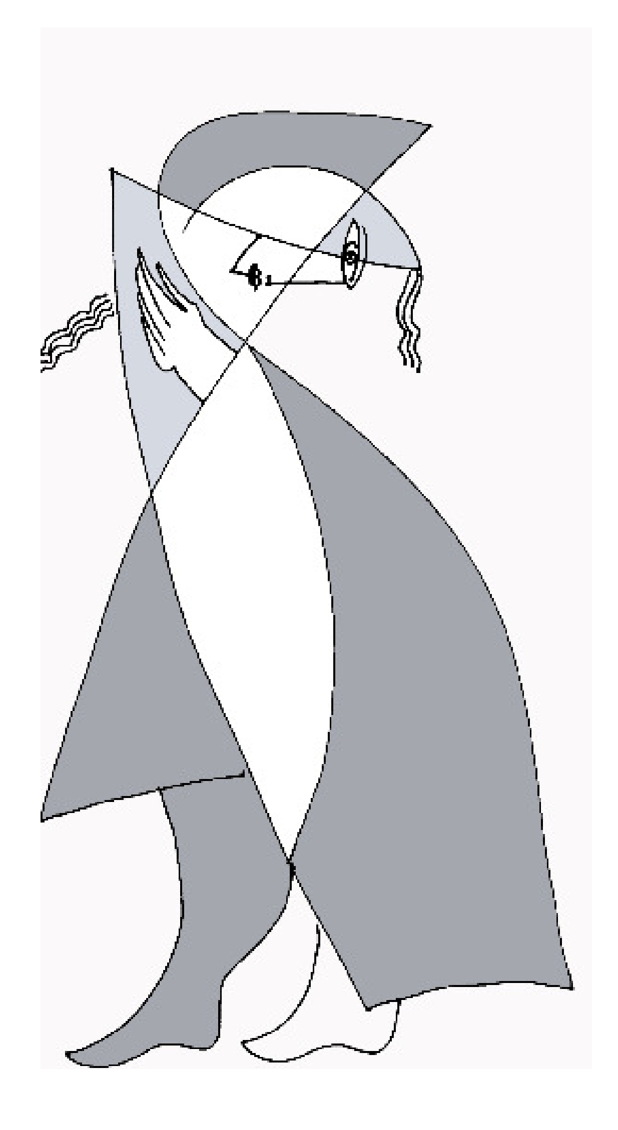
فيما مضى اوهمت بعض الجهات، الساسة الترك في كثير من الامور الجارية في العراق. وخاصة رسمت صورة مشوهة لواقع الحال العراقي وادعت لهم بأن عدد التركمان في العراق يبلغ اربعة ملايين نسمة.. والخريطة الموهومة لتركمانستان العراق تشمل كلا من مدن دهوك والموصل واربيل وكركوك وتكريت وديالى.. والساسة الترك بدورهم رحبوا بهذه الخريطة المزعومة وقالوا في سريرتهم ربما يكون النفط الغزير في كوردستان العراق خير معين لهم، وبالتالي ينقذهم من ازمتهم الاقتصادية الخانقة.. على هدى المثل القائل بأن الغريق يتشبث بالقشة.. لكن الانتخابات الاخيرة التي اجريت في العراق كشفت زيف الادعاءات الباطلة لتلك الجهات المعادية للشعب الكوردي..

ليومنا الراهن نجد الولايات المتحدة الامريكية غير متحمسة لضرب قواعد الحزب العمالي الكوردستاني داخل الاراضي العراقية. وتتلقى الدعوات التركية في هذا المجال بفتور. الحقيقة الشاخصة للعيان تظهر بأن امريكا ليست مندفعة لمحاربة القوى اليسارية وخاصة الحزب العمالي الكوردستاني. ففي هذه الايام نجد الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية منغمسة في حرب طويلة الامد ضد الارهابيين والقوى الاسلامية المتطرفة، لأنهم يشكلون الخطر الحقيقي على مصالح امريكا والغرب. لهذا تبدو ان السياسة الامريكية لا تجد في الاحزاب اليسارية خطراً محتملاً في الوقت الراهن وفي المستقبل. وان وضع اسم «الحزب العمال الكوردستاني» في خانة الارهابيين من قبل الولايات المتحدة الامريكية يأتي بالدرجة الاولى ارضاء لرغبات انقرة. نحن هنا لسنا بصدد الدفاع عن سياسات الحزب العمالي الكوردستاني، لأن في بعض من جوانبها لا تتماشى مع روح العصر. بالرغم من كل ذلك تدرك الولايات المتحدة الامريكية ان من مصلحتها ان تكون لحزب يساري الغلبة واليد الطولى في كوردستان تركيا التي يقطن فيها اكثر من خمسة عشر مليون نسمة. وهذا الواقع يخدم سياسات وستراتيجية الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية بشكل افضل مما لو كانت لأحد الاحزاب الاسلامية المتطرفة الغلبة والنفوذ في تلك المنطقة الحساسة والتي تحاذي حدود الجمهورية الايرانية الاسلامية.. كما هو معلوم لدى الجميع بأن الحزب العمالي الكوردستاني لا يقوم بذبح الابرياء وقتل الاطفال سواء داخل تركيا او خارجها، كما تفعل الحركات الارهابية الاخرى في العراق وفي بعض الدول العربية والاسلامية والدول الغربية وغيرها من الدول. لكن بعض السياسات الخاطئة المتبعة لدى «پ. ك. ك» تبعدهم عن التعاطف الدولي. على سبيل المثال عند قيامهم بتنظيم مسيرة حاشدة وبآلاف الاشخاص في احدى الدول الغربية يستطيعون من استقطاب اهتمام الصحافة والاعلام العالمي نحوهم، لكن عند رفعهم الرايات الحمراء المرصعة بالنجم الماركسي، فانهم في تلك اللحظات يفقدون مصداقيتهم لدى الاوروبيين، لأن الانسان الاوروبي بطبعه يضطرب لدى مشاهدته

الراية الحمراء، وحال الاوروبي يشبه حال الثور الذي يهيج ويثور بمجرد مشاهدته للّون الاحمر..!

تركيا الحالية يمتلكها هاجسان كبيران. اولهما السعي المتواصل لنيل العضوية في الاتحاد الاوروبي ومن ثم الدخول في السوق الاوروبية المشتركة من اجل التغلب على مشاكلها الاقتصادية الخانقة. كما هو معلوم فان الوصول الى هذا الهدف ليس بالأمر الهين، وتبدو الابواب موصدة بوجهها لعدة سنوات قادمة.. الهاجس الثاني الذي يشغل جل اهتمام ساسة تلك الدولة المتقوقعة على نفسها، هو القضاء على كل ما يمت بصلة الى الكورد وكوردستان.. وصل الامر بالسياسي المخضرم «بولند اجاويد» ان يصرح ذات مرة، بأن على الدولة التركية القضاء على اية دولة كوردية محتملة حتى لو شكلت على سطح القمر.! فمن سخرية القدر ان يعترف هذا السياسي العجوز قبل مماته بأنه ينتمي الى القومية الكوردية..! على هذه الشاكلة نجد الكثير من الرموز في مدينة كركوك من الذين ينتمون اباً عن جد الى القومية الكوردية، لكنهم تنصلوا لقوميتهم الاصلية وغيروا من قوميتهم.. فما دمنا نعترف بالديمقراطية فلا ضير ولا مانع ان يغير بعض قوميتهم وينتموا بمحض ارادتهم الى اية قومية اخرى. لكن الذي يحز في قلوبنا هو ان يتحول ذلك النفر الى اعداء الداء لبني جلدتهم ويرفسوا بأقدامهم قبور اجدادهم المتواجدة في القرى الكوردية المجاورة لمدينة كركوك.! وفي الوقت نفسه يضعوا جميع امكانياتهم لخدمة دولة مجاورة التي تعادي جميع الحقوق المشروعة للشعب الكوردي وتكره كلمة الكورد وكوردستان ككره الشيطان للنور..! لكن الشيء المفرح الذي يثلج قلوبنا هو أن اية قوة غاشمة في العالم ليس بامكانها القضاء على اماني الشعب الكوردي. ومن جانب آخر نجد ان دائرة الاخوة العربية الكوردية التركمانية وبقية القوميات المتآخية في اتساع مطرد يوماً اثر يوم. والمستقبل كفيل بالقضاء المبرم على جميع الاصوات العنصرية التي لا تؤمن بحقوق بقية القوميات والتي ترفض مبدأ قبول الآخر..

يقول الصحفي الامريكي المشهور «جوناثان راندل» في كتابه الشهير، انه بحلول سنة «٢٠٥٠» الميلادية يفوق عدد الكورد القاطنين في تركيا عدد الاتراك..!.



الكرد بين الاقلام المظلمة والمنيرة

كتابة واعداد: عبدالخالد صابر

نظرا لطبيعة الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للشعب الكوردي وموقعه في منطقة الشرق الاوسط، كانت ساحة للاحداث الساخنة منذ عهد (هولاكو) وحتى يومنا الحاضر. وعلى رغم من الكوارث والويلات والخراب التي مرت بالشعب الكوردي، خلقت له الكثير من المتاعب على امتداد العصور السابقة وحتى تقسيم كوردستان في اتفاقية (سايكس-بيكو) عام ١٩١٦ الى اربعة اجزاء وعلى اربع دول هي (تركيا وايران وسوريا والعراق) لكن الكورد سطروا تأريخا نضاليا مشرفا في جميع مراحل التأريخ وعانوا من جميع الانظمة الاستبدادية لهذه الدول، لهذا كتب بعض من المؤرخين والرحالة والساسة وغيرهم عن الكورد وبلاده بتعابير مختلفة، بعضهم قد كتب بالحقيقة واستحكم الضمير وبعضهم من باع الضمير وشوه الحقائق الناصعة لهذا الشعب المثخن بالجراح.

ولنستعرض في هذه المقالة، بعض تلك الآراء والاقاويل، يقول المؤرخ العربي (المسعودي) في كتابه (مروج الذهب): واما اجناس الاكراد، فقد تنازع الناس في بدئهم، فمنهم من رأى انهم من (ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان)، انفردوا في قديم الزمان وانضافوا الى الجبال والاودية، دعتهم الى ذلك الانفة، وجاوروا من هنالك من الامم ساكنة المدن والعمائر من الاعاجم والفرس، فحالوا عن لسانهم وصارت لغتهم اعجمية ولكل الاكراد لغة خاصة بهم، ومن الناس من رأى انهم من (مضر بن نزار) وانهم اولاد كرد بن مرد بن صعصة بن هوزان، وانهم انفردوا في قديم الزمان لوقائع ودماء، كانت بينهم وبين غسان ومنهم من رأى انهم من (ربيعة ومضر)، وقد اعتصموا في الجبال طلبا للمياه والمراعي فحالوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الامم[1].

يقول الدكتور (شاكر خصباك) وهو مؤرخ عربي في كتابه (الكرد والمسألة الكردية): مايزال هناك نقاش حول اصل الكرد، وان كان اغلب الباحثين متفقين

على انهم ينتمون الى المجموعة الآرية "Indo-Eoropean" واختلف الكتاب ايضا في اصل لكمه-كردي، وهناك نظريتان راسختان في تفسيرها، الاولى ترجع الكلمة الى گوتو Gutu والثانية ترجعها الى كيرتي Kyrti او سيرتي Cyrti.

وتربط النظرية الاولى الاكراد بشعب گوتو، وهم الاقوام الذين عاشوا في مملكة گوتيام الواقعة على الضفة اليسرى من نهر دجلة بين نهر الزاب الصغير ونهر ديالى، ويعتقد الدكتور (سافراستيان) وكتاب آخرون، ان تلك الكلمة قد تطورت الى شكلها الحالي بانصهار حرف (r) بعد حرف u اي Gurti اصبحت Guti، وان مثل هذه الانصهار هي قاعدة لغوية تنطبق بصورة عامة على اغلب اللغات الهندية الآرية وخاصة اللغات الشرقية منها، كاللغة الكردية والارمنية والسنسكريتية واليونانية.

اما النظرية الاخرى فتربط الكرد بالكرتيين وهو قوم كانوا يعيشون في غربي بحيرة (فان-وان) و يعتقد (نولدكه) ان الكرتيين كانوا قد تفرقوا بصورة واسعة في بلاد ايران وميديا وبقية المناطق التي يقطنها الاكراد في الوقت الحاضر، ويعتقد (نولوكه) ايضا ان كلمة كيرتي قد تطورت الى كلمة كورتو Qurtu اولا ومن ثم الى كلمة كرت Kurt[٢].

جاء في كتاب (الحكومة الوطنية ومشكلة الشمال): ولقد استقر رأي غالبية الباحثين على ان الكرد مزيجون من قبائل عديدة متنقلة قدمت من ايران وارمينيا كما ان بعضها قدم من الجنوب وشكل اهلها اقرب الى الساميين منهم الى الآريين، ثم ان الكرد مزيجون شديد الاختصاص يتمايز بعضهم على بعض بين قبيلة واخرى ويدعم هذا الرأي الحقيقة الماثلة بين اعيننا اليوم باختلاط العرب والكرد وتزاوجهم بعضهم مع البعض الآخر، كما ان هناك بعض القبائل العربية الاصل التي سكنت المنطقة الشمالية من العراق قد اختلطت بالكرد وامتزجت بهم واستبدلت لغتهم بلغتها[٣].

ويقول المؤرخ (ماجد عبدالرضا) في كتابه (القضية الكردية في العراق): تنتمي اللغة الكردية الى عائلة اللغات الهندواوربية، وهذه الحقيقة تساهم في دحض الزعم الذي ينسب الكرد الى اصل تركي او عربي، حيث ان اية من اللغتين التركية او العربية لاتنتمي الى عائلة اللغات الهندواوربية، وبرغم صلة القرابة بين اللغتين الكردية والفارسية، فانهما لغتان متمايزتان تماما شأن اللغتين الروسية والبلغارية مثلا. والاهم من ذلك انهما لغتان مختلفتان، مع العلم انه قد تكون هناك لغة واحدة مشتركة لامتين مختلفتين او لعدة امم مختلفة[٤]. كتب مصطفى كمال (اتاترك) في برقية بعث بها في الـ (١٥) من حزيران عام ١٩١٩ الى نائب والي (دياربكر): يجب حل كل منظمة تحاول زرع الشقاق في البلاد على الفور، ان اتخاذ مثل هذه الخطوات يمليه الواجب الوطني لذا فانني وافقت موافقة تامة على اجراءاتكم بشأن النادي الكردي[٥].

يقول الاستاذ (فؤاد حمه خورشيد) في كتابه (الكرد، دراسة علمية موجزة): لقد تنكر الاتراك لخدمات الشعب الكردي وتضحياته التي قدمها لهم بسخاء ايام كانوا هم انفسهم يكافحون من اجل حقوقهم وبحاجة الى من يساندهم، فما ان اشتد ساعد الاتراك حتى قلبوا لحلفائهم الكرد ظهر المحن واشتد حقدهم عليهم فاضطهدوهم بدلا من تلبية مطاليبهم التي وعدوهم بها، فكانت ثورة الشيخ سعيد عام ١٩٢٥ وثورة جمعية خويبون عام ١٩٣٠ وثورة الشيخ رضا في درسيم عام ١٩٣٧، لقد اخمدت تلك الثورات الكردية جميعا[٦]. جاء في كتاب (القضية الكردية) للمؤلف محمود الدرة: ان الكرد والعرب قد تزاوجوا واختلط بعضهم بعض على صورة وحدت بينهم في اكثر المواطن التي يتعايش فيها الشعبان، والكرد لايشعرون بان البلاد التي يقطنونها هي بلادهم، الا في الاماكن التي يكثر فيها العنصر العربي، على العكس من الاتراك الذين لاتربطهم بالكرد اية رابطة من التفاهم والتآخي[٧].

ويذكر الاستاذ (عبدالرحمان البزاز) في كتابه (العراق من الاحتلال حتى الاستقلال): ان الواعين من الكرد ككل الكرد الآخرين يشعرون اليوم بقضيتهم يوتحسون على نحو وآخر بمشاعر تلك القومية وخاصة بعد ان نما الشعور القومي في المنطقة كلها فحين يكون من حق العرب والاتراك والايرانيين مثلا وهم جيران الكرد ومواطنهم في اقطارهم الثلاثة هذه ان يشعروا بقوميتهم يتنادوا بشعاراتها ويسعوا لتحقيق اهدافها يكون من الضلال وقلة الانضاف ان ينكر ذلك على الكرد[8].

وذكر الصحافي (غازي العياش) في مقالته التي نشرت في مجلة (الاسبوع العربي) مايلي (في الواقع ان التأريخ القديم والجغرافيا لايشيدان الى وجود دولة اسمها كوردستان لها كيانها الخاص وحدودها المتميزة من شمال العراق بالويته الاربع –كركوك والموصل واربيل والسليمانية- لم يكن في يوم من الايام موئل الكرد فحسب سكنته قبائل عربية عريقة في عروبتها كالشمر والعبيد والجبور الصالح.. الخ، هذا بالاضافة الى عناصر قومية وطوائف اخرى كالايزيدية والتلكيف والآشوريين والارمن والتركمان.. وجدير بالذكر ان مجموع سكان هذه الالوية الاربع يزيد على مليون ونصف المليون نسمة بينهم نصف مليون كردي، يعارض ٦٥٪ بالمئة منهم الانفصال[9]. وللرد على المقالة السابقة، يقول الاستاذ (هلال ناجي المحامي) في بحثه المسمى (نحن والمسألة الكردية): ان القومية الكردية حقيقة واقعة، وان لكرد العراق مقوماتهم القومية الواضحة، وانه من صالح القومية العربية ان تعترف للكرد بحقهم في تقرير مصيرهم ضمن اتحاد فدرالي او كونفدرالي مثلا، فيكون هذا بداية تعاون واخاء مستديم بدل ان يكون تجاهلنا للواقع والتأريخ واماني الشعوب سببا، لان ينال هذا الشعب حريته بقوة السلاح فان لم يفلح كان خنجر خيانة في ظهر كل الحركات القومية العربية التحررية في العراق[10].

الهوامش والمصادر:

١-المسعودي، (مروج الذهب) الجزء الثاني، ص ١٣٢، ١٩٨٢ القاهرة.

٢-د. شاكر خصباك، الكرد والمسألة الكردية، من منشورات الثقافة الجديدة، ص ٣، ٤، ١٩٥٩، بغداد.

٣-الحكومة الوطنية ومشكلة الشمال، من منشورات دار الجمهورية للطباعة والنشر، ١٩٦٥ بغداد، بدون اسم مؤلف، لكن ومن الارجح ان مؤلف الكتاب هو (ماهر كنعاني).

٤-ماجد عبدالرضا، القضية الكردية في العراق، شباط ١٩٧٥ بغداد.

٥-ورد هذا القول في كتاب (القضايا القومية في تركيا) للمؤلف م. از حسريتان، ص ١٢.

٦-فؤاد حمه خورشيد، الاكراد، دراسة علمية موجزة، ١٩٧١ بغداد ص ٧٣.

٧-محمود الدرة، القضية الكردية، الطبعة الثانية، ١٩٦٦ بيروت، ص ٢٣.

٨-عبدالرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ١٩٦٧ بغداد، ص ٢٨٥، ٢٨٦. كان المؤلف ذلك الوقت وزيرا للداخلية.

٩-مجلة (الاسبوع العربي) العدد ٣٠٩ السنة السادسة ١٠ آيار سنة ١٩٦٥، بيروت.

١٠-هذا الرأي للاستاذ (هلال ناجي المحامي) مأخوذ من كتاب (القومية الكردية وتراثها التأريخي) بقلم هادي رشيد الجاوشلي، المطبوع في ٣-٩-١٩٦٧ بغداد.

في الاسطورة ومعانيها



مهدي مجيد- حلبجة

حاول الانسان منذ ان امتلك القدره على الوعي والأدراك ان يفسر من حوله حوادث و وقائع (كالبراكين،الفيضانات، الزلازل، الحياة والموت، الخير والشر)،ويستشف أجوبة لأسئلة كثيرة كانت تلاحقه وتعترضه بين فينة و اخرى، ومن جراء تفكيره وتحليله لأسباب ودوافع هذه الظواهر، نشأت لديه عدة انواع من التفكير من بينها (التفكير الأسطوري).

والتفكير الأسطوري هو أبسط انماط التفكير التي لجأ اليها الانسان في التعامل مع العالم الذي يعيش فيه، و يتمثل في محاولات الانسان من اجل فهم العالم، ممزوجة بالتجربة والتفسيرات الخيالية القائمة على (السرد الاسطوري).

ويتميز التفكير الأسطوري بانه يعزو الاحداث والظواهر الى قوى غيبية خفية، كالأرواح، الأشباح، الشياطين، القوى غير المرئية الكامنة وراء الظواهر الطبيعية، أو الالهة التي تتحكم بحدوثها وتتحكم حتى في مصائر البشر.

مفهوم الأسطورة

الأسطورة حسب ما جاء في المعاجم والقواميس:- أحادبث لا نظام لها، وهي الترهات والاباطيل ايضا، وجمع الاسطورة اساطير. والعلم الذي يبحث في الاسطورة يسمى (ميثولوجيا).

والأسطورة (كمصطلح)، كما يقول احد علماء الأثار: (قصة او حكاية رمزية بسيطة و مؤثرة، تلخص عودا لا ينتهي من المواقف المشابهة قليلا او كثيرا، وتترجم الأسطورة قواعد السلوك عند جماعة اجتماعية معينة او دينية بعينها، وتنتمي بالتالي الى العنصر المقدس الذي تكونت حوله هذه الجماعة، والاسطورة لا مؤلف لها، ويتعين ان يكون اصلها غامضا، والمعنى ايضا ان يكون غامضا الى حد ما).

والأسطورة غير معينة بأمة وشعبا معين، فمعظم شعوب العالم لها اساطير خاصتها، وتعد من اهم ركائز ثقافتها وتراثها.

ويوجد قاسم مشترك بين معظم أساطير الشعوب

والامم المختلفة كما يتضح لاحقا، ويكمن هذا القاسم في تمحور الأساطير حول ذكر (الالهة المتعددة و التحدث عن كيفية خلق الأرض والسماء والبشر، وذكر الخير والشر وتفوق الخير في النهاية. وكذا توجد اساطير اخرى تدور حول الحكمة منطوقة على لسان الحيوانات، واساطير تتناول ذكر الحب و الطرائف، مثل (طرائف جحا)، فضلا عن اساطير شعبية اخرى تتحدث عن ابطال، سواء من الذكر او الأنثى، زرقاء اليمامة مثالا.

اساطير شعوب

نستعرض فيما يلي معنى ومفهوم الأسطورة لدى عدة شعوب عريقة، فضلا عن تأثيراتها المتدده جذورها ضاربة عصرنا الحاضر، بايجاز غير مخل واسهاب غير ممل.

أساطير العراق القديم

المقصود بأساطير العراق القديم أساطير بابل وأشور وسومر وأكد،وكما هو الحال مع أساطير الشرق القديم (حيث ان اساطير العراق القديم تكون جزءا منها)، فان أساطير المذكورة اعلاه تميزت بذكرها لكيفية خلق ونشأة الكون، وذكرها للألهة.

وينقسم العالم حسب مضمون معظم اساطير العراق القديم الى اقسام ثلاثة:

الأول: السماء وكانت مملوكة من قبل أدوم.

الثاني: الأرض والسماء وكانت تحت ملك انليل.

الثالث: المحيطات والبحار وتندرج تحت ملك انكي.

والموت والحياة والشر والخير ايضا تناولتها الاساطير حيث جاء فيها: (بان الميت يحتفظ بشيء من الشعور يستمر ملازما له منذ اللحظة التي يغمض فيها عينيه، وكانوا يتصورون ان روح الميت تتثمل في شبح سموه (أدمو) ينزل مع الميت الى العالم السفلي، ويبقى معه هناك في حال دفن الميت وفق المراسيم الدينية المقررة واذا لم تتوفر هذه الشروط انقلب هذا الشبح روحا خبيثة يخرج من عالم الأموات في الأرض السفلي، ويكون ديدنه الحاق الضرر والأذى بالأحياء ولا سيما بأقارب الميت ولذلك عني الناس عناية شديدة بدفن الميت حسب القواعد الدينية منعا لخروج أدمو من عالم الأرواح).

الهند بلاد الاساطير العجيبة جدا

العقائد الدينية الهندية، أفرزت خلال مدة نشأتها ووصولها القمة ومن ثم اندحارها جزئيا، عدة افكار وولدت معتقدات لدى الشعب الهندي لا تزال جذورها ممتده و طولها باسق، وان لم يكن تأثيرها مثل بادئ أمرها.

وتتمحور معظم الاساطير الهندية حول النصوص المقدسة المتناولة لكيفية بدء الخلق والالوهية ونشأة وتطور العالم فضلا عن السحر والشعوذة.

والمعروف عن الهندوس تقديسهم (للبقر والجواميس) وقد يستغرب البعض من هكذا فعل وفكر، لكن اذا عرف السبب بطل العجب.

ففي أسطورة خلق مانو كما يعتقده الهندوس: (ان براهما وهو الخالق لهذا الكون و اله جميع الالهة الهندية، كان يعيش في فراغ لا متناه ومن جراء هذا احس بالوحدة ولم يكن مسرورا قط، وادرك بحاجته ما يملي عليه وحدته وفراغه، فصنع بأنامله عملاقا ونفخ في جسده، فاذا به ينشق نصفين، نصفا لرجل والنصف الاخر أمراة، وكانا اول زوجين في الكون وتجامع الزوجين وكان اول نسلهم البشر.وبعد فترة من بقائهم مع بعض، أحست المراة بخوف وهاجمتها اسئلة كيفية خروجها من هذا العملاق ولم تكن بعلم عن براهما الذي اخرجها، وعن كيفية خروج البشر منها.

و قررت المرأة ان تبتعد عنه فحولت نفسها الى بقرة واستطاع زوجها ان يحول نفسه الى ثور، وتزواجا مرة اخرى فكان نسلهم هذه المرة الماشية، والكائنات الاخرى وصولا الى النملة).

ومن جراء هذا تولدت لدى الهندوس فكرة ان روح الزوجين موجودتان في كل بقرة وثور في العالم. ولا يفوتنا ان نذكر بان الزوجين كانا ابوين للهندوس.

أسطورة زرداشت الكردية

الكرد كغيرهم من الامم والشعوب العريقة لهم

ثقافتهم وتراثه الخاص به،بدءا بالشعر وانتهاء بالقصة، والاسطورة ايضا كانت لها مكانا خاصا في خضم هذا التراث العريق

وزرداشت وكتابه المقدس افيستا يندرج تحت التراث الكردي، لكن توهم وزعم البعض بان زرداشت كان فارسيا، وهذا ما لاتؤيدها الادلة والشواهد التاريخية الصحيحة والموثوقة والمعتبرة.

والدليل الساطع والواضح كون زرداشت كرديا ان كتابه افيستا كان مدونا باللغة الكردية القديمة.

والزرداشتية بالأصل ديانة مثلها مثل اليهودية والمسيحية. لكن بسبب تحرفيها واضافة اشياء لها وحذف اشياء منها، تحولت بمرور الزمن الى اسطورة.

وفحوى الزرداشتية يكمن في ذكرها للخير والشر وطرائق الوصول اليهما وكيفية اعتناق وتبني الخير فضلا عن كيفية الابتعاد عن الشر.

ويمثل اهرومزدا اله الخير، ويمثل اهريمن اله الشر، وقد تصور الزرداشتيون الاله اهرومزدا بانه منزه عن الشر وعن الموت وعن الولادة وعن النقصان بجميع اشكاله فضلا انه لاتدركه الابصار ويعلم الماضي والحاضر والمستقبل ويعلم خوافي النفوس وتتضح امامه النيات، وهو راعي الفقراء والاغنياء على حد سواء، ولا يمثله خيال البشر. ولتقريب ماهية اهرومزدا من اذهان الناس، جعلت الشمس والنار رمزا له، الشمس في الاعالي تمثل روحه، و النار في الارض تمثل قوته.

اما اهريمن فهو سبب كل الشرور في العالم حيث يقوم بها ومساعدوه.

فيسعون الى افساد الحياة الرغيدة والسعيدة سواء الارضية ام الابدية. وذلك عن طريق اغواء الناس وارشادهم الى طرق الشر.

وفضلا عن اسطورة زرداشت توجد اساطير كردية اخرى، مثل (الملا مجبور)، و (خسرو وشيرين)، و(كاوه الحداد).

حيث تدور احداثها حول الحكمة مجسدة في طرائف الملا مجبور، والحب والعشق والهيام ممثلة في خسرو وشيرين، والوقوف في وجه الظلم والاضطهاد ممثلة في كاوه الحداد.

الاغريق

الالهة تشغل حيزا كبيرا و واسعا من مواضيع الاسطورة الاغريقية، بحيث ان معظم اساطيرها بنيت على ذكر الهة المتعددة وانجازاتها، حيث اله السماء هوزيوس، الهة الزواج هيراز، الهة الحب افروديت، اله الشمس ابولو، اله الحرب اريس، الهة الطبيعة ارتيمس، الهة الحكمة اثينا.

و الالهة عند الاغريق لم تكن من (الذكر) فقط كما في اساطير الامم الاخرى، بل كانت هناك الهة من (الانثى) ايضا.

وتتحدث الاساطير ايضا عن الاعمال البطولية التي قام بها ابطال من الاغريق امثال، اكوس،اجاممنون،وكاستر، بوليديسوس.

ومسألة الخلق ايضا لاقت اهتماما، وهناك عدة روايات واساطير بينت هذه المسألة، ونكتفي بايجاز واحدة منها حيث جاء فيها:- (ان شعوب الاغريق هي اوائل شعوب هذا الكون، وهم منحدرون من (هيلين) الذي هو ابن (ديوكاليون و بيرا) ومن ثم من ابني هيلين، وهما دوراس و ايولاس، وهلم جرا الى ان تكونت سلالات و شعوب وطوائف اخرى).

وامتزاج الهة مع البشر كان شيئا بديهيا بحيث كان هناك بشر نصفهم الهة وهناك الهة نصفهم بشر.

الاساطير المصرية

ظهرت الاساطير المصرية على هيئة ترانيم وشعائر وصلوات، كما ظهرت على شكل افعال، فقد كانت تعرض في مهرجانتهم الكثيرة الاعمال المسرحية ومعارك الالهة، وكذلك ظهرت على شكل رموز ونباتات والاجرام السماوية.

مضمون هذه الاساطير يكمن في تناولها لقضية الخلق وذكر الهة المتعددة والمتشعبة، والفراعنة المباركين من قبل هذه الالهة.

والاهرامات المصرية تعد منبع الاساطير المصرية

ومركــز الالهــة ومقــبرة الفراعنــة، حيــث اعتبرها المصريون مصدر لعنة من جهة ومصدر خير من جهة ثانيــة، وكانــوا يلجؤون اليها اوقــات مرضهم ونزول الشــدائد بهم وفي اوقات الحروب طالبين المدد من الهة الموجودة فيها.

ولغز الاهرامات ما زال حتى عصرنا الحاضر يلفه الغموض وعدم الفهم التام لها، وهي محيرة لمن اراد ان يفك هذا الغز.

ومنارة الاســكندرية، لها اســاطير تتناول كيفية بنائهــا ومن الذي بناها، نروي منها ما جاء في كتاب معجم البلــدان لياقوت الحموي، حيــث قال:- (ان ذا القرنين لما اراد بناء الاســكندرية اخــذ وزنا معروفا مــن حجــارة، و وزنا من آجر، و وزنــا من الحديد، و وزنــا من النحاس، و وزنا مــن الرصاص، و وزنا من قصدير، ووزنا من حجارة الصوان، و وزنا من الذهب، و وزنا من الفضة، وكذلك من جميع الاشجار والمعادن الاخــرى، ونقع جميع ذلك في البحر حولا ثم اخرجه فوجــده قد تغيير كله، باســتثناء الزجــاج. فأمر ان يجعل اســاس المنارة من زجــاج..... وكانت فيها حمة تنفع من البرص ومن جميع الادواء).

الصين

تميزت الاســطورة لدى الصينين بان منبعها كان المذاهب الفلسفية المنتشــرة انذاك،حيث طرأت عليها تغيرات واضيفت اليها اشــياء، وهولت اشــياء اخرى، فمثلا (الداوية او الطائية) كانت مذهبا فلسفيا، اسسه (لاوس الفيلســوف) حيــث كانت له نظرة فلســفية خاصــة الى الحيــاة، لكن مع مــوت لاوس، تحولت الى عقيــدة تدعو الى عبادات التنــين والفئران والحيات وبنــات أوى، وقد أمن الصينيــون بان هناك نوعا من الرماد ومن الحجارة والكتابة لها قوة اكثر من السحر والتنين الحارق، اذا حملها المرء فان الرصاص لا ينفذ فيه ولا تستطيع النار ان تحرقه).

والملاحظ عن الثقافة الصينية في عصرنا الحاضر،ان معظم بيوت واماكن الصينين مزينة برســوم التنين والثعابين وهذا من مخلفات الاساطير الموروثة.

كلمة اسطورية لابد منها

يوجــد في عصرنــا الحالــي المتصــف بالتقــدم التكنولوجي والفكري النقــدي العلمي، اناس يندرجون تحــت كلمة مثقفــين ينظرون الى الاســطورة بازدراء ويعدون الكتابة فيها تخلفا وعــودة الى الوراء، ويثيرون تساؤل: ماهي فائدة الاسطورة في عصر طغى فيه التفكير العقلاني المنطقي على كل شيء؟

نقول لهم يجــب ان تدركوا بان الاســطورة تولد الايمــان والثقــة بالنفس وهي من الــتراث الذي يعد دافعا نحو الحضارة والابداع.

فمثلا: لولا الاسطورة لما بنيت الاهرامات، التي يعجز الانسان المعاصر، ان يبني حتى نصفها لا بل ربعها بصورة التــي بناهــا المصريــون القدماء، وذلك بعد ان يتوســل الادوات والالات الحديثة المتطورة المخصصة للبناء.

لا اقصد ولا ادعــو بكلامي هنا ان نرجع ونعتنق اســاطير مــر عليها زمن ليــس بالقليــل. لكن التراث والرجوع اليه واستثماره وقودا للدفع بعجلة الحضارة، و لبناء مستقبلا مزدهر. هذا ما نرمي اليه.

مصادر تمت الاستفادة منها:

١-هيثم هلال، اســاطير العالــم.دار المعرفة، لبنان ٢٠٠٦

٢-الفلســفة لمن يريد، نبيل عبد الحميد.مطبعة الحاج هاشم، اربيل ٢٠٠٣

٣-قاموس المحيــط، الفيروز ابــادي. دار المعرفة، لبنان ٢٠٠٦

٤-لسان العرب، ابن منظور.

٥-معجم البلدان، ياقوت الحموي.

٦-قصة الديانات، سليمان مظهر. مكتبة المدبولي، مصر ٢٠٠١

٧-عالم الفكر، المجلد الخامس عشر

ابصار الموت حتى الملامسة



سامي داوود

إلى مصطفى محمد الذي اصطفى دربه بجرأة ليتحرر

الإنتحار سكر الحلم. هدم السماكة التي تفصل الذات عن حلم الذات، خروج الخلف الخبئ للوميض ـ الصوت الأخير الذي لا يعقبه إلا هو. نزع السقف عن المكان للسكن في اللانهاية البهيجة ، حيث طلائع الحلم اللبلاب تلف ـ تعانق ما تلفه من نوازع نملكها في سرنا المقدس لخيالنا. التفاحة على الطاولة أمامي يخبط العفن عليها مرحا بالفراغ الذي تركته قضمتي، لكنها أجمل من أجسادنا التي يحتلها فراغ قضمتك. نتمايل لا لخبط العفن فينا،بل و إنما للدوي الذي يكرره وقوعك هنا، في أعماقنا. إننا لا نملك من الـ(أنا) شيئا سوى انتمائنا للوجود في بعضنا، فالأنا حصيلة تقاطع أناة الآخرين في ذاتنا التي تُصِّعد من ذاتها لتفسح خطوط التقاطع الأخرى، التناسج في نقطة مركزية. فالذات ساح و الكون تقاطع، لذا لا وجود للذات خارج تقاطعاتها التي تنسج فيها جزءا من الكون. أنت، نحن ببقعة محذوفة، بقعة سرطانية تطرق بعدوتها خيالاتنا المشدودة إليك. أشعر بكره غامض نحوك، فقد حذفت مني جزءا و ألغيتني عنك، أتغادر لتنزع منا اطمئنانا إلى عبث بقائنا في الجلبة الموحشة للخشونة التي أفرزتنا هنا في الهيئة المضادة لنا..؟ أم لتشدنا خلفك، نحذو حذو نايك الذي يختبر التحليق و الإختفاء..؟.

أي سحر هو وقوعك الخائن لهيامنا الجماعي بالخفة التي حلقت بك و أودعتنا الثقل..؟.

يتفرد الوقوع عن الصيغ الأخرى للإنتحار، بكونه إبصارا للموت حتى ملامسته، تبصر آناء الوقوع سيرتك التي تغادرها و التي تتوجه نحوها. في الوقوع تبصر عمق الوقوع؛ نسيجه الذي يترآءَ في الوقوع وحده.

كل صلابتنا تستند إليك.

أعلم بأنني أكتب للبقية الهشة منّا، المعلقة بالمدى المنظور للعدم.

خطواتنا حائرة في غيابك. لماذا ترحل و تأخذ الطرقات كلها إليك...؟.

سأجني منك نموَّ نواة الإختفاء التي أحملها منذ
صورتي الأولى في المرآة التي فضت الرطوبة زئبقها.
أتملك، بتقويضك لكل الذات ، افتراسها، الصورة الجذرية لحلمك..؟
أرسل ما يجعلني أتلمسها و أنا أحلم بحلمك ...
بالتلاشي.
....
....
....
تهيأ للعناق أيها الشارع
....
....
....
دم.م.م.م.م.م
أنا الشارع أيها العابرون.

« قبل انتحار مصطفى محمد بشهر كنت أعمل على دراسة عن الأمكنة المحرضة للوقوع و أخبرت ابراهيم خليل بذلك. اختار مصطفى المدينة التي تتضمن على العوامل المحفزة للوقوع و أنا أقيم في مدينة مماثلة بفارق أن ابني يمسك بتلابيبي. كانت هذه حالة يوكيو ماشيما الذي أثبت أن الإمساك بالتلابيب لن يدوم طويلا.»

ـ مصطفى محمد (١٩٨٠ – ٢٠٠٦) شاعر رائع من الحسكة. رمى بنفسه قبل شهرين من على بناء عال في حلب.



نظرية الواقعية في العلاقات الدولية
تأليف: د. انور محمد فرج
مركز كوردستان للدراسات الاستراتيجية
سليمانية - ٢٠٠٧

سياسة التعليم الزراعي في كوردستان
والامل في النهضة الزراعية المرتقبة



خالد محمد خالّ
استاذ علوم الالبان المساعد في كلية الزراعة
جامعة السليمانية

مقدمة:

كوردستان بلد زراعي في المقام الاول، فيها امكانيات واسعة للتطور والتقدم في مجالات عدة وبالاخص في المجال الزراعي. حيث تمتلك بلادنا امكانيات ملحوظة في الانتاج الزراعي بشقيه النباتي والحيواني. ان الغالبية العظمى من اراضي كوردستان هي اراضيخصبة صالحة للزراعة، فضلا عن وجود مصادر وفيرة من المياه الطبيعية بما فيها المياه الجوفية، مع وجود خزانين كبيرين للمياه احدهما سد دوكان ويسع ٦,٨ مليار م٣ من المياه والثاني سد دربنديخان ويسع ٣,٥ مليار م٣ من المياه. ان هذه المياه لو استغلت استغلالا عقلانيا مبنيا على التخطيط العلمي لاصبح من الممكن ارواء مساحات شاسعة من الاراضي الصالحة للزراعة لتوفير مختلف محاصيل الحبوب والخضر والفواكه، هذا فضلا عن ان الخزانين المذكورين يمدان معظم المدن والقرى بالطاقة الكهربائية. ويمكن مستقبلا استغلال هذه الطاقة في عملية تصنيع كوردستان. كما ان السدين هما بطبيعة الحال مصدران في غاية الاهمية للثروة السمكية، ومن الممكن زيادة هذه الثروة لو قمنا بوضع برنامج مدروس للحفاظ على هذه الثروة وتنميتها.

اما الجانب الحيواني من الزراعة فلا يقل اهمية عن الجانب النباتي ومكمل له بطبيعة الحال. وهناك انكانيات متواضعة لتطوير هذه الثروة حتى هذه الظروف. ولو اضفنا الى كل ماسبق سعة منها بالمقارنة بمشاكل اراضي وسط وجنوب العراق كالملوحة وظاهرة التصحر وقلة خصوبة الارض والامطار الموسمية وارتفاع درجات الحرارة طيلة ستة اشهر من السنة وغيرها، لامكن القول دون ان نتجاوز الحقيقة بان كوردستان تمتلك جميع مقومات بلد زراعي متطور.

ان الآفاق المستقبلية لكوردستان شأنها شأن بقية دول العالم الثالث هي التوجه نمو الزراعة والتصنيع الزراعي. ومن هنا يلعب التعليم الزراعي دورا بارزا في تهيئة الكوادر العلمية والفنية للاستفادة من الامكانيات الطبيعية المتاحة في هذا المجال. ولا اعتقد

بان هناك شكا في ان اقامة دعائم نضهة زراعية تتمشى مع متطلبات العصر في كوردستان تقع بالدرجة الاولى على الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث الزراعية.

المقاييس العالمية للعلاقة بين مساحات الاراضي المزروعة وبين العدد والمطلوب من المختصين الزراعيين:

هناك مقاييس تختلف من دولة الى اخرى لعدد خريجي كليات الزراعة من حملة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه المطلوب لادارة مساحة الاراضي الزراعية والمشاريع الخاصة بها في دولة ما. ويجد بنا ان نتعرف على المقاييس الموضوعة في الولايات المتحدة الامريكية كدولة صناعية زراعية متقدمة وتحتل المكانة الاولى في العالم من حيث التقدم العلمي والتكنولوجي. ومن ثم نلقي الضوء على المقاييس المتبعة مصر كدولة عربية من دول العالم الثالث. ففي امريكا هناك حامل شهادة دكتوراه واثنان من حملة الماجستير وستة من حملة البكالوريوس لكل الف هكتار من الاراضي المزروعة او مايعادل (٤٠٠٠) دونم. فالكادر الزراعي لديهم يبدأ من حملة البكالوريوس، لعدم وجود معاهد زراعية فيها.

ان نسبة المشتغلين في المجالاتى الزراعية المتنوعة في الولايات المتحدة هي ٧٪ من مجموع السكان، اي حوالي (٢١) مليون مشتغل في الحقل الزراعي ينتجون غذاء لـ(١٢٠٠) مليون نسمة اي لحوالي اربعة اضعاف من سكان تلك الدولة. ان هذا التفوق المذهل في الميدان الزراعي –رغم ان الولايان المتحدة بلد صناعي المقام الاول- يدل بوضوح على دور الجامعات ومراكز البحوث العلمية في تهيئة كل مستلزمات هذا النجاح الباهر من حيث تقدم المكننة وشموليتها واستخدام الاساليب الحكديثة المتطورة في الحقل الزراعي وادارة المشاريع الزراعية بطرق علمية مدروسة، ودور الارشاد الزراعي المتميز والمتمم لمسيرة التقدم الزراعي.

اما في مصرفا لمقياس المتبع هو حامل بكالوريوس واحد وكادر وسطي لكل (١٢٠٠) فدان او مايعادل (١٩٢٠) دونم. ولو اخذنا بهذا المعيار لتطبيقها في كوردستان لاحتجنا الى (٨٠٠٥) من حملة البكالوريوس ونفس العدد من الكوادر الوسطية، على اساس ان الاراضي الصالحة للزراعة في كوردستان تبلغ (١٥٤٦٠٠٠٠) دونما من الاراضي الديمية والسيحية. ومن الجدير بالذكر هناك مساحات زراعية شاسعة من اراضي كوردستان غير المحررة لو اضفناها الى الاراضي المحررة والمذكورة اعلاه لاحتجنا الى عدد اكثر من حملة البكالوريوس والكوادر الوسطية بما يعادل مرة ونصف من الرقم المشار اليه اعلاه لادارة الاراضي المزروعة.

نستنتج من كل ماسبق ان الافاق المستقبلية لنهضة زراعية مرتقبة في كوردستان تستدعي تخريج المزيد من حملة البكاليوريوس والكوادر الوسطية، على فرض استزراع اكبر مساحة ممكنة من اراضي كوردستان الزراعية حينما تتهيأ الامكانيات والقدرات اللازمة مستقبلا.

من المؤسف حقا اهمال هذا الجانب الحيوي والهام من قبل المسؤولين الكبار في وزارة الزراعة، وحتى من القيادة السياسية، وترك مساحات شاسعة من الاراضي الخصبة دون زراعتها وتعريفها للتصحر، واهمال الثروة القومية رغم احتياجنا الماسة اليها، والاعتماد على استيراد المنتوجات الزراعية من دول الجوار وصرف مبالغ كبيرة من دخلنا السنوي الى هذه الدول، رغم حاجتنا الملحة اليها. وكان المفروض ان نكون نحن المصدرين لمنتوجاتنا الزراعية الى تلك الدول النامية في زيادة الدخل القومي لشعب كوردستان وانعاش اقتصادنا الوطني، وتقليل التلوث البيئي والحد من البطالة وتشغيل مئات الخريجين من كلية الزراعة العاطلين عن العمل والذين يتقاضون رواتبهم الشهرية دون ان يقدموا شيئا لهذا الوطن المعطاة.

نأمل من القيادة السياسة والمسؤولين في وزارة الزراعة الاهتمام الجاد بهذا الموضوع الحيوي، والاستعانة بالمختصين وبالكوادر الزراعية لوضع خطة متكاملة للنهوض بالسياسة الرزاعية مع تخصيص ميزانية

لهذا المشروع وانجازها على مراحل.

فيما يأتي بعض المقترحات البناءة التي نراها ضرورية للنهوض بالقطاع الزراعي في كوردستان، على امل ان تجد استجابة من لدن المسؤولين من صناع القرار لوضع هذه المقترحات بعد دراستها في حيز التطبيق:

١-دعم الدوائر الزراعية بالكوادر الزراعية من ذوي الاختصاصات العلمية المختلفة في علوم الزراعة، بعد التأكد من قدراتهم العلمية والتطبيقية واخلاصهم في العمل، وتفضيل من لهم ممارسات مشهودة في هذا المجال.

٢-يفضل ان يكون الوزير ونوابه والمديرون العامون ومدراء الدوائر الزراعية من خريجي كليات الزراعة ولهم خبرة كافية في هذا المجال. ولا مانع من الاستعانة بالكوادر الزراعية الجيدة والمؤهلة المحالين على التقاعد من اعادة تعيينهم او تعيينهم بعقود لفترات زمنية محددة.

٣-وضع تخصيصات مالية كافية سنويا لضمان الصرف على تلك المشاريع، بما فيها شراء المعدات والاجهزة الزراعية والاسمدة وبذور المحاصيل والفواكه وغيرها، حتى لايكون قلة الحال عائقا لتنفيذ تلك المشاريع وتأجيلها.

٤-الاستعانة بالخبراء والمختصين الزراعيين داخل العراق او خارجه اذا تطلب الامر ذلك.

٥-منع هجرة القرويين الى المدن والقصبات منعا باتا، حفاظا على ماتبقى منهم ليستمروا في مزاولة انتاجهم الزراعي المتواضع، مع اهتمام المسؤولين بحل مشاكلهم وتلبية احتياجاتهم، لكونهم الفئة الوحيدة المنتجة وسط عشرات الالوف من المستهلكين الذين لايقدمون شيئا لهذا الوطن.

٦-تسليف الفلاحين والمشتغلين في الحقل الزراعي في محافظة السليمانية بمبالغ نقدية كافية لتشجيعهم على العمل في الحقل الزراعي وفق عقود يتفق عليها الطرفان، على ان تسترد تلك المبالغ منهم باقساط مريحة بعد ان تبدأ حقولهم بالانتاج.

٧-اعادة الحياة الى دائرة انحصار التبغ ومعمل السيجاير والتنقيح، بعد تان يهيئ كل مستلزمات النجاح لها، وتشجيع الفلاحين على زراعة التبغ وتزويدهم باجود انواع التبغ لزراعتها، نظرا لاهمية هذا المحصول والاقبال المتزايد عليه، واعادة انشاء محطات ابحاث التبغ في منطقة بتوين وشارزور.

نرجو من القيادة السياسية الاهتمام بهذا الموضوع الحيوي والاسهام في تصنيع كوردستان ولاسيما ان مقومات التقدم الصناعي من حيث تخصيص المبالغ اللازمة وتهيئة الكوادر العلمية والتقنية متوفرن، ولن يبق غير الاتكال على الله والبدء بالتخطيط لانشاء المعامل ومراكز البحوث حسب حاجة المحافظة اليها.

ان احد ابرز مقومات تقدم الدول والمجتمعات في العالم هو التوجه نحو التصنيع. فالتصنيع لايعني فقط ايجاد عمل للأيدي العاملة وتقليل البطالة وضمان موارد مالية دائمة تساهم في رفع المستوى المعيشي لابناء الشعب، بل يعني كذلك التحولات الاجتماعية الكبرى التي تحدث في المجتمع، وما يصاحب ذلك من تحولات ايجابية في مختلف نواحي الحياة، من مجتمع زراعي راكد خامل ذي نظرة ضيقة الى الامور يرضى بالقليل، الى مجتمع يسوده النشاط والحركة المستمرة والعمل المتواصل، والنظرة الفاؤلية الى الحياة، وطريقة التفكير الى الامور.

ياسين النصير: المسرح الكردي في الغربة انشط من المسرح باللغة العربية

اجرى اللقاء: صباح اسماعيل/ كركوك



ليس مبالغاً فيها إن قلنا ان الكاتب والمبدع ياسين النصير من ابرز وأنشط النقاد العرب وأغزرهم إنتاجا. وهو منذ كان ناقـداً مبتدءا، كان يبحث بأظافره عن موقـع قدم خاص، وكان يريد أن يفتح نوافذ جديدة على طرائق فهم العمل الأدبي. وأنتج عشـرات الكتب، بين الدراسة النقدية عن الشعر والمسرح والقص والفن التشـكيلي، ولديه نصوص مسـرحية أيضاً. وهو من أوائل الكتاب العرب المختصين بمفهوم وجماليات المكان في الأدب. ولد ياسـين النصير في مدينة القرنة التابعة لمحافظة البصرة. وأكمل الدراسة فيها. وخرج من دار المعلمـين الابتدائيـة عام ١٩٥٨. انتقـل إلى بغداد عام ١٩٧٠. مابـين عامي ١٩٥٩ – ١٩٨٥ كان لفترات متقطعة نزيل مخافر الشرطة السرية و مقرات الحرس القومي والأمن العام العراقي. وأحيل إلى المحاكم الخاصة مرات عـدة لانتمائه السياسـي. حل في هولنـدا لاجئاً منذ كانون الثاني لعام ١٩٩٥.

*** بتطور التكنولوجيا وظهور عصر العولمة وبروز شبكة الانترنت والهاتف النقال، هل تغيرت نظرتك إلى المكان؟ بمعنى آخر هل تغير معنى المكان بتطور التكنولوجيا؟**

- مفهوم المكان يبقى قارا لا يتغير ولكن الممارسة في الأمكنة هي التي تتغير وبالطبع ستمنح التكنولوجيا المكان أفقا أوسع لطريقة التآلف والعيش فيه، نحن نعمل في إطار المفهوم الواقعي والمتخيل للمكان ننطلق من الواقع ونبني عليه تصورات خيالية تغني النص الأدبي وتفتح له آفاقا واسعة، وبالطبع ستسهم التكنولوجيا في تنمية الأحاسيس الإنسانية بالمكان.

في شغلي الجديد على المكان في النص أعاين بعين أكثر دقة دور العمران والتنظيم والحرية في الأمكنة. ففي هذه الجواب ثمة تقنيات كبيرة دخلت على بنية المكان فغيرت من أبعاده ووظائفه وعلينا أن نكون حداثويين في معالجاتنا النقدية للمكان وذلك كي نجعل منه مفهوما أكثر معاصرة حتى لو كان المكان تراثا.التقنية الحديثة بدأت تنقل إلينا الأمكنة القديمة بطريقة بصرية وشعرية جديدة فكشفت عن مستويات داخل المكان ما كان بمقدور البصر أو الرؤية العادية كشفها والوصول إليها. خذ أعماق البحار وأعالي الجبال والمناطق النائية وما تكتنز الأمكنة المجهولة، هل يمكننا أن نعرف غرف السجن مثلا لمجرد أننا سجنا فيها؟لا السجن تكوين غائر في الذات القمعية للسياسة وللسلطة وعلينا لفهمه جيدا أن نفهم فكر من يديره ومن يستغله ومن يسجن فيه. هذه اللغات الدفينة تكشفها التكنولوجيا المعلوماتية الجديدة فتضيف أبعادا سردية وشعرية للمكان.

*** ربما ياسين النصير من أكثر كتاب العرب اهتماماً بالمكان، لماذا كل هذا الاهتمام ؟**

- ليست هناك رغبة شخصية، ولكني شعرت وأنا أتابع العلاقة بين النص الإبداعي العراقي والواقع العراقي، وجدت ثمة فجوة كبيرة لم تمتلئ بالنص وهي فجوة الأرضية التي يقيم عليها الكاتب نصه وهذه الأرضية كما شخصناها سابقا هي التاريخ ومن هنا جاء اهتمامي بالمكان كجزء من عملية إبداعية تغني النص وتربطه بتاريخ الحال التي يعالجها ومن ثم يمكن أن يضاف إلى الهوية الوطنية للثقافة من أنها عالجت موضوعات ترتبط بالإنسان العراقي. لكن هذا الاهتمام وهو محلي وجد له صدى عربيا فبدا المكان مفهوما جديدا اغتنى بدراسات كثيرة وأصبح اليوم مصطلحا ومادة منفتحة على الإضافة والتجربة.

*** في وقتها كتبت نقداً عن كتاب (عشرون قصة كردية) في مجلة كاروان. هل تتابع الأدب الكردي؟ وإذا الجواب بنعم فلمن تقرأ، وكيف تقيم الأدب الكردي؟**

- أتابع الأدب الكردي متابعة خجولة، ففي الغربة لا يوجد نص كردي، بل يوجد أحيانا مسرح كردي وهو أنشط من المسرح باللغة العربية، وتجدني أتابعه باستمرار النص الكردي المترجم، اتبعه وأقرأه بشغف وبحب كبيرين. للشاعر المهم في مسيرة الشعر شيركو بيكةس شاعر كبير له لغته ومواضيعه ويشتغل على البنية الدرامية للنص الشعري التي تجعله يعود بالقصيدة إلى منابعها القديمة ولكن بإطار التجديد هذا الشاعر هو لغة متميزة في المستقبل والانتباه نقديا له الآن ضعيف وسبب ذلك لا يوجد نقد يفهم حقول شيركو الجديدة التي توسع من القصيدة لتجعل منها نصا شاملا كما في قصائد متميزة له كمضيق الفراشات والكرسي وغيرها.

*** مضمار رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) لـ(الطيب صالح) هو الاختلاف في الأمكنة بين الشرق والغرب. برأيك إلى إي مدى نجح الكاتب في إظهار وإبراز هذا الاختلاف؟**

- ليس الاختلاف بين أمكنة شرقية وأخرى غربية هو ميدان فعل القص. في رواية موسم الهجرة إلى الشمال بقدر ما الكيفية التي شغل بها الشخصيات أمكنتهم سواء أكانت شرقية أم غربية، ومن هنا نجد أن الكثافة الأسلوبية كمنت في الأمكنة الغربية بينما السرد وتنوع البناء وتعدد الشخصيات والكشف عن أعماق مصطفى كلها تقع في المكان الشرقي، وهذا يعني ان أمكنتنا لم

تنهض بعد بإنسانها بقدر ما تكون وعاء غير ناضج لتجارب تنمو خارجة وتفقس فيه هذه الرواية امتحان لقدرة المكان الشرقي على استيعاب أفكار حديثة.

*** ما هو تعريفك للمثقف؟ من هو المثقف وما هي سلطته؟ هل ان المثقف يجد سلطته من الكرسي، أم بعيداً عنه؟**

- المثقف هو القدرة على فهم الأمور عن طريق الأسئلة، وهو الكيان المعرفي الذي يفهم الثقافة على أنها مكون معقد من الأفكار والممارسات، والمثقف هو الذي يكتب أو يعيش نصا تتداخل فيه مكونات الثقافة الوطنية ليس مثقفا من كانت اهتماماته غربية فقط، وليس مثقفا من كانت اهتماماته عربية فقط وليس مثقفا من كانت ميادينه معاصرة فقط، وليس مثقفا من كانت ميادينه تاريخية وقديمة فقط، المثقف هو البوتقة التي تنصهر فيها كل الرؤى والأفكار قديمها وحديثها، ويكون له موقف إنساني متطلع للحرية، وغير متعصب لقوم أو طائفة أو دين أو بقعة جغرافية. انه ابن المكان الأرضي الغني بالتجارب والممارسات.

*** لو لم تكن كاتباً فماذا كنت تحب أن تكون؟**

- كاتبا أيضاً.

مؤلفات ياسين النصير

المؤلفات النقدية:

١- قصص عراقية معاصرة ـ مشترك مع الناقد فاضل ثامر- دار الرواد ـ بغداد ـ ١٩٧١.

٢- القاص والواقع ـ دراسات في الرواية والقصة ـ بغداد ـ ١٩٧٥.

٣- وجهاً لوجه ـ دراسات في المسرح اتحاد الأدباء في العراق ـ بغداد ـ ١٩٧٦.

٤- الرواية والمكان الجزء الأول ـ دراسة نظرية ـ تطبيقية الموسوعة الصغيرة- رقم - ٥٧بغداد ١٩٨٠.

٥- الرواية والمكان الجزء الثاني ـ دراسة نظرية ـ تطبيقية -مجلة آفاق عربية العدد ٨ نيسان- بغداد ١٩٨٠ طبعة ثانية- دار الشؤون الثقافية ١٩٨٦.

٦- دلالة المكان في قصص الأطفال دراسة نظرية ـ تطبيقية- دار ثقافة الأطفال- بغداد ١٩٨٥.الطبعة الثانية ٢٠٠٠ مجلة المدى.

٧- إشكالية المكان في النص الأدبي ـ دراسات في الشعر والرواية ـ بغداد ـ دار الشؤون الثقافية ١٩٨٨.

٨- المسرح العراقي (مشترك) نشر اليونسكو ١٩٨٨ نشر على ورق الاستنساخ.

٩- بقعة ضوء بقعة ظل ـ دراسات في المسرح ـ بغداد - دار الشؤون الثقافية ـ١٩٩٠

١٠- الاستهلال ـ فن البدايات في النص الأدبي- يتناول الشعر والرواية والقصة والملاحم والحكايات – الشؤون الثقافية ـ بغداد ـ طبعة أولى ١٩٩٣. طبعة ثانية ٢٠٠٠ آفاق النقد- القاهرة.

١١- التجربة والوعي ـ دراسة في الأدب الأردني ـ الفلسطيني- دار الكرمل- عمان- ١٩٩٤.

١٢- المساحة المختفية ـ دراسة في الميثولوجيا الشعبية المركز العربي-- بيروت- ١٩٩٥.

١٣- جماليات المكان في شعر السياب – دار المدى - دمشق-١٩٩٦.

١٤- في المسرح العراقي المعاصر ـ دراسات ونقد في المسرح العربي صحراء ٩٣ - بروكسل- ١٩٩٧.

١٥- مختارات من القصة العراقية- القاهرة–١٩٩٨.

١٦- سعد علي وفن العلاقة ـ دراسة في الفن التشكيلي ـ دمشق ـ دار المدى عام ١٩٩٩.

١٧- د. عوني كرومي والمسرح الشعبي ـ جمع المقالات د. علي جواد الطاهر عما أخرجه د. عوني كرومي القاهرة ٢٠٠٢.

١٨- شارع الرشيد – عين المدينة وناظم النص- دار المدى دمشق ٢٠٠٣.

١٩-عنف الفرشاة – مقالات في الفن التشكيلي- دار دون كيشوت- سوريا ٢٠٠٣.

٢٠- الارجوانة الحمراء– مقال في المسرح الكردي المعاصر- إصدار جمعية رهفه للثقافة الكردية في برلين ٢٠٠٣.

٢١- شعرية الماء-- مقالات في الشعر – آفاق النقد مصر- القاهرة ٢٠٠٤ العدد ١٤٦.

٢٢- مقتل الحلم الثالث (مسرحية) بالاشتراك مع

الدكتور عوني كرومي – الإسكندرية ٢٠٠٧.

٢٣- الرؤية بعين الطائر رؤية بصرية للمكان الأردني – دمشق -٢٠٠٧.

المؤلفات المسرحية:

١-قصة أوبريت بيادر خير «أول أوبريت عراقي» البصرة ١٩٦٩.

٢-القضية - مسرحية ـ البصرة ـ ١٩٦٩.

٣-قصة وسيناريو أوبريت السابلة ـ بغداد ـ ١٩٧٤.

٤-شارع النهر -مسرحية ـ بغداد ـ ١٩٨٧.

٥-الحقيبة- مسرحية - هولندا عام ٢٠٠٢.

٦-الحكاية الجديدة –اوبريت- قصة وسيناريو وحوار - هولندا ٢٠٠٦.

كتب جاهزة للطبع:

١-شحنات المكان ـ دراسات نقدية مكانية.

٢-ما تخفيه القراءة -دراسات في الرواية العربية.

٣-اليومي والمألوف ـ قراءة في ثقافة الأشياء الصغيرة.

٤-يوميات سائق تكسي تجربتي مع الشارع الليلي في بغداد.

٥-حجر الحروب مقالات في الشعر الحديث.

أنشطة مختلفة:

-عضو الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء في العراق بين عامي ١٩٧٣- ١٩٧٨.

-سكرتير رابطة نقاد الأدب في العراق منذ تأسيسها وإلى عام ١٩٨٩.

-عضو هيئة تحكيم المسرح في العراق منذ ١٩٧٦ وإلى عام ١٩٨٩.

-عضو هيئة تحرير المجلات الآتية: الأديب المعاصر، ١٩٧٣- ١٩٧٨الثقافة الجديدة، ١٩٧٢- ١٩٧٨ مجلة التراث الشعبي ١٩٨٥-١٩٨٨ مجلة السينما والمسرح.

-عضو هيئة تحرير الصحف الآتية: طريق الشعب، الفكر الجديد.

-رئيس تحرير جريدة ثقافة التي تصدر في هولندا منذ عام ١٩٩٨- توقفت عن الصدور بعد التغيير في ٩/نيسان/٢٠٠٣.

-اعتمدت الانسكلوبيديا البريطانية كتابات النصير في التعريف بالمسرح العراقي المعاصر.

-ترجمت دراسته عن البنية المكانية في القصيدة إلى اللغة الإنجليزية.

-ترجمت بعض دراساته في المسرح إلى اللغة الألمانية و الروسية والهنغارية والهولندية.

-يرأس مؤسسة «ثقافة ١١» التي أُسست في المنفى عام ١٩٩٨وتواصل برنامجها السنوي في بلجيكا.

-يرأس مؤسسة أكد للثقافة والفنون والنشر في هولندا التي أُسست في ٥-٦ – ٢٠٠٠ وما زالت تقدم برامجها السنوية.

-يرأس مهرجان السينما الوثائقية العراقية في هولندا الذي ابتدأ نشاطه عام ٢٠٠٣.

-قدم ندوات شهرية ـ ثقافية لمختلف التيارات الأدبية والنقدية تحت اسم صالون ثقافة ١١ وقد حاضر فيها عدد كبير من المثقفين والمفكرين العرب والمستشرقين في أوروبا. وقد بلغت محاضرات الصالون لوحده أكثر من خمسين محاضرة لغاية ٢٠٠١.

-حاضر في عدد كبير من المنتديات الثقافية والمهرجانات الأدبية والمؤتمرات في عموم البلدان العربية والأوروبية بينها: القاهرة، بيروت، عمان، دمشق، الكويت، الأمارات، لبنان، ألمانيا، إنكلترا، فرنسا، بلجيكا، السويد، الدنمارك، هولندا.

-يكتب في الصحف العربية والمجلات الدورية مقالات نقدية وفكرية، نشرت له أمهات المجلات الأدبية المتخصصة مقالات في النقد والفكر.

-مابين عامي ١٩٥٩ -١٩٨٥ كان لفترات متقطعة نزيل مخافر الشرطة السرية ومقرات الحرس القومي والأمن العامة العراقية في البصرة وبغداد.

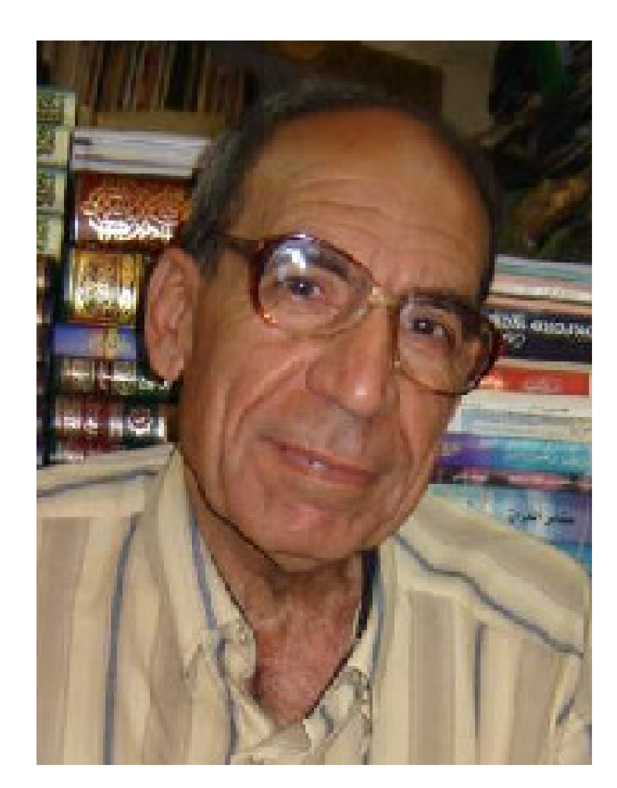
-أحيل إلى المحاكم الخاصة مرات عدة لانتمائه السياسي .

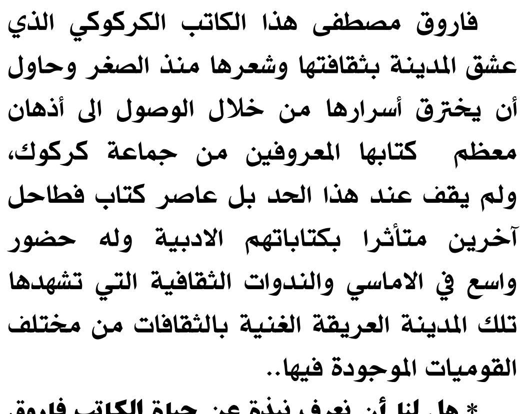
-منح جائزة (العنقاء الذهبية) عام ٢٠٠٦.

-منح شهادة تكريم من قبل جمعية المترجمين واللغويين العرب عام ٢٠٠٧.

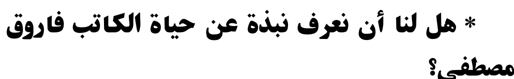
الكاتب الكركوكي فاروق مصطفى:
كركوك هي المبتدأ والمنتهي، مبتسمي ومبكاي، الشمس التي تدفأت تحت اشعتها ايامي المترمدة

اجرى اللقاء: رزگار شوانی





فاروق مصطفى هذا الكاتب الكركوكي الذي عشق المدينة بثقافتها وشعرها منذ الصغر وحاول أن يخترق أسرارها من خلال الوصول الى أذهان معظم كتابها المعروفين من جماعة كركوك، ولم يقف عند هذا الحد بل عاصر كتاب فطاحل آخرين متأثرا بكتاباتهم الادبية وله حضور واسع في الاماسي والندوات الثقافية التي تشهدها تلك المدينة العريقة الغنية بالثقافات من مختلف القوميات الموجودة فيها..



*** هل لنا أن نعرف نبذة عن حياة الكاتب فاروق مصطفى؟**

في محلة (جرت ميدان)، ميدان الفروسية القريبة من ساحة الطيران والمشرفة على مقبرة (سيد علاوي) المحاذية لبساتين كاورباغي أبصرت النور عام 1946 هكذا تتحدث أوراقي الثبوتية، لقد قذفت إلى هذه الزاوية من هذا الكون الكبير، وعندما سربلني الوعي أدركت أنني انتمي إلى أسرة

وأنا آخر عنقودها الذكوري، حيث تقدمني سبعة ذكور وشقيقة واحدة، تتلمذت في مدارس كركوك الابتدائية والمتوسطة والإعدادية، ولكن الأكاديمية التي تشربت طفولتي بمائها وهوائها وترابها هي المنطقة التي ولدت فيها، عشقت أناسها ودورها وأشجارها ولقد تركت بصمات أصابعها المحناة بحكاياتها المطلسمة واضحة في كتاباتي، شهادتي الجامعية من كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، تعييني في سلك التدريس ثم إيفادي إلى القطر الجزائري وبقائي هناك طوال ست سنوات، ومن ثم العودة إلى كركوك ثانية وتدريسي في ثانوية إمام قاسم، ظللت في الأقسام المدرسية أتسلق الجمل الإعرابية واقف مع تلاميذي على دمن الشعراء الجاهليين، أطرق أبواب سيبويه وأبي حيان التوحيدي ورهين المحبين (المعري) إلى أن اكتشفت نفسي عام 1998 أنني أنضجت كهولتي وألزمتها ما لا يلزم، أحلت نفسي إلى المعاش وتفرغت كلياً إلى عالمي الأثير وهي القراءة والكتابة والاحتراق حتى النخاع في أحلام وكوابيس أصدقائي الشعراء والكتاب.

*** متى بدأت الكتابة وأين؟**

- بدأت الكتابة في فترة المتوسطة، كنت أساهم في النشرات الحائطية التي يشرف عليها عادة أساتذة اللغة العربية، وبعد ذلك بدأت أراسل صحف بغداد وقد ظهرت فيها أولى محاولاتي الشعرية عام 1961، وبعد ذلك طفقت أنشر كتاباتي الأدبية في جريدة (الأخبار) البغدادية وأذكر جيداً أني أرسلت كتابة نقدية بسيطة عن القصة العراقية القصيرة والى صفحتها الأدبية التي كان يشرف عليها الأستاذ (زهير أحمد القيسي) فنشرها بعد أن مهد لها بقوله (أنشر هذه المقالة لتثير ضجةً، حركة في سبات الأدب)، وقد كان لي إطراء وأنا في عامي السادس عشر ومن جريدة الأخبار انتقلت مساهماتي إلى مجلات وجرائد اخر كمجلة (الأخبار وجريدة (كركوك) ثم صحف بغدادية مثل (البلد والمنار والأنباء الجديدة) ومجلة (الطيران) وغيرها.

*** أبرز المحطات الثقافية في حياة الكاتب؟**

- كانت دارنا إبان فترة الخمسينات مشغلاً حكائياً سردياً لمرويات تذهب بمخيلتي الطفولية كل مذهب، أعيد الذاكرة إلى تلك الأيام فأجد افراد أسرتي يتبارون في قص حكاياتهم، وكل واحد منهم حكاء يلقي حكاياته الواقعية والخيالية، لقد أصغيت منهم بشغف إلى العديد من حكايات ألف ليلة وليلة، ومازالت أذكر أحد أشقائي وقد تلا علينا رواية (اللقيطة) لمحمد عبد الحليم عبد الله، كلمة كلمة وصفحة صفحة ثم أعقبها برواية أخرى له تحمل عنوان (شجرة اللبلاب)، لم يكن جهاز (التلفاز) قد غزا البيوت الكركوكية، كان هناك الحالي والمذياع فقط، إن الإصغاء إلى مرويات الأشقاء وقصصهم المحلية منحني خيالاً ألقى بي إلى الأقاليم الواقعة خارج مدينتي ثم بدأت أتبادل القصص البوليسية مع أصدقاء المحلة.. ولا بد من الإشارة إلى أخي فائق، (الدكتور الآن) كان دائماً يعود إلى المنزل محملاً بالكتب والمجلات وبعد ذلك اكتشفت طريقي إلى المكتبة العامة، وعندما صعدت سلالمها المرمرية كأنني عثرت على قصر سحري أمضيت أعواماً وأنا أقرأ وأحلم داخل قاعتها الحميمة، في عام 1946 تعرفت (جان دمو) فهو الذي قادني إلى صحبي في (جماعة كركوك) فبدأت معهم صداقة إنسانية ثرة، أثرت كثيراً مداركي وأغنتْ خيالاتي في توقها إلى خارج ما هو مألوف وادي وراكد.

*** بمن تأثرت من الكتاب الفطاحل؟**

- مع أولى قراءاتي الأدبية تعرفت المنفلوطي فأبحرت معه في مدوناته المنقولة أو الموضوعة.. ثم انتقلت منه إلى العملاق (جرجي زيدان) بهرني جداً وأعياني التفكير كيف استطاع أن يلمَّ بكل أحداث التاريخ المتشبعة ويصوغها في تلك الروايات، غدوت أسير حكاياته أنهي كتاباً ثم أسقط في كتاب ثانٍ له، ثم جاء الساحر (جبران خليل جبران) وكيف أن لغته الشعرية الصافية كانت تولد في مساماتي قشعريرة ورعشات تلقيني في ضفافٍ بعيدة.. وبعد ذلك

تعرفت على أشهر كتاب الخمسينات أمثال: السحار، محمد عبد الحليم عبد الله، السباعي، احسان عبد القدوس، نجيب محفوظ.. وهذا الأخير هو الذي بقي تاثيره علينا سارياً في الفقرات اللاحقة لأنه استطاع أن يكتب بتقنياتٍ حديثة ويطور أدواته الفنية... فيما بعد انفتح أمامي أفق الكتاب الروس وفي مقدمتهم الكاتب المعجز (دوستويفسكي).. هؤلاء بحق أساتذتي لأنني نهلت الكثير من أدبي وسيرهم، وفي فترة الستينات راجت موضة الأدب الوجودي، وساعدت على ذلك مجلة (الأدب) البيروتية حيث تعرفت عبرها (سارتر) و (ألبير كامو) وأحببت الثاني لأنه ينتمي إلى بلاد الجزائر فأدبه في معظمه مستوحى من شمس وبحر وتضاريس الجزائر، ثم (ارنست همنغواي) فنان الفشل البطولي في رواياته (وداعاً للسلاح) و (الشيخ والبحر) و (لاتزال الشمس تشرق).. وأخيراً سرت طويلاً مع الفرنسيين (اندريه مالرو) و (اوكزبري) في علاقاتهما الإنسانية ووقوفهما مع الإنسان وهو يتخبط في متاهاته ودهاليزه بحثاً عن بصيص الأمل الذي يوصله إلى البر الذي يتكئ عليه.

*** كركوك في ذهن الكاتب؟**

- كركوك هي المبتدأ والمنتهى، مبتسمي ومبكاي، الشمس التي تدفأت تحت أشعتها أيامي المترمدة، وأنا صغير شاهدت قلعتها لأول مرة فأحببت أن أخوض في أمواه (الخاصة) لأصل إلى الأميرة التي كانت تسكن هناك ومن يغتسل في تلك الأمواه فلابد أن يسقط صريع هواها أينما أذهب أملأ جيوبي بزبيبها وتينها وأثمار توتها واشم على بعد مئات الأميال روائح نيرانها المتأججة فكركوك مشاهد تنعجن بروحي وتتوحد بدخيلائي إنها ملتصقة بتضاريس الجسد فأنفاسها تلفح وجهي والشوق اليها يكوي العظم ويشوي اللحم وأنا بكتاباتي عنها أحاول أن أعيد النبض إلى أماكنها القديمة كي تسترجع موسيقاها وهارمونيتها وتمنعها من الانزلاق من حافات الذاكرة الفقيرة.

*** كيف تنظر للثقافة في كركوك؟**

- الثقافة في كركوك ممراعة وغنية وثملة بعشق شعرائها ووجد كتابها وتوله مبدعيها ووجود القوميات المتآخية الأربعة فيها وانصهار وذوبان ثقافاتها في بوتقة حبها، هذا الالتقاء ثم هذا الانصهار يمنحان كركوك ميزة روحية سامية ثم تجد أن كتابها بالإضافة إلى إتقانهم اللغات المحلية فيها يجيدون اللغة الإنكليزية التي تفتح أمامهم النوافذ والأبواب في الإطلالة على ثقافات العالم الفسيح. قلعتها المدروشة ونهرها الذي يغرد شتاءً ثم عندما تأتي الصائفة يشبه عاشقاً هجره معشوقة ونيرانها الأزلية التي تتسنبل في فضائها حدائق من القرنفل الأحمر والأقحوان الريان وتلولها التي يرن عليها صمت حكيم.. أليست كلها صحائف نقرأ فيها الكامل والجميل والحكمة والأدهاش.. وأخيراً دلوني على مدينة مثل كركوك التي لا تتعب من إنجاب شعرائها وكتابها ومبدعيها، فدائماً نجد عند كورنيشها شعراء جددا يخطون ويتأملون المعشوقة القلعة وأمام مكتباتها قراء يبحثون عن آخر الكتب التي صدرت لمحمد شكري أو باموك أو سليم بركات أو حيدر حيدر.. وغيرهم.

*** علاقتك بجماعة كركوك الأدبية؟**

- دخلت عالم (جماعة كركوك) عن طريق (جان دمو) جواب الشعر والمتسكع الأبدي ففي احد الأيام صعدت وإياه إلى مقهى المدورة (في الوقت الحاضر كافتريا المنورة) واقتربنا من مائدة كان يجلس عندها المرحومان (يوسف الحيدري وجليل القيسي)، وبعد تعارفنا تجددت اللقاءات بيني وبينهم وعرفت بعد ذلك الشاعر (مؤيد الراوي) يقيم الآن في ألمانيا كنت التقي به في مقهى المجيدية والتقيت بسركون بولص ثم صلاح فائق، أما الأستاذ أنور الغساني فكنت أعرفه سابقاً لأنه كان مدرسي في مادة التربية الفنية في المتوسطة الشرقية، وبالنسبة إلى الأب يوسف سعيد كان راعياً للكنيسة الواقعة عند مشارف (ساحة العمال)، جان دمو ينقل اليه كتاباتنا من قصائد وقصص،

هاجر إلى السويد والتقى هناك به صديقي الرسام المغترب محمد جلال، أما (فاضل العزاوي) فالتقيت به في بغداد وجالسته طويلاً في مقاهيها الأدبية وهو الوحيد الذي لم تتوطد صداقتي معه، أما البقية فقد صادقتهم جميعاً وتوطدت أواصر الود ووشائج المحبة بيننا،ومازلت علاقتي قوية مع الشاعر صلاح فائق الذي يقيم حاليا في فليبين وقد تحدثت طويلاً عن أولاء أبناء الشمس وعشاق البحر في كتابيَّ: (جماعة كركوك والاستذكارات الناقصة) و(تسكعات الفقير الكركوكي وايامه المنهزمة).

*** في أي وقت يأتيك الألهام؟**

- في الغالب تأتيني فكرة فتظل تتسكع في رأسي ثم تهبط إلى داخلي ثم تصعد مختمرة عند ذاك أحاول أن أكسوها بثياب الكلمات، أما الوقت المناسب للكتابة عندي فهو ساعات الظهيرة بعد أن اصيب شيئاً من القيلولة المخدرة أجلس إلى أوراقي واسترسل في الكتابة ومقولة الكاتب الروسي (باسترناك) تتكسر في مخيالي (الكتابة عذاب والاسترسال فيها أليم).

*** الثقافات الخارجة وتأثيرها على الكاتب؟**

- ليس ثمة أجمل من الوقوف تحت الأمطار والاغتسال بمياهها الدافقة وأن يفتح المرء أزرار قميصه ويترك صدره يستقبل الرياح من الجهات كلها، هواء الغرفة المغلقة النوافذ والمسدلة ستائرها راكد ويغتال كل ما هو جميل.. فالكاتب بحاجة إلى أوكسجين جديد يوسع جدران رئتيه وألاّ يهاب من استقبال رياح المحيطات دون خوف، إن الكاتب دائماً في حاجةٍ إلى دماءٍ جديدة، إلى هواء جديد، فأنا أحلم بحديقتي الشعرية التي ألتقي فيها بالشعراء والكتاب وهم يهبطون من مختلف القطارات القادمة من أنأى المحطات وأبعدها.

*** هل الكاتب أخذ حقه من الدعم المادي؟**

- لم أحصل على أي دعم مادي وسواء من النظام البائد أو في هذه الأيام وجميع الكتب التي أصدرتها طبعت على نفقتي الخاصة ولدي كتابان آخران سوف أطبعها على نفقتي أيضاً وأنالا أنتظر أي أطراء أو أتوقع ثناء أو أتحدث برومانسية وطوباوية عن عقدة الإهمال والغبن، يكفيني أنني دخلت عالم الأدب وتسكعت في طرقاته وكل ما أنشده هو الاستلقاء على مصطبةٍ على قارعة الطريق وتدخين لفافة وتصعلك الأحلام التي تطاردني خارج أقاليم الفانتازيا.

*** أخيراً.. ماذا تود أن تضيف؟**

- أصافحك بحرارة وأشكرك مرتين فمرة على حملك بريد مقالاتنا إلى صحافة بغداد فترة التسعينات فكنت بمثابة ذلك الفارس المجهول الذي يقدم عونه ومساعدته لصحبه من غير أن يُرى وثانية على مثابرتك وأنت تلمُّ بكل جوانب المشهد الثقافي الكركوكي، وتحاول نقل مشاهدة منه إلى الصحافة العراقية بصدقٍ وتفانٍ وعفوية.

بقي ان نقول ان للكاتب فاروق مصطفى اصدارات أدبية ومن مؤلفاته:

- قمصان الغيوم المتدلية.
- أرصفة الدفلى وأقاليم الغمام.
- جماعة كركوك/ الاستذكارات الناقصة.
- ولجيد كركوك باقة من أزهار النرجس.
- طريق الدفلى إلى كركوك.
- هديل الغمام بين يديْ كركوك.
- تسكعات الفقير الكركوكي وأيامه المنهزمة.
- بريد كركوك الذاهب عشقاً.

ايام مع.. جليل القيسي



مثري العاني

لمدينة كركوك وقع خاص في حياتي منها وقائع مرة حيث تم اعتقالي فيها وتقديمي الى المجلس العرفي العسكري الثاني وصدور الحكم ضدي بالسجن لانتمائي الى احد الاحزاب السياسية المحظورة، ومنها سعيدة حيث اكملت نصف ديني فيها اضافة لوجود اصدقاء واقارب اعتز بهم لذا فقد كنت اقوم بزيارتها بين فترة واخرى لتجديد علاقاتي بمن التقي ولتوطيدها ولقضاء اوقات سعيدة بين ظهرانها وفي واحدة من زياراتي لمدينة كركوك التقيت بأحد اصدقائي وذلك في سوق الصاغة حيث اعلمته عن رغبتي بزيارة ولقاء الكاتب والاديب جليل القيسي الذي يعمل كما علمت موظفا في دائرة المنتجات النفطية فاعلمني هذا الصديق بعدم الحاجة للقائه في الدائرة فاستفسرت منه عن السبب فاوضح لي ان لشقيقه دكان في سوق الصاغة واومأ الى احد الدكاكين مقابلتا مكتوب عليها (الصائغ خليل القيسي) عليه طلب مني ان نذهب سوية للقاء خليل والاستفسار منه عن موعد قدوم شقيقه (جليل) حيث انه يحضر كل يوم تقريبا ويجلس في دكان شقيقه بعض الوقت بعدها يذهب لانجاز بعض اعماله. التقيت خليل ورجوته اعلامي عن موعد حضور شقيقه (جليل) فاخبرني انه لن يحضر اليوم وغدا لمشاغله الخاصة لذا طلبت منه الاتصال هاتفيا به واعلامه رغبتي للقائه ففعل مشكورا وهكذا ذهبت للقاء جليل في دائرته. عند دخولي الدائرة طلبت من موظف الاستعلامات ان يدلني على غرفته ففعل وهكذا دخلت الغرفة بعد ان طرقت الباب فوجدت جليل ويجلس قبالته موظف اخر، بعد ان تعارفنا طلب لي كرسيا لاجلس بجانبه ثم اشار الى الموظف الذي يشاركه الغرفة قائلا لي الا تعرف من معي في الغرفة فقلت: كلا قال انه القاص محمود جنداري، وهكذا تعرفت بان واحدا على ابرز قاصين مبدعين لهما اثار لاتنسى. تحدثنا نحن الثلاثة واعلمت جليل عن رغبتي كتابة دراسة مطولة عن المسرح العراقي ولاني اخترته للكتابة عنه باعتباره احد رموز المسرح

العراقي، فرح كثيرا وابدى استعداده التام للتعاون معي لانجاح مهمتي فاعطيته ورقة فيها استبيانا ورجوته الاجابة على الاسئلة الموجودة فيها عن ان يرسلها لي لاحقا ثم ودعته وزميله على امل لقائه ثانية.

بعد عدة ايام وصلتني رسالة بواسطة البريد فوجدت فيها اجابته عن اسئلتي ففرحت فيها كثيرا و قرأتها مرات عديدة فقد تضمنت الرسالة تفاصيل مهمة عن حياته وطفولته وتأثره الادبي والفكري وقراءاته ومانشره من قصص قصيرة ومسرحيات واشياء اخرى ذات اهمية بالغة لكل باحث وناقد ودارس رسالته فتحت امامي افاقا واسعة عنه وكشفت الكثير من الغموض الذي يحيط بحياته وطريقة استفدت منها بشكل غير محدود.

سعيت للقائه مرة اخرى في كركوك للاستفسار منه عن بعض الامور التي وددت ان استوضحها منه كما رجوته تزويدي بما نشر من قصص ومسرحيات لدراستها فاعلمني انه لا يحتفظ بالعديد مما نشر له او عنه خاصة وانه كان ينشر على صفحات اشهر وارق المجلات الادبية العربية مثل مجلة (الاداب البيروتية) و (الثقافة الجديدة) وغيرها من المجلات وان بعض اصدقائه كان يحاول ان يأخذ هذه المجلات دون ان يعيدها له حيث كان يخجل بمطالبتهم لاعادة هذه المجلات والجرائد بدأت اجمع مانشره واحاول الحصول على مافاتني منها خاصة مجلة الاداب البيروتية فكلفت احد اصدقائي عند سفره الى بيروت لجلب اعداد هذه المجلة وقد قمت بجمع مانشره في الصحف والمجلات العراقية قرأت مرة في احدى الصحف عن صدور مجموعة مسرحية جديدة له نشرت في بيروت بعنوان (جيفارا عاد.. افتحوا الابواب) صدرت كانت تصدر عن هذه الدار مجلة ثقافية رصينة بعنوان (مواقف) وكانت مطبوعات هذه الدار وكذلك المجلة ممنوعة من دخول العراق.

ولاني لم اتسلم جوابا عن رسالتي فقد تعمدت السفر بشكل خاص الى كركوك لالتقي به واجدد له رغبتي بالحصول على مجموعته وقد التقيه فعلا ووجدته مهموما ومتعبا ويلف حديثه الغموض فاستفسرت منه عن السبب فاعلمني انه استدعي لاكثر من مرة للاستفسار منه عن الطريقة التي اوصل بها المجموعة الى بيروت وسبب اختياره هذه الدار (مواقف) لنشرها دون غيرها من دور النشر مما جعله يعتكف في داره لفترات قصيرة يقضي وقته بالقراءة والكتابة.

بعد عدة اشهر ارسل لي رسالة شفوية مع احد الاصدقاء يعلمني انه استطاع الحصول على خمس نسخ من المجموعة وانه قد حجز لي نسخة منها، سررت لذلك جدا واغتنمت الفرصة للسفر خصيصا الى كركوك للحصول على نسختي وهكذا التقيه فعلا فطلب مني ان انتظره في دكان شقيقه بعض الوقت لتسليمي نسختي بعد ان سلمني النسخة رجاني الا

اعطيها لاي كان وان احرص عليها فلا يوجد في العراق غير هذه النسخ الخمس.

حدثني في احد لقاءاتي عن سفره الى خارج العراق والذهاب الى الولايات المتحدة الامريكية لدراسة فن التمثيل السينمائي بغية العمل في السينما ممثلا لرغبته الشديدة لهذا الفن وولعله له، الا انه عاد بعد فترة محبطا وقد شكلت هذه السفرة صدمة جعلته يتخذ الاعتكاف والعزلة طريقا له للعيش فكان لايخرج لايام عدة الا للذهاب الى دائرته وعند عودته كان يقرا ويقرا ويقرا وقد استفاد من هذه الحالة لانه نشر العديد من قصصه ومسرحياته التي زادته تألقا ورسوخا، كتبت في احدى المرات مسرحية من فصل واحد بعنوان (الرجال يأكلون انفسهم) نشرت عام 2005 مع مسرحيات اخرى، اعطيته المسرحية وطلبت منه ان يبين رأيه فيها بعد ان قرأها اخذ يعطيني بعض الملاحظات عن كتابة مسرحية الفصل الواحد التي يعتبر من اصعب الفنون المسرحية وتتطلب دراية كبيرة وواسعة بفن الكتابة للمسرح. لقد عملت بملاحظاته واستفدت منها بما كتبته من دراسات حول الكتابة للمسرح.

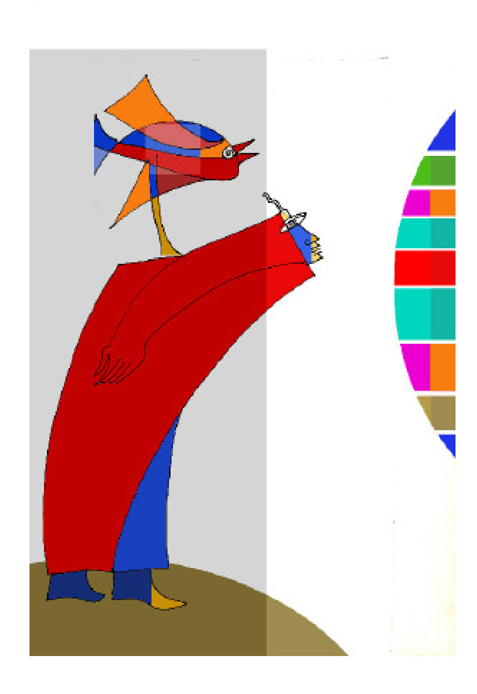
كان جليل القيسي يجيد اللغة الانكليزية كتابة وقراءة وتكلما وقد استفاد من اجادته لهذه اللغة للاطلاع على نتاجات العديد من المبدعين في مجال القصة والمسرح من الادباء في العالم. جليل القيسي كان معجبا جدا بالروائي الروسي العظيم ديستيوفسكي اضافة الى اعجابه براقص البالية الروسي نجنسكي الذي كتب عنه مسرحية من فصل واحد بعنوان (نجنسكي ساعة لقائه بالرب) نشرت ضمن مجموعته (جيفارا عاد.. افتحوا الابواب). يختار اسماء غريبة لشخوص مسرحياته مثل (نجنسكي، جيفارا، فلاديمير) وغيرها من الاسماء التي يغلفها الغموض والغرابة مما يتطلب دراستها بعمق سبر اغوارها.

كلما حاولت ان اكتب دراسة عن ابداع ومسرح جليل القيسي افاجأ بصدور مجموعة قصصية او مسرحية ثم يبدأ النقاد بنشر دراساتهم عنها واشياعها بحثا وتقيما مما يزيد من ثراء ابداعه وعمق رؤاه يمكن ان نطلق صفة او مصطلح (الصامت المبدع) على جليل القيسي فهو قليل التحدث عن فنه الادبي وابداعه ورؤاه الفكرية مما يجعل الباحث والناقد الغوص باعماق شخوصه القصصية والمسرحية لمعرفة مضامينها وما تحمله من دلالات كبيرة.

جليل القيسي مبدع متفرد ومتميز متدفق. كتدفق دجلة والفرات لاينقطع عطاؤه شامخا كشموخ جبال كردستان الشماء.

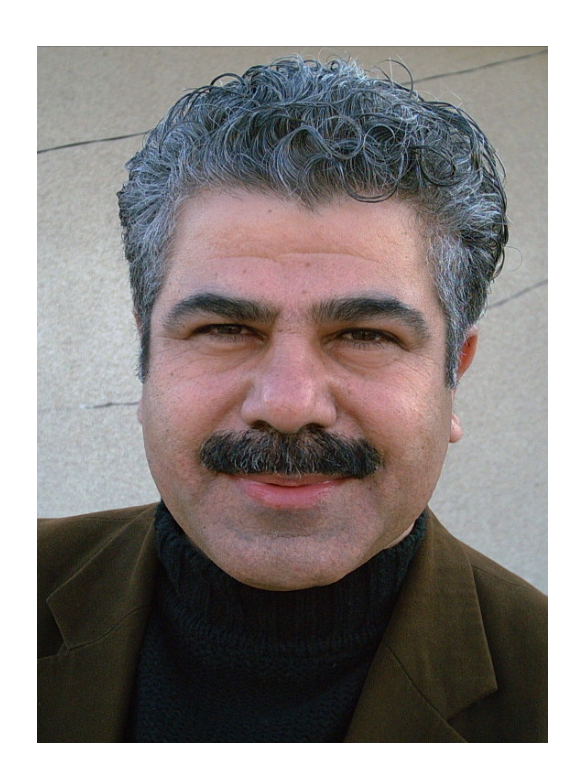
ترك ثروة غنية مجاميع قصصية ومسرحية هي علامات بارزة جدا لايمكن تجاوزها او التغاضي عنها مهما كان ولأي سبب كان وستبقى هذه المجاميع معالم سامقة في سماء الادب العالمي والعربي لاجيال لاحقة عديدة.

رحيله خسارة كبيرة جدا لايمكن التعويض عنه بسهولة.



السمات الاسلوبية في اعمال ريبوار سعيد

نەبەز بابان



يبدو ان الأسلوب هو احد المرتكزات المهمة في العملية الفنية و في الأطار الذي يُحدد علاقة المُنجِز (الفنان) بالعمل الفني ومن ثم بالذوق العام.

كما ان دراسة الاسلوب تشمل جوانب كثيرة من العمل الفني والادبي, ولغياب التعيينات المعرفية لمفهوم (الاسلوب) وبسبب مرونة هذا المصطلح,اصبح من الممكن سحبه باتجاهات مختلفة ومتنوعة، فقد يكون القصد منه الجانب الادائي والتقني الخاص بالخامات والمواد المستخدمة (حالات التعبيروالاظهار)، وقد يكون الاسلوب ذا وظيفة اخبارية خاصة بأبلاغ المتلقي، اوقد يقصد من الاسلوب (الاتجاه) كالاساليب الفنية المعروفة، مثل الاسلوب الواقعي والاسلوب التعبيري اوالاسلوب التجريدي...الخ

والاسلوب ينبني باشكال مختلفة ومتفاوتة تبعا للآليات المتبعه من قبل الفنان,اضافة الى دور العوامل الاخرى مثل البيئة، الطبيعية، الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية... الخ. التي تهيمن بشكل واضح

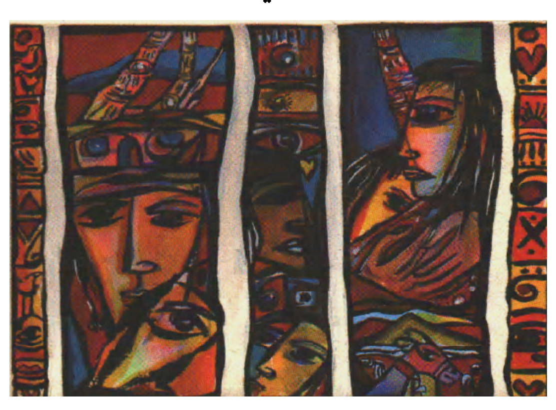
في المنجزات الفنية.وهذا ما يجعل لكل عمل فني ولكل فنان سمات اسلوبية خاصة يتميز ويتفرد من خلالها وتكون بمثابة الهوية التي تحدد شكل المنجز الحضاري (تشكيل، اداب، موسيقا).

اما في المنجز الفني عند (ريبوار سعيد) فان الاسلوب ينبني من خلال تكاتف هذه العوامل التي تصب في شكل العمل ومضمونه ,حيث يمكن رصد سمات اسلوبية مختلفة في اعمال هذا الفنان منها ما يتعلق بادائه التقني وآلياته البنائية في تشكيل عناصره الفنية ومنها ما يتعلق بالمحور الموضوعي الذي يؤكد عليه الفنان من خلال سرده للوقائع والاحداث باسلوب قائم على رؤيته الذاتية في نقل هذه المشاهدات للمتلقي بطريقته في التركيب الصوري للاشكال الايقونية (المباشرة والمحورة)، اضافة الى اهتمام الفنان بالتنوع في استخدام الطرق والوسائط المادية (السطح المادي الحامل والمواد الملونة) مع حرصه الشديد في الحفاظ على خصائصه الاسلوبية.

ان الدراسة التحليلية باسلوب علمي (اكاديمي) لاعمال الفنان ريبوار سعيد تكشف عن السمات الخاصة التي تؤكد فردية الاسلوب في سلسلة تجاربه الفنية وعبر المراحل المختلفة ,وننطلق في هذه الدراسة من المنظومة البنائية التي تنظم حركة المفردات والعناصرداخل النص اوعلى سطح النسيج البصري.

لقد ارتبط التكوين عند الفنان بثقافته البصرية الناتجة عن انفتاحه على الثقافات الغربية و الاوربية ومن كثرة مشاهداته واطلاعه على التجارب المحلية والعالمية، حيث تزوده هذه المشاهدات بنوع من المعرفة الذهنية الناتجة من اثر التلقي والتي تظهر بوضوح في لحظة الانجاز ومن خلال التحليل والتركيب والتنوع في التكوين داخل نتاجه الفني.

ان اسلوب التكوين عند ريبوار سعيد ينبني من خلال تجاور العلاقة والمحايثة ما بين الانظمة البنائية الشكلية واللونية والموازنة ما بين هذه الانظمة من اجل تحقيق القيم الاظهارية وهذا الامر لا يتم بمعزل عن الآلية التقنية التي سوف نتحدث عنها لاحقا. ويتصف الاسلوب عنده بالاختزال العالي والتكثيف البصري للاشكال الايقونية والمفردات الزخرفية. اضافة الى تفعيل الفنان لمفرداته واشكاله على السطح من خلال طاقات اللون التي تعمل كمحركات لتفعيل



الاشكال في النص البصري.

ويتفق اسلوب التكوين ويتلائم مع الآلية التقنية التي يستخدمها الفنان في تجسيد اشكاله وسطوحه,كما ان الفنان يتقن المناورة بالالوان المختلفة (مائية، زيت، اكريليك واحبار الطباعة) دون التقليل من حساسية الاشكال اومن طاقاتها التعبيرية والجمالية في البث. كما ان اشكاله تنبني على السطح من خلال مغايرتها للخلفية، اي عن طريق استخدام مبدا (التضاد اللوني) والعلاقات المتضادة مابين القيم اللونية(الفاتح + الغامق) والتركيز على الالوان الاساسية الثلاثة (الاصفر، الاحمر والازرق) واشتقاق بقية التدرجات من هذه الالوان الرئيسة. اضافة الى حضور الخط (المحدد) باللون الاسود الذي ينساب في داخلية النص ويحقق قيمة الاشكال الايقونية جماليا وتعبيريا.

كذلك نجد ان الآلية التقنية تتارجح مابين اتجاهات ادائية مختلفة (رمزي، تعبيري، تجريدي) تتراكب وتتعالق هذه العلاقة احيانا لتنتج اسلوبا وسيطا ما بين هذه الاداءات,ومن هنا نجد ان الفنان يطرح مهاراته التقنية القريبة من تقنية (الكرافيك)

لتجسيد اشكاله ,حيث ان الايقنة والتعيين تقتضي منه اللجوء الى طرق الرسم في التخطيط و التلوين والتي تصبح بمثابة بؤرة جمالية داخل التراكيب البسيطة والمختزلة وهذه هي احدى السمات الاسلوبية المميزة في تقنية ريبوار سعيد.فالاشكال تغتني من حركة العلاقات المختلفة داخل التكوين.

وتعمل الآلية التقنية عند ريبوار سعيد على استنطاق المضمون من خلال الطاقة التعبيرية التي تمتلكها الاشكال الايقونية (الوجوه الآدمية والتراكيب الرمزية)، اضافة

الى ان هذه الدوال الشكلية تبدو محملة بالمضمون والمعنى بشكل تضميني وثاوي في العمق, حيث يمكن التكهن بالمزيد من المعاني للشكل الواحد (فرح، حزن، حب، قلق...الخ) وهكذا نجد انفتاح المضمون على المتلقي الذي يتفاعل مع النص كما يريد هو لا كما يريد المنتج (الفنان).

ويعود السبب في انفتاح المعنى داخل العمل الى غياب الدلالات والمرجعيات الخاصة بالدوال الشكلية,كما تنفلت هذه الدوال الشكلية من قيم الزمان والمكان,وعليه نجد ان اللون والشكل لايحيلان المتلقي الى اشياء ثابتة ماعدا الوظيفة الجمالية والتعبيرية التي لايمكن تجاوزها.وهكذا نجد سمات اسلوبية واضحة يمكن رصدها في تجارب (ريبوار سعيد) وتتمثل في التركيب البنائي للاشكال الايقونية (الوجوه) التي تظهر في اوضاع مختلفة من الامام والجانب في نفس الوقت كما في البني الشكلية للاعمال الرافدينية او في النتاجات التكعيبية التي تجسد اكثر من زاوية في لحظة زمنية معينة.

ويعتمد الفنان في تركيب نصوصه البصرية على المزاوجة ما بين الاستعارة والمجاز اي ما بين المشبه والمشبه به (الاستعارة المباشرة) والمجاز في التركيب لخلق معادل بصري جديد ناتج من الصورة الذهنية والية تركيبها.فالاستعارة قائمة على اعادة توظيف بعض مفردات الموروث الشعبي وبعض الرموز والزخارف المشابهة لتلك الموجودة على السجاد والبساط الشعبي الكردستاني, ويفعل الفنان هذه الالتقاطات داخل مشاهده بطريقة جديدة لا تشابه الخارج ولا تحاكيه وانما تحاوره كمعادل جديد منقطع عن مراجعه السابقة ويتم هذا الطرح باسلوب ذاتي مبتكر يرتكز على العلاقات الناتجة من المحايثة مابين الانظمة الشكلية واللونية,كما يعتمد الفنان على الموضوع في انشاء نصوصه واغلب هذه الموضوعات مستمدة من الحياة الاجتماعية التي تمثل المرتكز الاساسي للفنان لتجسيد

المشاعر والحالات المختلفة (الحب، العناق، الفراق واللقاء)، وعليه نجد ان مفردة الوجه تتكرر في اغلب اعمال الفنان بحالاتها المختلفة حيث لا يمكن تشخيص الايقونة (رجل، امراة) كذلك لا يمكن التكهن بحالاتهاالعاطفية نتيجة الانفتاح الدلالي لهذه الاشكال.

ولذلك يصنف اسلوب ريبوار سعيد ضمن الاساليب الحداثوية القائمة على التركيب والمزاوجة ما بين الانساق المعرفية المختلفة، التي تتساوق وفق رؤيته الداخلية في طرح افكاره ورؤاه المختلفة.وهذا ما يفعل النصوص البصرية في منجزه الفني.

ان اسلوب ريبوار سعيد يصنف ضمن الاساليب المركبة في الاداء التقني الذي يقع في دائرة التناصف ما بين الاتجاهات التعبيرية والرمزية والتجريدية التي تختزل وتكثف وتركب الاشكال الايقونية باسلوب مجازي يزاوج بين الاستعارات الخارجية (الظاهرية) وبين الصورة الذهنية الداخلية.

في كركوك لوحات تشكيلية تعبر عن التصدي للارهاب وتآلف القوميات

رزگار كاكه مير / كركوك



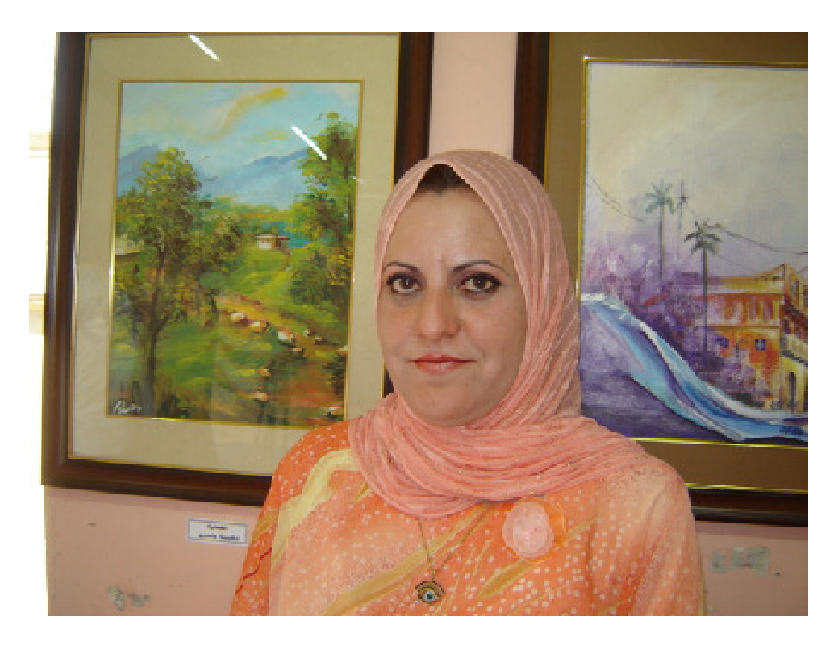


شهدت قاعة النشاط المدرسي بمدينة كركوك مؤخرا المعرض التشكيلي الاول لجمعية الفنانين التشكيليين فرع كركوك، شارك فيه (48) فنانا وفنانة تشكيلية بمختلف القوميات والاطياف، وضم المعرض الذي حضره عدد كبير من الفنانين بمختلف القوميات والاطياف اكثر من مئة وخمسين لوحة تشكيلية جسدت المعاني الكثيره التي كانت شاخصة في اذهان هؤلاء الفنانين هذا وأرتأينا أن نلتقي عددا من الفنانين المشاركين في المعرض:

* الفنانة التشكيلية وهبية ياسين أشارت الى ان هذا المعرض يعد الاول من نوعه لجمعية الفنانين التشكيليين في كركوك وأن مشاركتي في المعرض بلوحتين عبرت عن المناظر الطبيعيه في كردستان العراق.

* الفنان ناصر خلف الذي شارك بلوحتين قال: لوحاتي عبرت عن حالات مرئية وواقعية نعيشها يوميا وهي تجسد حالات الارهاب التي يعاني منها الشعب العراقي, وهذا الواقع المرئي الموجود في لوحتي الاولى هو وجود تحد ضد الارهاب والسعي من اجل القضاء عليه, والمرأة الموجودة في اللوحة تبصر الافق فهي تتحدى هذا الواقع المؤلم وانشاء الله الارهاب يزول لامحال بوجود تآلف أبناء الشعب العراقي الواحد, اما اللوحة الثانيه فهي تجسد وجود خيول





في هذا المعرض، الاولى تجسد رسالة موجهة الى أبناء الشعب العظيم عنوانها(آه وطني) وهي تمثل دخول الغرباء الى هذا البلد ومما أدى الى توقف الزمن وتمزيق المجتمع وتولدت حالات الاعتقال والقتل والتهجير وتدمير الحضارة الفكرية والحضارة العراقية على خلفية أرض مليئة بالدماء والتفجيرات، أما اللوحة الثانية فقد تعبر عن الارهاب ولابد أن ينتهي في يوم ماوهي نصيحة لكل من يسلك هذا الدرب وان طريق الارهاب قصير ويجب الابتعاد عنه لان بناء الوطن يتم عن طريق السلام.

جامحة ايضا تبصر الافق وهذا الابصار هو علامة من علامات التحدي والشموخ أمام هذا الجبروت الذي يعاني منه شعبنا كل يوم من قتل الابرياء ووجود الشواخص التي نراها جاثمة على الارض وهي مليئة بالشظايا والدماء تتقاطر منها وان الانتصار على هذا الالم الكبير سيكون في امال ابناء الشعب العراقي..



⋆ الفنانة التشكيلية أيشان الصالحي قالت: لوحاتي تجسد المرأة وكان لدي مشروع تخرج حيث رسمت مواضيع عديدة عن المرأة وآمالها وطموحاتها وتطلعاتها، وشاركت في معارض عديدة التي اقيمت في نينوى كما شاركت في معارض شخصية التي اقيمت في كركوك فضلا عن معارض اخرى في تركيا.

⋆ الفنان التشكيلي غسان ناجي ال ياسين قال: شاركت بلوحتين

المعرض الشخصي الثالث
للفنان (احمد اسود) في كركوك

ڕزگار محمد






أقامت المديرية العامة للثقافة والفنون في وزارة الثقافة لحكومة اقليم كردستان وبالتعاون مع مركز كركوك لمنظمة فناني كردستان المعرض الشخصي الثالث للفنان النحات أحمد أسود وذلك على قاعة مركز كركوك لمنظمة فناني كردستان حضره جمهور غفير من الفنانين والمثقفين بمختلف القوميات والاطياف.. وقد ضم المعرض قطعا نحتية خشبية للحيوانات بمختلف أشكالها منها الأحصنة والأبقار والأسود والنمور والغزلان وأنواع الطيور مثل القبج والنسر وكذلك الأدوات التراثية الكوردية الأصيلة مثل (المحراث) الذي كان يستخدمها آباؤنا وأجدادنا في قرى كوردستان الحبيبة..

ولد الفنان أحمد أسود أحمد في كويه عام ١٩٣٥ وهو نحات خشبي واستطاع أن يصنع طيور القبج لأول مرة عام ١٩٧٠ وفي عام ١٩٧٢ شارك في المعرض الذي اقيم بـ(معمل ١٣) بكركوك، وفي عامي ١٩٨٤ و١٩٨٦ شارك في معرض مشترك مع ابنته الفنانة نرمين أحمد الذي اقيم في محافظتي كركوك وهولير, وشارك في معرضه الشخصي الأول عام ١٩٩٩ بقاعة ميديا في هولير، وفي أعوام ٢٠٠٠ و٢٠٠٣ و٢٠٠٥ و٢٠٠٦ شارك في معارض مشتركة التي شهدتها كركوك..

وفي عام ٢٠٠٧ حصل على شهادة تقديرية من وزارة الثقافة في اقليم كوردستان، وهو عضو في جمعية الفن والاداب الكردية بكركوك وعضو في منظمة فناني كوردستان..




إشكالية النهضة العربية في مرآة الادب والنقد

مؤتمر جامعة تشرين في اللاذقية

غنام محمد خضر
كلية التربية/ جامعة الموصل

للفترة من 8-10/5/2007 عقد هذا المؤتمر في رحاب كلية الأداب والعلوم الأنسانية في جامعة تشرين في اللاذقية تحت رعاية الأستاذ الدكتور أمير إبراهيم رئيس الجامعة، وقد اسهم في المؤتمر نخبة من الأساتذة والباحثين من مختلف الجامعات العربية، ويمكن اضاءة اهم البحوث التي القيت في المؤتمر وعلى النحو الأتي:

قدمت الدكتورة اسماء معيكل من جامعة حلب في سوريا ورقتها تحت عنوان (الحركة النسائية في النصف الأول من القرن العشرين "مجلة المرأة" نموذجا) مشيرةً الى ((دور الحركة النسائية التي نشطت في النصف الأول من القرن العشرين، محاولة تسليط الأضواء على ابرز قضايا المرأة في تلك الأونة التي اعقبت النهضة))

وقدم الدكتور ثائر ديب من وزارة الثقافة السورية ورقته تحت عنوان (الترجمه والنهضة في علاقة العلم بنظام المعرفة العام) مشيرا الى ((الأقتران الذي حصل بين النهضة والترجمة وفائدة هذه الترجمة في تأريخ



د. محمد صابر عبيد

الفكر الانساني، ومنها ترجمة العلوم التطبيقية والبحتة، وترجمة الأعمال الأدبية الغربية وغيرها)).

كما قدم ألأستاذ حسن حميد رئيس تحرير مجلة الموقف الأدبي في اتحاد الكتاب العرب/ سوريا ورقته تحت عنوان (النهضة في مراة الأدب والنقد رواية غابة الحق إنموذجاً) مشيرا الى ((مكانة تلك الرواية التي الفها فرانسيس فتح الله مراش من حيث اهتمامها

بالخطوط الرئيسة لاحوال المجتمع العربي في بدايات القرن العشرين مثل الحال السياسية والأجتماعية والأقتصادية والثقافية ....)).

وقدم الدكتور رضوان القضماني في جامعة البعث في سوريا ورقته تحت عنوان (شعرية الخطاب الأدبي النهضوي بين علي الناصر وسامي الكيالي) مشيرا الى ((المكانة التي شغلاها في الخطاب النهضوي الذي جاء من جراء تاثير النهضة العربية عليه)).

وقدم الدكتور سعد الدين كليب من جامعة حلب في سوريا ورقته بعنوان (التنظير الجمالي عند الأب جبرائيل رباط) مشيرا الى ((ما قدمه الأب جبرائيل رباط للبحث الجمالي العربي في القرن العشرين اذ يمكن اعتباره رائدا من نوعه ، وان دراسته تشكل دراسة لوعي المنورين العرب النقدي والجمالي معا)).

وقدم الدكتور سلطان سعد القحطاني من جامعة الملك سعود من السعودية ورقته بعنوان (رواد النهضة الأدبية ونقد التجربة) مشيرا الى ((تجربة ثلاثة من النقاد العرب في بداية النهضة ، وهؤلاء النقاد هم طه حسين عباس محمود العقاد ومحمد مندور متحدثا عن تجاربهم في الأدب والنقد)).

وقدمت السيدة (سناء سلمان عبد الجبار من جامعة تكريت في العراق) ورقتها بعنوان (المعارك الأدبية في عصر النهضة سجال كلامي ام مشروع ثقافي زكي مبارك نموذجا) مشيرةً الى ((المعارك التي جرت بين زكي مبارك واشهر تلك المعارك التي جرت مع عمالقة مفكري عصر النهضة وهم طه حسين واحمد امين والعقاد والمازني مما ادت الى طمس منجزة ونسيانه اذ أغفله بعض ممن درسوا هذه الفترة وتناولوا اهم اعلامها، مثل شوقي ضيف ولم يشيروا اليه)).

وقدم الدكتور عبدالله ابو هيف من جامعة تشرين في سوريا ورقته تحت عنوان (توجهات الأستغلال في حركة النهضة العربية سيرة اسعد الكوراني انموذجا) مشيرا الى ((مفهوم الأستغلال في سوريا من خلال



توجهات مسيرة اسعد الكوراني عن روايته عما راى وسمع وفعل في تاريخ سوريا الحديث . ويخلص البحث الى مكان الأستقلال في النهوض القومي والوطني)).

وقدم الدكتور عبد المجيد جرادات من رابطة الكتاب الأردنيين ورقته بعنوان (نحو مشروع نهضوي عربي جديد) مشيرا الى ((اهم الطموحات النهضوية وطبيعة المحددات كما تناول طبيعة الأهداف الأستراتيجية وناقش ايضا دور اهل الفكر والعلم والمعرفة في اشاعة الوعي من اجل مشروع نهضوي عربي)).

وقدم الدكتور عبد النبي اصطيف من جامعة دمشق من سوريا ورقة تحت عنوان (مصطلح النهضة : اعادة نظر) مشيرا الى ((ان الناظر لهذا المصطلح يفصح عن مفهوم مستمد من الأخر الغربي كان محفوزاً بمحددات مسقطة على الأدب اكثر من كونه يفصح عن طبيعة هذا التحول الأمر الذي يستدعي اعادة نظر جذرية في طبيعة هذا المفهوم)).

وقدم السيد (غنام محمد خضر من جامعة الموصل في العراق) ورقته تحت عنوان (تأثير النهضة

في السرد العربي الحديث) مشيرا الى ((دور النهضة العربية وما حققتة من انجاز على صعيد المدونه الأبداعية العربية ، اذ كشفت عن مساحات جديدة لم يكن الكاتب العربي ينتبه اليها او يشتغل عليها فهيأت النهضة مسارات قابله لتبني اجناس ادبية لاسيما في الرواية والقصة القصيرة)).

وقدم الدكتور محمد رجب الباردي من جامعة تونس ورقته تحت عنوان (حداثة الرواية _ رواية الحداثة) مشيرا الى ((ان الرواية العربية هي نتاج الحداثة ومولوده الشرعي ونحن نعتقد ان الحداثة العربية التي ظهرت منذ نهاية القرن التاسع عشر نشأت في ظل الحداثة الأوربية ، كما اكد ان الذين نظروا لنشأة الرواية من العرب لم يستطيعوا ان ينفصلوا عن المركزية الأوربية وان يتجاوزوا اطروحاتها فالأفكار تتعدد ولكن الأطروحة واحدة)).

وقدم الدكتور (محمد صابر عبيد من جامعة تكريت في العراق) ورقته بعنوان (الجواهري الكلاسي اخر فحول شعر النهضة) مشيرا الى ((اهمية الجواهري في الشعر العربي اذ جاءت صورته جديدة ومبتكرة تأخذ من القديم وتتكون بالجديد، على النحو الذي ظل منه الجواهري بالرغم من تحديات ولادة القصيدة الحرة انموذجا متفوقا لشعر النهضة حتى وان كان في اواخرها حمل رايتها النهضوية عن جدارة وتميز)).

وقدم الدكتور محمد مقدادي من جامعة الباسيفيك في الأردن ورقته تحت عنوان (الثقافة والنهضة الأدبية في مواجهة العولمة) مشيرا الى ((العولمة في مرحلة ما بعد الحداثة في ثقافة تحاول عولمة الثقافات وفقا لمفاهيمها في نسق واحد واستخدام كل ما يلزم من ادوات لتقويض المثل والقيم ونسف الثوابت والمقدسات التي تعترض تصميم هذا النسق)).

وقدم الدكتور مصطفى الحيادرة من جامعة أربد الأهلية في الأردن ورقته بعنوان (المستشرقون واثرهم في النهضة اللغوية العربية الحديثة برجشتراسر نموذجا) مشيرا الى ((دور المستشرقين في اعادة نشر جزء كبير من التراث العربي كما قاموا بتطبيق مناهج الدرس الحديث في دراسة التراث العربي واسهاماتهم ايضا في نشر عدد وافر من الكتب اللغوية)).

وقدمت الدكتورة مها خير بك ناصر من الجامعة اللبنانية ورقتها بعنوان (الحركة النهضوية العربية بين مركزة المعيارية وصيرورتها) مشيرة الى ((ان النهضة في المفهوم اللغوي الدلالي تفيد القيام والطاقة والقوة والأرتفاع واضافت قائلة ان الأحتفاء بالحركة النهضوية لا يقلل من شان الواقع السكوني المنذور لقبول الجاهز واحتضان نماذجه...)).

وقدم الدكتور نضال الصالح من جامعة حلب في سوريا ورقته بعنوان (الرواية النسوية في عصر النهضة زينب فواز نموذجا) مشيرا الى ((الكتابة النسوية السورية في عصر النهضة وما لاقته من عدم اهتمام في الخطاب النقدي الذي عني ببواكير التجربه الروائية العربية...)).

وقدمت الدكتورة نجوى بن عامر من جامعة القيروان في تونس ورقتها بعنوان (اسئلة النهضة: التراث النحوي العربي نموذجا) مشيرةً الى ((تقديم منهج لأحياء تراثنا النحوي، وهذا المشروع صادر عن قناعة بأن ما إنتهى إليه نحاتنا القدماء قادر على تقديم الكثير من الحلول لأشكاليات المباحث اللسانية))..

وقدم الدكتور عبدالرحمن محمد الوصيفي من جامعة المنصورة في مصر ورقته بعنوان (محمود سامي البارودي ودوره في النهضة العربية) مشيرا الى ((الدور الذي لعبه البارودي في عصر النهضة من خلال ما قدمه من قصائد جميلة عالج فيها موضوعات اجتماعية وسياسية عميقة اذ شكلت نقطة تحول في الشارع العربي)).

واختتم المؤتمر اعماله باصدار مجموعة من التوصيات المهمة التي ركزت على طباعة بحوث المؤتمر في كتاب واستمرار عقد المؤتمر كل عام .

ردا على موضوع:
المثقفون الكرد لم يجدوا سوى زملاء عرب قليلين يعترضون على إبادة شعبهم

علي فتلاوي

بدءا اني في الوقت الذي اشكر الكاتب "هوشنك الوزيري" ان فتح بابا على موضوع (نشرت في العدد ١٥ من مجلة سردم العربي) بالغ الاهمية كما ووردت ان اتطرق اليه، والان وجدت الفرصة السانحة لان اكتب رأيي في هذا الموضوع وانا لست ذلك الكاتب "اللامع" الذي قد يرجوه اخي الكردي فارجو نشره ايمانا بديمقراطية وحرية النشر.

*اقول ان تخوفك ليس في محله مادمت صريحا فيما تطرح وانت تريد التقارب بين ثقافتين تعيشان معا في وطن واحد ان لم يكن العراق، ففي كوردستان، حيث نحن العرب نعيش معكم في كوردستان (كركوك) ونحن نقر ونعترف بحقوق الشعب الكردي في جميع المجالات ان كانت السياسية في الاستقلال وتقرير مصيره وفي الجانب الثقافي فله ثقافة خاصة لأمة تكالبت عليها الاعداء كما تكالبت على الثقافة العربية.

لذا ابدأ كلامي معك ايها الاخ (هوشنك الوزيري) اني اتعجب لك وكل العجب لا اتفق معك في كونك تعتبر (حكومة البعث الشوفينية) (حكومة قومية عربية) فمن طرف انها عربية فان حزب البعث الشوفيني مارس الظلم والاضطهاد حتى علينا نحن العرب كما مارسه ضد الشعب الكردي، وبالتالي فهو لا يمثل كل القوميين العرب قاطبة واما من طرف حكومه قومية فالتجاوزات والتدخلات السياسية والعسكرية حد الغزو للدول الجارة العربية وتصفية الساسة والشخصيات القومية العربية ناهيك عن الابادة الجماعية التي مارسها ضد عرب جنوب العراق اذن انها ليست حكومة "قومية عربية" وانما حكومة شوفينية تعصبية عنصرية.

*واما بالنسبة للسنوات ٣ التي تذكرها فمنذ ١٩٩١- الى اواخر التسعينيات تقريبا فالشعب الكردي كان يعيش حالة غير طبيعية ومنها اقتتال الاخوة والذي انعكس هذا الاقتتال حتى على المثقف الكردي، فكان لايدري كيف؟ وماذا؟ يكتب ولمن؟ هذا من مهمة واننا

(العرب المثقفون في العراق) لم نر كتابات وادبيات المثقف الكردي الا بعد الـ (٢٠٠٠) هذا من جهة ثانية.

وانت تعترف بوجود الكتاب والمثقفين القلائل من العرب وخاصة العراقية والذين كتبوا بحق الشعب الكردي وان القلم الواحد الذي تقصده يعادل الاقلام العديدة والهزيلة والمؤجورة التي لم تذكر ثقافة الشعب الكردي وتمثال الشاعر الكبير الجواهري خير دليل وهو شامخ في وسط كوردستان وقصيدته العصماء بحق الشعب الكردي واسكتت كل الاقلام التي تعادي الثقافة الكردية. وكذلك يجب الا ننسى موقف العلامة والفيلسوف الراحل الاستاذ هادي العلوي عندما تبرأ من العرب حين صمتوا ازاء الجريمة النكراء بحق الكرد في حلبجة، في حينها كانت هناك اقلام كردية تمجد ذلك وهي التي تعيش على فتتات موائد نظام الطاغية وجريدتهم (العراق) انذاك وصمة عار لهم.

وفي مجلة سردم العربية الغراء احد المثقفين العرب والعراقيين يكتب مالم يكتبه غيره من الكرد وهو الكاتب والمثقف الكبير زهير كاظم عبود وكذلك الكاتب المعروف مفيد الجزائري.. والكتاب والادباء والمثقفون في الحزب الشيوعي العراقي لم تجف اقلامهم قط ولم يبخلوا في الكتابة في الثقافة الكردية وهم عرب ولكنهم ليسوا عنصريين ولا شوفينيين.

اختزال الاجيال:

ماذكره الشاعر الكبير (شيركو بيكس) دقيق وفي غاية الاهمية ولكني اقول ان كان المثقف الكردي مصنفا في الدرجة الثانية او الثالثة في عهد الدكتاتورية، فان المثقف العربي في الجنوب حتى لم يصنف بل سحبت منه الجنسية العراقية.

وانا في الوقت الذي اؤيده بان هناك من لم ينبت ببنت شفة بحق الشعب الكردي، ولكن يجب الا ننسى ان هناك من فضح هذه الابادة بان تبرأ من العرب كما ذكرنا سابقا.

نافذة الثقافة الفارسية:

نعم النافذة التي وجدها الكاتب والناقد ريبين هردي وهي الثقافة الفارسية، ولكنني لم اجد ثقافة مثقف (فارسي) يمجد ويشيد بالثقافة الكردية ونحن نعلم ونعرف حق المعرفة مايعانيه الشعب الكوردستاني في ايران من اضطهاد سياسي واجتماعي وثقافي!!

-اما بالنسبة مايكتبه وكتبه الكتاب بحق الشعب الفلسطيني ومايعانيه على يد الجنود الاسرائيليين.. فلا فرق بين معاناة الشعب الفلسطيني والشعب الكردي سوى فروق بسيطة، فالشعب الفلسطيني طرد من ارضه والشعب الكردي تآمرت عليه دول كبرى بما فيها او امريكا وحكومات اقليمية منها ايران وانا اعتبر نضال الشعب الفلسطيني ونضال الشعب الكردي وجهين لعملة واحدة وهي النضال وحق تقرير المصير.

-وبالنسبة لتزايد القراء الكرد الذين يقرؤون بالفارسية وقلتهم في القراءة العربية فهذا خطأ فادح وقع ويقع فيه المثقفون الكرد.

فلولا الصحيفتان المهمتان (الاتحاد والتآخي) واللتان تمثلان لسان حال الحزبين الكبيرين (الوطني الكوردستاني والديمقراطي الكوردستاني) لاتوجد صحيفة اخرى باللغة العربية.

وسيكون لمجلة سردم الغراء دورا بارزا في هذا المجال.

صورة المثقف الكردي في الثقافة العربية:

ماذكره الشاعر والصحافي كريم دشتي انه الحقيقة وهو الواقع، ولكن ثمة سؤالا يطرح نفسه اين هم الان تلك الابواق الفجة لسلطة البعث التي دافعت عنها. انها كانت صامتة حينما نال الاضطهاد والظلم والمجازر الشعب العراقي برمته واذكر بالاخص (عرب الجنوب)

حب من طرف واحد: اعجبني رأي الشاعرة والصحافية كزال احمد وهو رأي صائب وحقيقي لكن

اقول انا احد القراء العرب والمعجب بشعرها وابحث عنه فلا اجده الا احيانا وعلى صفحات جريدة الاتحاد او التآخي. ولكني لم اجد كمطبوع لاشعارها باللغة العربية، وان وجدته فسعره غال بحيث لايمكن ان يقتنيه اي قارئ باللغة العربية.

وحتى يكون الحب من الطرف الاخر فاتمنى نشر دواوينها باللغة العربية ولتصل الى اقاضي البلاد (البصرة، الناصرية، الرمادي..) ليقرؤوا كل قارئ.

*ان مايقوله الروائي والاستاذ الجامعي الدكتور فرهاد بيربال، غير صحيح وغير منطقي، فاولا ان الكرد لم يخدموا العرب من اجل الاسلام، وانما خدموا الاسلام بعينه ومازالوا. والا لماذا يقرؤون بان محمد (ص) العربي نبيا للاسلام، واذا كان قوله صحيحا فعليهم ان يتركوا الاسلام لان نبي الاسلام عربي!! هذا من جهة. واني اتعجب لمثله وكمثقف بان السلطة التي كافأتهم بالقصف الكيمياوي كانت (عربية) انها عربية شوفينية ويجب الا ننسى للجحوش كان لهم دورا لايقل عن دور البعثيين في ابادة ابناء جلدتهم اما بخصوص ان تدعو بالقطيعة مع الثقافة العربية. فان لم تكتب بالعربية فلن اعرف او لن اتعرف على كتاباتك يا اخي الكردي. وانت حري بان تكتب باية لغة ليتعرف على كتاباتك العربي والاوربي، في حين لن يعرف اخوك الذي يعيش في كوردستان (العربي منهم والتركماني) واقصد (كركوك) واما عدم ايمانك بالحوار العربي الكردي فأنت بذلك تتجنى على الثقافة الكردية التي يجب ان يتعرف عليها ابن البصرة وابن بغداد والرمادي والديوانية والنجف وغيرها من مدن العراق او يجب ان يتعرف عليها المصري والسوري والاردني والجزائري وغيرهم. وانا اعتقد انك لاتمثل كل الثقافة الكردية وان تكن جزءا منها. واما بالنسبة للاسماء الذين ذكرتهم، اؤيدك وانا معك اننا لم نعرف عنهم سوى انهم كرد وانتهى الامر، لانهم لم يكتبوا عن قوميتهم وعن معاناتهم فهم اذن كرد بالنسب فقط، اما الانتماء للامة، فلم اقرأ لهم عن امتهم الكردية العظيمة بل لم يتجشموا العناء ليأتوا ويتعايشوا مع معاناة امتهم فما الفائدة من النسب.

*واما ماقاله الناقد والاستاذ الجامعي شاهو سعيد فانا معه في كل ما قاله الا اني لست معه في استعمال كلمة (الشعوبية) فهذه الكلمة طالما استعملها البعثيون لينعتوا بها اعداءهم وغيرهم من الاحزاب الوطنية العراقية الاخرى والذين تحوي ادبياتهم كثير من نتاجات المثقفين الكرد ولقد كان من خيرة قادتهم ومناضليهم هم كرد.

لعنة المقدس العربي:

ان ماتطرق اليه المترجم ومدير تحرير (سردم العربي) نوزاد احمد اسود عين الحقيقة والصواب بل يعتبر جوابا وردا لكل ماطرح في هذا الخصوص.

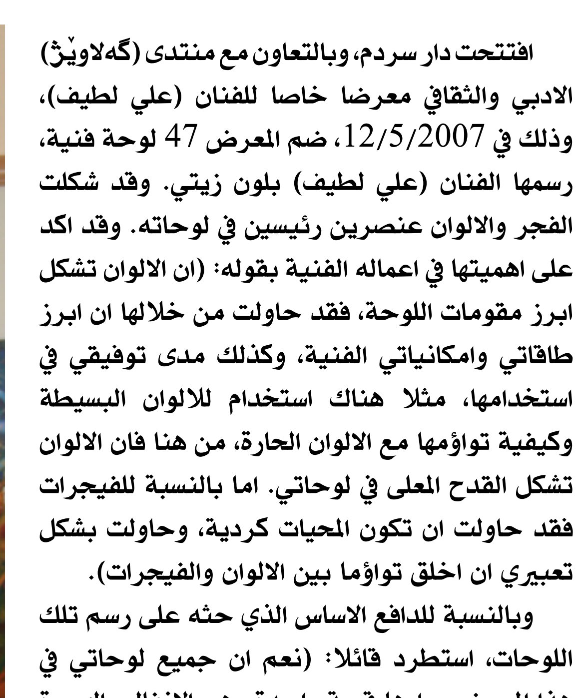
وما قاله الكاتب والصحافي امين بوتاني دقيقا وموضوعيا وتطرق للموضوع بصدق وتحليل دقيق.

وفي الختام اقدم شكري واعتذاري للكتاب والادباء والشعراء والصحفيين وكل المثقفين الذين كتبوا في هذا الموضوع ان كنت قد تجاوزت او كانت تعابيري غير موفقة وشكرا مرة اخرى.

الفنان (علي لطيف) في رقصة الالوان المحزنة

كامران سبحان
ترجمة: دانا احمد





افتتحت دار سردم، وبالتعاون مع منتدى (گەلاوێژ) الادبي والثقافي معرضا خاصا للفنان (علي لطيف)، وذلك في 12/5/2007، ضم المعرض 47 لوحة فنية، رسمها الفنان (علي لطيف) بلون زيتي. وقد شكلت الفجر والالوان عنصرين رئيسين في لوحاته. وقد اكد على اهميتها في اعماله الفنية بقوله: (ان الالوان تشكل ابرز مقومات اللوحة، فقد حاولت من خلالها ان ابرز طاقاتي وامكانياتي الفنية، وكذلك مدى توفيقي في استخدامها، مثلا هناك استخدام للالوان البسيطة وكيفية تواؤمها مع الالوان الحارة، من هنا فان الالوان تشكل القدح المعلى في لوحاتي. اما بالنسبة للفيجرات فقد حاولت ان تكون المحيات كردية، وحاولت بشكل تعبيري ان اخلق تواؤما بين الالوان والفيجرات).

وبالنسبة للدافع الاساس الذي حثه على رسم تلك اللوحات، استطرد قائلا: (نعم ان جميع لوحاتي في هذا المعرض وراءها قصة واحدة وهي الانفال والهجرة المليونية. فبالنظر الفاحص الى لوحاتي تتبين ملامح المأساة والكوارث والنهب والتهجير).

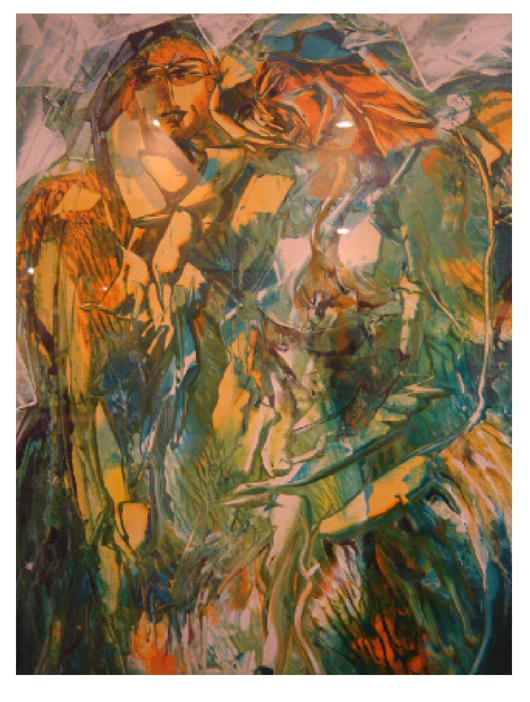


وفي سؤال حول سيرة اعماله الفنية اجاب: (انني لم افتر عن المسيرة الفنية، وذلك يدل على التغيير والتطور الدائمين في اعمالي الفنية، وقد حاولت ان اوظف تلك التغييرات في لوحاتي لتبدي عليها سمات الحداثة).

بقي ان نومئ ان الفنان (علي لطيف) احد ابرز الرسامين الكرد. تبوأ مكانه مرموقة في مجال التربية الفنية والرسم، اقام في اوروبا مدة 14 سنة، والان آب الى كردستان ليعيش فيها.

ولد الفنان (علي لطيف) في السليمانية، عمل كمدرس للفن والمشرف الفني، بين سنوات 1966-1994. سافر الى المانيا واقام فيها مدة 15 سنة، حيث درس هناك دورات فنية، وافتتح معارض فنية، الى جانب ذلك فقد كتب عديد من الجرائد الالمانية البارزة حول (علي لطيف) واعماله الفنية.

يعتبر (علي لطيف)، الى الان، احد الاسماء البارزين في وسط الفن والرسم الكردي.





بيبلوغرافيا

مجلة سردم العربي

من العدد ١٠ الى العدد ١٦

محتويات العدد ١٠ خريف ٢٠٠٥

محتويات العدد ١١ شتاء ٢٠٠٦

حوار

وثائق

شخصيات كردية

محطات ثقافية

كتب

محتويات العدد ١٢ ربيع ٢٠٠٦

الفن التشكيلي

حوار

وثائق

تراث

شخصيات كردية

محطات ثقافية

كتب

محتويات العدد ١٣ صيف ٢٠٠٦

محتويات العدد ١٤ خريف ٢٠٠٦

مسرح

حوار

وثائق

شخصيات كردية

محطات ثقافية

كتب

محتويات العدد ١٥ شتاء ٢٠٠٧

دراسات وبحوث

دراسات تأريخية

ملف جليل القيسي

شعر

قصة

مسرح

حوار

تراث

شخصيات كردية

محطات ثقافية

محتويات العدد ١٦ ربيع ٢٠٠٧

وثائق

شخصيات كردية

محطات ثقافية

سعر النسخة: 2000 دينار عراقي



Vol,4 Summer-Automn 2007

SARDAM AL-ARABI

A quarterly Cultural magazine in Arabic issued by
Sardam Printing & Publishing House

Sardam Printing & Publishing House
www.sardamco.com

Kurdistan- Sulaimany

سعر النسخة: 2000 دينار عراقي